
مجموعة
يسري شاكر
حكايات من الفولكلور المغربي
الجزء الأول
تقديم
دكتور عباس الجراري
أستاذ الأدب المغربي والشعبي
بجامعة محمد الخامس
رسومات
الشاوي محمد
الجمع والتدوين
يسري شاكر

مجموعة يسري شاكر



الجزء الأول

الجمع والتدوين

يسري شاكر

تقديم

دكتور محمد عباس الجراري

أستاذ الأدب العربي والشعبي

بجامعة محمد الخامس

رسومات

الشاوي محمد

اهداء الكتاب

الى ملك العراق . . . . . .

تقديراً للجيل الجديد . . . . .

أمل المغرب ومستقبل المشرق . . .

تقديم

بقلم دكتور محمد عباس الجراري

التناول الصحيح للتراث سواء على صعيد الجمع أو الدراسة يعنى موقفا من هذا التراث قائما على رصد موضوعي نزيه ورأى مدعم مقنع ، وان تباين التذوق أو اختلفت الرؤيا سلبا وايجابا اليه ٠

والموقف الذى اتخذناه والتزمنا به ودعونا له — ولا نزال — ينطلق من النظر الى التراث من خلال مفاهيم العصر ومناهجه وقضاياه بما يتيح لنا الكشف فيه عن جوانب القوة والفعالية ويجعلنا اذا نحن ضبطنــــا هذه الجوانب قادرين على امتلاك التراث فى الصميم وعلى اخضاعه للواقع وربط حركته فى التاريخ القريب والبعيد بصيروره المستقبل ٠

وتحقيقا لهذه الغاية لم نفرق فى التراث بين ما هو مدرسى وما هــو شعبى واعتبرنا هذا مكملا لذلك لما يمتاز به من خصب وغنى وحيويــة وتلقائية، وزادنا الحاحا على هذا ما وجدناه فى التراث الشعبى المغربى من تنوع وغزارة واحتفاظ بملامح الاصالة والعراقة مع النزوع المستمر الى التطــور والتجــدد ٠

واذا كانت هذه السمات تعد من خصائص تراثنا الشعبى ككل ، فهى فى الجانب الادبى منه أوضح وأبرز لتوصل هذا الجانب بالوان من القول

واشكال من القوالب وانماط من أدوات التعبير متنوعة وغنية بتنوع البيئة المغربية وغنى روافدها ، لكنها ابدا تلتقى فى البوتقة الوطنية لتكشف عن وجدان مغربى موحد قادر على التكيف والامتصاص بعفوية وتلقائية غريزيتين .

ومع ذلك فان الراى العام الادبى فى المغرب والمثقف عموما ما زال يبدى حذرا شديدا من الادب الشعبى لعدم ادراك قيمة مضامينه وجودة فنيته ، ثم لخوفه من العامية على اللغة المدرسية وما يرتبط بها من تعريب حين يتعلق الامر بالادب الشعبى الصادر بالعربية أو لخوفه من اللهجات. الامازيغية على الوحدة الوطنية حين يكون الامر متعلقا بادب هذه اللهجات واذا كنا بالنسبة للعامية العربية قد فرغنا من القول حين كشفنا عن ايجابية العناية بها ، فاننا بالنسبة للهجات الاخرى لا نملك الا أن نؤكد جدوى الاهتمام بها وماصدر فيها من آداب دون أن ننسى قرابتها مع العربية فى الاصل ودون أن ننسى كذلك مدى ما اقتبسته منها خلال العصور سواء على صعيد اللفظ أو التركيب فضلا عما نقلته من مضامين .

واذا كنا ذهبنا فى السابق الى حاجة اللغة العربية — فيما تحتاجه للتطور والتجدد والتوسع — الى العامية وسيلة من وسائل الاغتناء وتقريب الهوة بين أداتى الكتابة والتخاطب ، فاننا نزعم أن اللهجات الامازيغية بما لها من خصائص العربية قادرة على ايجاد قنوات للاتصال تذيب قليلا أو كثيراً مما بينها من فوارق .

وهناك حذر آخر يبديه بعض المثقفين تجاه مضمون الادب الشعبى حين يتلعق الامر بالحكاية الشعبية اذ يرون أن انتشارها يزيد فى شدنا الى أرضية التخلف لانه لا يدل الا على خرافية عقلية متداوليها أو على عدم وجود وعى لديهم يدركون به مختلف الظواهر والحقائق والتناقضات السياسية والاجتماعية ، ولا يدل هذا فى النهاية الا على أنهم كانوا أبدا خارج التاريخ بعيدين عن التخطيط لمصيرهم وتحقيقه ، أو التحكم فيه على الاقل وأنهم لجأوا الى الخرافة لمجرد التعويض .

ولسنا نشك فى ان الخرافة كانت مجالا واسعا للتعبير فى المجتمع خلال مراحل من تاريخه لم تكن تتسم بالرقى والتطور ، لكن استمرار

انتشارها يعني — بالاضافة الى الجانب الترسبى فى الذهن والفكر — ان المجتمع كان يلجأ الى التعبير بها حين لا تتاح حرية التعبير ، وحين يفرض عليه توجيه شأنه أن يثبت لعقلية معينـــة .

من هنا كانت الخرافة متنفسا له يرفه بها عن نفسه ، ويعبر عـــن موقفه ويبعد بواسطتها آلامه ويقرب آماله ، بل انه كان يجد الحل أو السبيل للراحة والاطمئنان حين تضغط المشاكل عليه ، فيقف أمامها حائرا او غير قادر على المواجهـــة .

ومع ذلك واذا كنا لا نستطيع أن ننكر أن هذا النوع من الأدب ، يزيد انتشاره فى البيئات التى تعانى من التخلف ، فاننا نلاحظ ميلا يكاد يكون غريزيا الى الخرافة حتى فى المجتمعات التى تخطو نحو التعلم كما هو الحال فى المجتمع المغربى والعربى عامة ، حيث يتضح هذا الميل ليس فى الإيمان والإعتقاد فحسب ، بل حتى فى الممارسة والسلوك .

وهذه حقيقة لا تؤكد الا ان العلم فى مجتمعنا ليس غير مادة نظرية لم تتحول بعد الى تطبيق وهى تؤكد بالتالى أن متعلمينا لم يتعمقوا فى المفهوم الحقيقى للعلم ولم يدركوا ابعاده ولم يتشربوا روحه وانهم فـــى النهاية لم يربطوه بالحيـــاة .

حقا ان الانسان مدفوع بالغريزة والتفكير معا سواء على النطـــاق الفردى أو المجتمعى الى معرفة ذاته من الخصائص والطاقات والامكانات والقدرات على الاضافة والعطاء، حقا أن عناصر تركيبة هذه الذات تتغير على مر العصور كما تتغير المؤثرات الفعالة فيها ، ولكن الجوهر يبقى الى حد بعيد وخاصة عند الطبقات البسيطة ميالا الى الاحتفاظ بمقوماته العقلية والذهنية لارتباطه بواقع مادى ونفسى معين ، وان مال الى بعض التطور بقدر ما يتطور التاريخ فى هذا المجتمع .

وهو بهذه الملامح أكثر ظهورا فى ما يمارس الشعب من عادات وتقاليد وما يبدع من آداب وفنون وخاصة فى مجال القص والحكى .

وهذا مايحفزنا — نحن مازلنا بصدد البحث عن الذات — الى العناية والاهتمام بهذا النوع من الادب الشعبى والدعوة الى جمعه أولا ، والى

دراسته ثانيا ومن جوانب مختلفة — انثروبولوجية ونفسية وتاريخيـــة وادبيـــة .

من هنا كان تقديرنا لهذا العمل الذى أنجزه صديقنا المصرى الاستاذ يسرى شاكر فى اطار جمع الحكايات الشعبية المغربية .

وهو عمل جليل وضخم تطلب منه سنوات طويلة من التتبع والجمع فى غير قليل من المعاناة المضنية المرهقة ، وكان سبق له أن أطلعنا على مشروعه منذ أزيد من ثلاثة أعوام فأشفقنا عليه مما قد يصيبه من المشقة والعناء ولكننا لم نلبث أن شجعناه حين الفيناه مصمما وبروح قوية عالية على المضى فى البحث الميدانى عن الحكاية هنا وهناك وعلى مواجهـــة الصعوبات التى تعترضه مادية ومعنوية . وكنا قد تعرفنا عليه من خلال مسلسل للا غنو الذى قدمت التلفزة المغربية حلقاته الناجحة فأعجبنـــا بالعمل وقدرنا صاحبه .

ولا شك أن الحس الفنى الذى يتمتع به الاستاذ يسرى باعتبـــاره مخرجا تلفزيونيا ساعده الى حد بعيد فى انجاز مشروعه الذى يقدم فـــى هـــذا الكتاب أولى مجموعـــة منه . والحكاية الشعبيـــة التى تعرض هذه المجموعة تمثل أقاصيـــص قديمـــة لا يعـــرف مؤلفهـــا ولا زمـــن انشائهـــا وان كانـــت فـــى مجموعهـــا ترجـــع الى عمـــق ضارب فى التاريخ ، لما تكشف عنه من ملامح عريقة ، وقد انتقلت عبر العصـــور والاجيال ولا تزال عن طريق الرواية الشفوية ، وان وجدنا بعضها مدونا عند الذين عنوا بها فى مرحلة متأخرة وخاصه من المستعربين .

وهى ابداع شعبى ، يعكس مدى الثقافة والخيال لدى المجتمـــع المنتشرة فيه على الرغم مما قد يلاحظ من التشابه بينهما وبين حكايات متداولة فى مجتمعات أخرى كالمجتمع المصرى .

وتلك ظاهرة لا تعنى النقل بقدر ما تعنى التماثل فى التجربة والتقارب فى الاصول الفكرية، كما أنها تثبت عملية التبادل الثقافى الذى كان أبدا موجودا بين الشعوب ، وخاصة حين تجمع بينها أواصر الجنس والعقيدة وروابط اللغة والتاريخ ووحدة قضايا المصير .

ويمكننا أن نميز من بين حكاياتنا ما يعتمد التاريخ وسير الانبيـــاء والابطال وما يتخذه شخوصه من الحيوانات الوحشية والاليفة وما يلجأ الى الجن فى ابراز العلاقات بينه وبين الانس تختلف تاييدا ومحاربة وقد تصل الى حد الحب والعشق والزواج . وانها قبل هذا كله نوع يرتكز علــى الاساطير والاساطير تعنى كل ما هو خارق وفوق الحول الانسانى ، ولكنها نمط فى التعبير عن واقع معين ووجود متميز يتسم بالخوارق انطلاقا من تصورات معينة للكون والانسان وتكشف عن حقائق ترتبط بتاريخ المجتمع وواقع عقليته وتفكيره وعقيدته عبر الزمان، وهى حقائق تدل على مدى ما كانت تقوم به من وظائف ثقافية منبثقة فى الغالب من قيم خلقية أو دينية.فمثل هذا القصص يحكى تجارب الانسان فى حياته الخاصة والعامة ويحكى صورة ممارسته للوجود بما تفرض من مواجهة وصراع لم يكن فى المرحلة البدائية الاسطورية قادرا على التعبير عن موقفها دون التوسل بما يسعفه بــه الكون ــ والعلوى خاصة من صور وأنماط مرئية ومتخيلة ، ثم لم يلبث أن تخلص نفسيا وفكريا وذهنيا من التعلق بهذا العالم ليرتبط قليلا أو كثيرا بالارض ولكنه حتى فى هذه المرحلة المتطورة ، أعمل تخيله وتصــور ان الارض تتسع لمخلوقات خارقة مهولة فانشأ اقاصيص خرافية .

والحكاية الشعبية بعد هذا تلح على التجسيم فى تناول الوقائع وعلى تشخيص الحيوان والجماد وقد يدل هذا التشخيص الى ايجاد تداخــل بينها وبين الانسان سواء فى الشكل أو الصفات ، حيث نصادف أناسا بأطراف حيوان كما نصادف بهائم وأحجارا تفكر وتنطق .

وهى تفصل الاحداث وتهتم بعناصر الدقة والتحليل والتعليل لعدم استنادها الى علم أو منطق أو عقــل .

ثم انها تعتمد على الدين وترتبط به حتى ما كان منها يرجع الى أصل بدائى ، بل اننا نجد خرافات الخوارق تعتبر أن فى الجن مسلمين وغــير مسلمين .

ويبدو واضحا أن الارتكاز على الدين والجانب الغيبى منه خاصة ، كان دائما يقرب الخرافة الى الجماهير ويجعل لها تأثيرا فى انفسهم أقوى وأعمق ، والغالب أن يلتزم القاص الشعبى تصميما دينيا يطرح فى بدايته

الاحداث والشخوص ، وهم في الغالب يدون تعريفات خاصة ، وانما يحملون أسماء مثل ، السلطان والوزير والفقيه والساحر والعجوز واللص والحطاب والصياد .

ثم يصل الراوى الى العقدة وقمة الصراع بما في ذلك من تأزيم للموضوع أو الموقف ومن احراج يختبر فيه ذكاء البطل أو قدرته الجسمية، وقد يبدو انفراج في الازمة بتمويه في الحل ، ينطلق من افتراضات ناتجة عن مواقف ، وفي النهاية يتضح الحل الصحيح ، وهو غالبا ما يكون انتصاراً للبطل أو لقيمة الخير

وللقاص تقاليد في السرد حيث يبدأ ويختم بعبارة معينة ، كما أنه يستعين بالغناء والدعاء ، وقد يتوسل بالحكم والامثال وعبارات الوعظ والارشاد ، وبالكلمات المسجوعة والتراكيب الالغازية وخاصة في تجسيم لاحد المواقف أو الرمز لقيمة ما ، بالاضافة الى ما للغز من دور محورى حين يتعرض البطل للحظة دقيقة، يضطر فيها الى اظهار القدرة على حله.

والقاص الشعبي لا يهتم كثيرا بالشكل والاطار ويتعامل مع الحكاية بحرية تتدخل فيها ثقافته ومزاجه وذاكرته وظروفه الزمانية والمكانية وموقف القاص .

ولكنه اذا كان لا يحفل بالشكل الفني ، فانه يحفل بالجوهر والمضمون لارتباط الحكاية بأدوار تؤديها تهدف الى التوجيه الخلقي والى نقد أنواع معينة من السلوك ، وتهدف الى التوعية الوطنية والقومية والى بث القيم والمثل الانسانية كما تهدف الى التسلية والترفيه والترويح .

وبعد فان هذه المجموعة تحتاج الى دراسة ترصد جوانب كثيرة كما أسلفنا وقد كان على الاستاذ يسرى شاكر أن يثير بعضها في المقدمة التى كتب ، ولكن حسبه أنه قصد الى جمع شتات مبعثر ، وذلك في حد ذاته عمل له قيمة يستحق عليه كل تنويه . وان وعد بانجاز هذه الدراسة في الجزء الثاني من المجموعة وما اظنه الا موفيا بوعده وموفقا الى ذلك. واذا كنا ندعوا الى دراسة هذه الحكايات فاننا لا نخفى أن مهمة دراستها ودراسة الادب الشعبى عامة ليست سهلة على الاطلاق ، فهى اذا كانت تحتاج الى شجاعة أدبية لخوض غمار الريادة فيها ، فانها أكثر من ذلك

تحتاج الى حس وطنى والى ضمير واع يلزمها فى الدارس حتى يهتدى الى العناصر الحية والجوانب الايجابية فيتح عليها ويبرزها ويلغى من الساحة كل الشــوائب والسلبيـات .

ولا شك أن طلابنا فى الدراسات العليا ممن يميلون للتراث الشعبى مهيأون لينهضوا بهذه المسؤولية ، وهم مطالبون بذلك حتى لا يتركوا المجال فارغا للباحثين الاروبيين والامريكيين الذين يقبلون على دراســة آدابنا وفنوننا الشعبية وكذلك العادات والتقاليد بايعاز وتشجيع مــــن حكوماتهم التى ترصد الاموال لذلك وتهىء المراكز والمعاهد ، وأظننا فــى غنى عن الاشارة الى ما يشوب أعمال هؤلاء وما لهم فيه من خلفيات .

ولعله خير لنا أن نبادر الى دراسة آدابنا الشعبية بروح وطنيــة وقومية من أن نترك المجال للمنحرفين والمغرضين يعيثون به ويوجهونــه لخدمــة أهداف هدامــة .

مقدمة

بقلم : يسرى شاكـــر

منذ الوف السنين وقبل أن تنشأ الحضارات القديمة فى مصر وبابل والهند والصين ، لعبت الحكايات دورا هاما فى تاريخ البشر ، بل لا مغالاة فى القول انه انصبت فى وعائها الكبير الكثير من افكار ومعتقدات المجتمعات الانسانية الاولى العريقة فى القدم ، فالحكايات قديمة قديمة ، ربما الى ابعد ممـــا يصل اليه تقديرنا .

فما هو أصل هذه الحكايات وهل يمكن لنا ان نطلع ولو على حكاية واحدة كما رويت اول مرة ، والمقصود النص الاول الاصلى للحكاية ، مع الادلة والاسانيد التى تثبت ذلك ، وللاسف أنه لامر يصعب تحقيقه تماما . وعندما تقدمت العلوم منذ قرون قلائل استطعنا أن نرى بمنظار العلم صورا من ماضى الانسانية السحيق ، فساعدنا ذلك الى أن نطلع ونعرف هذه الحكايات القديمة بطريقة أفضل ، لكن تعرفنا على هذه الحكايات جاء عن طريق ما وجدناه وما رصدناه من بقاياها فى حكايات أحدث منها ، مكتوبة ومدونة ، وهذه الحكايات الحديثة نسبيا وصلـــت الينا من مصر القديمة وبابل — ويرجع تاريخها الى حوالى ثلاثة آلاف سنـــة قبل الميلاد — ومن الهند والصين كذلك .

ومن العجيب أن الكثير من هذه الحكايات القديمة نتعرف عليها دون مشقة فى حكاياتنا المعاصرة ، فى المغرب وفى كل بلاد العالم ، كما فـــى الحكاية المغربية « جحا قاضى الفيران » ، وكما فى حكاية « المنافقون » كذلك ، وأصل كل منهما حكاية « الصدق والكذب » المصرية القديمـــة التى اكتشفت عام 1930 مدونة على أوراق البردى ، ويرجع تاريخها الى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وهذه الحكاية تشبه عددا كبيرا من الحكايات المعاصرة ، يقول عالم الفولكلور ديرلاين ، « قوبلت الحكاية

عند اكتشافها بدهشة من الباحثين ، ذلك أن موضوعها عرف خلال عدد كبير من الحكايات الهزلية وحكايات الكذب ، الا انه يصور هنا فى الاصل القديم المدون فى صورة رائعة ، فالفكرة التى تتمثل فى ان احد الشيئين مستحيل كالاخر ، هذه الفكرة تصور هنا فى اطار جدى وجديد كل الجده، وقد تسربت الحكاية المصرية الى الحكايات الهندية وحكايات الف ليلة، كما انها رويت فى جنوب أوروبا وجنوبها الشرقى ، وربما انتقلت من مخطوط الى آخر ، على انه غالبا ما كان يشار اليها فى مجال الوعظ والارشاد ، ففقدت الحكاية أصلها الاسطورى وبقيت منها فكرة انتصار الخير على الشر ، أو الصدق على الكذب ، كما أن « حكاية المتجولين »، عند الاخوان جريم ، تلك التى فقأ فيها الاسكافى الشرير عين الخياط الخير ، هى بحق امتداد للحكاية المصرية، ففيها كذلك انتصر الخير على الشر فى النهاية ، رغم كل الاخطار وكل المكائـــد .

أما أشهر الحكايات الخرافية المصرية فهى حكاية « أنوب وباتو » أو « أنوبو وبيتيو » ، التى دونت قبل الميلاد بحوالى الف وثلاثمائة سنة، وعرفت فى اوروبا عام 1852 ، وهى موجودة فى الادب الشعبى المغربى فى حكاية «الاخـــوان» (1).

وقد روى هيرودوت كذلك حكاية « اللص الماهر » ، نقلا عن مصر القديمة، وتتفق الكثير من الحكايات المعاصرة عن حيل اللص الماهر مع الحكاية المصرية ، والحكاية المغربية « أبناء اللص 2» ، تعتبر روايـــة مطورة للحكاية المصرية ، لكن فى صورة أكثر اشراقا واكمل فنا .

وما حدث بالنسبة لهذه الحكاية المصرية حدث بالنسبة لالـــوف الحكايات من الهند والصين فى مختلف أنحاء العالم ، فقد كانت هنـــاك دائما موجات من الهجرات ربما بسبب تغير ظروف الحياة والطقس ، أو بسبب الكوارث والاوبئة والغزوات والحروب ، فتمازجت واختلطت الاجناس البشرية فى تاريخها القديم وكذلك حكاياتها .

وربما كان فى تتبع حكاية واحدة وانتشارها بقدر الامكان ، مثـــل يوضح حيوية الادب الشعبى واصالته وقدرته على البقاء .

تقول حكاية الصدق والكذب المصرية القديمة ، كان الصدق والكذب

(1) ، (2) — حكايات منشورة فى الكتـــاب .

اخوين ، وتشاجرا فى يوم مع بعضهما لان كل منهما ادعى انه اقوى من الاخر ، ثم أراد الكذب أن يوقع بأخيه الصدق ، فاصطحبه الى محكمة الالهــة ، واقسم الكذب أمام المحكمة بأنه يوجد سيف كبير هائل الحجم، قبضته مثل الشجرة ونصله مثل الجبل ، ولم يشأ الصدق أن يصدق هذا القول بالرغم من قسم الكذب ، فحوكم الصدق وفقئت عيناه .

ثم عمل الاخ الاعمى « الصدق » بوابا ، واحبته امراة وولدت منه ولدا ، فاق أقرانه الذين يكبرونه ذكاء وقوة ، ثم علم الابن بقصة والده ، فأراد أن ينتقم لابيه لما لحق به من ظلم ، فأتى بثور ممتاز واعطاه الى راعى عمه «الكذب» واعجب العم بالثور ، فحرض الراعى على سرقته ، ففعل ، وطلب الراعى من الصبى — بناء على أوامر الكذب — ان يختار من قطيع عمه ثورا آخر ، ولكن الصبى أخبر الراعى بأنه ليس هنــاك ثــور مثل ثوره ضخامة ، فهو حينما يقف عند بحر آمون يصل احد قرنيه الى الجبل الشرقى بينما يصل القرن الاخر الى الجبل الغربى (1) وهو يلد كل يوم ستين عجــلا .

ولم يصدق الراعى هذا القول ، حينئذ قيده الصبى وحمله الى عمه « الكذب » وطلب منه ان يحضر أمام محكمة الالهة ، وهناك ادعـــى الكذب ، أن مثل هذا الثور لا يوجد ، وعندئذ سأل الصبى الالهة عمــا اذا كان هناك سيف كالذى ادعى الكذب انه قد رآه ؟ ، وعلى هذا تحتم على المحكمة أن تتراجع وتعيد النظر فى الحكم القديم بين الصدق والكذب، فأصدرت حكمها بأن يبرأ الصدق .

وقد انتشرت هذه الحكاية المصرية حتى وصلت الى اقصى انحاء الارض ، وصلت الى الصين البعيدة ، وهناك انصهرت فى بوتقة الشعب الصينى، فأضفى عليها من روحه وملامح شخصيته وأصبحت حكاية من الادب الشعبى الصينى ، لكن اصلها مصرى» .

وتقول الحكاية الصينية ان فلاحين وجدا أثناء حراثة حقلهما كنزا مدفونا فى الارض ، وهو عبارة عن أباريق فضية ، وقد اقنع أحدهمــا الاخر بأنه سيحتفظ بالاباريق الفضية لمدة من الزمن حتى يذهبا سويــا الى السوق فيما بعد ليبيعاها .

(1) — يقع وادى النيل بين مرتفعات تحده من الشرق والغرب .

وحين طلب الفلاح من صديقه فى يوم الذهاب الى السوق ، ادعى الصديق بانه فقد الاباريق لان الفئران اكلتها ، فأخذ الفلاح معه ابن صديقه ورحل ، ولما افتقد الرجل ابنه واخبره الجيران انهم شاهدوه مع صاحبه ، أسرع اليه وسأله عن ولده ، فاخبره انه حدث اثناء اصطحابه لابنه أن نزل طائرا من السماء وخطف الابن وطار به عاليا ، فلما ابدى الرجل عدم تصديقه لهذه الحكاية الخرافيه ، قال الفلاح ، ولماذا لا تصدقها وقد صدقتك حين قلت لى أن الفئران اكلت الاباريق الفضية ، فأحد الشيئين مستحيل كالاخر ، تماما كما فى القصة الاصلية المصرية . وقد أعددت هذه الحكاية الصينية كتمثيلية تلفزيونيه ، وقدمتها على شاشة التلفزيون المصرى عام 1962 فى برنامجى « اطفال الشعوب » ضمن حلقة «اطفال الصين» .

ونحن نجد هذه الحكاية فى كتاب ابن المقفع العظيم « كليلة ودمنة » وقدمتها ضمن حلقات «كليلة ودمنة» التى انتجتها للتلفزة المغربية عام 1975 ونجدها فى قلب أوروبا، تقبول حكاية جان « القاضى الفلاح » ، التشيكوسلوفاكية ، ان جان الفلاح أعطى فرسه الى فلاح غنى لترعى مع حصانه ، وعندما ولدت الفرس ، اخذ الغنى الحصان الصغير ، وأدعى أن حصانه قد ولده ، مع استحالة حدوث ذلك بالطبع ، فاشتكى جان للقاضى ، لكن القاضى أخذ رشوة من الفلاح الغنى ، فحكم بأن يعطى الحصان الوليد للغنى ، وقال لجان الفلاح انه يمكن للحصان أن يلد ، واراد جان أن يسترد حصانه ، فانتهز فرصة زيارة الامير للاقليم ، وأحضر شبكة لصيد السمك، وأخذ يرميها فوق صخور الجبل اثناء وجود الامير، وسأل الامير جان ،«كيف تصيد السمك من فوق الصخور؟»، فأجابه جان، « ولماذا لا يمكن صيد السمك فى الجبل ، مادام يمكن للحصان أن يلد فى هذه البلاد » ، وعندما عرف الامير القصة عاقب القاضى فطرده، وعين جان الفلاح قاضيا واعيدت له فرسه ومهرها كذلك . وقد أعددت هذه الحكاية وقدمتها كتمثيلية فى حلقة « أطفال تشيكوسلوفاكيا » على شاشة التلفزيون المصرى عام 62 ، فكم هو ثرى ومعطاء ذلك الادب الشعبى الذى لا نفيه حقه من الاهتمام والتقدير .

وما حدث للحكاية المصرية ، حدث لالوف الحكايات الهندية كذلك ولغيرها من حكايات البلدان المختلفة ، وليس من المهم تدوين الحكاية ، فحكاية « الصدق والكذب » كانت تروى قبل أن تكتب وتدون ، ثم دفنت

أوراق البردى التي دونت عليها الحكاية فى المقابر ولم تكتشف الا سنة 1930 ، ومع ذلك ظلت الحكاية حية وموجوده ، وانتشرت فى بلدان كثيرة، وكان من الممكن أن لا تكتب على أوراق البردى ، وكان يحدث لها نفس ما حدث ، فالصدفة وحدها أتاحت لنا العثور عليها مكتوبة ، فأمكننا ان نعرف تاريخ تدوينها على وجه التقريب فمن ثم أمكننا أن نتأكد من أصل الروايات العديدة للحكايه ؛ وهو أصل مصرى، والحقيقة أنه يرجع الفضل فى حفظها وانتشارها الى رواة الحكايات الذين تداولوها وعن طريقهم انتقلت وانتشرت فى بلدان كثيرة . وقد امكن لرواة الحكايات ان يحفظوا ويتناقلوا جيلا بعد جيل ؛ وعلى مدى حقبة طويلة من الزمان ذلك التراث القيم ، حكايات الانسان القديم ، تلك الحكايات التي تعكس صورا من حياة الانسان وواقعه ومشاكله وآماله وتصوراته وأحلامه ، ولقد ساعدنا رواة الحكايات علي كشف وفهم حقبة مجهولة وغامضة من تاريخ الانسانية فى أيامها الاولى وساهموا دون أن يدروا فى تقدم المعرفة الانسانية .

يقول أحد علماء الفولكلور(1)، « يريد الفولكلور أن ينشىء من جديد التاريخ الفكرى للانسان لا كما تمثله وتظهره كتابات المفكرين الكبار والادباء والشعراء ؛ بل كما تصوره وتظهره أصوات الشعب الاقل جهارة مع انها هى الاكثر صدقا وتعبيرا » .

ورواة الحكايات الذين يرجع اليهم الفضل فى حفظ الحكايات وتداولها ؛ هم فى الحقيقة فنانون وأدباء موهوبون وان كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة لان الكتابة لم تكن قد اخترعت بعد ؛ يقول عالم الفولكلور المقتدر الاستاذ كراب . « ان رواية الحكاية جزء لا يتجزأ مما نسميه فى الادب بانشاء النثر القصصى، وان كان بعض هذا النثر يحتاج نشره الى قلم ومحبرة . بينما تروج أنواع اخرى بالتناقل من الافواه الى الاذان، فليس هذا اختلاف بينهما، فهو اختلاف فى تلك الامور التى تختلف عليها المدارس الادبية المتباينة فى قضايا الذوق والتكنيك.» ويستطرد (كراب) « انى أرى ان الحكاية والاغانى الشعبية تعبيرات ادبية بحتة تصور العبقرية الشعبية التى تعمل بوازع من تلك الدوافع التى تغذى الذهن الخلاق عند رجل الادب والعالم والفنان » .

---

(1) — استاذ كراب فى كتابه القيم « علم الفولكلور » .

والدور الهام الذى لعبه ذلك الفنان الموهوب « الراوى » يدفعنا للاهتمام به اشد الاهتمام ، ومن حسن الحظ انه مازال يعيش بيننا رواة حكايات ، استطاعوا ان يقدموا لنا بعض المعلومات .

لقد أمكن لهؤلاء الفنانين المجهولين أن يحفظوا لنا التراث وتداولوه فى أمانة أدبية يحسدون عليها ، ويمكن الاستشهاد براوية الحكايـات الفلاحة « فهمانين » التى حكت للاخوان « جريم » اجمل واخلد الحكايات الشعبية ، يقول الاخوان جريم « كل من يؤمن بقانون استحالـة دوام الحكاية الخرافية مدة طويلة دون تغيير بسبب الاخطاء التى تأتى من انتقال الحكاية من جيل الى آخر ، وبسبب عدم اهتمام الاجيال بالاحتفاظ بها، عليه أن يستمع الى تلك الفلاحة ليعرف كم هى تتمسك بنص الحكاية ، وكم هى حريصة على صحتها ، فهى لا تغير شيئا من نص الحكاية مطلقا عند روايتها مرة أخرى ، واذا ما ادركت انها اخطأت فى السرد ، اعادت على التو الرواية الصحيحة ، فان التمسك بالتراث المنقول يعيش بين أناس رسموا لحياتهم نظاما معينا لا يحيدون عنه ، وهم فى تمسكهـم بهذا التراث اقوى من ميلنا نحن الى التغيير ، والفلاحة فهمانين تحتفظ فى ذاكرتها بحكايات كثيرة ، وهى تقص حكاياتها فى حذر وفى ثقة وحيوية صادقة ، بل انها تستمع فى الواقع بما تقصه ، وطريقتها أن تسترسل فى رواية الحكايات ، ثم تعيد قصتها مرة اخرى اذا شاء المستمع ذلك ».

ويخبرنا الباحث الالمانى « جوتفردهنسن » بأنه اعتمد فى مجموعته « مجموعة هنسن » على راو واحد هو الشيخ « اجبرت جيرتى » الذى أمده بعدد هائل من الاغنيات والحكايات الهزلية.

ونحن نذكر على سبيل المثال ما حكاه قصاص من هنـود امريكـا الجنوبية الى احد جامعى الحكايات ، قال : « ان ما يعثر عليه الانسان اليوم من اخبار آبائنا لهو اكبر قيمة من الكنوز واللالىء ، والذى نعرفه عن آبائنا أنهم كانوا يلتزمون باخفاء هذه الكنوز عن المتطفلين ؛ تماما كما يتحتم علينا نحن الان أن نقوم بحماية حكايات وطننا التى تبدو مبعثرة من قبل ان تذروهاالرياح المتغيرة وتطوح بها هناوهناك فىالبيئات غير الصالحة».

ويؤكد هؤلاء الهنود انفسهم انـه لايحق لانسان ان يغير مـن هذه الحكايات بحالمن الاحوال حتى لايغضب أرواح أجداده، وقد كان من المحتم على قصاص من قبيلة « الاروكاتر » ان يهبط الجبل فى ساعة متأخرة مـن

الليل لكى ينقل كلمة فى حكاية من الحكايات حتى لا تشوب الرواية الاصلية شائبة .

وقد يزاول الراوى أى مهنة من المهن ، فقد قام بمهمة الرأوى ، التجار والجنود والبحارة والصيادين والمغنيين والعمال ورواه الاقاصيص المحترفين وأصحاب الحرف المختلفة ، وأحيانا يتخصص بعض الرواة فى هذه المهنة ولا يقومون بأى عمل آخر ، ذلك اذا كانت ظروف المجتمع وأحواله تتيح لهم دخلا يكفيهم أن اقتصروا على مزاولتها .

ويقول أحد علماء الفولكلور ، « ان هناك كذلك بكل تأكيد الاحساس بالشكل ، تلك الميزة التى يتصف بها القصاصون المجيدون ، فان قابلتهم حكاية هزيلة مهلهلة البنيان ، فانهم بما لديهم من احساس متميز بالشكل يردون هذه الحكاية من طريق تحويرها واستكمالها مرة أخرى الى شكلها المكتمل » .

وهذا الاحساس بالصحة وسلامة التركيب الفنى كان يتم دون دراسة التقنيات والقواعد التى نعرفها اليوم ، فقد أصبح الراوى خبيرا ومتخصصا فى عصر لم تكن العلوم قد عرفت فيه بعد الا بقدر لا يؤبه به ، وليس فى هذا أية مبالغة ، وحتى نتبين الى اية درجة رفيعة وصلت مواهب بعض رواة الحكايات ، نورد سطورا قليلة من حكايه صينيه لنظهر الملكات الادبية المذهلة التى تحلى بها هؤلاء الفنانين الشعبيين ، قال الراوى الصينى ، «لقد أبصر حينذاك من حوله غابات من العقيق الاصفر وأشجار من معدن التفريت(1) الاخضر ، وكانت الحشائش من حجر اليشب الكريم ، والازهار من المرجان ، وفى وسط هذا البهاء كله يقع قصر التنين ، وقد اشرف على القصر مئات من البوابات المغلقة على ما بها ، كما انتشرت فى جنباته آلازهار والورود الساحرة فىوفرة ممتعة ، وكانت المياه الفضية تتماوج فى الجداول وهى مختزنة ، وفى قاعها تسبح الاسماك ذات القشور الذهبية ، وفوق الاشجار المزدهرة عدد لا حصر له من الطيور السحرية الملونة التى تغنى وهى تطير صاعدة هابطة .

وطلع تنين أحمر فى لون الدم القانى ذو اشعاعات قرمزية ، ولحية نارية ، وجذب العمود الذى كان مشدودا اليه بسلسلة ، ثم قصف الرعد من حول التنين ولمع البرق ، واختلط الثلج بالمطر فى شبه دوامة عاصفة ثم كانت صرخة راعدة هائلة ارتفع عندها التنين الى السماء واختفى » .

(1) ــ نوع من المعادن النفيسة .

وهكذا قدم رواة الحكايات الصينيون لنا صورا من الجمال الاخاذ لم يستطع الكثير من الشعراء والادباء تقديمها .

ولقد اعتهدت بالطبع في جمع كل الحكايات التي دونتها على الرواية الشفاهية ، واستمعت الى العشرات من رواة الحكايات ، ويختلف الرواة فيما بينهم من ناحية المواهب والاحساس الفني ، فالراوى الجيد يمكن أن تدون حكايته كما يرويها ، لكن هؤلاء قليلو العدد مثل الفلاحة «فهمانين» التي تكلم عنها الاخوان جريم ، وقد ساعدتنى الظروف والتقيت في المغرب بعدد من الرواة الممتازين ، وأرى من الاجحاف عدم التكلم عنهم اعترافا بفضلهم في انجاز هذا العمل ، وللاسف الشديد وأنا أحتج على ذلك ، تجبرنى التقاليد على عدم اذاعة اسمائهم واخفاء بعض التفاصيل .

ومن الرواة الذين استمعت اليهم ، سيدة من فاس ، قصت على حكايات من الفولكلور المغربي ، يمكن القول في ثقة أننا لو قارنا بينها وبين بعض الحكايات العالمية المعترف لها بالامتياز ، يمكن القول أن هذه الحكايات المغربية تماثلها ان لم تتفوق عليها .

والسيدة ولندعوها فاطمة ، ربة اسرة ومتزوجة من رجل أعمال ناجح ، وهى جدة ولها أحفاد، ولديها خمسة أبناء في الجامعة وبعضهم تخرج منها ، وكلهم بصفة عامة ممتازون في دراستهم وسلوكهم ، وعرفت السيدة فاطمة بقوة الشخصية ، وبالذكاء الحاد .

وهى لا تقرأ ولا تكتب وتحفظ حوالى 30 حكاية ، كلها جيدة وبعضها ممتاز أو ممتاز جدا ؛ أحسن حكاياتها ، لالافوفويا « لالاغنو في التلفزة »)، ودهاء النساء ، يابا خذ معلمتى . المنافقون . شراب الزبيب ، وبعض حكايات أخرى ستنشر ان ساعدت الظروف .

كانت تجلس وقد غمرتها فرحة صادقة، وقد سرها وجود من يتلهف على سماع حكايتها الحبيبة الى قلبها . وتبدا وتروى الحكاية في جمل قصيرة مترابطة ، وواضحة ومعبرة . وانى أذكرها مرة وهى تحكى حكاية «لالا فوفيا» وأعمالها القبيحة المترتبة على جهلها وعدم خبرتها ، وكانت تضحك من اعماق قلبها ضحكات صافية صادقة ، فتذكرت كلام الاخوين جريم عن استمتاع الراوية الفلاحة « فهمانين » بما كنت تقصه لهما ، وحين أخبرت السيدة فاطمة بذلك اجابت ، « انا امراه بسيطة ولا أعرف

تماما معني ماتقول، لكنني فهمت أن هذه السيدة كانت تستمتع وهي تحكى الحكايات ، وهذا حق فأنا أحكى لك الحكايات لمدة ساعات بالرغم مما فى ذلك من مشقـــة لان هذا العمل يسعدنى » .

وكانت دقيقة غاية الدقة ، لا تؤخر ولا تقدم كلمة واحدة ، وحـــين كنت أستحثها على الاسترسال فى القص بسرعة ، حين نحاول تكرار جملة معينة ثلاث مرات كما تقتضي أصول الحكاية ، كانت عندئذ تبتسم فى هدوء وهى غاية فى الادب ودماثة الخلق وتسألنى الصبر ، وتكرر الجملة ثلاث مرات ، ثم تسترسل فى قص الحكاية دون أن تابه لاعتراضى .

وكانت تعبر وهي تحكي بملامحها ، وبصوتها ، تخفضه أو ترفعـــه وتلون نغماته ، وتحرك يديها أو أصابعها ، كانت تندمج وتعيش حكاياتها، أذكرها وهى تحكى حكيالة (شراب الزبيب) وهي تصور جو «المشور» وما يحدث فيه ، ووصفها البديع لشكل الغلام وملابسه وللكؤوس النظيفة.. الخ . ومن أحسن الرواة الذين استمعت اليهم ودونت عنهم أصح الروايات لحكايات رائعة وقيمة ، السيد « تمعيشة » ، وهو قصاص محترف وفنان أصيل ، فى الستين من عمره تقريبا ، يقرأ ويكتب ولكن ثقافته بسيطة بل تكاد أن تكون منعدمة وكل ما قرأه بعض كتب القصص والحكايات مثل ، «ألف ليلة وليلة» ، «وحمزة البهلوان» ، «والاميرة ذات الهمة» وبعض الكتب الشعبية مثل ديوان سيدى عبد الرحمان المجدوب وما شابه ذلك وهى قليلة ومحدودة علي أية حال .

لكنه يحفظ فى ذاكرته مئات الحكايات التى يرويها الناس شفاهيا فى المغـــرب .

ومن أروع واجمل حكاياته التى دونتها :

— أولاد الحاكم افلاطون — طائر الحكمة — الرجل الذى يبيض — أخدم يا التاعس — اللص الظريف — زوجة من الريف — القزم — مهارة اللصوص — فرطت — ابناء اللص .

وفى أول لقاء معه بينت وأوضحت له رغبتى فى معرفة الحكايات التى تروى شفاهيا والغير مدونة فى الكتب ، ففهم بسهولة وبسرعـــة ، وحكى لى حكاية « فرطت » واصر هو على هذه التسميه ورفض أن تسمى « اللى فرط كرط » وكان رأيه ان الكلمة التى تتردد دائما فى ثنايا الحكاية

وتربط أحداثها ، هي كلمة ــ فرطت ــ ، بالاضافة الى أن لهذه الكلمــة جرس لطيف فى الاذن .

وكان يحكى الحكايات بصوته الاجش وهو أكثر تأثرا بها يحكيه من السيده فاطمة ، وخاصة حين كان يحكي حكايات اللصوص والحكايات الهزنية ، فلا يمكن للانسان أن يتمالك نفسه من الضحك ، وهو شأن الفكاهيين الاصيلين لا يضحك من المواقف الضاحكة ، لانه يمثلها ويؤديها، بل نلمح فقط ابتسامته فتكون أكثر تاثيرا على المستمع .

وبعض حكاياته الخرافية مثل « طائر الحكمة » و « أولاد الحاكــم افلاطون » ، تستحق وتستلزم الدراسة والبحث ، ومن الغريب أنــه يبــجل هذه الحكايات ويؤمن بما جاء فيها مــن خوارق وغرائب علــى أنها أشياء واقعيــة .

أما حكايات اللصوص وهى أحب الحكايات الي قلبه ، فكنت أراه ممثلا موهوبا وهو يحكيها ، سألته مرة لماذا يميل الى حكايات اللصوص؟ فأجابنى بعد تفكير ، « الحق أننى أميل الى حكايات اللصوص لما فيها من تشويق واثارة ولما فيها من حيل تبين الذكاء والمهارة ، لكن لا ، لا لا ، ارجوك صدقنى ، ان كل الحكايات التى أحفظها الان حبيبة الى قلبــى بالتساوى ، ان الحكايات بالنسبة الى مثل ابنائى ، آه ... لقد أحببــت الحكايات منذ زمن بعيد حين كنت صبيا يافعا ، وحفظتها ورويتها منذ صغرى للجيران والاطفال ، وقد خدمت فى مهن كثيرة ، مهن بسيطة ، فأنا رجل فقير ، لكننى كنت دائما مهتما بالحكايات ، أحب سماعها ، ويسعدنى ان ارويها للناس ، ولذلك احترفت مهنة القصاص منذ ما يزيد عن ثلاثــين عاما ، حقيقة وقبل سنوات كثيرة كنت أفضل بعض الحكايات مثل حكايات اللصوص ، ولكننى أدركت خطأى وعلمتنــى التجــارب ان راى راوى الحكايات لا قيمة له ، فالمهم رأى الناس ، فانا الان مثلا أحفظ الكثير مــن الحكايات ، فان سألتنى عن أحسنها ، لا شك اننى سأؤكد لك أنها هــذه الحكايات التى حكيتها لك أخيرا ، وهى أحسن ما عندى لكن ليس هــذا رأيى بل هو رأى الناس الذين استمعوا لها ، وانت أيضا اعجبتك ، اليس كذلــك ؟ .

ولم أرد عليه لاننى كنت أحدق فيه وقد تنازعتنى شتى الافكــار ، وتذكرت قول تولستوى العميق الدلالة بأنه لا وجود للفن بدون جمهــور .

اما «حدة» فهى فلاحة من تازة ، هاجرت من بلدتها حين كانت فى الخامسة عشرة من عمرها لتعمل خادمة عند بعض الاسر فى الدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ، و « حدة » فى الخامسة والعشرين من عمرها ، قصاصة بالفطرة والسليقة وراوية حكايات عظيمة ، وهى غاية فى الذكاء ، حية ونشيطة ولا تكف عن الحركة ، وتتقن جميع الاعمال المنزلية اتقانا ممتازا، ذلك ان ارادت ، لكنها تصطدم دائما مع الاسرة التى تعمل عندها لانها لا تقبل الضيم ولو كان بمقدار قليل . مما جعلها تنتقل بين عدد كبير من الاسر التى رات فى سوك «حدة» تطاولا على ما اعتادوا ان يعتبروه حقا من حقوقهم، فى حين تعتبرهم «حدة» ظالمين. وقد روت لى «حدة» عددا وفيرا من الحكايات الممتازة النادرة، واحسن حكاياتها، بعيدا عن الانثى — حكاية سبع بنات — مغامرات ذئب — الخاتم السحرى — البرق — حديدان الحرامى — حتى يشيب الغراب ويزدهر العكاز بالورود — عائشة بنت الحطاب (1) .

وتعتبر «حدة» الحكايات اشياء هامة بالنسبة اليها فهى تؤمن بما جاء فيها على أنه حقيقة وواقع ، فالحكايات ثقافتها ودنياها وعالمها الذى تعيش فيه، ومن طريف ما يذكر أن «حدة» كانت ترفض أن تحكى حكاية قبل أن تستأذن من الاسرة وتشترط الاعفاء من العمل ، نصف يوم مثلا، لان رواية الحكاية عند «حدة» لها أصول وقواعد ، فلابد من الاصغاء التام ولو من مستمع واحد ولا تسمح لاحد بالمقاطعة ، والا فأنها تتوقف ويستحيل بعدها أن تعاود رواية الحكاية .

لكن ما تشترطه حدة يعتبر حقا من حقوقها ، ويعد الاستماع اليها يهتف الانسان ، « معها الحق » ، ذلك أن حدة كانت تندمج تماما وتنفعل بشدة وهى تحكى ، وانى لاذكرها وهى تحكى حكاية — بعيدا عن الانثى — حين تردد ونادى الرجل اخوته الحيوانات، كل واحد باسمه ثلاث مرات واه ياسبع ، واه ياسبع واه ياسبع الخ ... وكانت تنادى وترفع صوتها وتطيل النداء، وتنطق كلمة سبع والعين مضمومة ومنونة، واذا عرفنا أنه كان على بطل حكاية حدة أن ينادى اخوته الحيوانات الستة كل منهم باسمه ثلاث مرات ، فان الاستماع لحدة وهى تغير نغمة ودرجة صوتها لتكون مناسبة مع أهمية كل حيوان من الحيوانات التى تناديها، كان

(1) — بعض هذه الحكايات منشور فى الكتاب والبعض الاخر سينشر فى الجزء الثانى لحاجته الى مزيد من المراجعة والبحث .

الاستماع لحدة متعة من المتع ؛ فقد كانت تنقلنا الى جو الحكاية والغابة تماما كما يفعل أكفأ الادباء الموهوبين .

ولعل «حدة» وتمعيشة والسيدة فاطمة كانوا رواة حكايات ممتازين، وقد دونت عنهم عددا كبيرا من الحكايات الهامة ، لكن الاهم هو أننـــي عرضت عليهم ما جمعته من غيرهم من الحكايات ، واستمعت الى آرائهم والى بعض هذه الحكايات نفسها حين رووها لى مرة اخرى ، وكانــت مراجعتهم قيمة بالنسبة للعمل الذى اقوم به وتساوى تماما ما قدموه الى من حكاياتهم الخاصة التى دونتها عنهم .

وقد استمعت الى عشرات الرواة الاخرين ، ومن الاجحاف عـدم الاشارة الى بعضهم بعد الكلام عن الثلاثه المهمين بشىء من التفصيل .

ومن الرواة الذين يجب ذكرهم ، السيدة م. وهى والدة لاعب كرة مشهور، وقد دونت عنها حكايتين فقط، حكاية الطائر الازرق الجميل(1)، بنت القائد سلامة (2) ، وظنى ان حكاية الطائر الازرق الجميل من اروع حكايات الفولكلور المغربى ، فبدايتها مشوقة لاقصى حد ، وبناؤها الفنـي غاية فى الاكتمال وغنية بالاحداث الغريبة . والسيدة م. كبيرة الســن ، ومريضة ، وهى رقيقة وخجول الى أقصى حد ، وصوتها دائما منخفض، وهي تحكى حكايتها فى بطء شديد وبتمهل ، وتحس وأنت تستمع اليها انها تتعامل مع الكلمات والجمل فى حنان غريب، وهى لا تنظر الى المستمع أو المستمعين وهى تحكى ؛ بل تنظر الى بعيد ، فيهيأ اليك انها تنظر الى صور جميلة ساحرة وتنقلها اليك من لوح محفوظ .

أذكرها حين كانت تصف لوعة الامير حين افتقد محبوبته ، ثم حـين طلب فى توسل ولهفة من بائع الملح أن يحكى عن جمالها ، فأحس بالعجز، فأى كلمات يمكن أن تنقل صورة السيدة وهى تردد الكلمات فى رقة وحنان ويكاد وجهها أن ينفجر اشراقا وبهجة حين تحكى عن الاميرة وهى تثير عواطف الامير واشواقه وتصف روعة لقاء الحبيبين .

وقد أفادتنى فائدة لا تقدر حين راجعت معها عددا من الحكايات التى جمعتها من غيرها ، كانت تقول مثلا ، « نعم ، لكن نهاية القصة تــروى

(1) ـ حكاية الطائر الازرق منشورة بالكتاب .
(2) ـ ستظهر هذه الحكاية فى الجزء الثانى لحاجتها الى المراجعة والتنسيق .

بطريقتين . او تعترض أو تستحسن وكنت أسمع منها أدق الاحكـــــام واصوبها.

وظني أنه من الاعتراف بالفضل ومن الواجب الكلام عن شخصيتين اخريتين ؛ احدهما محمد ، فلاح من نواحي « امنتنوت » دونت عنه حكايه ـ الرمان السفرى ـ وتستحق بمفردها دراسة خاصة ، حكاية مغربية اصيلة ، بمعنى أن سلسلة الموضوعات القديمة التى تتضمنها قد ضمـت اليها سلسلة موضوعات مغربية بحتة ، عن ذبح الكبش . ففى نهايـة الحكاية « ازاح الابن الحجر ونظر مرأى فى باطن الارض فراغـا ، راى سماء أخرى تحت الارض ، وبعيدا هناك وقفت امه العجوز ومعها الكبش تناديه وهى تبكي لانها لا تجد من يذبح لها الكبش ويسلخه ، فرمى لهـا خنجره ، لكن الخنجر تاه فى الفضاء الموجود تحت الارض ولم يصل اليها، فرمى جلبابه الذى تبدد فى الفضاء كذلك ، فرمى لها نفسه ؛ لكنـه ذاب وتبدد هو الاخر فى الفضاء ، لكن نقطة دم منه بقدرة الله العلى القديـر ، وصلت حيث توجد أمه ولامست الكبش فذبحته لها . (1)

فانه من النادر أن يصادفنا فى الحكايات ذلك التناول الفنى الغريب الذي يعرض فى اعجاز تقليدا من التقاليد المغربية الاصيلة فى صورة جديدة كل الجدة وجميلة وعجيبة لاقصى حد .

ومحمد رآوى الحكاية « بربرى » أصيل ، فى الخمسين من عمره ، اشتغل فلاحا فى بداية حياته ثم بناء وعاملا فى المناجم ، وهـاجر الى مراكش وعمل كبائع متجول ثم كبستاني وحارس عند بعض الاسر فـى الدار البيضاء وأخيرا رجع الى قريته وزاول الفلاحة ، ويحفظ كثيرا من الاشعار البربرية العاطفية ، ولديه عددا قليلا من الحكايات احسنهـا حكاية الذئب والقنفذ مع الاسد ـ الام الحنون (2) ـ البقرة الذهبية (3) وحكاية الرمان السفرى الرائعة والفريدة فى مميزاتهـا ، ويرجع اليه الفضل فى لفت نظرى لحكايات القنفد .

والشخصية الثانية ، « للا سعدية » وكان يجب الكتابة عنها ابتداء وقبل أى راو آخر ، لولا اعتبار ، هو أننى دونت الكثير من حكاياتها نقلا عن تلاميذها واقاربها بالنسبة لظروف مرضها الشديد لكبر سنها فقـد قاربت التسعين من عمرها المديد .

(1) ـ انعكاسات المذهب الفتشى ، انظر ص 20 .
(2)،(3) ـ حكايات ستنشر فى الجزء الثانى من الكتاب

للا سعدية مهندسة الحكايات الخرافية ، كفاها فخراً أنها صاحبة اجمل حكايات هذه المجموعة « مولاى محمد الكاس » وغيرها من الحكايات القيمة ، مثل ، المقدر والمكتوب ، السلطان الكبير والسلطان الصغير ، « بهوت النساء » وقد روت لى بنفسها هذه الحكايات ، غير الحكايــات التى دونتها عن تلاميذها واهمها — يابا خذ معلمنى ، وللا فوفويا ودهاء النساء ، المنافقون ، شرابم الزبيب ، مولاى على فحيحح (1) .

وفى أثناء استماعى لبعض الرواة ، كان البعض منهم يــردد حــين ينسى بعض التفاصيل ، «سأسأل للا سعديه» وعندما سألت عنها وطلبت مقابلتها ، كان الرد أن هذا من الصعب تحقيقه لظروف مرضها المتواصل شفاهـــا الله .

وانتهزت فرصة شفائها النسبى ، وذهبت اليها ، دخلت مع بعض أقاربها غرفة نومها التى لا تكاد تغادرها ، وقد جلست للا سعدية فــى سريرها بطلعتها المهيبة ، تشع عيناها بريقا مشرقا وحنانا ولطفا ، ولا يتناسب صوتها المعبر الجميل مع تقدم عمرها بحال من الاحوال ، ورحبت بنا وحادثتنا فى شؤوننا الخاصة ، وبعد مدة التفتت الى وقالت ،« لقد سمعت من فلانة وفلانة وفلان انك مهتم بسماع الحكايات وكتابتها ، لقد حكوا لى عنك كثيرا ، وأنا أنصحك ، احسن من تحكى لك هى للا فاطمة، هذه ابنتى وخليفتى ، تحفظ جيدا وذاكرتها قوية » ، وصدقا ما قالــت، فحين راجعت معها الكثير من حكاياتها التى سمعتها من تلاميذها ، كانت أحسن راوية لحكاياتها" هى للا فاطمة ، ومن الطريف مقارنة ما سمعته من للا سعدية ، فالكثيرون يقولون ، للا سعدية هى صاحبة حكاية كــذا وحكاية كذا ، وكأن هذه الحكايات ملكا لها ، ثم هناك اجماع على قوة ذاكرة للا سعدية الخارقة للعادة ، وقد تحققت من ذلك بنفسى ، ومــن الطريف المقارنة بين ما سمعته عن للا سعدية وبين ما تحدثنا به احــدى باحثات الفولكلور عن القصاصين الاتراك وتقاليدهم ومواهبهم ، وعن ملكية بعض الاسر التركية للحكايات . فنجدها وكأنها تصف للا سعدية، فهناك تشابه فى كثير من الامور ، تقول الباحثة ، « ان الحكايات الخرافية لم تكن مادة حرة يحق لكل راو أن يرويها ، ففى مجتمع القصاصين الاتراك كان من الممكن النظر الى بعض الحكايات بوصفها نوعا من الملكية الخاصة لقاص بعينه ، وكانت بعض الحكايات تعتبر ملكا لبعض الاسر ، فاذا حكى

(1) — ستنشر فى الجــزء الثانى من الكتــاب .

شخص حكاية تنتمى الى أسرة أخرى فان هذا يعد سرقة كبيرة وينظر اليها علي أنها عمل دنيء كما ينظر الى سرقة الحصان ، وعند ذاك ، يحرم علي سارق الحكاية الا يتناول من الطعام سوى الخبز والماء . ذلك أن القاعدة والعرف فى مجتمع هؤلاء القصاصين لا يسمحان الا لقلة موهوبة من القصاصين برواية الحكايات المعقدة مثل الحكاية الخرافية ، ولقاص بمفرده الحق أن يروى حكايات شخص آخر يكون جده أو أستاذه أو معلمه حتى يمكن الاعتماد على روايته للحكاية وعدم مساسة بكيانها المستقل .

وكان معنى ذلك أن انتقال الحكايات وانتشارها كان يتم فى المقام الاول،لا عن طريق مجموعة كبيرة من الرواة ، وانما عن طريق قلة من القصاصين الموهوبين . ذلك أن جمهور المستمعين كان يرفض القاص رفضا باتا ان لم يكن حائزا على مواهب ممتازة ، بل يمكن القول أنه كان ينظر الى المتلقين بوصفهم عنصرا حافظا للحكايات وضابطا لها على الدوام ، وكان علي القصاص أن يعيد حكايته دون أية تغيرات ولو رواها على فترات زمنية متباعدة ، فقد كانت الذاكرة القوية هى أول صفات القاص، والاغرب أنه كان فىمقدرة القاص أن يستمع الى حكاية مرة واحدة ثم يعيد روايتها بعد سنوات بنفس الطريقة ، مع ذكر ادق التفاصيل ، حقا كان بعض هؤلاء القصاصين يمتلكون ذاكرة قوية لدرجة مذهلة تثير الدهشة، وربمايرجع ذلك الي أن الذاكرة لم تكن قد ضعفت بعد عن طريق القراءة الواسعة كما يحدث فى عصرنا الحاضر ».

وأرادت للا سعدية أن تكون كريمة معى فى أول لقاء ، فبدأت تحكى لي حكاية « مولاى محمد الكاس »، ثم حكت لى فيما بعد حكايات قيمة ، كثيرة ، وكانت تعليقات وآراء للاسعدية صائبة ومثيرة للتأمل والتفكير . فكانت ترى أن الحكايات ستندثر فى المستقبل القريب ، لان الناس أصبحوا مشغولين ومتوترين ، ولان الحياة خارج البيوت أصبحت جذابة ، فهناك المقاهى والمسارح والسينمات والنوادى وغيرها من وسائل اللهو والترفيه، والحكايات كما تقول لا تزدهر ولا تنتشر الا فى محيط الدار فى المقام الاول حيث الاسرة والاصدقاء ، فقبل عقود قليلة من السنين كان الناس يجتمعون كثيرا فى البيوت ويسهرون ولم تكن هناك اذاعة ولا تلفزيون ، والحياه خارج الدار كانت غير جذابة ، وربما لهذه الاسباب اختار الاخوان جريم لمجموعة حكاياتهم العظيمة عنوانا هو « حكايات الاطفال والبيوت » .

وللا سعدية صاحبة مثل عليا، وهى أخلاقية النزعة، وتميل الى الحكايات التى تتضمن العظة والعبرة، ولذلك كانت تقدر حكاية «المنافقون» تقديرا كبيرا. ولما حكيت لها حكاية «القزم» ، حزنت كثيرا لانها لم تعرف هذه الحكاية من قبل ، وكانت تردد فى تأثر « حكاية عظيمة لانها تحــض وتدعو الى الرحمة والشفقة بالصبيان والعمال البسطاء فى الحرف المختلفة وكان يجب على أن أحفظها منذ زمان بعيد ، يا للخسارة » ، ثم تتغــــير حالتها وتهتف فرحة فى براءة « حكاية مرحة ومبهجة ومشوقة ». وعندما أعددت حكايتها بهويت (1) النساء للتلفزة ، وكانت أول حكاية لها تراها مجسمة على الشاشة ، أصيبت بدهشة شديدة وفرحة غامرة ، ودخلت الى قلبها ، أما عندما أعددت « للا فوفويا » فى التلفزة باسم للا غنـــو ، كانت سعادتها لا توصف ولا تقدر وكسبت قلبها تماما ، وساعدتنى الى أقصى حد تسمح به صحتها .

ولم تكن للا سعدية متعصبة لارائها ، فبعد أن شاهدت حكاياتهـــا المختلفة على شاشة التلفزيون غيرت رأيها عن اندثار الحكايات وقالت ، « ما دمتم ستعرضون الحكايات فى التلفزيون والاذاعة والمجلات والكتب كما بينت لى، فأنا واثقة أن الحكايات ستعيش ولن تندثـــر »، فقلت لها صادقا وقد هزنى تأثرها ، كيف يمكن لنا نحن ابناء الجيل المعاصر أن نسمح لهذه الكنوز أن تندثر ، سنجمعها وندونها ثم نطورها ونسعد قلبك ياسيدتى المبجلة ، فبكت للا سعدية فى تأثر صادق وكانت دموع الفـــرح، لانها أيقنت أن حكاياتها قيمة وأنها ستعيش .

وهى كفنانـــة أصيلة تحب الفن وتقدره ، أذكر مرة أننـــى حكيت لها عن أحد الرواة، مهندس قابلته فى اليوسفية (2) وهو شخصية مرحة ولا يكف عن المزاح والضحك ، حكى لى حكاية أشكون الحمار — الكـــى بالسكين — الاحمق لا يصلح لشىء — وعندما استمعت الى الحكايات ، صاحت اعجابا ،« حكايات جميلة ، اشكون الحمار »، وهزت رأسها،ثم قالت فى صوت معبر «الجاهل ، ياللروعة ، هذه حكاية عظيمة يابنى »— ولهذا السبب بدأت بها عملى فى التلفزة — والكى بالسكين حكاية تعجبنى، أما «الاحمق لايصلح لشىء» (3)، فأسمعها منى وأعادت على روايتها اكثر اكتمالا وعنها دونتها فى الكتاب .

---

(1) — دهــــاء .

(2) — مدينــة فى المغــرب .

(3) ويسمونها فى فاس حكاية محمد البهل كما اخبرتنى « للاسعدية »

وحين توطدت أواصر الصداقة بيننا كنت أمازحها بلطف واقول لها، لا يمكن أن أغفر لك انك تفضلين حكاية «للا فوفويا» على باقى الحكايات، فكانت تضحك وتقول ، « يابنـي افهـم ، الفتـاة اليـوم تذهـب الى المدرسة وتتعلم وتتوظف وعقلها متنور . أما قديما فكان لابد أن تحكى لها حكاية « للا فوفويا » ، فان تصرفت البنت أى تصرف أخرق قلنا لها فى سخرية ، أنت تتصرفين مثل للا فوفويا ، صدقنى لقد لعبت حكاية للا فوفويا دورا كبيرا فى تربية الفتيات ، وليست حكاية للا فوفويا فقط بـل كثير غيرها من الحكايات ، لكن للا فوفويا كانت أهمها لانها مضحكـة وهزلية ، صدقنى فأنا عجوز ، وقد عشت هذا العصر وعرفته فى صباى وشبـابـى . »

وبجانب سيدة الحكايات للا سعدية والرواه الذين اشرت اليهم ، هناك عدد كبير من الرواة استمعت منهم ودونت عنهم حكايات كثـيره ، وسأبين الطريقة التى اتبعتها أثناء جمع الحكايات وتدوينها ، لكن قبلا ، اود أن اروى حكاية علم الحكايات ، علم الفولكلور ، هذا العلم الـذى ولد على يدى الاخوين جريم منذ حوالى مائة وستين عاما ، اما الحكايات فهى متداولة وحية وموجودة منذ ألوف السنين، وقد تناقلها الناس شفاهيا فى كل مكان ، ويبدو أن الادب الشعبى قد عرف أول عصور أزدهاره فى القرن السادس قبل الميلاد فى بلاد الهند والاغريق ، لكن عصر الازدهار الثانى كان أروع عصور الازدهار ، وكان هذا فى القرن الحادى عشر ومـا تـلا ذلك من قرون ، فقد بدأ جمع وتدوين الادب الشعبى .

ففى هذا الوقت ظهرت مجموعة الشاعر الكشميرى « سومادبو »، « ملتقى التيارات لمختلف الحكايات » ، كما تطورت فى مصر مجموعة حكايات الف ليلة وليلة ، واستقرت على الصورة التى هى عليها الان تقريبا ، وفى اوروبا بدأت فى الظهور منذ القرن الثالث عشر ، مجموعات هامة مثـل « مجموعة دى كاميرون » لبوكاشيو ، و « ثلاثة عشر ليلة ممتعة » لسيترابارولا ، ومجموعة «بيتا ميرونى» لشاعر نابولى الكبير «بازيل»، وفى فرنسا ظهرت حكايات « أمى لوى » لشارل بيرو ، وقد استمدها من أفواه الشعب مباشرة ، وقد اخذ عنه الاخوان جريم بعض الحكايـات واثبتاها فى مجموعتهما الشهيرة .

وكان الاخوان وليم وجاكوب جريم ، عالمى لغويات وأساطير كبيرين، وقد عملا معا حوالى خمسين عاما فى ميادين اللغويات والمأثورات الشعبية وأصدرا معا مجموعة حكاياتهما المشهورة ، التى أستغرق جمعها وتدوينها أكثر من ست سنوات فى جزئين عام 1812 وعام 1814 ، فأحدث ظهورها ضجة كبرى ونجحت نجاحا ساحقا واثرت على فنون الادب الشعبى فـى كل بلاد العالم ، وما تزال حكاياتها تحمل حتى اليوم الحيوية والجدة التى كانت عليها ايام ظهورها ، بل انها لم تزد فى المائة وستين عاما الماضية الا تألقا ، وماتزال فنون الموسيقى والشعر والفن التشكيلى تستمد منها موضوعاتها، ويعتبر «جاكوب جريم» السباق الى تأسيس علم الفولكلور دون منازع حين أصدر كتابه «الميثيولوجيا الالمانية» و «الاجرومية الالمانية»، لكن من الناحية التاريخية يعتبر مع أخيه وليم من مؤسسي علم الفولكلور ومن الرواد الاوائل ، فقد اشتركا فى كثير من الابحاث والدراسات . ثم توالت بعدهما الابحاث والدراسات ، وأنه لمن الممتع حقا آلاطلاع عليها وتتبعها، الا أن ذلك يخرج عن نطاق هذا الكتاب،بل يحتاج لكتاب منفصل ،لكن يجب الالمام ببعض المعارف والمعلومات عن الادب الشعبى بصفة عامة حتـى يمكننا أن نقدر تلك الحكايات التـى رواها ويرويها الشعب ، فان مزيدا من المعرفة يعنى مزيدا من الاستمتاع ، فمن يعرف شيئا عن الموسيقـى يستطيع ان يتذوق ويستمتع أكثر بما يسمعه ، ومن قرأ ودرس شيئا من الشعر يمكنه أن يقدر آلقصيد ويستمتع بالشعر أكثر من ذلك الذى يجهل منه كل شيء ، كذلك الامر بالنسبة لرحلات الفضاء وتفتيت الذرة ، كما هو بالنسبة للادب والفن ، فلابد أن يلم الانسان اليوم بقدر من الثقافـة العامة ليستطيع أن ينمو ويتقدم ويزيد فهمه فمن ثم استمتاعه بالحياة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، هناك هدف وهو لفت النظر وتنبيه الاذهان الى ادراك ما يشتمل عليه الادب الشعبى من ثراء فنى خصيب يتيح لنا ان نستفيد منه فى مختلف مجالات النشاط الفنى والادبى .

لقد أصبح الاهتمام بالادب الشعبى واجبا قوميا ، ذلك الاهتمـام الذى يجب أن يبدأ بجمعه وتدوينه ثم ببعثه وتطويره، لاهمية الادب الشعبى الفائقة الحد ، ذلك الادب الجميل الذى أمكنه أن يبقى وان يعيش ألوف السنين ملتصقا وملتحما بالشعب فى قاعدته العريضة ومرحبا به فى بيوت التجار والنبلاء وبلاط الملوك والاباطرة ، ومزاحما للادب الرسمى ومتفوقا عليه ، لاننا لو قارنا عصور الازدهار والانحطاط لكل من الادبين لفـاز

الادب الشعبى بقصب السبق بسهولة ، ويمكن القول أنه ظل نابضـــا بالحياة ومشوقا وجذابا وأخلد على مر الزمان ، ولا مغالاة فى القول بأن الاهتمام بالادب الشعبي يعتبر احد العوامل الهـامة التى يمكن لهـا أن تساهم فى تقدم شعبم المغرب العظيم .

واخوف ما اخافه ذلك الرأى الغريب وهو أن الادب الشعبى يقصد من الاهتمام به التخدير ومناصرة الرجعية ، وياللعجب فمنذ سنوات قلائل كان ينظر فى مصر لكل مهتم بالادب الشعبي على اعتبار أنه شيوعى او يسارى على الاقل ؛ والادب الشعبى برىء من هذا الرأى وذاك .

فالادب الشعبى ليس له هوية معينة ، فقد قرات كتابا أصدرتــه حكومة الصين الشعبية اسمه « لا تخافوا الاشباح » ، وهو عبارة عــن حكايات عن الجن والعفاريت ، واستطاع الكاتب ان يستخدمها بمهارة يحسد عليها ليعلم الاحداث والشباب الشجاعة ، والحكايات كلها عادية جدا تدور حول موضوع واحد ، فلاح أو طفل أو امراة تقابل عفريتا ولا يصيبها مكروه ؛ وليست هناك حكاية واحدة تتضمن أية دعاية سياسية والصين الشعبية كما يقولون دولة شيوعية متطرفة .

وفى الصفحـات القادمة دراسـة موضوعيـة لاهم أنواع الادب الشعبى (1) ، الحكايات — وتركز الدراسـة على الحكايات وتتبـع أصول موضوعاتها وتحللها وتشرحها ، وكان ايرادها ضروريا ليساعـد القارىء الكريم على تفهم وتذوق الادب الشعبى ، والاستمتاع بحكاياته القيمة الممتازة وتقدير جمالها .

واذا ألقينا نظرة على الحكايات فى عصرنا الحاضر لوجدناها تجمع بين القديم والجديد ؛ وبين الحكمة العميقة والخيال الصـرف ، وبـين الجد والهزل وبين الكثير من المتناقضات والصفات المتباينة المختلفة ، فما هو أصل هذه الحكايات ومن أين استمدت موضوعاتها ؟ ، ومن المهم أن نتعرف على مضمون الحكايات أو موضوعاتها ، ومن بعد على شكلها .

وقد استمدت الحكايات موضوعاتها من **العقائد البدائية القديمـة ومن الطبيعة ومظاهرها ومن عـالم الحيوان ومن السحر والاحـلام** ومن **العادات والتقاليد وغرائب الحياة** . فقد عرف الانسان فى الازمنـة السحيقة الكثير من **العقائد البدائية ، مثل المذهب الروحى والفتشيـة**

(1) — تعتمد هذه الدراسة على آراء العالم الالمانى الكبير « فردريش ديولايـن » التى أوردها فى كتابه « الحكاية الخرافية » .

والطوطمية ، لكن هذه أسماء أطلقها العلماء على التصورات البدائية ، أما الانسان القديم ، فلم يكن يعرف عن هذه الاسماء شيئا ، فقد كان الكون وما يحتوى بالنسبة اليه صورا من التعبير عن القوى ، أو رموزا، وللايضاح سنسعرض تصورات بعض المعتقدات القديمة ورواسبها وانعكاساتها على الحكايات .

والمذهب الفتشى أو العقيدة الفتشية كما عاشت عند البدائيين ، تبين انه من الممكن أن تتضمن وتمتلك بعض الاشياء ذات الصلة الوثيقة بالانسان، مثل الاظافر والشعر والدم والبصاق ، والصورة والاسم والملابس الخ ... تتضمن هذه الاشياء وما يماثلها وتكمن فيها قوة الانسان وقدرته ، لانها جزء من كيانه ، وأن من يمتلك شيئا من هذه الاشياء ، يمتلك الشخص ذاته ، ويمكن بما يفعله فى هذا الشىء أن يؤثر فى الشخص نفسه .

ففى الملحمة الكلتية « تريستان وايزولد »، تطايرت شعرة ذهبية فى وجه الملك « مارك » ، فأصبح كل هم الملك أن يتخذ من صاحبة الشعرة زوجة له ، وهذا يعنى أن الشعرة كانت تجذب الملك بقوة التى صاحبتها ، اذ أن الشعرة تعد جزءا من كيانها ، وتكمن فى الشعرة جاذبية صاحبتها وقدرتها ، وفى حكايات كثيرة اذا ما نظر انسان الى خصلة شعر انسان آخر ، فانه لا يهدأ له بال حتى يفوز بهذا الشخص نفسه، وكذلك كان كل هم فرعون فى حكاية الاخوين المصرية ان يفوز بالمراة التى حمل اليه التيار خصلة من شعرها ، وفى حكاية مغربية وقف الفارس أمام نبع وأراد أن يسقى حصانه ، فجفل الحصان ولم يقدر ان يشرب ، فترجل الفارس ، ووجد أن لسان الحصان قد التفت حوله شعرة ، ولما أخذ الفارس الشعرة ونظر اليها ، صمم على أن يجد صاحبتها ويتزوجها وهذا الموضوع نفسه نجده كثيرا فى الحكايات الهندية والمنغولية والارمنية.

وكانت قوة شمشون تكمن فى شعره ، وفى كثير من الحكايات تمنح بعض الحيوانات الخيرة البطل الذى ترغب فى مساعدته شعرة من شعرها، وما أن يحرق البطل هذه الشعرة او يمسح عليها بيده ، حتى تجىء الحيوانات اليه وتهرع الى مساعدته،(1) ويحكى فى الحكايات الروسية وحكايات بلاد الشمال انه فى وسع الانسان أن يقيد آخر بشعرة قيدا أقوى من قيد أكثر الاغلال سمكا، وقد تكمن القوة فى العظام، او فى الدم،

(1) — كما فى حكاية أصدقاء الانسان وعدوه .

وقد تكون القوة فى الرداء أو الجلد أو الريش، ومن ظفر برداء شخص آخر فانه يستحوذ على صاحب الرداء نفسه ، كما فى حكاية الفتيات البجعات (1) ، وتقول الحكاية أن البجعات كن يخلعن ريشهن فيتحولن الى فتيات ، وسلب بعض الرجال أرديتهن من الريش ، فأصبحن أسيرات، ثم هربت البجعات منهم بمجرد أن استطعن استرداد ريشهن قسرا ، وهناك حكاية مماثلة فى الف ليلة وليلة ، وفى حكاية مغربية خلعت «بلارج» (2) ريشها وتحولت الى فتاة جميلة ، وعندما اراد البطل أن يستحوذ عليها عمل خدعة وحرق ريشها فى «مجمر» موقد الفحم فأبقاها فى الصورة الانسانية وأمكنه أن يتزوجها .

وفى حكاية مصرية — اغريقية — أن نسرا أو هو فى الاصل حقا « الريح » ، قد غرر بفتاة حتى سلب منها حذاءها ثم قذف به فى حجر ملك، وأن هذا الملك لم يهدأ له بال حتى أصبحت الفتاة صاحبة الحذاء زوجة له ، والفتاة لم تقدر أن تهرب من الملك حيث أنه يملك حذاءها ، فكان بذلك يمتلك جزءا من ذاتها ، وربما تسرب موضوع الحذاء الى حكاية وعاء الرماد (3)، وينبغى أن لا ننسى أن الحذاء والقدم استحوذا منذ أقدم العصور على قوة لها أثرها على الحب . وفى حكاية مغربية «مولاى على فحيح» (4) تصبح الاميرة من نصيب الفارس الذى رمت له منديلها بالرغم مما قابله من مصاعب وعقبات .

ومن أهم معالم الفتشية كذلك ، تلك الفكرة التى انتشرت عند كثير من الشعوب، والتى تقول ان كيان الانسان يعيش فى صورته ، وان من يمتلك صورة شخص يمتلك القدرة التى يؤثر بها فى ذلك الشخص ، وفى العصور الوسطى كانت الساحرات يزعمن القدرة على ايذاء شخص بأن يلحقن الاذى بصورته ، ونحن نعرف من طقوس الصيد عند البدائيين ومن شواهد العصر الحجرى — رسومات الكهوف — ان الانسان كان فى وسعه أن ينجح فى قتل الحيوان بأن يطعن مسبقا صورته بالرمح فى موضع معين، وعند الصيد يصيب الرمح الحيوان فى ذلك الموضع بسهولة .

وفى حكاية « يوحنا » من مجموعة « جريم » رأى البطل صورة

(1) — حكاية خرافية فرنسية .
(2) — حكاية بلارج منشورة فى الكتاب .
(3) — حكاية سندريلا ، أو « سندريون » المعروفة .
(4) — ستنشر فى الجزء الثانى من الكتاب .

الاميرة ولم يهدأ باله حتى فاز بها ، وقد رفضت الاميرة كل الخطاب قبل ان يظهر الامير ، لانها رأت صورته فى حلم ، ومن ثم قد أحبته ، وتزوجها . وهناك عدة حكايات طويلة مماثلة فى الف ليلة وليلة .

والمرآة مثل الصورة ، تمتلك قوة سحرية لانها مسطحة وينعكس عليها العالم بأسره ، ويمكنها أن تحتوى على صورة الانسان وان لم تحتو عليها فى الحقيقة ، وكم دهش الانسان البدائى حين راى نفسه لاول مرة فى المرآة الاولى ، وهكذا كانت صورة المرآة بحق أول الامـر صـورة روحية للانسان ، وبعد ذلك اصبحت المرآة شيئا يستطيع أن يخفى العالم بأسره داخله ، ومن ثم استطاعت المرآة أن تعرف خبايا الامور ، وبهذا تكونت من المرآة البسيطة مراة الحكاية الخرافية السحرية ، وفى ارقـى البلدان الاوروبية اليوم يوجد من يزاول مهنة التنبؤ بالغيب عن طريـق البللورة السحرية !

وكذلك اسم الانسان فانه يحتوى على كيانه وقوته ، والامر كذلك ايضا بالنسبة لاسم الكائن المهول أو الحيوان او الجهاد .

وكل من يعرف اسم كائن يكون له سلطان عليه ، ففى اسطـورة «بارسيفال» عندما علمت «ألزا» اسم البطل « لوهنجرن » ، تحطمت قوته الخارقة، وهناك مثل الماني يقول «اذا مانطق الانسان باسم الذئب جاء يعدو » ، ومثل مصرى يقول « جبنا سيرة القط جه ينط » ، وفـى حكاية على بابا والاربعين حرامى ، كان مجرد معرفة الاسم كافيا لينفتح الكهف اذا ما نطق أحد « افتح ياسمسم »، وفى حكاية مغربية «بعيدا عن الانثى » (1) حين نادى البطل أصدقاءه الحيوانات بأسمائها ، أسرعـت اليه وانقذته من أعدائه .

وكذلك يتسبب لمس اشياء معينة فى ظهور الصفة الخاصة بالكائن، فكانت الشعوب البدائية ان ارادت أن تستجلب المطر فانها ترش المياه على الارض ، وان ارادوا أن يثيروا العاصفة والريح ، كانوا يلطمـون سطح ماء بركة بفرع شجرة ويقذفون الى البركة بالاحجار ، وكذلك هناك أشياء أخرى كالاشجار والزهور والخواتم وغيرها ، تشاركنا حياتنا ، فاذا افترق اخوان فان احدهما يدفع بسكين فى بطن شجرة ، وبهذه الطريقة يمكنه أن يعرف ما يحدث لاخيه ، كذلك تشير الزهور التى تذبل الى مرض

(1) — حكاية منشـورة فى الكتـاب .

انسان أو موته ، كما فى حكاية مولاى محمد الكاس المغربية ، وفى حكاية مغربية اخرى « الاخوان » أعطى ألاخ لاخيه خاتما وبين له انه ان سخن الخاتم فى اصبعه ، فمعنى ذلك أنه فى خطر ، واحيانا ينطق شىء يملكه شخص آخر ، كما فعل المهراز الذى تمتلكه الغولة لينبهها الي هروب البنات الصغيرات فى حكاية « سبع بنات » المغربية، ذلك لان المهراز ينتمى الى الغولة فيكمن فيه جزء من قوتها السحرية .

فالقوة والقدرة تكمن فى الشعر أو الدم أو البصاق أو الرداء أو الاسم او فى أى شىء ينتمي للشخص أو للكائن بصلة ، ففى العقيدة الفتشية يتمثل الاحساس بالرابطة العميقة بين الافراد والاشياء التى تكون مقدرة من قبل ويتحتم بعد ذلك تحقيقها ، وهذا يبدو لنا بوصفه احدى الملامح الاساسية فى الحكايات الخرافية بصفة عامة ، وهذه الموضوعات قديمة فى خصائصها وهى تنتمى الي عالم كان التفكير الرمزى فيه قويا للغاية ، ووراء هذا التفكير يقف الاحساس بنظام هائل يشمل عالم الانسان ، وتنعكس تصوراته فى الحكايات ويجب علينا ان نتواضع ولا نعتبر هذه الافكار الرمزية للانسان القديم غريبة للغاية ، فاننا نعرف فى عالمنا اليوم ما يشابه هذه الافكار احيانا ، وحسبنا أن نذكر الاثمان الباهظة التى تصل اليها الاشياء التافهة التى كانت يوما ملكا للشخصيات المشهورة ، أو القيمة الرمزية الكبيرة التى يضفيها القواد الحربيون على عصا المرشالية الخ..

وكان **المذهب الروحى** كذلك أحد المعتقدات القديمة ، يقول عالم الاجناس الكبير تايلور ، « كان المذهب الروحى معتقدا بدائيا واسع الانتشار ، فقد كانوا يعتقدون أن شيئا غريبا اشبه بالخيال يعيش فى الانسان هو الروح، وهو موجود وحبيس داخل الجسد طالما كان الانسان مستيقظا ، حتى آذا نام الانسان ترك الروح الجسد وخرج منه وهام طليقا وطار وعاش تجارب غريبة هى الاحلام ، ثم يرجع الروح ويدخل الى الجسد فيستيقظ الانسان ، وفى نهاية الحياة ينفصل الروح عن الجسد الى الابد لكى يهيم فى العالم أو لكى يتقمص جسدا آخر ، وفى هذه الحالة يموت الانسان ، وأغلب تصور للروح شيوعا لديهم هو تصورها فى صورة طائر وربما يرجع هذا الى اعتقاد الانسان أن الروح شىء خفيفه الوزن ، اذ أنه يقدر على الطيران فى الاحلام .

ونحن نجد الروح فى شكل طائر فى اعتقادات قدماء المصريين ، وفى

الحكاية الخرافية الالمانية « مخاندل بوم » — مجموعة جريم — وهى نحكى عن زوجة الاب القاسية التى قتلت طفل زوجها ، وقد عوقبت بعد دلك بحبسها داخل المنزل حيث قتلت شر قتلة ، فى هذه الحكاية تحولت روح الطفل الصغير الى طائر اخذ يتغنى بالالم الذى قدر له ان يقاسيه . وفى كثير من الحكايات الهندية يتحول الانسان الى صورة طائر ، وفى حكاية مغربية(1) حولت امرأة الاب القاسية ابنة زوجها الى حمامة، بأن غرزت ابرة مسحورة فى راسها ، وقد تظهر الروح أحيانا فى صورة فأر او افعى، وكثير من الحكايات تلعب فيها الافعى دور الحيوان الروح ، فلقد لاحظ الانسان البدائي أن الحية تخرج من باطن الارض وتزحف على سطحها ؛ وكان مستقر أجساد الموتى دائما هو باطن الارض .

وتصورت المجتمعات البدائية كذلك أن الروح تتقمص المظاهر والقوى الطبيعية ، فتصبح شخوصا وتعد كائنات انسانية الملامح ، ففى حكاية يذهب البطل ويقابل السيدة الشمس ، وفى حكاية مغربية يخطف البرق (2) فتاة ويذهب بها الى قصره فى السماء ، والريح تحمل فى حكاية المانية الاميرة الى قصرها المسحور ، ونجد فى الحكايات الاشجار تتكلم والصخور تنطق الخ . . . لان هذا الاعتقاد فى تقمص الروح للطبيعة ومظاهرها انتشر انتشارا واسعا مذهلا وما يزال يعيش بعضه حتى اليوم عند الجماعات البدائيـــة .

وكان **الحيوان** من أهم الاصول التى استمدت منه الحكايات موضوعاتها ، والمقصود حكايات كثيرة وفيرة العدد لدرجة مذهلة ، فقد عاشت البشرية فى مرحلة الصيد قرونا طويلة ، وكان الحيوان زميلا للانسان فوق الارض ، ومن المؤكد أن عددها كان كبيرا جدا ويفوق بألوف الاضعاف عدد هذه الجماعات الانسانية التى كانت موجودة فى ذلك التاريـــخ القديـــم .

وكان العصر عصر الصيد ، والحطابين ، ولذلك نجد حكايات عن الحطاب لا يمكن حصرها منتشرة فى كل مكان ، وهى تعكس واقعا معاشا لجماعات الحطابين القديمة . لكن لعل حكايات الحيوان الشارحة المفسرة اكثر قدما ، تلك الحكايات البدائية فى شكلها ومضمونها ، والتى تعتبر أدب وعلم البدائيين الذى يعتمد على الملاحظة قبل كل شىء .

(1) ، (2) حكاية البرق منشورة فى الكتـــاب .

وهذه الحكايات التى تعلل وتفسر أوفر عددا واكثر انتشارا من حكايات « الحطاب »ومعروفة لدى كل الشعوب فى جميع أنحاء العالم ، وهى تشرح وتعلم وتحكى وتسلى فى نفس آلوقت ، مازجة هذه الاغراض مزجا بديعا وانه لمزج عجيب ، وهو محير فى بعض الاحيان ، لكنه حى ومثير وجذاب .

تحكى هذه الحكايات مثلا ، لماذا كانت السلحفاة بطيئة الحركة وللارنب شفة مشقوقة ولابن آوى لونا مخططا ، ولطائر اللقلاق منقارا أحمر ، ولماذا ينعق الغراب ، ويمتلك الجمل اذنين صغيرتين ... الخ .

ومما يذكر على سبيل التعليل والتفسير ، أن السلحفاة طار بها النسر حسب رغبتها ، وأطبقت بأسنانها على عصا يحملها النسر الذى أمرها بالصمت ، لكنها تكلمت وفتحت فمها ، فوقعت وتكسرت عظامها ، ولذا فهى بطيئة الحركة ، وأن القمر صفع الارنب على وجهه لانه أبلغ رسالة خطأ فانشقت شفته ، وان ابن آوى أراد أن يسرق الشمس فاحترق جاده وصار لونه مخططا من الاحتراق، وان اللقلاق حمل النار من السماء فحرق منقاره، وأن الغراب ثائر لان صديقا أهوج أغضبه ، ويمتلك الجمل اذنين صغيرتين لانه لم يكن قنوعا وأراد أن يمنح قرونا فعوقب على ذلك ، الخ ...

وقد راقب الانسان الحيوان وعاش معه آمادا طويلة ، واستكشف الكثير من طباعه وغرائبه ، والناس الذين ارتبطت حياتهم بحياة الحيوان ارتباطا قويا ، وفى مقدمتهم الصيادون ، كانوا يبجلون الحيوان ويخشونه لقوة عضلاته وسرعته وقوة غرائزه وثقته بنفسه ، فالكثير من الحيوانات أقوى من الانسان ، ولابد أن يخافها الانسان ويخشى غضبها وهجومها، ففى تلك الازمان السحيقة لم يكن الصيادون هم البشر وحدهم ، لان الحيوان كان يقوم بنفس الدور ويصبح الانسان هو الفريسة .

ويرجع كثير من الاساطير اصل بعض الجماعات الى الحيوان ، وقد احتفظ عدد كبير من القبائل البدائية وكذلك بعض الاجناس فى الحضارات الراقية بصلتها بالحيوان . فعند الجرمانيين يرتبط جنس « اليلفنج » الشهير بالذئاب ، واسم بطل الملحمة الانجليزية الشهيرة « بيوولف » التى ظهرت فى القرن الثامن الميلادى يبين ذلك ، وكان المصريون القدماء يصورون معبوداتهم فى صور تحمل رسوما للحيوانات وكانت كثير من

المعبودات البابلية نصفها انسان ونصفها حيوان ، وقد تلد بعض النساء فى الحكايات حيوانا ، والبطل « ايفان » فى الحكايات الروسيه كان ابنا لبقرة ؛ وكثير من أبطال الحكايات المختلفة رضعوا فى الغابات من اناث الذئاب أو الاسود الخ ...

ولا يزال عبير ذلك الماضى البعيد يصل الينا ، ففى وقتنا الحاضر يعتبر الاسد رمزا للدولة البريطانية والنسر الامريكي رمزا للولايات المتحدة ومن الاسماء الانسانية نجد اسم السبع والنمر والضبع والفار والقط ... الخ.

وربما كانت هذه التصورات الانسانية البدائية التى تسربت فى قوة ووفرة وغزارة الى الحكايات سببا يدفع للظن أن الحكايات كانت بالنسبة لتلك المجتمعات تغلغلا فى المراحل الاولى لاصلهم ومحاولة جادة لاستكشاف ماضيهم .

وتحكى حكاية رائعة من حكايات الهنود الحمر ، عن جدهم الكبير « أولال » وتبين كيف تركهم ورحل الى السماء ، بعد أن وعد عشيرته بالعودة الى الارض مرة أخرى بوصفه ابنا للشمس ، وستصير عندئذ كل الحيوانات حامية له ، وعندما رجع « أولال » ، ساعدته كل انواع الحيوانات ، حتى الوطاويط والفئران كذلك ، والحكاية اسطورة قديمة اصيلة ، لكنها تشرح فى الوقت نفسه خصائص كثيرة وصفات متنوعة لعدد كبير من الحيوانات المختلفة بالتفصيل وبدقة تامة ، وذلك وفقا لسلوكها من خلال عملية انقاذ « أولال » .

وكانت تصورات الانسان القديم أن الحيوان يعيش فى عالم قائم بذاته، وغالبا ما تكون صورة ذلك العالم شبيهة بعالم الانسان ، ذلك أن الانسان القديم استأنس ودجن وروض كل الحيوانات التى عاش معها ، استأنسها فى خياله وتصوراته قبل أن يستأنس بعضها فى عالم الواقع ، واضفى على عالم الحيوان طابعا انسانيا ، ولذلك نجد الحيوانات فى الحكايات ، تماما كما هو الشأن فى عالم الانسان ، تكيد المكائد وتتصارع ويخدع بعضها البعض وتمزح وتهزل ، وتغضب وتحزن وتقاتل ، وتتزوج ، وتتصاحب الخ

وكثيرا ما تحكى الحكايات عن الطيور التى تضع البيض الذهبى او الجواهر وعن الافعى التى تمتلك العشب الذى يتيح الخلود للانسان ، وهذه كلها آمال واحلام انسانية .

وحكايات الحيوان الوفيرة والتى لا يمكن حصرها ، احتفظت بحيويتها وجاذبيتها وجمالها الغريب على مدى الزمان ، وبداية ظهورها يرجع دون شك لاحقاب موغلة فى القدم ، تسبق حضارة بابل ومصر القديمة .

وقد أعطى الاغريق لهذه الحكايات شكلا جديدا وصاغوها صياغة فنية رفيعة ، وهكذا نالت حكايات « ايزوب » اعجابنا وتقديرنا .

لكن الحكايات الهندية عن الحيوان اقدم واروع، واستطاعت أن تفوز بقصب السبق عن جدارة وقد قدمت الحكايات الهندية فى شكل جديد وصياغة رائعة ، قدمها الفرس والعرب ، فى صورة عجيبة أذهلت العالم، فى الكتاب القيم « كليلة ودمنة » .

وكذلك قدم « لافونتين » بعض الحكايات الهندية فى شكل جديد حين اطلعنا على خرافاته الجميلة .

وكانت **الطبيعة** التى يعيش الانسان فى رحابها ويتأثر بمظاهرها وتقلباتها شغل الانسان الشاغل ، فلم تقتصر الحكايات الشارحة والمفسرة على عالم الحيوان فقط ، بل تعدتها الى الظواهر الطبيعية .

وتحكى حكايات كثيرة عن الشمس والقمر والليل والنجوم والماء والنار ، وتبين الحكايات أن الشمس كانت تود أن تظل مشرقة على الدوام ، فطلب الانسان مساعدة الليل ، فحجب الشمس واجبرها أن تغرب ، وتصور الحكايات التترية والسيبيرية الليل فى صورة وحش هائل يستقر فكه الاسفل فى الارض ويصطدم فكه العلوى بالسماء .

وكثير من الحكايات تحكى عن القمر الذى اثار خيال البدائيين لدرجة كبيرة ، فالقمر عريان لانه لا يتلاءم معه أى لباس نتيجة تقلبه بين الزيادة والنقصان، ويتحطم القمر كل شهر وتصنع النجوم من حطام القمر القديم، وفى حكاية ، أن القمر كان يلاحق الشمس بمغازلاته فغضبت الشمس ولطخت وجهه المستدير بالرماد لكى يدعها فى هدوء ، ومنذ ذلك اليوم والقمر يحتفظ بتلك البقع على وجهه .

وفى حكاية افريقية ، اتفقت الشمس والقمر على أن يطرحا أولادهما فى الماء ، لكن القمر خدع الشمس والقى بكيس مملوء حجارة فى الماء ، ولذلك كانت الشمس وحيدة فى السماء ، أما القمر فانه يسير فى صحبة أطفاله النجوم اثناء الليل تحت القبة الزرقاء .

وكانت السحب فى الازمنة القديمة اجنحة للجبال وتوزعت الجبال بمساعدتها فى كل مكان لكن السحب لم تنس أصلها ولذلك تنجذب السحب الى قمـم الجبال .

وتبين الحكايات أن الماء كان فى البداية فى السماء ، ثم تجرأ بطل فى الذهاب الى هناك وهبط به الى الارض ، أو أن المياه كانت فى باطـن الجبال وشق بطل شجاع الجبال فتدفقت المياه من الشقوق ، وأن الانسان سرق النوم من حيوان الضب الذى ينام دائما . وهناك حكايات كثيرة عن النار وكيف جاءت الى الارض ولماذا تنطفىء ، وحكايات عن النبـات والاعشاب والاشجار ، فتلك الحكايات التى استمدت مـن الطبيعـة موضوعاتها كثيرة ووفيرة ويصعب حصرها .

ولقد عرفت المجتمعات البدائية والحضارات القديمة **السحر** ، وكان الساحر شخصية هامة متميزة بأعمال كثيرة ، منها مهمته كطبيب يعالج الامراض التى كان الظن انها ارواح شريرة تسكن جسم المريض ، وعليه ان يخرجها من الجسد لينال المريض الشفاء .

ومهمته ايضا أن يستنزل المطر اذا تأخر وأن يقاوم الكوارث الطبيعية ككسوف الشمس وخسوف القمر ، والعواصف والرعـد والبـرق ، وان يسترضيها ، وبيده احيانا أن يقرر بقاء الجماعة أو رحيلها ، واقدامها على الحرب او جنوحها الى السلم ، واحيانا يحوز الساحر القدرة علـى مسخ الانسان فى صورة حيوان أو فى شكل حجر ، ويمكنه ان يفعل العكس كذلك .

ويحكى الاغريق عن الساحرة « كيرك » التى كانت تسحر المسافرين والبحارة وتمسخهم فى صورة حيوانات .

ونحن نعرف حكايات كثيرة عند قدماء المصريين عن فنون السحر والسحرة وعن قدرة السحرة المصريين على تحويل انفسهم الى هيـأة حيوانات عندما يقتفى الناس أثرهم ، وفى حكاية « بروشيوس » الشهيرة فى « الاوديسا » يحدث نفس الشىء ، وكذلك الامر فى الحكايات الشرقية والجرمانية ، وكما فى حكاية مغربية « بعيدا عن الانثى (1) » ، حـين يتحول الغول الى اشكال حيوانات مختلفة وهو يطارد المراة وابنتها .

(1) — منشورة فى الكتـاب .

وفى « الف ليلة وليلة » حكايات كثيرة عن السحرة الذين يمسخون الانسان الى صورة حيوان ويمكنه أن يسترد صورته الانسانية عن طريق قيامه بأعمال معينة كمساعدة البطل أو أن يقوم شخص آخر يمتلك قوة سحرية بتخليصه من هذا المسخ .

وتنتشر بكثرة لا مثيل لها سلسلة موضوعات عن الهروب السحرى فى عدد كبير من حكايات الشعوب المختلفة ، والتى تتلخص فى أن شخصين يهرب أحدهما من الاخر ويكون عارفا بفنون السحر ، والذى يطارد الهارب يكون غالبا غولا أو عفريتا أو حيوانا ، وعند ذلك يرمى الهارب قطعة خشب فتنبت غابة ثم يقذف حجرا ، فيتكون منه جبل عال ، ويسقط قطرة ماء ، فتتحول الى بحر قد يغرق فيها الغول أو العفريت .

وقد استمدت الحكايات من «**الاحلام**» موضوعاتها، فقد ظن القدماء أنهم يستطيعون بواسطتها أن يعرفوا الغيب والمستقبل ، وكانت شعوب الحضارات القديمة كالمصريين والبابليين والهنود تؤمن بالاحلام التى تتنبأ بالمستقبل ويرون فيها حقيقة تنبؤية ولعل مئات الكتب عن الاحلام فى ايامنا الحاضرة تشهد بأن هذا الاعتقاد لم يختف بعد .

وكان سكان جزيرة كتشاكا البدائيون شمال جزر اليابان يضفون على الحلم قوة البرهان وتحكى حكاية أن بعض سكان هذه الجزر قد أخبروا فتاة برغبتهم فى الحصول عليها كزوجة لواحد منهم ، وأنه سبق له ان حصل عليها فى الحلم ، وبناء على هذا الحلم عدلت الفتاة عن رفضها الاول وقبلت الزواج به ، وتعد خيانة المرأة فى الاحلام عند بعض البدائيين دليلا على خيانتها الحقيقية ، كما أن الحلم عند بعضهم اقوى حجة من اقوال الشهود .

ويقول الاديب الكبير «دستوفسكى»، «قد تكون الاحلام حقيقة فنية صادقة وغاية فى التعقيد ، ولا يدرك كنهها ، ومثل هذه الاحلام مثل القصص ، عالم مكتمل من الاحداث يرتبط بالخفايا الدقيقة والتفصيلات غير المتوقعة ، مبتدئة بأرقى صور حياتنا حتى ادناها ، الى درجة ان « تولستوى » نفسه — وانا أقسم على هذا — لم يكن ينجح فى تصورها ومثل هذه الاحلام لا يراها الكتاب والمثقفون وحدهم بصفة خاصة ، وانما يراها فى بعض الاحيان أكثر الناس بساطة وكذلك طبقة الموظفين ورجال الدين ».

وكثيرا ما تقودنا الحكايات الخرافية الى موضوع الليل . ويتكرر فى كثير من الحكايات أن تتزوج الفتاة بحيوان أو غول ، لكن الزوج يتحول فى أثناء الليل الى انسان ، ولا يحق للزوجة أن تلقى عليه ضوءا ، فان فعلت ، اختفى الزوج ، كما فى حكاية « الحب والروح » الرومانية ، وكما فى حكاية « ميلوزيــن » التى أعاد « جوته » كتابها . وكذلك فى حكايــة مغربية «فاطمة بنت الحطاب»(1) وغالبا مايكون الزوج غولا فى الحكايات الكلتية وشيطانا فى الحكايات الاوروبية وجنا فى الحكايات العربية ، وهذا زواج فى الحلم لانه يتم فقط أثناء الليل. وفى الحلم ينال الانسان صورة محبوبته ، فاذا استيقظ فى النهار فقدها . وهناك أحلام اليقظة التى قدمت موضوعات كثيرة للحكايات . ويبدع خيال الانسان الذى يعيش فى الغابة أو الصحراء او البقاع الثلجية أشكالا غريبة ، وتقدم لنا حكايات النرويج واسلندة نماذج عديدة تنشأ من تأثير الطبيعة الهائل ، كما أن وقت الظهيرة بحرارته الخانقة يجعل رعاة منطقة البحر الابيض المتوسط يعيشون فى فزع من أشباح الظهيرة . وكذلك تلك الاشكال من عفاريت ومردة وجن وشياطين التي يعرفها العرب : ليس مردها الخيال فحسب وانما هى تتضمن واقعا خاصا ومعاشا فى انحاء الصحراء الشاسعة . فالخيال فى هذه الاحوال يمتزج مع الواقع وتنبثق منهما اشكال غريبة وعجيبة .

ويروى عالم الفولكلور السويدى « جونز جرانبرج » فى بحث له عن « أشباح الغابة فى التراث الشعبى المتأخر » ، مثلا لذلك ، فقد ذكر أنــه فى بعض مناطق الغابات التى لا يعيش فيها أحد سوى قاطعى الاخشاب وحارقى الفحم والصيادين ، لا يظهر شبح الغابة الا متخذا صورة امرأة شابة جميلة، وأن تكن قبيحة من الخلف، وتبين الحكايات انها تعيش داخل الاشجار وتخرج منها ، أما فى مناطق الغابات التى يحلب فيها الحيــوان والتى لا تعمل فيها غالبا الا النساء الحلابات ، غالبا ما يظهر شبح الغابة فى شكل كائن ذكــر .

وقد تركت **العادات والتقاليد** الخاصة بالحضارات وبكل الازمنــة آثارها فى الحكايات الخرافية ، فمثلا عرفت كثير من المجتمعات البدائية عادة اختطاف العروس وكذلك عادة شرائها ، ونحن نجد الكثيرين مــن أبطال الحكايات الخرافية يختطفون الفتيات ثم يتزوجون منهن ، ولهــذا يخفى الاباء فى الحكايات البنات داخل قلعة أو قصر ويحجزونهن حتى لا

(1) — وكما فى حكاية مــولاى أحمد القنديل المنشورة فى الكتاب .

يراهن انسان ، وينبغي على الفتاة فى أحوال كثيرة أن تظل داخل القصر او القلعة حتى تتزوج أو يختطفها البطل .

أما عن عادة شراء العروس ، فيصادفنا فى الحكايات تكليف الاباء لخطاب بناتهم بالقيام بأعمال شاقة ، فالبطل يتحتم عليه أن يهيء أرضا خصبة أو يجتث أو يبنى قصرا أو يحضر دوابا محملة بالمال الخ ..

ونجد كذلك فى الحكايات الخرافية تلك العقوبات القاسية ، فالشرير او المذنب تربط يداه وساقاه فى أربعة أحصنة ثم يقاد كل حصان فى اتجاه، او هو يسلق أو يشوى او يحرق، والي غير ذلك من العقوبات،وكل هذه العقوبات ليست مجرد خيال أو من صنع الحكايات الخرافية وانما هى مأخوذة من قانون العقوبات الحقيقى عند الكثير من المجتمعات البدائية ، فقد كانت العقوبات قاسية ، وليس لنا أن نتعجب ، فالرومان اخترعوا عقوبة الصلب ، وكان الترك يقتلون العصاة فوق الخوازيق ، واخترعت محاكم التفتيش الكثير من العقوبات المرعبة التى لا تخطر على بال البدائيين ولم يمض زمن بعيد على حرق « جان دارك » .

وكثيرا مانجد فى الحكايات أطفالا يتركون فى الغابة بغية التخلص منهم ، أو يسلمون للموت بطرق اخرى ، ويقوم بالمهمة عبد أو خادم ، واحيانا يشفق ويرحم ، فيملا قصبة بدماء حيوان ويدعى انه ذبح الطفل، أو يوضع الطفل فى صندوق ويرمى الى الماء الخ ...

والتخلص من الاطفال كان يحدث فى الواقع كثيرا، ففى ايسلندة ولدى جميع الشعوب الجرمانية كان من حق الاب أن يتخلص من الطفل الرضيع اذا كان يبدو ضعيفا وهزيلا ، وعرف العرب فى الجاهلية وأد البنات ، وقد نهى عنه الاسلام وحرمه ، وتتخلص الكثيرات من الامهات غير الشرعيات فى عصرنا الحاضر من اطفالهن بطرق مختلفة . وعرفت بعض المجتمعات البدائية عادة اكل اللحوم البشرية ، وكان تصورهم أن الانسان يستأثر لنفسه عن طريق أكل اللحوم البشرية بما لدى غيره من القوة والقدرة ، وينعكس اثر ذلك فى الحكايات الخرافية ، فتلتهم المردة والغيلان لحم الانسان وخاصة لحم الاطفال الذى يطلبه الغول او الغولة ، فقد أرادت الغولة فى الحكاية الالمانية ان تأكل « هانزل وجرتيل »، وفى حكاية حديدان الحرامى أرادت الغولة بكل وسيلة ان تأكل « حديدان » وهو أصغر اخوته، وفى حكاية سبع بنات تحاول الغولة ان تأكل أصغر البنات ، وفى كثير من

الحكايات تقول الغولة، «ندير لحمك فى ضغمة ودمك فى جغمة الخ» (1) وكذلك عرف الكثير من الشعوب عادة التضحية البشرية ارضاء للمعبودات لكي تسالمها وتساعدها ، واحتفظت حكايات كثيرة بآثار هذه السعادة ؛ فيحكى دائما عن كائن مهول ، تنين أو غول أو مارد يجب أن يقدم له كل يوم أو كل عام انسان ؛ حتى يقع الاختيار على ابنة الملك ويجيء البطل ويقضى على الكائن المهول وينقذ ابنة الملك الخ . . .

واستمدت الحكايات موضوعاتها من الكثير من العادات التى لا يمكن الاشارة اليها بأكملها ونكتفى بما أوردناه .

ولقد احتفظت الروايات المتناقلة والآدب **بغرائب الحياة اليومية** وغرائب الانسان العادى ، وما يزال بعض هذا يعيش فى الحكايات الخرافية حتى اليوم ، فاذا تميز شخص بذكاء نادر أو حس دقيق أو اشتهر بغباء غير عادى أو اصابته مصيبة غريبة أو جرت له حادثة عجيبة، فان الحكايات فى العصور المتأخرة كثيرا ما تتوسع فى هذا كله وتنميه ، وتنسب الحكايات بعض الحوادث الى شخصية مشهورة ، او تخترع لها شخصية مثل جحا ، فتحكى حكاية عن الصبى الذى كلف بحراسة الباب ، فخلع الباب ، واخذه معه ليحرسه ، أو عن الغبى الذى ضرب صديقه بفأس على وجهه ليصيب ذبابة كانت تقف على وجه صديقه ، او تحكى عن القرود التى قيل لها أن تسقى الاشجار من جذورها فخلعت الاشجار ، لكى تعثر على الجذور ، أو تحكى عن شاب كان ينبغى عليه أن يحمل وعاء مملوءا زيتا وأن يحمله فى حذر اذ كان به ثقب ، فلما حاول الشاب أن يبحث عن الثقب ، انقلب الوعاء وسال الزيت كله ، وحكاية «الاحمق لا يصلح لشىء (2)»، تتضمن أحداثا مماثلة لكن فى صورة رائعة لان الحكاية تربط فى سلاسة وبساطة بين أحداث كثيرة مرحة وتنسبها لشخص واحد .

ومن اجمل الحكايات، الحكاية الثامنة من حكايات اليوم الثامن فى كتاب « ديكامرون » لبوكاشيو ، وتبين ان امراة كانت تعشق أحد الفرسان ، وفى يوم أراد الفارس أن يزورها ، فأرسل اليها تابعه ليخبرها بقدومه ، ونال التابع اعجاب المراة ، فحاولت اغراءه ، وفى هذه اللحظة جاء الفارس فخبأت المراة التابع وانكرت أنها راته حين سألها الفارس

(1) — **المعنى انها تاكل لحمه وتشرب دمه .**
(2) — **حكاية منشورة فى الكتاب .**

عنه ، وفجأة جاء زوج المراة فلم تضطرب وأمرت الفارس أن يندفع الى الخارج شاهرا سيفه وهو يسب ويلعن وينذر بأنها ستتحمل مسؤولية ما حدث ، وعندما سألها زوجها مندهشا عن سبب ثورة هذا الفارس ووجوده فى بيته ، أسرعت واخرجت التابع من مخباه وقالت لزوجها ، انها أنقذت وأجارت هذا التابع حين رات سيده الفارس يطارده ويبغى قتله. ويمكن أن يتحول الفارس الى ضابط والتابع الى جندى أو رجل وابنه أو عم وابن اخيه أو تاجر ومساعده الخ .. والحكايات كلها تشير الى ذكاء شخص غير عادى ، يتخلص من مواقف معقدة .

ومن تصفح فى عناية الصحف المعاصرة لصادف دائما مثل هذه الحكايات ؛ فالحياة تقدم الكثير من الحوادث الغريبة ، وقد وجدت هذه الحوادث دائما طريقها الى الحكايات .

وقد أمكن للمجتمعات القديمة أن تحقق رغباتها بحق فى الحكايات الخرافية ؛ تلك الرغبات التى لا يمكن ابدا ويستحيل تحقيقها فى الحياة الواقعية ، ففي الحكايات نجد الموائد تمتلىء دائما من تلقاء نفسها بما لذ وطاب من المأكولات (1) واللحوم واطاييب الطعام التى لا تنفذ أبدا ، وبالاسلحة التى تصيد دائما أو السيف الذى يمكن لمن يحوزه أن يقتل جيشا بأكمله ، والطيور التى تضع بيضا من الذهب أو الاحجار الكريمة كما فى حكاية «طائر الحكمة» المغربية ، والخواتم الذى يستطيع الانسان بواسطتها — ويخدمها جن أو مارد — ان يحصل على ما يريد ويتمنى . والبساط الذى يمكن أن يطير بالانسان الى اى مكان ، كل هذا وغيره يرجع الى احلام الانسان ورغبته فى تحقيق هذه الاشياء المستحيلة ، وعندما عجز عن ذلك فى حياته الواقعية ، حققها فى حكاياته الخرافية .

كانت هذه هى الروافد الهامة التى استمدت منها الحكايات موضوعاتها ، وانها لمختلفة ومتباينة ، وغنية وثرية ومعين لا ينضب لخلق عمل فنى ممتاز، فغرائب الحياة اليومية والحوادث العجيبة وفيرة ومشوقة وتتدفق عبر الايام والسنين ، مضمونة الاستمرار مادام الانسان يدب على الارض .

والتصقت وتلاحمت موضوعات الحكايات مع الحياة الانسانية أصدق تلاحم والتصاق ، فانصبت فى وعاء الحكايات الذى لا حد لسعته ، عادات

(1) — حكاية الطائر الازرق

الانســان وتقاليده، وكم كانت كثيرة وغريبة ومتنوعة ، لانها جاءت عبــر العصور المتباينة ، مرورا بأقدم المجتمعات البدائية حتى أرقى الحضارات، وانعكست كذلك على موضوعات الحكايات احلام الانسان وآماله واهدافه وقدم الخيال المساعدة ، فاخترع البساط الذى يطير وغطاء الراس الذى يخفى من يلبسه عن الانظار ، والموائد التى تمتلىء بالطعام بدون تدخل الانسان والكيس الذى لا يفرغ من النقوذ ، والطيور التى تبيض بيضا ذهبيــا الــخ ...

وكان تأثير مرحلة الصيد التى عاشتها الجماعات الانسانية لحقــب طويلة تأثيرا شديدا وكبيرا ، وأمد الحيوان وعالمه موضوعات الحكايات بمواد وفيرة، والقت تلك التصورات الموغلة فى القدم بظلها على الحكايات.

لقد كان الادب الشعبي والحكايات أهم أنواعه . أقرب لما نسميه اليوم ، بالمدرسة الواقعية فى الادب . فقد انعكست حياة الانسان انعكاسا واضحا ومعبرا فى حكاياته . وتحليل الحكايات العلمى . أتاح لنا أن نكتشف الكثير من تاريخ الانسان القديم وعالمه الروحى .

لكن هذه العناصر الوفيرة التى كانت أصول موضوعات الحكايات ، لم تكن قادرة وحدها أن تخلق أى عمل فنى ، فمن أبدع هذه الحكايات ؟ من هو الفنان الاول ؟ فنحن نعرف أن أقدم الحكايات ، هى تلك الحكايات التى تفسر وتشرح وتعلل ، وهى ليست سوى عرض قصير ، أو اجابة مفاجئة عن سؤال مفاجىء ، وهذه الحكايات التى تتحدث عن خصائص الانسان والحيوان والارواح والاشجار والارض والسماء والبرق والرعد الخ ، وهى تفسر أكثر مما تحكى ، ولا تشير الى الشخوص التى تعيش التجارب، وانما تتكلم عن الموضوع نفسه، عن الحدث فالعرض فيها اكثر علميــة واكثــر موضوعيــة .

وهذه الحكايات فى احسن صورها،حكاية طويلة تجمع بعض الحكايات التعليلية القصيرة وهذه الحكايات الطويلة نسبيا تمزج بين كل الحوادث فى غير توقف ولا تكون لها بداية او نهاية سليمة ، لكنها تتميز بالحيويـة والوضوح وبالتنوع ، كما أنها مليئة بالصور الجديدة دائما وبالمفاجئات ، على أنها لا تعرف بصفة عامة أى نظام ، وانما تقفز من موضوع لاخر ، كما تصرف القارىء عن الموضوع الرئيسى دائما أبدا بانطباعات جديدة واثارات جديدة .

لكن ليس لنا أن ننخدع بشكل هذه الحكايات البدائية الذى يبدو انه لا يتبع اية قاعدة أو نظام ، فقد بينت الابحاث التى تتحدث عن فـــن الحكايات لدى الشعوب البدائية ، انه كان لها شكلها المحدد ، وان بدا لنا غريبا وعجيبا ، وانه كان على الرواة أن يحتفظوا بالحكايات دون أن يغيروا منها شيئا ، حتى لا يسيئوا الى أجدادهم أو الى الارواح ، ومثل قصاصى الهنود الحمر يبين ذلك ، لكن على أية حال ، كان من الصعب علينا أن نقبل الرأى الذى يقول ، ان هذه الحكايات تعكس احساسا آخر بالشكل وكما قال أحد علماء الفولكلور الالمان عن هذه النقطة ، « لقد أمكن تقبل هذه الفكرة بالتدريج ، فقد كان من الصعب تفهم ذلك الشكل الغريب للحكايات البدائية ؛ لكن الم تعتبر الموسيقى الشرقية والاسيوية بالنسبة لنا نحن الاوروبيون ألحانا مضطربة أو بالاحرى نغمات شاذة ، مع أن السلم الموسيقى فى هذه الموسيقى ذو تكوين ثابت ومنظم ، وان اختلف عن سلم موسيقانا الغربية ، فالانسان يعيش مرتبطا بتقاليده الشكلية الى درجة انه لا يستطيع أن يفهم أى نظام شكلى آخر الا بصعوبة بالغـــة ، وهكذا الامر بالنسبة لشكل هذه الحكايات البدائية » .

ذلك لان الحكايات التى تنتسب الى الحضارات المختلفة ذات بنيـــة محددة كل التحديد وشكل متميز تماما ، وهى تختلف كل الاختلاف عن بنية وشكل الحكايات البدائية التى تفسر وتعلل ، لكن علينا أن نتصور أن هذه البنية المحددة وهذا الشكل المتميز لحكايات الحضارات ، كان تطويـــرا طبيعيا نشأ عن هذه الحكايات التعليلية القديمة ، والاهم هو كيف تكونت الحكاية فى البداية ، فمثلا هناك سلسلة اجابات على أسئلة ، تقـــول : 1 — اختزن البطل الماء فى برميل — 2 — أخفى البطل الماء فى الجبل — 3 — جاء بطل آخر فى شكل طائر وشرب الماء — 4 — طارد البطل الطائر وبعد ذلك أخرج الماء من جوفه ، فمن الذى حول هذه الاجابات الى حكاية تبين كيف جاء الماء الى الارض ؟ ، لابد أن هناك شخصا مجهولا جمع هذه الاجزاء ذات مرة بعضها الى بعض ، واعاد روايتها فى صورة فنية وفقـــا لما سيصير شكل الحكايات فى المستقبل ، وعندئذ أخذت الحكايات تنتشر بين الشعوب .

لقد كان ذلك الشخص المجهول أو الفنان الاول الذى أبدع الحكايات، هو الراوى الذى أمكنه ان ينقل تلك التصورات ، أو سلسلة الاجابات البسيطة الى بطل من الابطال ، أو ان يصور الصراع بين بطلين من أجل

شيء له قيمة — الماء — مما أدى أبي وحدة الموضوع والى تناقض بين الاشخاص وبذلك تمت المرحلة الاولى فى سبيل تكوين الحكاية الخرافية ونحن نتعرف فى عدد كبير جدا من الحكايات على التناقض بين الخير والشر والقوى والضعيف وبين الاخوة المخلصين وغيرهم من المنافقين وغير ذلك من المتناقضات المختلفة .

ثم نهت الحكاية بعد ذلك عن طريق تكرار الموضوع ثلاث مرات ، وهو احد القواعد الملحمية لاغلب أنواع الادب الشعبى ، فاثنين من أشخاص الحكاية يحاولان دائما الوصول الى الهدف لكن بدون فائدة ولا يصل الا الثالث دائما ، أو يحاول البطل تحقيق غرضه ، فيفشل فى المحاولة الاولى والثانية ، وينجح فى المحاولة الثالثة الخ ...

وقد أشار الاستاذ اندريه بولس فى بحثه « أشكال بسيطة » الى الشكل الادبى للحكاية الخرافية قال ، « أنها تشترك مع القصة فى بعض الامور ، فكلاهما يتضمن مجموعة عن الحوادث تجمع بينهما طريقة معينة فى العرض ، لكن فى حين تمثل القصة جانبا من جوانب الحياة ، فان حوادث الحكاية الخرافية لا تعيش الا داخل اطار الحكاية ، فان لها عالمها وهي تعيش فى مجال خاص بها ، وهي تمثل مضمونا ساذجا ، وتوضح الامور كما يجب أن تكون فى الحياة ، وتصور كل ما هو عجيب لا بوصفه أمرا عجيبا ولكن بوصفه أمرا طبيعيا ، كما أن لشخوصها ذلك الوجود الغير محدود .

ويرى الاستاذ ماكس لوتى، أن الخصيصة المميزة للحكاية الخرافية تتمثل فى كونها ذات بعد واحد وانها مسطحة وذات أسلوب تجريدى ، وهى وان كانت تحكى عن المردة والسحرة والاقزام فانها لا تنشىء علاقة مع عالمنا الممكن ادراكه ، اذ أنها ذات بعد واحد ، وهى كذلك لا تعرف التركيب المنطقى الدقيق ، كما أن شخوصها غير مجسمة بلا عالم خارجى أو داخلى ، بل ينقصها كذلك عالم المشاعر وتظل المشاعر والروابط وصلة القربى ذا مغزى اذا كانت هناك ضرورة لاستخدامها فى سياق الحكاية، حتي العنصر الزمنى لا تعرفه الحكاية ، وكلما ازداد سرد الحكاية وضوحا كان ذلك ضمانا لوصولها لهدفها وتأكيدا لاصالتها .

ويجب الوقوف هنا قليلا ، الوضوح ؛ يالها من كلمة ، انها تكشف السر ، فالوضوح هو الضمان الاكيد لبقاء الحكايات وحيويتها وقدرتها على الانتشار ، وهو دليل على الاصالة ، لكن كيف يتأتى هذا الوضوح ، وكيف

تكتسبه الحكايات ؟ والجواب هو ، عن طريق الرواة ، لكن من هو الراوى؟ فليس كل ن حكى حكاية يعتبر راويا ، فالمقصود هؤلاء الذين يتمتعون بالموهبة الادبية ، وبذاكرة جيدة ، ويستمتعون بما يقصون .

ومهما كان النقد الذى يوجه للرواة أحيانا ، فان ذلك لا ينقص من فضلهم ولا يقلل من أهمية الدور الكبير الذى قاموا به وما زالوا فى سبيل حفظ التراث ونشره ، يقول عالم انفوبكلور الالمانى « ديرلاين »« والذى يستحق أن ننصح به بصفة عامة فى عصرنا لحاضر بالنسبة لجمع الحكايات هو التزام سماتها الصادقة ، حقا اننا نعترف بعدم كفاية بعض الرواة أحيانا ، لكننا نعتقد علي العموم أننا نحصل عن طريق هؤلاء القصاصين وحدهم على صورة أكثر دقة للحكايات » ، ويستطرد « وهذه الافكار لم تغب عن بال الاخوين « جريم » ، — مؤسسى علم الفولكلور — فقد كان جاكوب جريم يطلب دائما لحكايته الخرافية ان تكون قدر الامكان ذات معالم كاملة ، وكم كان يود لو استطاع أن ينشر الحكايات فى صورتها الاصلية لو كان ذلك ميسرا ، ذلك لانه كثيرا ما كان يجمع بين أجزاء كثيرة من الحكاية ثم يقارن بعضها ببعض ؛ ويؤلف بينها فى شكل حكاية مكتملة بعد أن يسقط كل ما هو بعيد عن بنيتها العضوية وبذلك يخلق من الروايات العديدة غير الكاملة ، حكاية مكتملة ، لكن الرواة المجيدين مثل الفلاحة « فهمانين » والسيدة « دروتش فيلد » — التى أصبحت زوجة وليم جريم فيما بعد — استطاعتا أن تهدا الاخوين بأروع الحكايات القيمة التى ضمتها مجموعتهما المشهورة .

أما عن اسلوب الحكايات ، ورب قائل يقول ، وهل للحكاياب اسلوب مادامت تروى شفاهيا ، لكن المقصود الاسلوب الذى يكتب به جامع النصوص الحكايات ويدونها ، حين ينقل الحكاية من صورتها الشفاهية الى لغة صحيحة ، فليس من حق جامع النصوص أن يستخدم اسلوبه الادبى ، والا بعد عن الامانة الادبية التى يستوجبها جمع الحكايات ، فالحكاية لابد أن تكتب فى اسلوب سهل وبسيط وواضح (1) وكلما اقترب الاسلوب من صورة الرواية الشفاهية كان ذلك اضمن للنجاح . وفى تحليل علمى لاسلوب الاخوين جريم يعزو عالم الفولكلور « ديرلاين » النجاح

(1) — وهناك استثناءات قليلة بالنسبة لبعض الحكايات التركية و حكايات النور « الفجر » ويميل الرواة الشرقيين و بعض الرواة الالمان الى زخرفة الحكاية الخرافية .

الساحق المذهل للحكايات الى أسلوبها اللغوى فيقول ، « أما عن الصيغة اللغوية للحكايات الخرافية التى نقدرها تماما ونثق بها ثقه كامله ، فمصدرها « وليم جريم »، فقد كان يهدف الي أن يحكى الحكاية الخرافية وفقا لاحكامها ، اذ كان يشعر حقا بمشقة كبيرة فى نقل الحكاية من بنيتها الروائية الشفاهية الى صيغة مكتوبة تظل تحتفظ للحكاية بحيويتها وشكلها الخاص ، وهكذا نجد « وليم جريم » يختفى كلية وراء عمله الكبير فكثيرا ما تبدو لنا حكايته وكأنها لم تجد الاديب الذى يطبعها بطابعه وانما تبدو وكأنها تخرج من أفواه الشعب مباشرة ، ولعل هذا هو السر فى النجاح الفريد الذى أحرزه الاخوان جريم من حيث أن حكايتهما تمتلىء بالعناصر الفنية ويكتمل فيها ، هذا بالاضافة الي ما تتميز به من بساطة وقرب من روح الشعب ».

فليعذرنا القارىء الكريم الذى يميل الى البلاغة والمحسنات اللفظية من جناس وطباق وبديع ان افتقدها عند قراءه الحكايات ، وقابلة أسلوب بسيط ، لان هذا الكتاب جمعت فيه الحكايات ودونت ، وهو عمل تسجيلى لحفظ التراث ويقدم المعطيات والمادة الخام للكتاب والادباء والفنانين ؛ ليتيح لهم اعادة كتابتها بأسلوب أدبى رفيع ، أو اقتباسها ووضعها فى قوالب فنية حديثة كمسرحيات وتمثيليات وغير ذلك من وسائل بعثها وتطويرها ، كما فعل الرسام والموسيقى والفنان التشكيلى فى اغلب بلدان العالم ؛ لان بعث التراث يلعب دورا هاما ويساعد على تقدم الادب والفن .

اما عن جمع الحكايات التى استمر اكثر من خمس سنوات ؛ فلابد من اشارة موجزة اليه ، فقد تحريت ان اجد على الاقل روايتين لكل حكاية، واحيانا ثلاثة روايات أو خمس او اكثر ، واحتاج الامر الى صبر كثير وجلد ، وكان لا بد من مقارنة الروايات العديدة للحكاية الواحدة ؛ حتى يمكن الوصول الى حكاية مكتملة من الناحية الفنية والعلمية . ولذلك فانه بالرغم من جمعي لاكثر من ثلاثمائة حكاية ؛ الا انه لم يبق منها بعد المراجعة والمقارنة المضنية الا حوالى مائة حكاية ؛ اما الباقى فيحتاج الى مزيد من البحث وجمع روايات أكثر للحكايات الغير مكتملة حتى يتسنى تدوينها ، أما المائة حكاية فيتضمن هذا الكتاب ما يزيد قليلا عن نصفها . لان الباقي مازال يحتاج الى شيء من التنقيح والمراجعة ، والامل ان ينشر فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

لكن قبل المضي فى الكلام عن شكل الحكايات ، يجب أن نفرق بين الحكايات وبعضها ، فهناك أساطير وحكايات خرافية وحكايات ضاحكة وحكايات بطولة ، « وكلها أنواع من الادب الشعبي ، وهذا التصنيف قدمه لنا المتخصصون فى الادب الشعبي ، أما الشعوب نفسها فلم تعرف هذه التقسيمات ولم تفرق بين الانواع المختلفة من الحكايات . فحكايات الف ليلة تتضمن حكايات خرافية وأساطير وحكايات بطولة ، ومجموعة الاخوان جريم تحتوى علي حكايات شعبية وخرافية وأساطير الخ ، وكذلك الامر فى مجموعات الحكايات الهندية الكبيرة » ، وليس هناك داع للكلام عن كل نوع من الحكايات بالتفصيل مما يخرج بنا عن نطاق هذا الكتاب ، لكن لا مانع من الاشارة باختصار الى تلك الانواع من خلال الكلام عن شكل الحكايات وعن طريق مقارنة بعضها ببعض .

فمثلا حكايات البطولة يلقى البطل فيها نحبه دائما فى النهاية ، فهى ادب تراجيدى ، ولاتبدأ الطبيعة البطولية على الاطلاق الا من خلال هذه النهاية التراجيدية ، أما بطل الحكايات الخرافية فدائما تنتهى حياته نهاية طيبة ، كان يتزوج الاميرة ، او يتولي الملك او ينال هدفه وترجع له حقوقه الخ . . وهناك الاسطورة أو الاساطير وهى موغلة فى القدم ، مثل الاساطير الاغريقية المختلفة ، واسطورة « ايزيس وايزوريس » المصرية . وهناك « الفابولات » ، وهي الحكايات التى تضفى علي الكائنات الطبيعية وبخاصة الحيوان خصائص بشرية .

ولعل المقارنة بين الحكايات الخرافية والحكايات الشعبية ، وهما اهم أنواع الحكايات تبين خصائص كل منهما ، فالحكاية الشعبية تحكى عن الموضوع نفسه ، عن الحدث ، والعرض فيها أكثر علمية وموضوعية ، أما الحكاية الخرافية فتحكى عن البطل ، وهى ذات طريقة تجريدية فى العرض ، كما انها تسمو بالموضوع والصور الى درجة المثالية ، وعلى العكس الحكاية الشعبيه ، فهى حسية ، تصور فيها العوالم الاخرى فى دقة وتفصيل ، فهى تحكى عن العفاريت والمردة والجن ، فتتحدث عن ماضيهم وعاداتهم اليومية ، ولا تعرف الحكاية الخرافية مثل هذا ، فان تحدثت عن المردة والجن فانها لا تصفهم ، وهى لا تحكى عن العالم الاخر من اجل أن تثير فى نفوسنا تصورا له كما هو الحال فى الحكاية الشعبية ، وانما لتجد فى هذا العالم القوى التى تكون مساعدة أو معادية للبطل ،

ولهذه القوى وظيفة محددة دائما وهى أن تقود البطل الى الهدف المحدد من قبـــل .

والحكاية الشعبية تتميز بشكلها البسيط ، وهى لذلك لم تتعـــرض عبر مئات السنين الا لصور ضئيلة من التغيير ، وكثيرا ما نجد الحكايات الشعبية المتشابهة تعيش فى أماكن مختلفة تماما وترتبط بشخوص مختلفة، وليس هذا من قبيل الصدفة فان ما تحكيه الحكايات الشعبية الكثيرة يمكن أن يصادف كل شخص .

أما الحكاية الخرافية فبنية مركبة ذات شكل معين ، ولا تؤخذ مأخذ الحقيقة ، والنهاية السعيدة التى لاتصور حكاية خرافية بدونها تقترب لانموذج فن الميلودراما الحديثة ، وتتحرك الحكاية الخرافية بين ما هو جاد وما هو هزلي ، اذ غالبا ما تتواجد فيها الاشياء المفزعة الغريبة ، والافكار التى تفيض بالرقة ودقة الاحساس ، فهذه الاشياء وتلك ضرورية فيها على السواء .

أما الحكاية الشعبية فجادة فى طابعها وتؤخذ مأخذ الجد ، وينبغى لها أن تعيد ذكر المواقف التى حدثت فى الواقع ، وهى تبحث دائما وابدا عن شواهـــد تؤكد حقيقة ما حــدث .

لكن لا يمكن التعميم بصفة مطلقة والقول بأن الحكاية الشعبية تؤخذ وقائعها مأخذ الصدق وأن هذا لا يحدث أحيانا للحكايـــة الخرافيـــة ، لان الحكاية الشعبية قد تروى أحيانا مالا مغزى له كما أنه لا ينتفى فى بعض الحكيات الخرافية الغرض التعليمى والجدية .

واذا شئنا أن نختصر أحداث الحكايات الخرافية بصفة عامة نجدها تتلخص فى :

1 ــ بطل يحوز دائما مقدرة خارقة للعادة ، 2 ــ وجود كائن مهول (غول ، مارد ، عفريت ... الخ) يسيطر ويأسر المراة أو الاميرة ويكـــاد أن يقضى عليها ، 3 ــ يتدخل البطل وينقذ المراه بأن يدمر الكائن المهول ويتخلص منه بأى شكل ، 4 ــ ويفوز البطل بالاميرة فى النهاية .

والشخص أو البطل يعيش التجربة فى بؤرة الحكاية الخرافية ، لكن الحدث هو الذى يعيش فى بؤرة الحكاية الشعبية ، ومصير الشخص أو البطل هو الذى يفرض على الحكاية الخرافية الامتداد بالموضوع ، لكـــن

يمتد تسلسل الحكاية الشعبية بالحدث . فالحكاية الشعبية تعبير موضوعى اما الحكاية الخرافية فتعبير ذاتى ، وتقابل الحكاية الشعبية فى الانـواع الادبية الراقية القصة ، اما الحكاية الخرافية فتقابلها الرواية،وكل هذا بصفة تقريبية وليس بصفة قاطعـة .

لكن يجب القول انه لا يحق التحدث عن موضوعات خاصة بالحكاية الشعبية وموضوعات خاصة بالحكاية الخرافية ، فالحكاية الشعبية وغيرها من أنواع الحكايات المختلفة تتألف فى عمومها من نفس الموضوعات . وانما يجب التفرقة على أسس اخرى يهتم بها المتخصصون بالاضافة الى أن كثيرا من الحكايات لا يمكن تحديد نوعها . لان هناك سمات مشتركة بين أنواع الادب الشعبى كما سيجىء . وتشابها أو اختلافا فى الشكل والمضمـون بدرجات متفاوتـة .

وهناك نقطة هامة دارت حولها أبحاث علم الفولكلور سنين طويلة، وساهم فى بحثها علماء عديدون وهى كيف أمكن الاحتفاظ بالحكايات دون تغيير يذكر فى ملامحها الاساسية عبر المئات بل الالوف من السنين ؟

وقد قدم لنا الاستاذ «ألبرت فسلسكي» تفسيرا بين فيه أهمية وجود الراوى الذى أبدع الحكاية واعتنى بها ، قال « ان هذا الذى يسمـى «الشعب» كان يعمل دون أن يدرى على هدم الحكايات ، فلم يكن يجد فى بعض الاحايين اناسا يتمتعون بمثل هذا الاحساس بالجمال الذى تحلى به القصاصون القدامى ، ولذلك فانه من الضرورى ان تستهلك الحكايات وأن تفقد محتواها وأن تموت ، ما لم يحتفظ لها بنص مكتوب ، مخطوطا كان أم مطبوعا ، وعن هذا النص تنتشر الحكاية مرة اخرى بين الشعـب ثم لا تلبث أن تمسخ بحـق » .

ولا شك فى أن هناك شيئا من الحقيقة فيما قاله « فسلسكى » ، لكنه بالغ فى رايه هذا ، فقد اثبتت اكتشافات حكايات قديمة مدونه مثل الحكايات المصرية والبابليـة والهندية ، قدرة هذه الحكايات على الحياة آلاف السنين بين الشعب دون ان يعتريها تغيير يذكر فى ملامحها الاساسية ودون الرجوع لاية رواية مدونـة ، ثم أن الرواية المكتوبة التى يعتد بها « فسلسكى » كثيرا ليست فى الغالب سوى ما نقلته الرواية الشفاهية، لكن كان له الفضل فى لفت النظر الى أهمية الرواية المكتوبة ومدى تأثيرها فى الادب الشعبـى . لكن المشكل يظل قائما ، فلم يجد السؤال بعـد اجابة شافية ، فكيف يمكن تفسير هذا الثبات العظيم للحكايات ، وقد قدم

العالم الدنمركى المشهور « اكسل اوريك » تحليلا رائعا ، وعزا ذلك الى ما اسماه بالقوانين الملحمية للادب الشعبى .

فقد عرفنا أن الحكاية الخرافية لا تبدأ فجأة بالحركة ولا تنتهى فجأة. وذلك ما أسماه الاستاذ « اوريك » قانون البداية . وقانــون النهاية ، والادب الحديث يبرز الاحداث عن طريق تصويره للتفصيلات تصويرا دقيقا أو عن طريق استخدامه وسائل أخرى ، اما فى الحكايات فابراز الاحداث يكون عن طريق التكرار بصورة أكثر تركيزاً ، بل أكثر اقتصادا ، ويتصل ذلك بقانون العدد ثلاثة ، اذ يتحتم على الانسان أن يكرر المحاولة ثلاث مرات حتى يصل الى غرضه والمحاولة الاخيرة هى التى تتم بنجاح ، والاخ الاصغر هو الذى يصل الى ما حاول ان يصل اليه أخواه دون جــدوى ، وهذا القانون ذو طابع ملحمى صرف وتعرفه اغلب أنواع الادب الشعبى. اما قانون المشهد العام ، فيبين انه لا يظهر فى الموقف الواحد أكثــر من شخصين فى وقت واحد ، فاذا تصارع البطل مع التنين ، فان الاميرة فى هذه الاثناء لا تلعب أى دور يتطلبه موضوع الحكاية وهى لا تشترك فى الصراع الا بوصفها انسانا أبكم ، ولا تساهم مرة أخرى فى الموضوع الا بعد أن يقتل التنين . ويرتبط بهذا القانون ، قانون التناقض ، فالحكايات تصور النقيضين دائما ، الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، الخير والشر، الشاب والكهل الخ .. وقدم لنا الاستاذ « فالتر أندرسون » فى أبحاثه قانون الحق الذاتي للحكاية الخرافية ، وهو يعنى أن الروايات المختلفة العديدة لحكاية واحدة قد تنحرف قليلا عن صورة الحكاية الاصلية ، لكــن هذه الروايات المختلفة تتأرجح كليا حول نقطة ارتكاز لا تتغير دائما ، فقد تتباين هذه الروايات المختلفة عن بعضها البعض ، لكن الحكاية تظــل فى عمومها كما هى غير متغيرة وتبقى احقابا زمنية طويلــة .

ويعقب عالم الفولكلور الكبير « ديرلاين » على هذا الرأى فيقول ، اعتقد أن أندرسون على حق فى هذه الدعوى ، من حيث أن الحكاية ، وان انتشرت انتشارا بعيدا عن طريق مختلف القصاصين ، فانها تحتفظ بحقها الذاتى وتظل كما هى فى صورتها العامة فى الروايات المتعددة المختلفة ، ويحق لنا ان نتمسك بقانون « أندرسون » ، الحق الذاتي للحكاية ، فى تفسير ثبات الحكايات العظيم » .

ولعل هذه القوانين الشكلية الصلبة الخاصة بالحكايات وما يبدو على أطرها من ضيق هو فى الحقيقة ســر قوتها وقد ساعدت الحكايات على

الثبات والاحتفاظ بملامحها الاساسية ، فالحكاية التى نستمع اليها لاول مرة تبدو لنا معروفة الى درجة كبيرة حتى أننا نكاد نعرف مسبقا الخط الذى سيسير فيه الموضوع .

وقد سبقت الاشارة الى الاحساس بالشكل الذى يتحلى به رواة الحكايات المجيدون دون أن يعرفوا شيئا عن هذه التقنيات ، فقد أمكن لهؤلاء الرواة بما يتمتعون به من احساس متميز بالشكل ان يردوا الحكاية الضعيفه عن طريق تحويرها واعادتها الى شكلها المكتمل ، لكن كيف حدث هذا ؟ يجب ان نتوقف هنا لان الاحساس بالشكل ، أى السعى وراء نظام محدد فى التفصيلات يخضع لقواعد معينة لا يشمل نوعا من الحكايات فقط ، بل يشمل كل الانماط الشعبية الاخرى ، وهو الذى حدد شكل الحكايات وارغم ادباءها المشهورين فى عالم الادب ، وغيرهم من المجهولين فى الاوساط الشعبية ، ان يخضعوا جميعا لهذه القواعد ، فكيف حدث هذا الامر ؟ لان هذا السؤال لا يتعلق بالادب الشعبى وحده، فهو لا ينفصل عن السؤال عن اصل أدبنا بصفة عامة وعن عناصره الشكلية التى جعلت لكل الانواع الدرامية منها والملحمية والغنائية طابعها الخاص ، ان هذا من شأنه أن يبعد بنا عن الحكايات ، لكنه يبين لنا أن الحكايات لا تنفصل عن الاشكال الاخرى من أشكال التعبير عن الروح الانسانى ، وانها تمثل دائما وأبدا الجوهر والاساس الذى يستمد منه الادباء والفنانون ابداعهم .

فنحن نعتبر فن «هومير» و «سوفوكوليس» و «شكسبير» و« جوتة» الفن الخالد أو الثروة الخالدة التى هى ملك لكل الشعوب ، لكن هومير عاش فى ظل النسيان حقبة من الزمن تبلغ الف عام ، وعاش شكسبير فى نسيان بضع مئات من السنين ، ثم اجتهدت الاجيال وعملت وتعلمت حتى تمكن أدب شكسبير وجوته من غزو عقول بعض الشعوب ، أما الحكايات فقد عاشت على العكس من ذلك بين جميع الشعوب فى جميع الازمنة محتفظة على الدوام بحيويتها وجاذبيتها ، فحكاية الصدق والكذب المصرية وحكاية اللص الماهر التى رواها هيرودت وحكاية الحب والروح الرومانية، ما تزال تشبه الكثير من حكاياتنا المعاصرة ، وقد رأينا أن الحكايات فى الهند والصين واستراليا وأمريكا ولدى الفرس والعرب والشعوب الاوروبية ، تعد تعبيرا أدبيا يقبل عليه ويميل اليه كل شعب . ولذلك قام العلماء والباحثون وجامعوا النصوص بمجهودات شاقة جبارة لجمع

الحكايات ودراستها وتصنيفها وخاصة فى بداية القرن العشرين ، وكانت أكبر هذه الجهود هي التي قام بها علماء « المدرسة الفنلندية » وعلى رأسهم « كارل كرون » و « انتى آرنى » ، وانضم اليهم علماء كثيرون من بلدان العالم اجمع مثل « اولريك » فى الدنمرك ، و « جستون » و « كوكسون » فى فرنسا ، و « هرتر » ، و « كوكر و « بولتة » فى المانيا ، وقد سلمت للباحثين الحكايات التى جمعت من جميع أنحاء العالم وجعلوها فى متناول العلم . ووضعوا خطة لتصنيف الحكايات واكتشف «انتى آرن» نظاما للتدوين توسع فيه العالم الامريكى الكبير تومسون، الذى وضع بعد عمل شاق مضن دليلا لموضوعات الحكايات غايه فى الشمول والاكتمال ، وقد رتبت فيه الموضوعات وفقا للاغراض التى امكن الوصول اليها نتيجة فحص مادة هائلة من الحكايات والاساطير والفابولات . وقد كان الادب الشعبى موردا لا ينضب له معين للادباء والفنانين فى كل انحاء العالم قديما وحديثا ، فأغلب روائع « شكسبير» مقتبسة من الادب الشعبى مثل هاملت ، وروميو وجولييت وترويض النمرة الخ ... وقدم جوته « اميليوزين الجديدة » ودكتور فاوست ، وأعاد «يوجين أونيل» تقديم غاوست فى صورة جديدة .

أما الشاعر الروسى العظيم بوشكين ، فاقتبس من الفولكلور الروسى «روسلان ولودميلا» والغجريون ، وقدم ڤاجنر أوبرا « تربسان وايزولد » مستوحيا الاسطورة المشهورة ، واستغل موزارت أسطورة « أيزيس وايزويريس » وخلق منها أوبرا عالمية « الناى السحرى » . وفى العصر الحديث من الصعب حصر ما قدم فهو كثير مثل اسطورة « سيزيف » التى أعاد ألبير كامى كتابتها كمسرحية ، وقدمها جان بول سارتر كرواية « الغثيان » ، ومثل اسطورة الكترا ، التى قدمها جان جيردو كمسرحية ، ويوجين أونيل فى مسرحيته الرائعة « الحداد يليق بألكترا » ، وسارتر فى مسرحيته « الذباب » ، وأسطورة انتيجون التى قدمها جان أونيبى كمسرحية ، وكوكتو كمسرحية رسم مناظرها بيكاسو ، ووضع موسيقاها الموسيقى المعاصر « أونيجر » وأسطورة أوديب التى قدمها كوكتو فى مسرحيته « الالة الجهنمية » الخ ...

وفى لغتنا العربية قدم الحكيم « ايزيس » والفريد فرج ، الزير سالم ، « وعلى جناح التبريزى » وفى المغرب قدم الاستاذ عبد السلام الشرايبى مسرحية « الحراز » وهى من أجمل المسرحيات التى شاهدتها ومسرحية « سيدى قدور العلمى » .

والحكايات فى مراحلها الاولى لا يمكن فصلها عن بداية المراحـــل الاولى للانسـانية ، فهى عون لا غنى عنه لعلم الفولكور وعلم حضارات الشعوب . اذ انها تكشف لنا عن تطــور حياة الانســان الروحيـــة والاجتماعية ، كما انها انتقلت من شعب لاخر فساعدتنا على اكتشاف بعض العلاقات والتأثيرات بين الشعوب بعضها البعض . ولولاها لظلت هذه العلاقات والتأثيرات محتجبـة .

ان الادب الشعبى هو الادب الخالد . ودراسته تؤدى الى ادراك أسس الادب بصفة عامة ، ذلك أن تاريخ الادب حين يتجاوز حـــدود الادب الرسمى. ويحاول أن يشمل بأبحاثه أسس الادب وطبيعته بصفة عامة ، فانه يتحرك خلال تصورات مضطربة وتعسفية للغاية . فكل من اراد ادراك طبيعة الادب حقا، فعليه ان يوسع دائره مجاله. كما ينبغى عليه أن يدخل فى هذا المجال الشعر المحفور على القبور، وفى اقدم الكتب، وكذلك نقوش البيوت والحكايات التى تتضمنها كتب التقاويم والمجموعات القديمـــة والحديثـــة للحكايات .

ان الادب جميعه يبدو كيانا قائما حيا يتحرك على الدوام ، يخرج منه الادب الرسمى ثم يعود ليصب فيه ويمتزج به من جديد . حتى يخرج من ذلك ادب جديد مرة اخرى .

فالنظرة الى التراث الشعبى بأسره بما فى ذلك الحكايات الخرافية والشعبية والاساطير والموسيقى الشعبية والفن الشعبى بصفة عامه . يجب أن تكون نظرة تقدير وتبجيل فـــالادب الشعبى — كمـــا حـــدث بالنسبة لمجموعة الاخوان جريم — يقدم معطيات قيمة ونادرة للادباء والفنانين . وقيمة العمل الفنى ترجع للكفاءة والموهبة ، والفن تناول. ويكفى الادب الشعبى فضلا أنه يضفى على الاعمال المقتبسة من التراث. ان كانت رفيعة ، صفة الاصالة ؛ وهى صفة أساسية لاى عمل فنـــى عظيم. وربما كان الادب الشعبى المصدر الاصلى لكل ادب ، ويكفيـــه فخرا أن الحكايات وحدها استمدت موضوعاتها من تصورات كل الازمنة والحضارات وصاغت ذلك فى صور فنيـــة جميلة وعجيبـــة ومشوقه . وهاجرت فى شكلها الفنى المكتمل الى اغلب بقاع العالم ، ومن ثنايـــا الحكايات تشرق فكرة عظيمة تتوق لوحدة الانسانية ؛ فهى تمثل الان بحق الحصيلة المشتركـــة لكل الشعوب .

من النهار الأول كايموت(1) المش(2)

افترق الصديقان ، وسافر احدهما الى بلدة بعيدة ، وتزوج كل منهما دون أن يعرف الآخر .

ومضت ثلاث سنوات ، وعاد الصديق من رحلته ومعه زوجته ، وذهب ليزور صاحبه، وأخذا يتبادلان الحديث، حتى اشتكى احدهما للآخر من سلوك زوجته وقال :« الحق يا صاحبى ، آن ما يضايقنى منها أنها تعاملني بقسوة ، فان كلمتنى رفعت صوتها ووجهت لي الكلام وكأنها تسبنى ، وكما أن مطالبها لاتنتهى وعلى أن البيها ، وان تأخرت قليلا عن ميعاد رجوعى الى الدار لا تتورع عن اهانتي ، وأحيانا تضربنى ، ان امرأتي شرسة » .

فتعجب الصديق وأسف لما صار اليه حال صاحبه ، فقال له ، « ربما كنت أنت المسؤول عن ذلك ، فقد كان يجب عليك أن تفعل كما فعلت أنا ، فقبل أن أتزوج سمعت الكثير عن زوجتى الحالية ، وانها قوية وقاسية ، ونصحتنى أمي أن لا أتزوجها ، فقد خافت أن تسىء معاملتى وتسبب لى الهم والمشاكل ، ولكن فى أول يوم بعد العرس ، جاءت قطة ونحن نتناول طعام الافطار ، وخطفت الخبز ، فأمسكت السكين بسرعة وطعنت القطة طعنة قاتلة ، وما أن رأت زوجتى ذلك حتى صارت تخشى بأسى وتعاملنى معاملة طيبة » .

ففرح الصديق حين سمع هذه الحكاية ، وشكر صاحبه على نصيحته ، وفى اليوم التالى ، احضر قطة وأثناء تناول الطعام ، قرب قطعة من اللحم اللذيذ من القطة عمدا ، فاختطفتها القطة وأكلتها ،

---

(1) ـــ كايموت : يموت

(2) ـــ المش : القط



فاسرع وأمسك بالسكين وطعن القطة، فقتلها، فصرخت زوجته وغضبت وأخذت تسبه وتلعنه

فأسرع وأمسك بالسكين وطعن القطة فقتلها ، فصرخت زوجته ، وغضبت وأخذت تسبه قائلة ،« انك لرجل مجرم سفاح ، لماذا قتلت القطة الصغيرة المسكينة ، الأنها خطفت قطعة من اللحم ، ايها الجشع البخيل ، والله لاذهبن الي القاضي واشكو اليه ما فعلت؟» ، فاندهش الرجل وكان يتوقع نتيجة مخالفة لذلك ، وخاف زوجته ، وتلعثم ولم يدر ماذا يقول لها ، ومضت تسبه وتؤنبه ولا تكف عن الصياح .

فذهب الى صديقه وحكى له ما حدث ، فقال له الصديق ،« لقد تاخرت ، كان يجب عليك فى أول يوم ان تقتل القطة ، لا بعد زواجك بثلاث سنوات » قالها باللهجة الدارجة « فى النهار الاول كسايموت المش » وصارت مثلا .

زوجة من الريف

كان الرجل فقيها يقرأ القرآن ويعلم الصبية القراءة والكتابة ويؤم الناس فى الصلاه ، وعاش فى احد احياء المدينة محترما ومقدرا طوال حياته .

ولم يكن له الا ابن واحد ، أنشأه ورباه على التقوى والصلاح ، وحين مات الفقيه . كان الابن قد اصبح رجلا ، فاجتمع تلاميذ الفقيه ومريدوه وقالوا للابن ،« من مات وترك ذرية صالحة فكأنه لم يمت ، ونحن نعرفك وعهدنا فيك الصلاح والتقوى . وانت خليفة لابيك ، فلتؤمنا فى صلاتنا وتكمل وعظنا وارشادنا وتعلم أولادنا كما فعل أبوك من قبل».

ولم تمض سنوات حتى جاءوا اليه وطلبوا منه ان يتزوج ، وعرضوا عليه بعض البنات من اهل الحى . لكنه رفض وابى وصمم أن يتزوج فلاحة من الارياف ، لانه يؤمن أن اهل المدينة مراوغون . وأصحاب حيل ، وأن نساء المدينة اغلبهن لصات وسارقات وغير مخلصات . ولا يعرف احد من أين جاءته هذه الافكار ، وعلى اية حال قال له الناس ، فلتتزوج بمن تشاء . المهم ان تتزوج . فخرج الفقيه الشاب من المدينة وذهب الى القرى والارياف ليبحث عن زوجة فلاحة . وحمل معه القرآن الكريم وكتب الدين الشريف . حملها فوق كتفه بعد ان وضعها فى كيس كبير .

وفى يوم دخل احدى القرى وجلس فى وسط السوق ، فالتف الشبان حوله . وقد ظنوه احد المغنين او رواة الحكايات. لكنه ما ان وضع كيسه على الارض واخرج كتبه واخذ يقرأ القرآن حتى انفضوا من حوله ، ولم يبق أمامه الا فلاحة عجوز جاوزت السبعين من عمرها . فقال لنفسه،



ولم يبق أمامه الا امرأة عجوز جاوزت السبعين من عمرها.

ليكن . كفانى هذه العجوز الطيبة تستمع آلى . ومضى فى قراءته ، والمرأة تنظر اليه وتبكى ، وهو يقرأ وهى تبكي ، حتى انتهى ، لكنها استمرت فى بكائها بعد أن سكت . فسألها الفقيه :« ما الذى يبكيك يا أماه ؟»، فلم تجبه . وبكت . فقال لها :« يالك من عجوز طيبة تبكين تاثرا بكلام الله تعالى »، فلم ترد عليه ومضت فى بكائها فقال لها : « لعلك مؤمنة تقية تخشعين عند سماع كلام الله » . فكفكفت العجوز دموعها وقالت له :« والله لقد نظرت اليك والى لحيتك الصغيرة وهى تتطاير فى الهواء فذكرنى شكلك بخروف كان عندى . سرقه اللصوص ، فبكيت لاننى تذكرت الخروف وهو كل ما كنت أملك » ، ومضت تبكى .

فرجع الفقيه الى المدينة واسرع الى تلاميذه ومريديه وطلب منهم أن يبحثوا له عن زوجة من اهل المدينة . لانه غير رايه ، وسالوه عن السبب ، فحكى لهم ما حدث له فى سوق القرية مع العجوز ، وقال : « اذا كان هذا حال الفلاحة العجوز فكيف يكون حال الشابات الصغيرات؟ » .

5

السلطان الكبير والسلطان الصغير

تشاجـــر رجل مع صاحبه وتخاصما ، وقاطع كل منهما الاخـــر ، وكان حتي لو قابله لا يقرأه الســـلام .

ومضى عام وتدخل الاصدقاء ، وأمكنهم بعد لاى وجهد أن يصلحا بينهما ، وذهب الرجل مع صاحبه يوما الى الغابة وجلسا ليستريحـــا ، فقال الرجل لصاحبه ، « انني أود أن أحلق شعر راسى ، فان كان معك موسى فأرجوك أن تحلق لى شعرى »، فأجابه صاحبه ، « نعم لحسن الحظ معى موسى ، وسأحلق لك » .

وبدأ يحلق بالفعل، وكان قلبه مازال مملوءا بالحقد، فوضع الموسى على رقبة صديقه وقال له ،« لايوجد مخلوق معنا ، فلو ذبحتك فلن يعلم احد بالامر »، فأجاب الرجل ،« لو ذبحتنى فالسلطان الكبير يفضح جريمتك ويوصل الخبر الى السلطان الصغير » .

وكان الرجل يبغض صاحبه ويريد قتله ، فذبحه فى الحال ، وحفر حفرة بجانب شجرة ودفنه فيها ، وعاد الى داره ، خائفا يرتجف ، ولكن الايام والاشهر والسنوات مضت ، ولم تكتشف الجريمة .

وبعد ثلاث سنوات ، تذكر الرجل ما حدث ، فسار الى الغابـــة وذهب الى نفس المكان الذى دفن فيه صاحبه بجوار الشجرة ، فرأى كرما له أوراق ذات لون أخضر زاه ، وتتدلى من الكرم عناقيد مستوية الشكل ذات حبات كبيرة من العنب الاصفر الجميل ، فمد الرجل يـــده وقطف عنقودا وأكل منه ، فوجده احلى من السكر ، وشـــم رائحتـــه العطرة كرائحة المسك ، فتعجب ، وخاصة ان الوقت كان شتاء ، حيث



وتناول السلطان عنقودا من العنب وصرخ لأنه شاهد في السلة رأس الرجل المقتول الحليقة تقطر دما.

لا ينضج العنب ولا يوجد ، فأحضر سلة وملاها بالعنب ، وذهب الى السلطان ليهديه هذا العنب الفريد من نوعه وفى غير موسمه .

فلما مثل أمام السلطان قبل الارض بين يديه ، وقدم له هديته ، فاندهش السلطان لجمال عناقيد العنب ولعطرها الفواح ونضجها فى غير أوانها ، وتناول السلطان عنقوداً من العنب ، وصرخ لانه شاهد فى السلة راس الرجل المقتول الحليقة تقطر دما ، فهتف وسأل الرجل ، « ماذا احضرت لى » ؛ وراى الرجل راس صاحبه فى السلة تنزف منها الدماء ، فصرخ ، « لكننى لم أحضر الا عناقيد العنب » ، وحكى للسلطان القصة من أولها ، فقال له السلطان ، « لقد فضح السلطان الكبير جريمتك واوصلنى الخبر » ، وامر السلطان ان يقطعوا رقبته كما فعل مع صديقه .

(1)

بهوت النسا

كان لتاجر غني ابنة وحيدة جميلة . غاية فى الذكاء والفطنة ، تعيش فى دار ابيها الكبيرة ولا تؤنس وحدتها بعد موت أمها سوى جارية اثيرة لديها ، وكانت هناك بجوار دارها ، دار صغيرة يملكها فقيه شاب، يسكن فيها ويستخدمها فى نفس الوقت كمدرسة صغيرة« مسيد » (2) يعلم فيها الاطفال مبادىء القـــراءة والكتابة والحساب واصول الديـــن ويحفظهم ما تيسر من القرآن الكريم ، وكانت الفتاة ترى الفقيه الشاب كثيرا ، فلفت نظرها طوله البادى واستقامة عوده ورجولته الفياضة ، وصوته الرنان المؤثر وهو يلقى الدرس أو يقرأ القرآن ويعلم التلاميذ، وكان تقيا ، اكتسب احترام الناس وحبهم بسلوكه القويم وأدبه الجم . ووقعت الفتاة فى حبه دون أن تدرى، وبدأت تنتحل المعاذير، فتفتح النافذة المواجهة فى الوقت المعين الذى تعرف انه يخرج فيه أو يدخل الى داره ، وتنتهز الفرصة فتحييه قائلة :« صباح الخير أو عم مساء »، فكان الفقيه الشاب ينظر الى الارض ، ويرد التحية فى أدب ولطـــف دون ان ينظـــر اليهـــا .

واشتعل الحب فى قلب الفتاة فتغير حالها ، وعافت الطعام ، وكثر شرودها وأصابها الوهن ، وأعترفت لجاريتها الاثيرة بما تقاسيه من ضنى الحب وعذابه ، لكن ما العمل ؟ ان أباها تاجر غنى،وهـــو يرفـــض أن يزوجها الا لشاب ثرى من اسرة كبيرة ، أما الفقيه الشاب فلن تشفـــع له عند أبيها وسامته وسجاياه الطيبة ، وهى لا تقدر أن تعترف بحبهـــا لابيها . ولم تكن تدرى أن الفقيه الخجول هو أيضا يقاسى ما تقاسيه ،

(1) — بهـــوت : حيـــل

(2) — ويسمـــى فى مصـــر الكتـــاب والجمع كتاتيب .

وتكوى قلبه نيران الحب المشتعلة ، وحاول الشاب أن يتغلب على حبه بالصلاة وقراءة القرآن والاوراد ، والانهماك فى العبادة ، وكان يقرأ كثيرا من الكتب والفتاة تراقبه، وتتبع خروجه ودخوله وحركاته وسكناته، وكانت دائما تحييه فى الصباح ، وتقرأه السلام ، وتنتهز الفرص لتراه .

وفى يوم بعد أن حيته ، سألته سؤالا غريبا ، قالت له : « هل قرأت كتاب بهوت النساء ؟ » ، فأطرق كعادته وأجابها ، «لا ، الحق اننى لم أقرأ هذا الكتاب » ، وظلت تسأله كل يوم بعد أن تحييه : نفس السؤال ، ويجيبها نفس الاجابة .

وبعد أسبوع احضرت وعاء من الفخار وملاته بنوع ممتاز من زيت الزيتون وأمرت جاريتها أن تضعه فى الصباح الباكر تحت نافدتها، فنفذت الجارية الامر ، وعندما خرج الفقيه من داره وجد الوعاء الملئ بزيت الزيتون أمامه ، وأطلت من النافذة وهتفت به ، « صباح الخير » ، فلم ينظر الى أعلى وخفض بصره وأجاب : « صباح الخير » ، لكنه رأى صورتها منعكسة على سطح زيت الزيتون الشبيه بمرآة ، فأشاح البصر ، فقالت فى رقة ، « لا، بل أنظر الى دون أن ترفع بصرك ، سترانى هناك فى الزيت » ، واضطرب وخفق قلبه المتيم بحبها ، ولم يجب ، فابتسمت ، وظل ينظر فى الزيت وكأنها أمامه تواجهه ، ورد بصوت منخفض ، « هذا حرام » ، فأجابته فى صدق وبصوت حنون ،« لا ، أود وأرغب أن أتزوجك ، لاننى أحبك »، فذهل الشاب لما سمع ولصدقها الذى ينعكس على ملامح وجهها الفتان واهتز من أعماقه وهتف ، « لكن ما العمل ؟ ، ان اباك لغنى واننى لفقير ؟ »، فهزت رأسها تنفى هذه الفكرة وقالت له ،« أعرف كل شىء عنك ، فأنت تملك هذه الدار الصغيرة ، بعها وأنا أعوضها لك، واذهب الى أبى وادفع ثمنها صداقا لى » ، فضحك فى يأس ، وأجابها ،« حتى لو بعتها ، فان ثمنها لقليل ، ولن يرضى به أبوك صداقا لك ، وأنا لا أملك غيرها ، وهى مدرستى ومسكنى » ، فردت عليه ، « اننى واثقة مما أقول ، بع الدار واقبض الثمن ، واخبرنى حين تتم هذا العمل وأنا سأدبر لك خطة » .

وباع الفقيه الشاب داره ، فطلب منه المشترى أن يخليها ، فرجاه أن يصبر قليلا ، وخرج فى اليوم التالى فى الصباح ينتظر أن تطل الفتاة من النافذة ، وحين رآها خفق قلبه وفرح ، وأخبرها انه



لكنه رأى صورتها منعكسة على سطح زيت الزيتون الشبه بمرآه ...

قد باع الدار ومعه المال . وسألها ان تبين له ما تود منه أن يفعله لانه يريد أن يقابل اباها ويخطبها منه . فأجابته . بأن عليه أن يذهب لابيها ويطلب منه أن يتزوجها . ويقدم له ما يمتلك من المال كصداق . واكدت له ان اباها سيوافق . لكن لانه يحبها ولا يود أن يفارقها . فسيحاول ان لا يتمم الزواج وسيقول له . ان ابنتى كسيحة ومشلولة وقبيحة وقصيرة وخنفاء . وثقيلة السمع ولا تصلح ابدا للزواج . فعليه عندما يسمع هذا الكلام ان يرد . انني موافق على الزواج منها وأنا اعلم وأعرف كل هذه العيوب . وعليه أن يشهد الشهود على هذا الكلام . وعندئذ سيضطر أبوها للموافقة على الزواج . وعليه ايضا أن يطلب من ابيها ان يعجل بالزواج ويحدد الموعد بعد يومين . فهز الفقيه رأسه اعجابا بسعة حيلتها وذكائها . وبينت له ان اباها لا يرغب أن يقابل أى خاطب لها فى الدار . بل يفضل ان يلقاه فى الحانوت . ووصفت له الحانوت . وقالت : « ان ابى مشهور . وهو الحاج فلان وحانوته معروفة فى السوق » .

فأسرع الشاب الى الاب فرحا والقى عليه السلام . وفى خجل طلب منه ان يزوجه ابنته واظهر استعداده لدفع مبلغ معلوم هو ثمن الدار الذى يحمله معه . فرد عليه الاب . « يا بنى . لا امانع ولكن ابنتى كسيحة ومشلولة وقصيرة وخنفاء (غنانة) وثقيلة السمع ، وقبيحة الشكل . ولا تصلح للزواج ابدا » . عندئذ اجاب الشاب فى هدوء . « اننى راض بكل هذه العيوب واعلمها ، وعلى استعداد ان يشهد على الشهود بذلك » . فأعاد الاب الكلام واوضح عدم صلاحية ابنته للزواج وبين عيوبها مرة ومرات . لكن الشاب أصر على طلبه وقدم المال وطلب ان يعجل بالزواج . فقال الاب . « اذن فلتتزوجها الان » ، وأرسل لاحضار العدول [1] وكتبوا عقد الزواج ، واستلم الاب المال ووعد الشاب أن يرسل اليه ابنته فى الصباح .

فخرج الشاب من الحانوت لا تسعه الدنيا من الفرحة ، لقد تحققت آماله وتزوج محبوبته ، وكم كانت جميلة ، وذكية ، وذات صوت حنون وبسمة فتانة ، انه لا يصدق ، لقد كانت بعيدة المنال ،

[1] — العدول : أعوان القاضى الشرعى فى الاحوال الشخصية ، يقومون بما يقوم به « المأذون » فى مصر .

والحلم أصبح حقيقة ، وقد وعدته أن تعوض له ما قدمه من مال . وهل يهم المال ؟ .

ولم يستطع ان ينام حتى الصباح . وظل مستيقظا يفكر في السعادة المرتقبة . وفي الصباح الباكر . سمع طرقات على الباب ففتحه . ورای اثنین من الحمالين يحملان محفة صغيرة . وبادراه بالتهنئة وطلبا المكافأة . وأنزلا من المحفه شيئا شبيهها بامرأة . وادخلاها الدار ، فذهل الشاب . فقد رای امرأة قصيرة كسيحة . شبيهة بقرد . مشلولة وقبيحة ، وأعجوبة من الاعاجيب . وسألهم ، « ماهذا ؟ » . فضحكا ، واجاباه :« زوجتك » . وسمع صوتا أشبه بنقيق الضفادع يقول ، « أهلا بك يا زوجي العزيز » . فصرخ «ما هذا ؟ » . فحكى له الحمالان أن فلانا التاجر ، وكان هو التاجر الذي تزوج ابنته . قد أعطاهما دينارا نظير أن يوصلا العروس الى دار زوجها الفقيه فلان الذي تزوجها البارحة ، ولما كانت كسيحة مشلوله فقد حملاها واحضراها اليه .

فصعق لما سمع ولما رای ، فأخذ يردد مشدوها . « غير معقول ، هذا غير معقول . لقد لعبت بی افتاة و سخرت منی . آه من النساء » .

ورويدا ، رويدا تأكد مما حدث وكأنه أحداث اسطورة من الاساطير ، ياللفظاعة لقد باع داره وخسر كل ماله وتزوج هذا الشيء المسكين القبيح الذي يفترض انه امرأة ، واخذ يفكر . ومر في خاطره السؤال ، هل قرأت كتاب بهوت النساء ، هل قرأت كتاب بهوت النساء ؟ ، لكن ايصل الامر الى هذه الدرجة ، هذا غير معقول،وكاد أن يجن .

وخرج من داره ووقف تحت نافذتها يود أن يصرخ ويصيح ، « أيتها المحتالة الخداعة » ، وفتحت النافذة وأطلت عليه ، وهم أن يهتف بها ويسبها وينفجر غضبا ، لكن ما أن رآها ولمح وجهها المشرق الفتان، وأظهرت عيناها الالم لما وجدته فيه من كرب وضيق وحنق ، فسالت دموعها وبدا الحنان يغمر وجهها وضحكت في براءة وسألته ، « هل قرأت بهوت النساء ؟ » فوجم وسكت وهز رأسه ، كأنه يقول، نعم قرأته ، وأی قراءة ، انه العجب العجاب ، ورفع يديه محتارا ،

مبلبل الفكر . لقد رآها تبكي ، ربما ندمت على ما فعلت من جريمة . لكنها لم تدعه سوى لحظات قصيرة حتى قالت له . « عدني أن تتزوجني وأنا أنقذك من زوجتك القبيحة » . فاندفع يقول لها : « أعدك ! هذا غير معقول . ألم ابع الدار وهى كل ما املك ورضيت ان ادفع ثمنها صداقا ونفذت أوامرك، انا لا أصدقك ولا أفهمك ، لقد اسأت الى وسخرت مني » . فلم تدعه يكمل كلامه . وصاحت به . « اسمعنى لقد فعلت ما فعلت لانني أحبك واريد الزواج منك . ان ابى غنى ولا يمكن أن يرضى بك . لذلك دبرت هذه الحيلة لاغنيك فتقدر أن تتزوج بى ويرضى أبي بزواجى منك » .

فاستفسرها عما تعنيه فاستطردت قائلة : « ان الرجل الذى تزوجت ابنته الشوهاء لتاجر أغنى من ابى ، والان عليك أن تذهب الى سوق الحمير ونشترى حمارا أجرب رخيصا . وضع فوقه قفة وضع فيها زوجتك . وأمش الى السوق وناد كما ينادى المتسولون واطلب الصدقة من اجلها ، عندئذ سيجيء اليك ابوها ويطلب منك أن تكف عن التسول بابنته » . وبينت له ماذا يقول لابيها . وان يرفض أخذ الصداق الذى دفعه ولا يرضى الا بوزنها ذهبا .

ونفذ الشاب ما قالته ، وحمل زوجته فى قفة فوق حمار اجرب ، وذهب الى السوق ، وأمام حانوت ابيها أخذ ينادى ويتقن النداء ، وطلب الصدقة من أجل الكسيحة ، من أجل المشلولة ، من اجل المرأة الشوهاء ، فالتف الاولاد حوله وخرج التجار يتعجبون واجتمع الناس يتساءلون ما الخبر ، واسرع جار الى أبيها يخبره ، فخرج من حانوته يجرى غير مصدق ما يرى ، وامسك بالفقيه الشاب ، ورجاه ونهاه عن هذا السلوك الشائن ، وصاح به ، « كيف سولت لك نفسك ان تعرض ابنتى فى الاسواق فوق حمار اجرب داخل قفة وتطلب من اجلها الصدقة ، وانا ابوها من أغنى التجار واشهرهم » ، فرد عليه الفقيه الشاب فى ثبات وهدوء وقال ، « انني لم آت عملا قبيحا فهذه زوجتى وانا اطلب الصدقة لاننى فقير » ، فصاح التاجر ، ولكننى تاجر وغنى ولى مكانتى وسمعتى ، وقد بينت لك واوضحت عيوبها »، وأخذ الناس يزجرون الشباب ويلومونه على فعله القبيح ، لكن الشاب كان حاسما وحازما ، فأجاب التاجر ، « نعم انك لم تخدعنى وبينت لى عيوب ابنتك ، وقلت لى انها كسيحة ، ومشلولة

وقبيحة وثقيلة السمع ولا تصلح للزواج ، وقد قبلت كل هذه العيوب ورضيت بها ودفعت لك مبلغا كبيرا من المال كصداق لها ، وانـا لا لا اعترض ولا احاول طلاقها ، لكن الست معى ، ان امراة بهـــذه الصفات لا تصلح للزواج وقد قلت أنت نفسك هذا الكلام » .

فهتف التاجر ،« اذن لماذا تزوجتها ؟ » ، فرد الفقيــه الشاب ، « لاسترزق بها ، انها لا تصلح للزواج ، فقد كان غرضى وما زال ، أن استرزق بها ، أن أتسول بها ، وخاصة أننى فقير لا أمتلك شيئا أفهمت ؟ » ، فاقتنع الناس وقالوا ، الحق فى جانـــب الفقيه ، عندئــذ عرض التاجر أن يرد للفقيه الشاب الصداق نظير أن يطلقها ، لكنه رفض، فعرض التاجر مبلغا مضاعفا ، فلم يـــرض الفقيه ، وظل الاب يساوم ويرجو حتى عرض أن يزنها بالذهب ، فوافق الفقيه وطلقها ، واخذ اكيـــاس الذهب ورجع الى داره .

واسرع ووقف تحت النافذة وكأنه على ميعاد ، فقـــد فتحــت الفتاة النافذة فى الحال وابتسمت له ، ورأت أكياس الذهب ثقليـــة بين يديه ، فسألته ،« هل نجحت الحيلة ؟ » فأجابها ، « نجحت » ، فهبطت اليه وقالت له ، « لكننى أخاف ، فأنت لا تعرف التجار وربما يكون أبوها قد خدعك وغشك واعطاك ذهبا مزيفا » ، فسألها مرتبكا وقد خاف أن يكون أبوها قد خدعه ، « وكيف نتأكد من أن الذهب غـــير مزيف ؟ » ، فأجابته ، « ان جارتى تعرف الذهب خيراً من صانعه ، أعطني الذهب » ، فأعطاها الذهب ، فأخذته ودخلت الدار ، ووقـــف ينتظر النتيجة ، وغابت الشمس ولم تخرج اليه مرة ثانية ، لكـــن بعــد مـــدة اطلت من النافذة ، فسألها ، « هل الذهب حقيقى أم مـــزيف ؟ » ، فردت عليه مندهشة ، « اى ذهب » ، فدارت بــــه الدنيا ومر فى خاطره ، السؤال ، هل قرات كتاب بهوت النســـاء ، وتذكر الحيلة الاولى حين دفعته الى الزواج بالمراة الشوهاء وظـــن انها ستستحوذ على الذهب ولا ترده اليه ، لكنه حين أبصر وجههـــا المشرق وعيونها الصادقة ، ازدادت حيرته ، وتبلبلت أفكاره ، فهتـــف بها ، « بالله لا تسخرى منى ولا تسحقى قلبى ، أنا لا أفهمك »، فقالت له ، « اذهب الى أبى واخطبنى ، وعندئذ سأعطيك الذهب لتقـــدم منـــه الصداق لابـــى » ، فهتف من قلبه « اى ذهب الم تتأكدى مـــن حبى بعـــد ، لقد أحببتك منذ وقت طويل ، وفاض حبى حين رأيت

صورتك فى زيت الزيتون ، وبعت دارى ، ونفذت أوامرك وأنا أسير حبك وليس لى أمل فى الحياة ولا أحلم الا بالزواج منك ، خذى الذهب » ، فرددت بصوت مؤثر حنون « لقد تأكدت من حبك ، لقد تأكدت من حبك » ، وأعطته الذهب ، وذهب الى أبيها ودفع المهر الغالى وتزوجها ، وعاشا سعيدين ، وكان دائما يقول لها ، لقد قرأت كتاب بهوت النساء ، ياله من كتاب ! .

الحمار الذكي

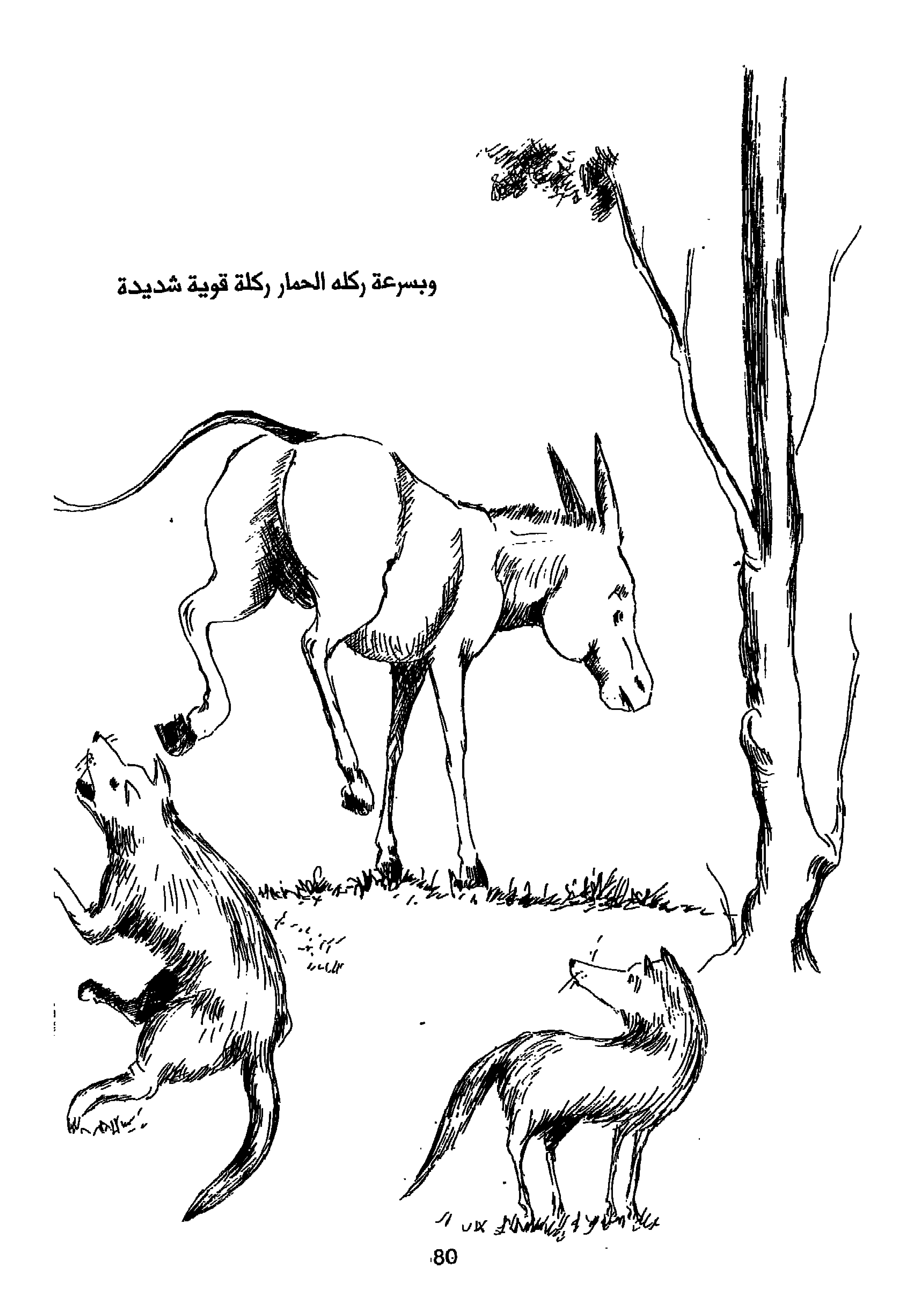
يروى انه كان هناك ذئب عجوز يعيش فى الغابة ، وقد تقـدم فى العمر الى درجة أنه أصبح غير قادر على الصيـد والحصول على طعامه ، فلم يعد فى امكانه ان يجرى بسرعة ويطارد فريسته ، فقـد ضعف وخارت قواه . وفى يوم بينما كان الذئب العجوز يسير فى الغابة، وقد أمضه الجوع ، قابل ثعلبا عجوزا ، ضعيفا مثله وأكثر منه جوعا، وبعد ان تبادلا التحية والسلام سارا بجوار بعضهما يتبادلان الحديث عما يقاسى كل منهما فى هذه الايام العجاف المريرة ، وتذكرا الماضى وايام الشباب والكميات الكبيرة من الطعام التى كان من السهل الحصـول عليها، وأخذ كل منهما يحكي للاخر عن ما كان يصيده ويأكله ، فأضر بهما ذلك غاية الضرر ، فقد سال لعابهما ، وشعر كل منهما بآلام الجـوع الحادة ، فهتف الذئب ، « يا أخى الثعلب ، لقد عرف عنك المكر والدهاء وقدرتك على اتيان الحيل العجيبة ، الا يمكنك ان تجد لنا طريقة لنحصل على شىء من الطعام، أرجوك، انني واثق من ذكائك ومهارتك »، فابتسم الثعلب العجوز ، وقد أثار فيه مديح الذئب شيئا من الغرور ، وتنهد وأجاب قائلا : « ان الامور صعبة هذه الايام ، لكن لو كنا سعداء الحظ لصادفنا خروف شارد عن قطيعه ، فافتراس الخراف اسهل انـواع الصيد ، واننى لاتمنى ذلك من اجلك فقط يا اخى الذئب ، اما انا فتكفينى دجاجة أو بطة صغيرة » .

وأثار حديث الثعلب عن خروف ضال شهية الذئب ، فأسرع فى خطواته ، ومضى ينظر هنا وهناك لعل الحلم يتحقق ويكون سعيد الحظ ، كما قال الثعلب .

وبعد برهة من الزمن توقف الذئب فجأة عن السير وهتف منفعلا: « أنظر انظر هناك »» وأشار الي حقل بعيد ، ونظر الثعلب ودقـق النظر ، لكنه لم ير شيئا ، فسأل الذئب ،« ماذا تقصد يا أخي الذئب ، أنا لا أرى أى صيد ؟ »، فأجاب الذئب : « ها هو امامك ، الحمار الا تراه واقفا هناك في الحقل ، حقا يبدو أنه حمار عجوز ، لكن ذلك لا يهم فاللحم هو اللحم ، ونحن آكلي لحوم على أية حال » ، فاندهش الثعلب وهز رأسه آسفا وقال : « يظهر يا أخي الذئب ان الجـوع يدفع للجنون ، انا لم اسمع في يوم من الايام أن الذئاب والثعالب هاجمت الحمير في الحقول وأكلتها ، ثم لا تنس أن ركلة الحمـار قوية شديدة كضربة المطرقة ، صدقني ، ان قوة الحمار والحصان والبغل تتركز في ارجلها ، أنا نفسي حدثت لي حادثة ، مرة قابلت حصانا .. » ، لكن الذئب لم يسمح للثعلب أن يروى حكايته وقاطعه قائلا :« هذا لايهم الان ، ان علينا أن نخدع الحمار ونحاصره ، كل منا من ناحية ، حتى اقترب منه واصبح خلفه ، فأقفز عليه وآكله من رقبته » ، فتضايق الثعلب وسأل الذئب ساخرا ، « ما هي حيلتك ، كيف ستخدع الحمار حتى يسمح لك بالاقتراب منه دون ان يركلك ؟»، فأجاب الذئب ،« سأخدع الحمار وأوهمه بأنه مريض ، وبأنني طبيب أريد ان اعالجه واداويه ، حتى يأمن لي واقترب منه وافترسه » ، فعارض الثعلب العجوز الذئب ، وبين له ان حيلته ستفشل ، لانه ادرى منه بالحيل والخدع .

لكن الذئب الجائع ، وقد استبدت به آلام الجوع اسرع ناحية الحمار في الحقل ، وتبعه الثعلب من بعيد وهو غاية في الحذر . وحين رأى الحمار العجوز الذئب مقبلا ومن ورائه الثعلب ، انتبه ووقف حذرا يرقب ما سيحدث .

ولم يقترب الذئب من الحمار ، ووقف على بعد خطوات منه ، وحياه واقرأه السلام ، فرد الحمار العجوز الذى حنكته التجارب على تحية الذئب في أدب ، ولم يفارقه حذره ، وحادثه الذئب وقال له في مودة، « كيف حالك يا أخي الحمار ، ان الجو اليوم حار ، هل يضايقك هذا الجو الخانق ؟ .. » وهز الثعلب رأسه موافقا ، لكنه ظل خلف الذئب بمسافة بعيدة ، واقترب الذئب بضع خطوات من الحمار واكمل حديثه قائلا ، « ان الجو الحار مضر بالصحة ، وانني لارى اثر ذلك عليك ،



وبسرعة ركله الحمار ركلة قوية شديدة

فلونك متغير ، نعم لونك متغير لا شك فى ذلك ، لكن الجو الحـــار لا يفعل هذا بالحمير ، فما هو السبب ؟ » ، وسكت الذئب واطرق براسه مفكرا ، ثم استأنف حديثه ، « آه ، اخاف أن تكون قد شربت من مـــاء قذر أو ربما غفوت ونمت قليلا ، فهاجمك الذباب دون أن تشعر به ، وهو يسبب الكثير من الامراض ، على اية حال انك لسعيد الحظ ، فأنا طبيب وأحب الحمير ويسرنى أن أعالجك وأداويك » ، فسخر الحمار من الذئب وقـــال له ،« هذه أول مرة فى حياتى أسمع أن الذئب قـــد أصبح طبيبا ، وصديقا للحمير ، ولماذا يهمك أمرى ؟ » فهز الذئـــب راسه مدعيا أنه قد تضايق من كلام الحمار وقال له ، « وما الخطأ فى هذا ، ان الحيوانات كلها اخوة ، وانا أحب الحمير لاننى .. » ، فقاطعه الحمار قائلا ، « ربما كان هذا صحيحا ، لكن ما يثير دهشتى يا اخي الذئب أننا لم نتقابل قبل اليوم ، هل تعرف حتى اسمى ؟ » ، فاندهش الذئب وهتف ، « وهل للحمير اسماء كبنى البشر حتى اعرف اسمك »، فسخر الحمار منه ضاحكا وقال ،« انك جاهل ولاشك فى ذلك ياأخى الذئب، الا تعلم ان الحمير أسماء، وأن كل حمار مكتوب اسمه على حافر رجله اليمنى الخلفية » ، ورفع الحمار فى بطىء وببساطة رجله اليمنى الخافية ، واقترب الذئب ونظر الى الحافر ليرى اسم الحمار ، وبسرعة ركله الحمار ركلة قوية شديدة ، حطمت اسنانه وقذفت بـــه عاليا ، ووقع فوق الارض يتلوى من الالم ، وجرى ناحية الغـــابـــة وهو يعوى ويصرخ ، وارتعد الثعلب فقد أذهله ما حدث ، فقال لــــه الحمار ، « وأنت يا أخى الثعلب ، الا تريد أن تعرف اسمى ؟ » ، فتراجع الثعلب الى الوراء بسرعة وهو يردد ، « لا، لا، لا، أنا آسف ولا أستطيع ذلك لاننى لا أعرف القراءة والكتابة » ، وجرى الثعلب ناحية الغابة .

اللص الظريف

كان لاحد اللصوص ثلاثة اصدقاء غير متزوجين ، احدهم يعمل نجارا والاخر صيادا . والثالث منجما « سحارا » لذلك كانوا يتقابلون كثيرا ويجهزون طعامهم بانفسهم .

وفي يوم من الايام طلب النجار من أصدقائه أن يعطيه كل واحد منهم قدرا بسيطا من النقود نظير ان يجهز لهم عشاء يتناولونه معه في داره . فاعطوه ما طلب ، وكان النجار يسكن خارج البلدة في دار صغيرة . بعيدة عن العمران .

وذهبوا اليه في الليل وتناولوا ما أعده لهم من الطعام ، ثم اخذوا يتسامرون ويشربون الشاي .

وفجأة سمعوا صفيرا كصفير الرياح ، ودويا كدوي الرعد ، وانطفأ القنديل فانتابهم الهلع والخوف ، فقام اللص وتحسس طريقه وأوقد القنديل ، فذهلوا اذ رأوا بينهم في الدار فتاة جميلة كالبدر ، شابة حسناء فاتنة ، تلبس ملابس العرس وتتزين بالمجوهرات النفيسة، وتنحدر دموعها على خديها فتزيدها فتنة على فتنة .

كانت ساكتة ، تنظر الى الامام شاردة ، فكان خوفهم منها أكثر من دهشتهم ، لان باب الدار مقفول ، وما حدث ، حدث في غمضة عين، فظنوها من الجان ، سألها الصياد ، « هل أنت ملكة ؟ » ، وارتعش النجار خوفا منها ، أما المنجم فهتف ، « انها عيشة قنديشة (1) انها جنية » ، فجرى النجار من شدة خوفه وخرج من الدار فتبعه

(1) — شخصية خرافية مغربية يبعث ذكرها الرعب

المنجم فى الحال ، ومن ورائه الصياد ، وتردد الصياد برهة ، لكنه خاف فجرى معهم بعد أن أقفل باب الدار ، لكنه وقف وطلب منهم الوقوف وقال لهم ، « نرجع الى الدار ونتكلم معها ، فهى لن تقتلنا على اية حال » ، فلم يوافقه أحد لان الخوف تملك من قلوبهم ، ثم تفرقوا وذهب كل منهم الى بيته الا النجار ، فقد بات ليلته عند صديقه اللص بعد ان اتفقوا جميعا علي اللقاء فى الصباح الباكر ، ليجدوا لهذا الحادث تفسيرا وللمشكل حلا .

وفى الصباح تقابلوا ، وقد تبدد خوفهم ، وشجعهم اللص والصياد فذهبوا الى دار النجار وفتحوا الباب فى حذر ، ودخلوا الدار فلم يجدوا الفتاة ، فصاح المنجم ، « ألم أقل لكم أنها جنيه » ، فرد النجار ، « حقا ، والا فمن اين دخلت والباب مقفول ؟ » ، فقال اللص ، « علي اية حال ، ان صديقنا منجم ، فان كان يتقن مهنته ولا يكذب علينا ، فليعرف لنا حقيقة هذه الفتاه ، فأخذ المنجم يعبث فى رمله ورمى حصاه ورسم الاشكال «وضرب الحروف وعدد النجوم» ، وهمهم وتمتم ، ثم قال ،« ان من كانت فى دار النجار أمس بنى آدم ، وهى عروس خطفها عفريت يحبها حتى لا تتزوج ، وكان فى طريقه معها الى داره حين ناداه صاحبه ، واستحضره ، فاصبح فى عجلة من أمره ليذهب الى صاحبه . فاحتار ماذا يفعل ، وكان بجانب دار النجار ، فادخلها الى الدار ، فخفنا منها وهربنا وتركنا الدار ، وعاد العفريت بعد ساعة وأخذها وانصرف » .

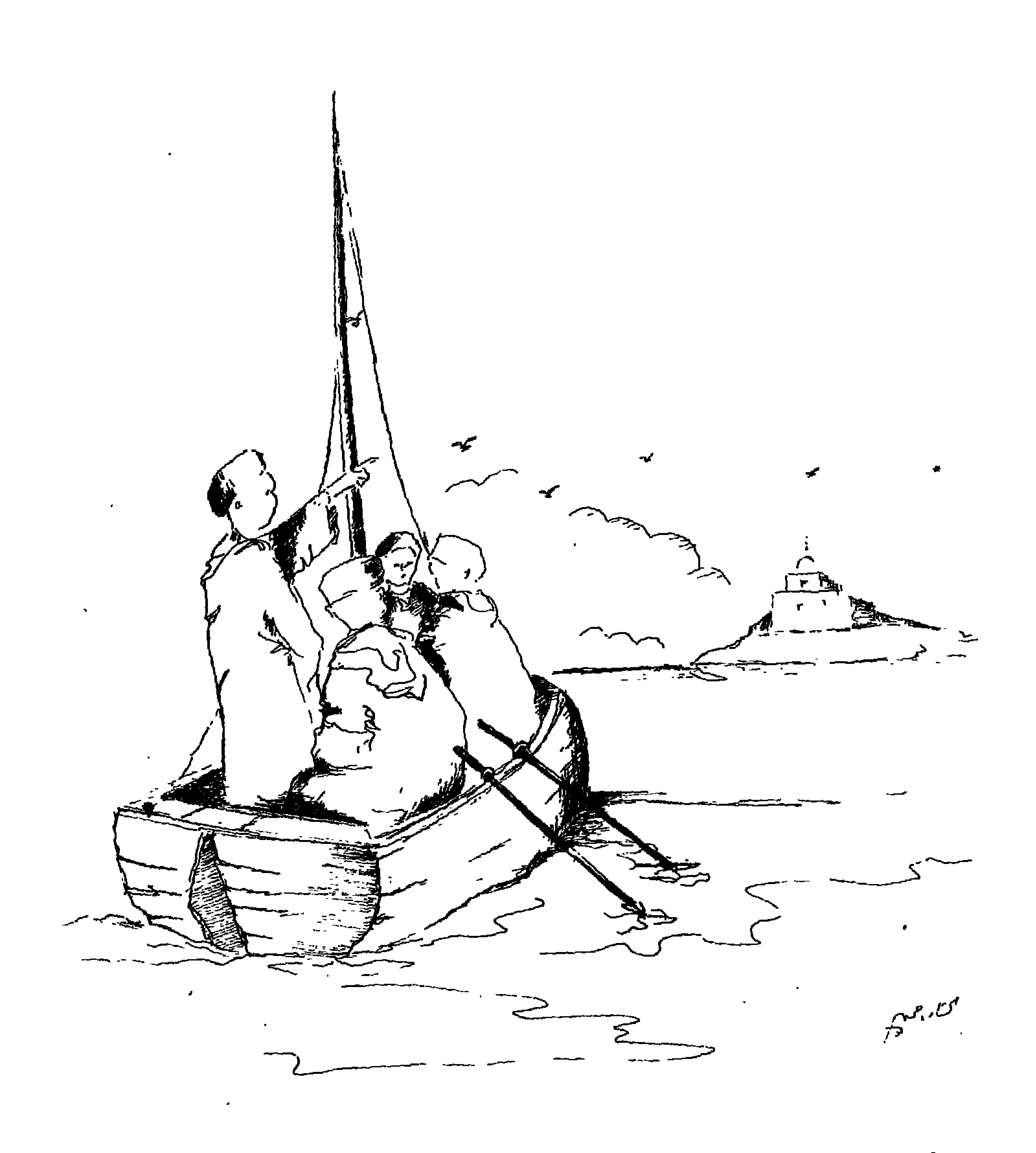
فطلب الاصدقاء من المنجم أن يخبرهم اين توجد الفتاة ، فعاد يعبث فى رماله ورمي حصاه ، وهمهم وتمتم ، ثم قال ، « انها فى جزيرة بعيدة داخل البحر وهى تعيش فى قصر العفريت هناك » .

ففرح اللص والنجار والصياد ، لان المنجم كشف لهم السر ، وعرفوا حقيقة الفتاة بل ومكانها ، وقال اللص للنجار ، « ها قد آن الاوان لتنفعنا ، فهل يمكنك أن تصنع لنا قاربا يتسع لنا فنذهب ونحضر الفتاة ؟ » ، فرد النجار ، « بالطبع » ، واخذ النجار يعمل فى نشاط حتى صنع مركبا متينا بأربعة مجادف ، وابحروا يرشدهم المنجم فى طريقهم الى شاطىء الجزيرة حيث تعيش الفتاة مع العفريت . ووصلوا الى شاطىء الجزيرة بعد سبعة أيام ، فقال اللص ،

الان يمكننى انا اللص أن اسرقها من العفريت ولو كان يخبئها داخل عينيه »، وطلب من أصدقائه أن ينتظروه ، وسار حتى وصل الى قصر العفريت ، فتسلق السور ونزل داخل القصر وتسلل داخله فى خفة ، فوجد الفتاة جالسة تبكى والعفريت نائما ، واضعا رأسه علـــى فخذها وممسكا بشعرها وقد لفه على يده ، وما ان رات الفتاة اللص حتى سألته ، « من انت ؟ » ، فقال لها ، « أنا واحد من الاربعـــة الذين ظهرت امامهم فى الدار منذ ايام » ، وحكى لها مـــا حدث عـــن هروبهم وبحثهم عنها ، فهنفت، « لقد ارسلكم الله لتنقذونى من هذا العفريت » ، فقال ، « سأقص شعر رأسك واضع حجرا تحت رأس العفريت بدلا من فخذك » ، فرفضت أن يقص اللص شعرها ، فتقدم فى مهارة وخفة ، وأخذ يسحب شعرة واحدة من خصلة شعـــرهـــا التى يمسكها العفريت ، ويلفها حول يده ، ثم شعرة أخرى وشعرة ثالثة ، وأخذ يسحب الشعرة واحدة بعد واحدة من يد العفريت حتى أصبح العفريت يقبض على بضع شعيرات ، فسحبها من قبضته ثـم وضع حجرا تحت رأسه بدلا من فخذها وصحبها معه ، وهرب بها من قصر العفريت ، وما أن وصلا الى الشاطىء حيث المركب ، حتى فرح أصدقاؤه لانه استطاع أن يسرقها من العفريت ، لكنهم ما أن هموا بركوب المركب ، حتى أحسوا بالارض تهتز من تحتهم ورأوا العفريت مقبلا يجرى ، فقد صحا ولم يجد الفتاة وشم رائحة بنى آدم من حوله.

فهتفوا بالصياد يستحثونه على قتل العفريت ، فأمسك بقوسه وسدد سهمه ، وأطلق ، فطاش السهم ولم يصب العفريت ، وصاح الصياد ، «يارىى لم يبـــق لدى الا سهمان ، وصوب سهما ثانيـــا واطلقه فلم يصب العفريت ، واصبح على قرب منهم ، فصرخ الصياد، « فليستنجد كل منكم بشيخه »، وصاح اللص ،« دعوتى غير مقبولة »، فصرخ الصياد « بل ادع فالله يغفر للجميع »، وسدد السهم الثـــالث والاخير واطلقه ، فأصاب اعفريت فى جوهرة رأسه ، فأرداه قتيلا .

ففرحوا ، واعجبت الفتاة بالصياد الذى انقذهم كلهم من العفريت ، ونزلوا الى المركب واخذوا يتحدثون ، فقال الصياد ، « ان الفتاة من حقى ، فأنا الذى قتلت العفريت ، وأريد ان أتزوجها » ، فقال اللص ، « لا بل أنا الذى سرقتها من العفريت »، فقال النجار ، « انـــا الذى



وأبحرو يرشدهم المنجم في طريقهم الى الجزيرة حيث تعيش الفتاة مع العفريت

منعت المركب الذى جئنا به الى مكانها » . فصاح المنجم ،« لولاى لما عرفتم أين توجد الفتاة ، فلن يتزوجها احد غيرى » .

واختلقوا كل يريد ان يأخذها لنفسه ، وتشاجروا ، فقالت الفتاة ، « صبرا حتى نصل الى البر وتتفقون » ، فسمعوا لكلامها وجدفوا حتى وصلوا الى الشاطىء ، عندئذ قال النجار ، « لنذهب الى القاضى ليحكم بيننا » ، فرد اللص « ان الفتاة جميلة ولسوف يأخذها القاضى منا ويطردنا » ، فقال المنجم ، « فلنذهب الى السلطان ليحكم بيننا » ، فرد اللص « سيأخذها السلطان منا ويأمر بقطع رؤوسنا » .

فقال الصياد ، « عندى حل » ، فسألوه « ما هو ؟ »، فأجاب، ليتبارز كل اثنين منا حتى يقتل واحد الاخر ، ثم يتبارز الاثنان الباقيان فيقتل واحد منهما الاخر ومن يبق حيا منا سيأخذ الفتاة » ، فلم يرضوا بهذا الحل ، فقال اللص ، « ليس امامنا الا أن نذهب الى السلطان لينظر فى أمرنا » ، ورضيت الفتاة بهذا الحل .

ومشوا جميعا الى قصر السلطان ، وكان الوقت ليلا ، فقال اللص ،« انتظروا حتى أناديكم »، ودخل القصر وتسلل فى خفة الى غرفة الملك ، فوجد السلطان مسترخيا وأمامه الوزير يتسامران ، فنفخ اللص البنج ، فتخدر السلطان والوزير ، وغابا عن الوجود ، فحمل اللص الوزير ، ووضع له فوق رأسه قلنسوة بقرون ، وجعله فى هيئة العفاريت ، وحمله وربطه ربطا متينا فى أعلى شجرة ، ثم رجع الى السلطان ونفخ عليه ضد البنج فأفاق قليلا وسأل السلطان ، « هل نمت يا وزير ؟ » فرد اللص ، « لا بل نمت أنت يا مولاى » ، فتثاءب السلطان وهو نصف مستيقظ ، وقال له اللص ، « سأحكى لك حكاية يا مولاى ، كان لص له ثلاثة أصدقاء ، نجار ومنجم وصياد وكانوا غير متزوجين » ، وحكى له ما حدث من ساعة العشاء ، وحضور الفتاة وكل ما جرى الى أن قال ،« وعندما رجعوا بالفتاة ، خافوا أن يذهبوا الى القاضى فيأخذها منهم ويطردهم ، فقالوا لنذهب الى السلطان ليحكم بيننا ، وخافوا منه أيضا »، فضحك السلطان وسأل ،« وماذا حدث بعد ذلك ؟ »، فأجاب اللص ،« تسلل اللص الى القصر ، وأبقى أصحابه ينتظرون ، وكان الملك مسترخيا يتسامر مع الوزير كما نفعل

الان يامولاى ، فنفخ اللص البنج فتخدر السلطان والوزير ، وحمل اللص الوزير ووضع له قلنسوة بقرون ، وربطه فى اعلى شجرة وعاد وأفاق السلطان قليلا وسأله ، بماذا تحكم ، فسأل السلطان ، « وبماذا أجاب السلطان ؟ »، فأجاب اللص ،« يأخذها المنجم » فرد السلطان ، « لا ، لقد اخطأ السلطان ، بل يأخذها اللص » ، فأسرع اللص وأحضر أصحابه ، وأعاد سؤال السلطان ، « ما رايك يا مولاى من يأخذ الفتاة ؟ »، فأجاب السلطان « قلت لك لا يأخذها غير اللص ، فهو ظريف » ، فصاح اللص ، « لقد حكمت يا مولانا وانا راض بحكمك » ، وانصرف اللص واصحابه .

وبعد ساعات أفاق السلطان ، فسمع صياحا يأتى من الحديقة فنادى الحراس وسألهم ، « ما الخبر ؟ » فأخبروه بأن فى الحديقة عفريتا فوق الشجرة ، فذهب السلطان الى الحديقة ، وتشجع الحراس بوجود السلطان بينهم ، وصعدوا الشجرة ، وانزلوا الوزير وأزالوا القلنسوة والقرون ، واندهش الملك وسأل الوزير ،« ماهذا ؟»، فأجاب الوزير ، « والله لا أستطيع ان افسر ما حدث لى ، ولا إعرف كيف حدث » ، فقال الملك ، لقد حكيت لي حكاية اللص واصدقائه والفتاة الي خطفها العفريت واخذوها منه وقتلوه » ، لكن الوزير أنكر انه حكى حكاية للملك ، فأعاد الملك الحكاية ، وسأل الوزير مرة أخرى ، فأنكر الوزير ، فعرف الملك ان اللص قد تسلل الى القصر حقيقة ، وخدره هو والوزير بالبنج ، وعلق الوزير فى الشجرة ، لان ما حكاه قد حدث ، وأعجب السلطان بمهارة اللص الفائقة الحد وظرفه ، وقال للوزير ، « لقد كان فى امكان اللص ان يسرق ، أو يقتلنا ، ولذلك أرى أن نعطى له الامان ، ليظهر ويتقدم الينا »، فقال ، « نعم نعطي له الامان ، وحين يجيء الينا نقتله » ، فلم يرض السلطان بهذا الرأى وانب الوزير .

ونادى المنادى ، « ان من حكى حكاية للسلطان ، يظهر وله الامان »، وعندما سمع اللص بذلك توجه الى القصر .

ولما مثل امام السلطان قبل الارض بين يديه ، وسأله السلطان بعد أن ضحك كثيرا ، « لكن اريد أن أعرف ، لماذا ربطت الوزير وعلقته فوق الشجرة ؟ » ، فأجاب اللص ، « إننى ان تكلمت

مع أى شخص كبير ، يقاطعنى دائما من كان حوله ، لقد خفت أن يقاطعنى الوزيـــر وأنا أحكي لمولاى » ، فقال السلطان ، « انك رجل ذكي وظريف ولا يصح أن تكونَ لصا » ، فأعلن اللص توبته ، وعينه السلطان حارسا لبيت المال حتى لا يسرقه أحـــد .

التاجر المخادع

كان الرجل يعمل تاجرا ، يبيع ويشترى مختلف أنواع الشاى ، وفى يوم اشترى كمية كبيرة من الشاى الردىء بثمن رخيص ، لكنه لم يخفض سعره وظل يبيعه بثمن الشاى العادى الجيد .

وتضايق الكثير من الزبناء ، واشتكوا ، وبينوا للتاجر ان الشاى الذى يشترونه منه ردىء الى درجة كبيرة ، لكنه كان يخدعهم بمعسول الالفاظ ، ويطيب خاطرهم ، ويحتج بمختلف انواع الحجج الكاذبة .

وكان اكثر الزبناء تذمرا رجل عجوز ، وفى أول الامر قال له التاجر : « انا لا اشك فى صدقك ، لكن صدقنى ، ان الشاى جيد النوع وربما كان سبب شكواك ، الماء ، فأحيانا يغير ماء البئر من طعم الشاى ورائحته » .

وانصرف العجوز وقد صدق ما قاله له التاجر ، ولم يعد يأخذ من ماء البئر ليصنع منه الشاى ، واحضر الماء من عند جاره ، لكن مذاق الشاى الردىء لم يتغير .

فذهب العجوز الى التاجر ، واشتكى له مرة أخرى ، فقال له التاجر ، « ربما يرجع السبب الى البراد ، فقد يكون قديما أو لم يغسل جيدا » .

وانصرف العجوز ، واشترى برادا جديدا ، وغسله جيدا ، وجهز الشاى ، لكن الطعم الردىء لم يتغير .

ورجع العجوز الى التاجر ؛ وبين له انه قد غير الماء ، واشترى



برادا جديدا ونظفه ، ومع ذلك فان مذاق الشاى ظل كما هو ، رديئا الي درجـــة كبيـــرة .

ففكر التاجر برهة ، ثم قال للعجوز : « آه ، لقد عرفت السبب، انه الفحم ، آن الفحم الرديء يتلف الشاى ويجعله رديئا » .

فذهب العجوز الى الفحام ، وآختار أجود أنواع الفحم ، وغسل انبراد ، وأحضر ماء من عند جاره ، لكن ذلك لم يغير من الامر شيئا .

وأسرع العجوز الى التاجر واخبره بما فعل ، فهتف التاجر ، « لقد نسيته ، آلان عرفت السبب ، قل لى يا عماه ، كيف توقد الفحم وتشعله ؟ »، فأجاب العجوز مندهشا ، « اشعل فيه النار وانفخ عليه بالمنفاخ » ، فصـــاح التـــاجر ، « هذا هو السبب ، فوهة المنفـــاخ ، ربما كانت أضيق أو اوسع من اللازم »، فصاح العجوز ،« والله لـــن أغير هذه المرة المنفاخ ولا فوهته آنك تاجر مخادع »، وانصرف العجوز غـــاضبـــا .

أهلها أحمق منها

كان الرجل يعمل تاجرا ، دائم السفر والترحال ، وذات يوم جهز قافلة وحملها بمختلف السلع ، لكنه كان حذرا فقد عرف بخبرته وتجاربه ان لا يأمن للزمان ، لان الربح والخسارة فى علم الغيب لا يعلمهما الا الله جلت وتعالت قدرته ، لذلك أبقى نصف ماله فى داره واوصى زوجته أن تحفظه لدواير الزمان (1)، وقال لها ضاحكا ،« هذا ليس مالى او مالك ، بل ان له صاحبا هو داوير الزمان ، فوعدته المراة بحفظ المال لصاحبه دواير الزمان .

وبعد أيام سافر التاجر مع قافلته ، ليبيع ويشترى ، قاصدا بلادا بعيدة ، وخبأت الزوجة المال فى قدر لتحفظه كما وعدت زوجها .

ومضت أسابيع ، وذات يوم دق باب دار التاجر متسول بطلب صدقة ، فردت عليه الزوجة ، بالقول المعتاد ، « الله يعطيك » ، لكن المتسول الح كعادة المتسولين ، فأجابته ، « ليس عندى مال » ، فرد ، « اعطينى اى شىء ، فأنا أقاسى الجوع ولم آكل منذ ثلاثة ايام، اعطينى اى قدر من المال » ، فقالت المراة ، « ليس عندى الا اموال دواير الزمان ولا استطيع أن اعطيك منها » ، فضحك المتسول يائسا وظن ان المراة تسخر منه وقال ، « وهل تعرفين ايتها المراة المنعمة دواير الزمان ؟ »، وتنهد وهو يردد ،« دواير الزمان »، فاندهشت المراة وكانت على قدر كبير من السذاجة وسألته ، « اتعرف انت دواير الزمان ؟ » ،فأجاب فى مرارة ساخرا ، « اعرف دواير الزمان ، ومن يعرفه غيرى ، انا دواير الزمان »، يقصد أن يقول لها انه فقير ويعرف

(1) ــ كلمة مغربية « عامية » معناها أيام الضيق وقلة الرزق واصلها ، « اذا دار الزمـان ».



فهتفت : « سامحني ياعم«دواير الزمان»لم اعرفك، ولماذا لم تقل من أول لحظة أنك دواير الزمان، ولماذا لم تجئ منذ أسابيع لتأخذ أموالك.

الفقر ، وكل أيامه ضنك ، فهتفت ، « سامحنى يا عم دوابر الزمان ، لم اعرفك ، ولماذا لم تقل من أول لحظة انك دوابر الزمان ، لماذا لم تجيء منذ اسابيع لتاخذ اموالك ، لقد تركها زوجى لك ، وأوصانى ان احنطها من أجلك ، أصبر فساحضرها لك »، وجرت المرأة الى داخل الـدار .

ففتح المتسول فمه من شدة الدهشة والعجب ، فقد اندفعت المرأة فى الكلام وقالت ما قالته ، وهو غير مصدق لما حدث ، وظل واجما ، وانتابه الدوار ، لكن المرأة عادت تحمل قدرا ثقيلا واعطته له، فحمله بين يديه ومضى الى حال سبيله وهو يردد ، « هذا رزقى ، وقع علي من السماء » .

ومضت شهور وشهـور ، وعـاد التـاجر الى داره ، عـاد حزينا مهموما ، فقد أصابت الخسارة تجارته ، وفقد كل أمواله ، وبعد أن حكى ما حدث له لزوجته ، وبين لها أن حظه كان سيئا ، فقد تقلبت الاسعار ، وفقد كل ماكان معه ، وتنهد وقال ،« الحمد لله لاننى ابقيت نصفه أموالى هنا فى الدار ، احضرى لى يازوجتى المال » ، فسألتـه، « أى مال يا زوجى العزيز ؟ » ، فرد ، « مال دوابر الزمان » ، فضحكت وقالت له ، « ولكن دوابر الزمان جاء بعد سفرك بأسابيع، وأخـذ ماله » ، فشهق التاجر وصرخ واستفسرها ، واخذ يهزها ويسألها ،« أى رجل ؟ من هو دوابر الزمان ؟ احكى لى ما حدث » ، فروت له المرأة ما جرى لها مع ذلك المتسول بالتفصيل .

فكاد الرجل أن يصعق ، وكان يعلم أن زوجته علي قدر مـن الحمق ، لكنه لم يكن يتصور أن تصل الامور الى هذا الحد ، وصـرخ التاجر ، « لابد أن أذهب ألى اهلك وأشكوك اليهم أيتها الحمقاء ، كيف تزوجتك أيتها المرأة » ، ذلك أن التاجر كان قد زوجته أمه من هذه المـرأة .

فقـرر أن يسافر الى بلاد زوجته ، ليشكو اليهم حمقها ، ويطلب منهم المساعدة أو يطلقها ويردوا له الصداق .

وأخذ التاجر طريقه الى بلاد زوجته ، ولم يكن له دابه يركبها ، فسار على رجليه أياما وأسابيع حتى وصل الي مشارف بلدة زوجته ، وكان الطريق الطويل قد غير هيأته ، فقد اتسخ جسمه ولطخ التراب

ملابسه ، وأنهكه السير والتعب ، لذلك حين وجد عينا من الماء تحوطها الاشجار جلس بجانبها ، وخلع ثيابه واخذ يغسلها حتى يقابل اهـــل زوجته فى هيأة حسنـــة ، وعلق ثيابه لتجف فوق شجرة ونزل ليستحم فى العــين .

وجاءت بعض نســاء القرية ليملان الاوعية بالمـــاء من العين ، فأحس الرجل بالحرج وحاول أن يتوارى عن الانظار ، لكن دون فائدة، وكانت راسه بالطبع تظهر فوق الماء ، فراتها امرأة وهتفت ، « انظرن، انظرن » ، وهتفت أخرى ، « باسم الله ، باسم الله » ، وسألــت الثالثة هلعــة ، « انسى أم جنى ؟ » ، وأخذت النسوة الهلعـــات يبسملن ويسألن ، « انسى أم جني ؟ » ، فاندهش التاجر وتحقق من حمقهن ، فرد ،« آنسى »، فأخذن يسألنه ،« ومن أين أتيت ؟ » فرد ساخرا ، « من الاخرة » ، فبكت احداهــن وولولت وقالــت لــه ، « أستحلفك بالله هل قابلت ابنتى خدوج ، لقد ماتت فى الاسبـــوع الماضى ؟ » فأجابها ، « نعــم قابلتها » ، فسألته المراة ، « وهل تريد خدوج شيئا ؟! اني على آستعداد أن أعطيها كل ما كانت تحبه مــن دمالج (1) وعقيق ومضمة (2) ان كان ذلك يدخل السرور على نفسها؟»، وقبل أن يفيق التاجر من دهشته ، اندفعت أمرأة أخرى فى البكاء ، وسألت عن أمها وعرضت أن ترسل لها معه مجوهراتها ، فأجــاب التاجر ، أنه راجع بسرعة الى الاخرة وعلى استعداد أن يوصل كــل شيء الى الاموات ، فرجته بعض النساء وتوسلن اليه أن يحمل أشياء كثيرة الى من فقدن ، وأخريات أوصينه بتبليغ السلام والاشــواق ، فوعدهن باجابة مطالبهن .

وتحقق أن الحمــق متوفــر فى هذه البلـــدة ، وأوضح للنســاء أنه ليس لديه وقت كثير يضيعه ، فأسرعت النساء لتحضرن له ما يرغبن فى ارساله الى فقيداتهن .

وعدن بسرعة وما أن مضت دقائق حتى كان قد ملأ صندوقــا بالجواهر والاموال وأفخر الملابس ، وأخذت النساء تثرثرن ، هـــذه توصي بالسلام الى جدتها واعطائها عقدها اللؤلؤى والاخرى ترسل الدمالج ، وثالثة الجوهر ، وأخرى قفطانا خريريا نفيسا . . . ،

(1) ــ دمالــج : اساور

(2) ــ المضمة : حزام من الذهب أو الفضة تتزين به النساء فى المغرب .

كل ذلك والتاجر غائص فى الماء غير مصدق ما يجرى أمام عينيه ، وتأكد من حمق نساء هذه البلدة ، واخيرا صرخ التاجر ،« لقد حان ميعاد رجوعى ، فعليكن بالانصراف لانه محرم على أن أظهر أمامكن »، لكن النساء استمررن توصينه وتستحلفنه بالله أن يهتم برجائهن ، وانصرفن أخيرا بعد أن أظهر التاجر غضبه من بقائهن .

وخرج التاجر من العين ، ولبس ثيابه وتأكد أن أهل زوجتــه أحمق منها ، ولا فائدة من الكلام معهم ، أو الشكوى اليهم ، وفرح بما جمعه فى الصندوق وحمله فوق راسه وسار عائدا فى طريقه الى بلدته.

وحين عادت النسوة الى البلدة ، وكانت من بينهن واحدة أرسلت الكثير من المجوهرات الى اختها ، وكانت منفعلة أشــد الانفعــال ، وعندما رجع زوجها الى الدار أسرعت تخبره بما حدث ، فاندهــش الرجل وصاح غاضبا ،« يالَلحمقاء »، فقد عرف أن النساء قد خدعن ، واسرع الى حصانه ليلحق بالمحتال ، وبينما كان التاجر يسير حاملا الصندوق فوق رأسه، رأى من بعيد غبارا يتطاير وشبح حصان يجرى مقبلا نحوه ، وكان الى جانبه حقل من الذرة فتوقف ، ودخل الحقل ، وخبأ الصندوق بين أعواد الذرة ، وأمسك بعض الاحجار وأخذ يرميها اتجاه الطيور وكأنه صاحب حقل الذرة يطــارد الطيور ويبعدها عن محصولــه .

واقترب الرجل راكبا حصانه ، ووقف على مقربة من التاجــــر وسأله ، « هل رأيت رجلا يسير ويحمل صندوقا ؟ » ، فأجاب التاجر: « نعم لقد رأيت رجلا يسير ويحمل صندوقا » ، ففرح الرجل وسألــه، « وفى اى اتجاه سار ؟ » ، فرد التاجر ، « انه دخل حقل الذرة ومشى فى هذا الاتجاه »، وأشار الى ناحية بعيدة من الحقل واستطرد ،« ولماذا انت فى عجلة وتسأل فى لهفة عنه ؟ » ، فأجاب الرجل ،« انه محتال ولص واريد ان الحق به» ، فقال له التاجر ، « لقد مر من هنا وكان يحمل صندوقا ويبدو عليه التعب والانهاك » ، فقال له الرجل ، «لكننى لا استطيع أن أسير فى حقل الذرة راكبا الحصان ، فأرجوك أن تحرس الحصان حتى الحق به وأمسكه » ، ونزل من فوق الحصان وأعطــى لجامه للتاجر ، وجرى فى حقل الذرة فى اتجاه الناحية التى أشار اليها التاجر ، وما أن ابتعد الرجل حتى أحضر التاجر الصندوق من بــين

أعواد الذرة، ووضعه فوق الحصان وركبه وجرى به ، فانتبه الرجل والتفت ، وأذهله ما رأى ، لقد رأى الحصان يجرى وقد ركبه التاجر وأمامه الصندوق .

فأخذ يصيح ، ويطالبه بالرجوع ، لكن التاجر رد عليه من بعيد ، « اعذرنى ، لقد أخذت الحصان ، لاننى أود ان أذهب الى الاخـــرة بسرعة ، لاوصل الحاجيات الى أقاربكم الموتى » ، فجرى الرجل في سرعـــة مخترقا حقل الذرة ليلحق بالتاجر .

وأثناء جريه كان يكسر أعواد الذرة ، ورآه صاحب الحقل الحقيقى، فجاءه مسرعا وقد ظن انه أحد اللصوص أتى ليسرق محصوله ، فامسك به وانهال عليه ضربا بالعصا .

أما التاجر فقد رجع الى زوجته راكبا حصانا ،ومحملا بصندوق ملىء بالجواهر والملابس ، ودخل الدار وهو يردد ،« أهلها أحمق منها » .

الكيّ بالسكين

كان الرجل ميسور الحال وقد رزقه الله بسبع بنات ، ومضت السنوات وكبرت البنات واصبحن شابات جميلات ، لكن آلاب كان يحب بناته ولا يريد أن يسرع بتزويجهن ويتمنى أن يزوجهن خير الرجال .

وفي يوم دخل الرجل الى داره دون أن تشعر به الفتيات ، وكن يتحادثن عن آمالهن ورغباتهن في الزواج ، فقالت واحدة منهن ،« انى احب ابن عمي فلان واود أن اتزوجه »، فتوقف الاب في مكانه مذهولا ولم يتحرك ، وبقى يستمع ، وقالت بنت اخرى ،« اما انا فيكاد العشق ان يهلكني ، انى احب ابن خالتى فلان ولابد أن اتزوجه »، وقالت ثالثة ، « حبيبي خفيف الروح ظريف ولطيف ، من يجمعني به ويزوجني له ، فانني اخجل من أبى ولا استطيع ان اطلب منه ان يزوجني اليه » ، وقالت الرابعة ،« ان لم يرض ابى أن يزوجني من ابن خالى فلان فسأقتل نفسى »، وقالت الخامسة وهى تضحك »، انا أحب ولد جارنا .

نشوفوا ويشوفننا

ما يجيب حد أخبارنا (1)

وقالت السادسة ،« اريد ان أتزوج ولو رجلا اقرع لكن يجب ان يكون غنيا وانا على استعداد أن اتبل راسه القرعاء كل يوم، « اقرع وبفلوسه ، هات لى راسه نبوسه »، وقالت السابعة وهي تتنهد ، « أريد حنطر بنطر كطايته (2) اكثر من رطل » .

وأدرك الرجل انه قد اخطأ ، وكان يجب عليه أن يزوج بناته منذ

(1) — لا يطلع احد على سرنا

(2) — كطاية : ضفيرة من الشعر ، اكثر من رطل ، المعنى أن تكون ضفيرة طويلة .

مدة طويلة ، لذلك غير رأيه واسرع بتزويجهن ، فزوج الاولى الى ابن عمها ، والثانية الى ابن خالتهـا ، والثالثة الى حبيبها خفيف الروح ، والرابعة الى ابن خالها حتى لا تقتل نفسها ، والخامسة الى ابن الجيران والسادسة الى رجل اقرع غنـي .

اما السابعة فقد احتار لانه لم يجد «حنطر بنطر كطايته اكثر من رطل ». وظل يبحث حتى وجد رجلا له هذه الصفات ، لكنه كان فقيرا ويعمل « كياسا » (1) فى الحمام ، فذهب اليه وقال له ، « اننى اعرف انك رجل فقير لكننى ساعطيك ابنتى هدية ، سأزوجها لك ولن اطلب منك او اكلفك شيئا ، فوافق الرجل فرحـا ، وذهب الاب الى السوق واشترى الاثواب الملائمة والحاجيات الاخرى ، وزف ابنته الى الرجل الذى تمنت الزواج به .

ومضت الايام وحملت الفتاة لكن زوجها كان فقيرا ، فقاسمت كثيرا وتألمت ، فالفقر يسبب الكثير من المشاكل ، واضناها الحرمان من ضروريات الحياة .

ومضت عدة شهور ، واخذت تتوحم واشتهت سمك الشابل (2) لكن زوجها لم يقدر أن يحضره اليها ، ففكرت ورأت أن تذهب وتزور اختها التي تزوجت الاقرع الغني ، وتطلب منها أن تحضر لها ما اشتهته من الطعام . وذهبت الفتاة الى اختها ، فرحبت بها الاخت واكرمتها ، وقدمت لها الحلوى ، وادخلتها الى غرفة واسعة مليئة بالفراش الوثير والوسائد الحريرية المطروزة ، واخبرت الفتاة اختها انها تتوحم وترغب فى ان تأكل سمك الشابل الشهى مقليا ، فأسرعت الاخت وارسلت احدى خادماتها الى السوق ، وطلبت منها أن تشترى كمية كبيرة من سمك الشابل .

وسرعان ما عادت الخادمة ، فأمرتها سيدتها أن تجهز السمك وتقليه بسرعة ، وفاحت رائحة السمك المقلى الشهية ، فذهبت الفتاة مع اختها الى المطبخ حيث يقلون السمك ، وحين نضجت بعض الاسماك اخرجتها الخادم من المقلاة ووضعتها فى طبق ، وكانت الاخت صاحبة الدار تساعد الخادمة بسكين ، تقلب به السمك فى المقلاة ، وتناولت

(1) — رجل يعمل فى الحمام ومهمته مساعدة المستحمين .
(2) — سمك يوجد بالانهار التي تصب فى المحيط الاطلسى .



فمست بلطف يد أختها بالسكين الساخنة التي تقلب بها السمك.

الفتاة التي تتوحم قطعة من السمك المقلى بسرعة وابتلعتها ، فتضايقت الاخت من فعل أختها أمام الخادمة ، فمست بلطف يد اختها بالسكين الساخنة ، التى تقلب بها السمك ، وقالت لها ،« أصبرى » ، فحرقت السكين يدها ، وصرخت الاخت وقالت ، « الكى بالسكين ولا راجل مسكين »(3) وصــــارت مثلا .

(3) ـ الكى بالسكين الساخنة أهون من الزواج برجل فقيـــر

الطائر الأزرق

كان حتى كان ، كان الله فى كل مكان ، كانت امراة عجوز تجلس على شاطىء النهر ، غسلت صوفها ، ثم نشرته فوق اغصان الاشجار ، وظلت تنتظر حتى يجف ، واقبلت حمارة محملة بالاوانى والاطباق والكؤوس ، ووقفت على مبعدة من العجوز ، ولم يكن هناك احد يقود الحمارة ، أو يسير وراءها ، وفجأة تحركت الاشياء فأخذت الاطباق والكؤوس والاوانى ترتفع قليلا بهدوء وخفة فى الهواء ، ثم تنزل الى الشاطىء وتتراجع فى نظام حتى تغطس فى الماء وتعلو وتهبط وتدور وتغسل نفسها بنفسها ثم تعود فى نظام ، الطبق وراء الطبق ، والانية الصغيرة فوق الاكبر منها ، والكأس وراء الكأس ، وجمعت نفسها فوق ظهر الحمارة ، ثم استدارت الحمارة ، وسارت فى الطريق الذى تبدو انها تعرفه .

فذهلت العجوز لما رأت واستبد بها العجب ، وأرادت أن تفهم الامر وتعرف السر ، فقامت وجمعت صوفها نصف مبلل ومشت وراء الحمارة وتبعتها .

ووصلت الحمارة الى قصر جميل يحيط به بستان ، وما أن اقتربت من الباب حتى انفتح الباب دون أن يفتحه انسان ، فدخلت الحمارة وتسللت المرأة وراءها وانقفل الباب ، وظلت الحمارة تسير فوق الممرات المعشوشبة والمنسقة باتقان بين الاشجار المحملة بأشهى الثمار ، وانتشرت الورود فى كل مكان فى اتساق ونظام ترتاح لمرآها العيون ، وينعش عبيرها القلوب ، حتى وصلت الى باب القصر فانفتح الباب ولم يظهر انسان ، وطارت الاوانى والكؤوس والاطباق ، والصوانى بخفة فى الهواء ، ودخلت القصر ، فمشت العجوز وراءها



وأقبلت حمارة محملة بالاواني والاطباق والكؤوس ووقفت على مبعدة من العجوز

مندهشة لما يحدث أمامها ، ودخلت الاشياء الى غرفة متسعة فيها بعض الارائك المكسوة بالحرير الثمين ، وبعض المساند التى وضعت حول بساط فاخر ، وما ان دخلت الاشياء الحجرة حتى جاءت منضدة محمولة فى الهواء ، مثل الاوانى ، ووضعت المنضدة نفسها فى منتصف الحجرة ونزلت الصوانى والاطباق والاواني والكؤوس فوقها ، ثم جاءت طائرة فى الهواء بخفة ونظام أصناف فاخرة من المأكولات ، دجاج ولحوم ناضجة ، وخضروات وفطائر وكل ما لذ وطاب ووضع نفسه فى الاطباق حتى أصبحت مائدة الطعام معدة وجاهزة .

وسمعت المرأة العجوز شيئا خفيفا من الضوضاء شبيها بحفيف الطيور وهى تطير فى الهواء، فاختبأت وراء الباب ، ودخل الغرفة طائران كبيران لم تر العجوز لهما مثيلا من قبل ، فلم تعرف من أى انواع الطيور هما ، لانهما كانا على قدر كبير من الحسن والجمال والفتنه ، يلمع ريش كل منهما ويضيء فيخطف سناه الابصار . أحدهما أحمر اللون عيناه حمراوان ، ومنقاره وردى والاخر فى لون السماء أزرق العينين ، هبط الطائران فى هدوء فى الغرفة يرفرفان باجنحتهما ، فانتشر فى الحجرة عبير عطر أجمل من عبير الورود ، وما أن هدأت حركتهما حتى انتفض كل منهما فجأة وخلع ريشه ، وتحول الى انسان ، واصبح الطائر الاحمر شابا جميلا فتانا له عينان حمروان ، لونهما كلون الياقوت النفيس ويلبس ملابس الامراء ، وفى أصابعه خواتم ثمينة وحول عنقه قلادة مطعمة بالاحجار الكريمة ، وصار الطائر السماوى أميرا اشد فتنة واروع حسنا من صاحبه، تنبعث من عينيه الزرقاوين الجميلتين نظرات ساحرة ، وذهلت العجوز لما رأت فكتمت أنفاسها حتى لا يلحظان وجودها .

وجلس الاميران يتناولان الطعام ، وكان كل صنف ينتهيان منه يطير طبقه فى هدوء وينزل على مائدة مجاورة ، الى ان أتى طبق من البللور مليئا بالبرتقال الناضج المسنوى الشكل ، الشبيه بكرات ذهبية، فتوقف الامير صاحب العينين الزرقاوين عن الطعام ثم مد يده وامسك برتقالة وأعطاها لاخيه الامير صاحب العينين الحمراوين وقال ، «هذا نصيبك يا أخى » ، وأخذ برتقالة أخرى ووضعها فى طبقه وقال ، «وهذا نصيبى» ، ثم تناول برتقالة ثالثة واخذ ينظر اليها فى وجد ورقة وهيام وقال بصوت عذب مؤثر ، « وهذا نصيب حبيبتى الاميرة

عائشة الغائبة عن العيون الحاضرة دوما فى القلوب »، ويكى ، وبعد أن انتهيا من تناول الطعام ، أخـذت الاواني والصوانـى والاطبـاق والكؤوس تطير فى الهواء بهدوء وتخرج من الغرفة ، حتى وصلت عند الحمارة ، ورصت نفسهـا فوق ظهرها ، وسارت الحمارة ، وتسللت العجوز وتبعتها ، وانفتح باب البستان ، ثم انقفل ، وسارت الحمارة الى شاطىء النهـر ، أما العجوز فقد رجعت الى دارها .

أما الاميران فما أن انتهيا من الطعام حتي تماما ، ولبس كل منهما ريشه وانتفض وتحول الى هيأة طائـر ، هذا سماوى وذاك أحمـر ، وطارا بعيدا حتى هبطا على ربوة أمام شرفة قصر الاميرة عائشة ، وكانت الاميرة واقفة فى الشرفة تنتظر ، ومالن رأتهما حتى رددت فى صوت حنون رقيق ، الطائر السماوى، الطائر السماوى حبيبى، كانت الاميرة عائشة قد رأت الطائر السماوى منذ زمن لاول مرة ووقعت فى حبه، وكان يجيء كل يوم مع أخيه الطائر الاحمر وينزلان على الربوة ، ويتقدم الطائر السماوى قليلا فيفتن بسحره الاميرة ويعصف بقلبها ، كانـت تحبه وتهواه ، لكن كيف تكلمه وهو طائر صامت ، أما هو فكان يعشقها ويهواها، ويجيء اليها كل يوم، لكنه كان غير قادر على الافصاح عن حبه، لكن عيونه الزرقاء كانت تقول لها أشياء وتهيم بها فى عالم مسحـور ممتلىء بالبهجة واللذات ، ومضت ثلاث سنوات والحب ينمو ويشتعل فى القلـوب .

وكـانت الاميرة تتعذب فى حبهـا ، فهى لاتدرى شيئا عن قصة الامير ، انها تحب ذلك الطائر الفتان ، لان عينيه الانسانيتين تكلمانها وتعدانها بجنة الاحلام ، فهل هذا صحيح ؟ ، وهى تجهل الحقيقـة ، ذلك لان الامير حولته هو وأخاه ساحرة ، وكان عليهما أن يظلا علـى هيئة طيور مدة من الزمان قاربت الانتهاء ، ولم يستطع الامير أن يخبر حبيبته ، وعليها أن تصبر دون أن تعرف، فكان عذابها أكثر من عذابه وحبها أقوى من حبه ، ونظرت الاميرة الى الطائـر السماوى ، فتناجيا بالعيون ، حتى فاضتا بالدموع ، فخلعت الاميرة عقدها المرصـع بالجواهر ورمته الى الطائـر السماوى فابتلع حباته وطار يتبعـه الطائـر الاحمـر .

ولم تستطع الاميرة صبرا ، فقد أضناها الحب ، فجرت الـى داخل قصرها ، ونادت جواريها وأمرت واحدة منهن أن تلبس ثيابهـا

وتأخذ مكانها ، وأخبرتها أنها سترحل فان رجعت فستعود الامور الى مجراها ، وان لم ترجع فستظل تلبس ملابسها وتقوم بدورها .

وحملت معها شيئا من مجوهراتها وصرة من المال ولبست ملابس الجارية وخرجت من القصر تريد أن تبحث عن الطائر السماوى ، فهو يجيء من هناك ، من وراء الربوة ، ترى أين يعيش ، ولماذا يجيء دائما من هذه الناحية ؟ انها تحب ، وتريد أن تعرف كل شيء عن حبيبها .

وكان الوقت عصرا حين غادرت الاميرة قصرها وسارت فى طريقها دون أن تدرى الى أين تذهب ، فكل ما تعلمه أن حبيبها يجيء من هذه الناحية ، فأخذت تنظر الى الاشجار فلربما تراه او الى السماء علها تلمحه ويلمحها ، ولم تجده ولم تسعد عيناها برؤياه او يخفق قلبها لوجوده .

وظلت تمشى حتى غابت الشمس وحل الظلام ، ورأت ضوء كوخ على بعد ، فاقتربت منه ودقت الباب ، ففتحت الباب المرأة العجوز، التى تبعت الحمارة منذ ساعات .

ورحبت بها العجوز وادخلتها كوخها ، وجلست الاميرة ترتاح ، فقد كانت متعبة ، وسألت العجوز أن تقضى عندها ليلتها فأجابتها العجوز ، « مرحبا يا ابنتى ولتسامحينى لاننى فقيرة وليس لدى فراش وثير ، الا تلك الحشية التى أنام عليها ، فان أردت فلتنامى بجانبى »، فشكرتها الاميرة وقدمت العجوز لها عشاء بسيطا ، وبعد العشاء جهزت لها « أتاى » الشاى ، وشربتا بضعة اقداح ، وسألت الاميرة العجوز أن تحكى لها خرافة لتسليها قبل النوم ، فقالت العجوز ، « سأحكى لك يا ابنتى حكاية رأيتها بعينى وهى أغرب من الخيال ، فقد ذهبت اليوم الى شاطىء النهر لاغسل شيئا من الصوف ، وعلقته ليجف فوق الاغصان ، فجاءت حمارة محملة بالصوانى والاوانى والاطباق والكؤوس .. » ، ومضت العجوز تحكى ما جرى لها للاميرة ، حتى قالت ، « وهبط طائر سماوى له عينان زرقاوان ساحرتان وطائر أحمر صاحب عينين حمراوين »، فخفق قلب الايمرة وجاشت عواطفها وامسكت بيد العجوز منفعلة ، واخذت تسألها أسئلة قصيرة سريعة حائرة ، والعجوز تجيب وتثير تشوق الاميرة ، التى تأكدت أنه الطائر

السماوى حبيبها وحين قالت العجوز ، « وتحول الطائران الى بشر »، صرخت الاميرة ،« وما شكل الانسان الذى تحول اليه الطائر السماوى»، فوصفته العجوز ،« أمير فتان تشع عيناه الزرقاوان سحراً لا يقاوم ، وهو مفتول العضلات مستقيم العود وله شارب جذاب ولحية صغيرة تزيد وجهه الجميل اشراقا فوق اشراق ، ويفوح منه عبير أجمل من عبير الورود » .

وما أن قالت العجوز إن الامير أبقى برتقالة وقال ، « وهذا نصيب الاميرة عائشة الغائبة عن العيون الحاضرة دوما فى القلوب »، حتى كاد قلب الاميرة يكف عن الخفقان ، وغابت عن الوجود .

فرشت العجوز الماء على وجه الاميرة الى أن أفاقت وهى تردد ، « يحبنى يحبنى ، يحبنى الامير ، ناشدتك الله ياعمتى أن تأخذينى معك فى الغد الى شاطىء النهر » ، فوعدتها العجوز .

ونامت الاميرة سعيدة فرحانة ، تحلم بالطائر السماوى صاحب العينين الزرقاوين الجميلتين ، ذلك الذى يتحول الى امير يشع من عينيه السحر وتملا أنفاسه العطرة كعبير الورود المكان حوله ، ولم تستطع العجوز أن تنام ، لان الاميرة كانت تناجي حبيبها فى الاحلام ، وبين الفينة والفينة تهتف ، « يحبنى ، يحبنى ، يحبنى الامير » .

وفى الصباح نهضت الاميرة مبكرة غير مصدقة أن ساعة اللقاء قد أقتربت ، وأرادت أن تذهب الى شاطىء النهر فى الحال ، لكن العجوز بينت لها أن الحمارة لا تجىء الا ساعة الظهيرة ، فهتفت بها ترجوها أن تعيد عليها ما روته لها من قبل ، وأن تصف مرة أخرى شكل الطائر السماوى ، وكانت العجوز تحكي فى طلاوة ورواء ، مسألتها التكرار ، وكانت لا تشبع ولا تهدأ ، ويسعدها أن تسمع العجوز تزيد وتعيد ، ذلك أن الحب أضناها منذ وقت بعيد فقد صبرت وعانت ، وعصفت بقلبها آلام العشق والهيام .

وقبل الظهر بساعة كانتا عند شاطىء النهر ، العجوز تغسل صوفها وتعلقه فوق الشجر ، والاميرة تحلم بلقاء الحبيب ، شاردة هائمة ، وتطلب بين الفينة والفينة من العجوز أن تعيد حديثها .

وأبصرت الاميرة الحمارة مقبلة من بعيد تتهادى بحملها ، فهتفت

فى لهفة تخبر العجوز وهى تقفز فرحــة ، « هاهى الحمارة » ، فأومأت العجوز برأسها وقالت ،« نعم يا ابنتى »، وكما حدث من قبل اقتربت الحمارة من شاطىء النهر وبدأت الاوانى والكؤوس والاطباق تتحرك فى الهواءِ وهبطت الي ماء النهر فى خفة وهدوء وغسلت نفسها فى نظام ثم عادت الي ظهر الحمارة التى أخذت تسير عائدة الى القصر ، ومشت الاميرة تتبعها العجوز ، وانفتح الباب ، وسارتا بين ممرات الحديقــة الغناء ودخلت الحمارة القصر ، وجاءت المائدة ، واختبأت الاميرة خلف (دفة) مصراع الباب الايمن والعجوز خلف مصراع الباب الايسر ، وعطر العبير الجو ورفرف الطائران بجناحيهما وهبط الطائر السماوى الفتان يتبعه الطائر الاحمر ، ونفض كل منهما ريشه، وتحول الى امير جميل يلبس أفخر الثياب ويتحلى بأنفس المجوهرات، وكادت الاميرة ان تغيب عن الوجود ويتوقف قلبها عن الخفقان، فقد كان الامير حبيبها صاحب العينين الزرقاوين اجمل ألف مرة مما قالت العجوز، ساحرا فتانا يشع وجوده ضياء ويشرق وجهه الصبوح كما تشرق الشمس فى الصباح،وجلس الامير واخوه أمام المائدة ، وجاء الطعام الفاخر وملئت الاطباق ، وأكل الاميران ما لــذ وطاب ، ثم جــاء البرتقال الذهبى واعطي الامير أخاه برتقالة ، قائلا ،« هذا نصيبك ياأخى »، ووضع برتقالة فى طبقه وقال، « وهذا نصيبى » ، ثم تناول برتقالة ونظر اليها فى وجد ورقة وهيــام وقال بصوت عذب مؤثر ، «وهذا نصيب حبيبتى الاميرة عائشة الغائبة عن العيون الحاضرة دوما فى القلــوب » ، وبكى ، وكانت الاميرة تبكى معه ، وحين قال أخوه ، « اننى اشم رائحة حلوة غريبــة هنا » ، كانت الاميرة قد سبقته قبل ان ينتهى مــن كلمــاته وهرعت الــى الامير المحبوب وهتفت من قلبها ، « لا لست غائبة أبدا عن عينيــك الجميلتين »، وبالرغم من دهشته وذهوله فتح لها ذراعيه وأخذها بين احضانه لحظات هى أحلى لحظات العمر ، ساعة اللقاء بعد الضنى والعذاب ، واخيرا قال لها ، « لا أستطيع أن أصف سعادتى وفرحتى بلقائك ياحبيبتى ، ولكن سرنا وقصرنا المسحور وما نعيش فيه مــن احوال غريبة لا يمكن أن يعرفه مخلوق ، فكيف جئــت الى هــنا يــا اميرتى ، ياحبيبتى ؟ » ، فضحكت الاميرة وذعرت قليلا ولم تخف لان الحبيب لا يخاف من حبيبه ، بل خافت على العجوز فأجابت ، «أحضرتنى امرأة طيبة عجوز » وحكت القصة ، وسألته ان لا يمس العجوز بسوء فهتف ، «أبدا بل أكافئها ، بل أكافئها بكنوز الارض ، لانها حققت لنا

الهناء والسعادة » ، فخرجت العجوز من مخبئها آمنة مطمئنة ، ورحب بها الاميران ، وجلست ، وأبدى لها الامير صاحب العينين الجميلتين الزرقاوين الوانا من الشكر والعرفان بالجميل ، واعطتها الاميرة الكثير من مجوهراتها وشيئا من المـال ، وانصرفت بعد ساعـة مسـرورة فرحـانـة .

وقبل مغيب الشمس قال الامير للاميرة ، « ياحبيبتـي لابـد أن أفـارقك » ، فصـاحت فزعة ، « تفـارقنى هذا لن يكون أبـدا » فمضى فى لطف وحنان يطمئن خاطرها ويبين لها أنه وأخاه قد سحرتهما ملكة من ملكات الجان وحكمت عليهما أن يتحولا الى هيأة الطيور لمـدة ثلاثة أعوام ، وحزنت أمهما الملكة حزنا شديدا لهذا العقاب ، لكنهـا توسلت الى ملكة الجان أن تترفق بالاميرين فبنت هذا القصر وسمحت لهما أن يتحولا فى داخله ساعات قليلة كل يوم الي هيأة البشر ، أما الحمارة فأصلها جارية مسحورة الى هيأة حمارة ، وهى التى كانت تقوم بخدمتهما ، وما رأته من أعاجيب كالاطباق تغسل نفسها ، والطعـام يجيء طائرا فى الهواء ليس الا شيئا يسيرا من قدرة ملكـة الجـان ، وأضاف الامير ، « لكن يشاء الحظ السعيد أن يجمعنى بك اليـوم ، واليوم هو آخر يوم أبقى فيه طائرا مسحورا وغدا حين أعود وبعـد تناول طعام الغذاء سأخلع ريش الطائر وأحرقـه وساظل انسانـا ، وأخى كذلك ، ولكن علينا أنا وأخي ان نذهب الى ملكة الجان لتمنحنـا الاذن وتعطينا العفو ، سنذهب ونقابلها ، كما يجب علينـا كذلك أن نبيت هذه الليلة مع أمنا التى كادت دموع الاحزان أن تعمى عينيها ، فلتبقى اذن يا أميرتى هنا فى القصر وسأعود اليك غدا ساعة الظهر ولن أفارقك حتى الموت ».

فارتجفت الاميرة وهلعت وهتفت ، « لا ، لا ، لا أستطيـع أن اسمح لك بالذهاب حرام عليك ، فقد أضنانى الحب وعذبنى البعاد ، لا، لا، لا أستطيع فراقك » ، فهدأ الامير من روعها وأوضح لها لزوم هذا الرحيل المؤقت ، وناشدها أن تصبر يوما واحدا ، لكن الحب يغلب العقل ، فارتمت الاميرة بين أحضانه وتوسلت اليه أن يبقى ، فمـن يدرى المستقبل ، سيقضى الليل عند أمه ، وغدا سيرجع انسانا ، انه الان هنا معها ، ولا تريد أبدا أن يبعد عنها ، واخذت ترجـوه أن لا يفارقها ، لكن الامير أعطى لها المواثيق ووعدها الوعد الاكيد بأنـه

سيعود اليها دون تأخير ساعة الظهيرة فى الغد ، فسمحت له أن يطير ويغيب يوما واحدا كما قال .

وبقيت الاميرة وحيدة فى القصر ومضت طوال الليل تحلـــم أحلاما لذيذة ولطيفة وعامرة بأطايب السعادة والهناء ، ذلك أن قلبها المليء بالحب قال لها ان الامير يحبها وانه سيعود ، لابد أن يعود .

وفى الصباح هامت فى أنحاء القصر داخل الحديقة الجميلة كمـــا تهيم الفراشة حول الورود ، وابتسمت حين مرت بخاطرهـــا فكرة ، انها تريد ان تلعب بقلب امير قليلا ، وتشـــاغله وتثق ، وهى الواثقة مرة أخرى من حبه الاكيـــد .

لذلك حاولت الخروج من القصر قبل الظهر بساعة ، لكن الباب كان مقفولا ، فزحفت وخرجت من فتحة « القادوس » القناة الى تدخل الى الحديقة وترويها ، ومشت قليلا ، فقابلت بائعا يبيع الملح على حماره، وطلبت منه أن يعطيها ملابسه والحمار ، ووهبته الكثير من المال ، ففرح فرحا شديدا، وشكرها وانصرف .

فأخذت ملابسه الرثة المقطعة، ولبستها وجلست خارج بسور القصر، فقد أرادت أن تضنى قلب الامير قليلا ، لتثق من حبه تماما ، ولانه تركها ولو لامر هام ، ليلة واحدة ، وبعد ساعة رأت حبيبها الطائر السماوى والطائر الاحمر يقبلان من أعلى السماء ورفرفا بجناحيهما ، ونزلا داخل القصـــر .

كان الامير الطائر فرحا بخلاصه وكذلك أخوه ، فانتفض كل منهما وتحول الى انسان ، لكن أين الاميرة ؟ ، أين الاميرة ؟ ، وارتفع صوته يسأل أخاه الحائـــر ، أين الاميرة ؟ وأخذ يبحث عنها فى أنحاء القصـــر فلم يجدها ، وخرج يجرى هنا وهناك فى الحديقة دون فائدة ، ماذا جرى ياترى ، هل غضبت لانه تركها وانصرف ، أكان الامس حلما من الاحلام لكن لا ، لقـــد عانقها وارتمت بين أحضانه ولو للحظات ، واستنشـــق عبيرها الفواح ، لا، لم يكن حلما ، هل عادت الى قصرها ، وجرى الى خارج القصر ، فقابل بائع الملح الرث الثياب وسأله فى لهفة ، « هـــل رأيت أحدا يخرج من القصر ؟ » ، فأجاب بائع الملح الواقف بجـــوار حماره ، « نعم رأيت امرأة تخرج من القصر » ، فهتف الامير يسأله ، « وما شكلها ؟ » ، فقال بائع الملح ، « انها شابة لم أر فى حياتى مثيلا

لحسنها وروعة سحرها . عيناها سوداوان فتانتان آه من عينيهـــا ، يبرق سوادهما فيطيح بالعقول ، وخداها تشع حمرتهما جمالا كتفاحـــة ناضجة . وشفتاها وردة ترتعش فى الفجر وقد أنعشها نسيمه ، ونهداها كحبات رمان يداعبها الريح فترقصان فى تثاقل وهما معلقتان فى أغصانهما، وذراعاها بضتان غضتان طريتان كسمكتى بورى ، طويلتان ملفوفتان ورجراجتان ، أما ساقاها فكأنهما مصنوعتان من الزبـــد الطـــازج ، ان مشت فغزال ، تخطو فتميل وتميل ، وتعصف بقلب العاشق الذليل »، كانت الاميرة المتنكرة فى شكل بائع الملح تصف نفسها وتكتم ضحكاتها ، والامير يسمع ويريد أن ينطق فلا يقدر ، فقد أثاره الوصف وبعث به الى عالم حبه الجميل ، ورآها بعين الخيال ، وتحرق شوقا الى اللقاء ، كان الوصف يشبعه ولو قليلا ، لذلك ما أن انتهى بائع الملح من كلامه حتي هتف الامير من قلبه المعذب يسأله ، « ما شكلها ؟ ما شكلها ؟»، فأعاد بائع الملح كلامه مرة أخرى ، وطلب منه الامير ان يصحبه ليبحث عنها معه، لكن بائع الملح قال له ،«لقد أوصتني ان سأل عنها الامير..»، فقاطعه صائحا ،«أنا الامير، أنا الامير ماذا قالت لك، ماذا قالت ..».

فأنحنى بائع الملح والتمس من الامير أن يسامحه لانه لم يعرفـــه وأضاف فقال ،« انها توصيك أن تصبر ولا تقلق لغيابها ، فهى ستعود ، ستعود بصفة مؤكدة بعد يوم واحد » ، فأخذ الامير يستفسره ويلح فى السؤال ، لكن بائع الملح اكد انها لم تزد حرفا واحدا عن ما قاله له ، وأنه أبلغ الرسالة بالتمام .

عندئذ توسل الامير الى بائع الملح أن يدخل معه القصر ، ويبقـــى حتى تعود الاميرة ، لكن بائع الملح اعتذر واحتج بوجود الحمـــار ، وأن الحمار عزيز عليه أثير لديه . ولا يمكنه ابدا أن يفارقه ، فقال لـــه الامير ، « وما المانع ، فليبق الحمار معنا » ، وصحب الامير بائـــع الملح الرث الثياب وحماره الى داخل القصر ، واجلس بائع الملـــح بجانبه والحمار معهما .

ورجاه فى لطف ولهفة أن يعيد مرة أخرى وصف الاميرة ، فقال بائع الملح ،« عيناها سوداوان فتانتان ، آه من عينيها ، يشع سوادهما بريقا يطيح بالعقول ، خداها تشع حمرتهما جمالا كتفاحة ناضجة ، وشفتاها وردة ترتعش فى الفجر وقد أنعشها نسيمه ، ونهداها كحبات رمان يداعبهما الريح فترقصان فىتثاقل وهى معلقة فىأغصانها، وذراعاها

نضتان غضتان ، طريتان كسمكتى بورى ، طويلتان مستـــديرتـــان ، ملفوفتان ورجراجتان ، وساقاها كأنها مصنوعــــة من الزبد الطـــازج ، وإن مشت فغزال، تخطو فتميل وتميل، وتعصف بقلب العاشق الذليل»، فجاشت عواطف الامير وعصف الحب بقلبه ، فتوسل وتوسل وناشد بائع الملح أن يعيد كلامه مرة ومرة ومرات ، وأخيرا اشفقت الاميرة على حبيبها ووثقت من حبه ، فخلعت ملابس بائع الملح وأظهرت حقيقتهـــا للامير ، وعاشا معا في افراح وليال ملاح .

مغامرات الذئب والقنفد

كانت « القوبع » وهى طائر صغير ، تسكن فى شجرة عالية مع فراخها الصغيرة الثلاثة ، وفى يوم جاء اليها الذئب وناداها ،« ياقوبع ياقويع » ، فنظرت اليه من أعلى الشجرة خائفة ترتعد وسألته : « ماذا تريد ياعمى الذئب ؟ » ، فأجابها مزمجرا ، « ارمى الى طيرا من أولادك ، والا نحمر ونتمر واستل سباطى الاحمر (1) واجىء اليك فوق الشجرة ، وآكل أولادك الثلاثة كلهم ، ارمى لى واحدا ان أردت أن يبقى لك الاخران » ، فرمت القويع للذئب أحد صغارها وهى تسكب الدموع واخذت تصرخ وتبكى وتولول .

وفى اليوم التالى ، جاء الذئب وكرر قوله ، فخافت القويع وارتعدت ، ورمت له قويعا صغيراً من أبنائها ، واخذت تبكى وتنوح حزينة على صغيرها ، واقبل بلارج ، وهو طائر كبير طويل الساقين، ووقف فوق الشجرة فسمع الصراخ والنواح والعويل ، فنظر ، وعرف ان القويع هى مصدر تلك الاصوات فسألها ، « ماذا دهاك أيتها القويع ، مالك تصرخين وتبكين وتثيرين ضجة ، وأنا أريد أن أنام قليلا .؟»، فحكت له ما حدث لها ، واوضحت انه لم يبق لها الا واحد من صغارها ، فغضب بلارج واظهر الحزن والاسف ، وقال للقويع ، « ان الذئب يكذب عليك ويهول ، فالذئب لا يستطيع أن يطير أبداء فان جاء الذئب مرة اخرى وردد اكاذيبه وقال والا نحمر ونتمر واستل سباطى الاحمر واطير واجىء اليك فوق الشجرة ، وغير هذا من الكلام الذى لا معنى له ، فقولى له حمر وتمر واستل سباطك الاحمر ،

(1) — نحمر ونتمر كلام قصد به التخويف ، واستل سباطى الاحمر معناها اخلع حذائى الاحمر .



وفي اليوم التالي جاء الذئب وزمجر وردد قوله فأجابته القوبع، « حمر وتمر واستل سباطك الأحمر... ».

فأنا لا أخاف منك وأنت لا تستطيع أن تطير أو تصل الى عشى فـــوق الشـجـــرة » .

وفى اليوم التالى جاء الذئب وزمجر وردد قوله ، فأجابته القوبع: « حمر ، وتمر واستش سباطك الاحمر »، وضحكت وقالت له ،« أنت، كذاب مدع ، لاتستطيع ان تطير أو تطلع الشجرة ، وانا لا اخاف منك»، فصاح الذئب مرتاعا ومندهشا ،« من قال لك هذا ؟ »، فردت القوبع ، « عمي بـــلارج طويـــل العوارج — السيقـــان — » ؛ فانصـــرف الذئب يائســا ؛ وأخذ يبحث عن بلارج حتى وجده وقال له ، « لمـــاذا تحاربنى ياعمى بلارج فى رزقى ، وتكشف حيلى للطيـــور وتجعلـــها لا تخشانى ؟ »، فضحك بلارج وقال لذئب ، « الحق لقد رثيت لحالك فكيف ترضى لنفسك أن تأكل صغار الطيور ؟ فأجابه الذئب ، «لان الاحوال ضاقت بى يا بلارج ، ولم أجد ما آكله واضطررت الى هذا » ، فقال له بلارج ،« اننى اصدقك فالامور صارت سيئة على الارض أما هناك فى الاعالى ، فى السماء حيث أطير ، فما أكثر الحملان والخرفان ذات اللحوم الشهية ، تعال معى وأنا أذهب بك الى أماكن فى السماء تجـــد فيها الخراف السمان دون رعاة أو كلاب تحرسها » ، فسال لعـــاب الذئب وقال ، « بارك الله فيك ياعمى بلارج خذنى معـــك » ، فقـــال بلارج ، « ان شئت أخذتك ، لكن الامـــاكن بعيدة » ، فرد الذئـــب ، « لايهم لايهم »، وركب الذئب فوق ظهر بلارج وطار بلارج ، وصار يعلو ويعلو .

وسأل بلارج الذئب ، « كيف تظهر لك الارض الان ؟ »، فأجاب الذئب ،« اراها كمائدة الطعام المستديرة »، فأخذ بلارج يعلو ويعلو ، وسأل الذئب، «كيف تراها الان ؟»، فأجاب الذئب ،« اراها كالغربال »، فطار بلارج واخذ يعلو ويعلو ، وسأل الذئب « كيف ترى الارض الآن؟»، فأجاب ، « لا أراها يا عمى بلارج » ، فرماه بلارج من فوق ظهـــره ، فسقط وهوى،ونظر فرأى نفسه قريبا من البحر ، وبينما هو يهوى فى طريقه الى الارض قال لنفسه ، « آه لو وقعت على الارض لحرثتهـــا كسكين المحرآث ولو سقطت فى البحر لنجوت وتصدقت على المساكـــين بالكثير من المـــال » .

ولحسن حظ الذئب وقع فى البحر ، ونجا ، وخرج الى شاطـــىء

البحـــر سالما ، ووجد الذئب شبكة صياد ، فأخذها ووضعها أمامـه على الشاطىء وأخذ يعبث بها ويخطط فى الرمال ، وكانت هناك غولة تمشى على شاطىء البحر ، فرأت الذئب وسألته ، « ماذا تفعل يا أخى الذئب ؟ » ، فأجابها ، « أقرأ واكتب » ، فقالت له ، « اذن سأحضر لك أولادى لتعلمهم القراءة والكتابة »، فقال لها ، « احضريهم الى باكرا فى الغار » ، ووصف لها مكان غاره فى الجبل .

وفى الصباح ذهبت الغولة ومعها أبناؤها الى غار الذئب، فطلب منها أن تتركهم ثلاثـــة أشهر عنده حتـــى يحسن تعليمهـــم القـــراءة والكتابة ، وعليها أن تأتيه بالطعام كل يوم له ولأولادها .

أما الذئب فقد أكل أولاد الغولة واحضر منحلا ملأه بالنحل ووضعه على باب الغار ، وكانت الغولة تأتى كل يوم لتعطيه الطعام ، ولا تستطيع أن تقترب من الغار لانها تخاف النحل ، فتكتفى أن تسأله عن أولادها، فيطمئنها .

لكن الغولة قلقت بعد ثلاثة أسابيع ، فاقتربت من الغار ودخلته، فلم تجـــد أولادها ، فهجمت على الذئب ، فأعطاها الذئب لوحا مـــن الخشب ، فعضته الغولة من غيظها وانغرست فيه أسنانها ، وجرى الذئب ، وأخذت الغولة تجرى وراءه واستطاع الهرب منها بصعوبة، وكانت الليلة باردة واحتار الذئب، أين يذهب وقد بعد كثيرا عن غاره ، وأخيرا وجد كومة من الحطب المتفحم فقد كان الحطب مشتعلا وانطفأ، فدخل الذئب داخل كومة الحطب ، ونام من شدة التعب ، لان الغولة ظلـــت تجرى وراءه وتطارده من الصباح حتى المساء ، لكن الحطب كـــان بعضه مازال مشتعلا تحت الرماد ، وحين هبت الريح فى الليل اشتعل نارا مرة أخرى ، وأمسكت النار بالذئب فاستيقظ يصرخ والنـــار مشتعلـــة فى فروته ، وجرى الذئب ووجد أمامه عجوزا تصلى وبجانبها كومة من الرمال ، فلم يخف العجوز لكبر سنها ولانشغالها فى الصلاة، فقفـــز الـــى كومـــة الرمـــال وأخـــذ يتقلـــب فيهـــا ليطفـــىء النار المشتعلة فى فروتـــه ، فقطعت العجـــوز صلاتهـــا وامسكت بعصاهـــا وانتهـــزت فرصـــة انشغـــال الذئـــب فـــى تقلبـــه ليطفىء النار ، وأخـــذت تضربـــه بقـــوة وعنـــف ، فـــجـــرى الـــذئـــب يعـــوى ويتألم والنار مشتعلة فيه ، حتى وجد عين ماء فقفز فيها ، وخرج منها

منهوك القوى واخذ يردد ويقول ، « هذا هو عذاب الدنيا الذى عرفته، فلا تثق بالليالي اذا بردت ولا بالنار اذا انطفأت ولا بالعجوز اذا صلت »، وصـــارت مثــلا .

المنافقون

لم يرزق التاجر الغنى الا بابن واحد ، ففرح بمولده فرحا شديدا وأحاطه بالرعاية والعطف ، وألوان من الرفاهية ورغد العيش ، وحين كبر الولد زادت فرحة الاب وأخذ يدلله ويجيب كل رغباته ، فنشأ نشأة غير صالحة ، لا يعرف حقائق الحياة ، لذلك كانت الام دائما تعارض الاب وتحاول أن تعود ابنها أن يعيش كما يعيش سائر الناس ، ليعرف شيئا من مصاعب الحياة ومشاكلها وخدع الناس وحيلهم ، لكن دون فائدة ، لان الاب كان دائما يدلل ابنه ويسهل له الامور ، ويوافق على كل تصرفاته .

وما أن كبر الابن حتى عمل مع أبيه فى التجارة ، لكن لم تمض سنوات قلائل حتى مات الاب وورث الشاب ثروة أبيه التاجر الغنى الطائلة .

والتف حوله أصدقاء السوء ، يتملقونه دائما ويمدحونه ويطرون اى عمل يأتيه حتى وان كان قبيحا ، وأخذ الشاب يبدد ماله ، ويقيم الولائم ، ويبتز منه الاصدقاء المال بشتى صنوف الحيل ، ويقترضون منه دائما ، ويوهمونه انه خير أخ وصديق ، وأنهم كذلك يكنون له المحبة والاخلاص الاكيد .

وقلقت الام وأمضها ما تراه من اسراف ابنها وتبذيره ، فنصحته كثيرا ونهرته ، وحاولت بكل وسيلة أن توقف اندفاعه الى الهاوية ، لكنها لم تقدر . وكانت فى الدار خادمة عجوز ربت الشاب ورعته منذ كان طفلا صغيرا ، وبعد أن فشلت الام والاقارب وأصدقاء أبيه ، سألت الام المربية أن تنصحه وتؤثر عليه وترجعه الى طريق الصواب ، لكن

الشاب وقد احاط به أصدقاء لا هم لهم الا تملقه ونفاقه وخداعه وايهامه بأنه كريم وشهم ومخلص لاصحابه ، لم يسمع حتى لمربيته .

ومضت سنوات وبدت النهاية تقترب ، فقد ضاع أغلب الميراث، ولم يبق من المال الا الشيء القليل ، فأخذت الام مائة مثقال من الذهب وخبأتها ، ولما سألتها المربية مندهشة عن السبب ، أجابتها ، « ان ولدى سيبدد كل الاموال ، لقد اسكره المنافقون والمداحون وجعلوه يعيش فى دوامة ، فأصبح لا يدرى من أمره شيئا ، وليس ادل على ذلك من انه لم يلاحظ أننى أخذت مائة مثقال من الذهب ، لكننى سأبقى هذا المال عندى وأخبئه حتى يرجع الى صوابه فى يوم من الايام ويصبح رجلا فأعطيه المال»، فصرخت المربية وهى غير مصدقة أن سيدها وابنها سيصبح فقيرا ، فشرحت لها الام وبينت لها مقدار ما اضاعه من المال ومقدار ما تبقى ، فأخذت المربية تبكى حزنا على ما صارت اليه الاحوال ولم تبك الام وهي أشد حزنا منها ، لانها كانت قد بكت حتى جفت دموعها .

وصح ما توقعت الام ، وانتهى المال وأقفلت الحوانيت ، وافلست التجارة ، وتبدد ما تبقى من دراهم قليلة ، فسأل الشاب امه شيئا من المال لانه خاوى الوفاض فأجابته الام ، « اننى يا بني لا أمتلك شيئا وقد أصبحنا فقراء ، ولا أستطيع أن اساعدك » فبهت الشاب ووجم ، لقد أصبح فقيرا ، بل لقد أصبحوا كلهم فقراء ، لكن الام طمأنت خاطره وقالت له ، « لقد كنت دائما تقول لى ان لك أصدقاء مخلصين ، وكنت تقول أنهم اكثر من أصدقاء وأنهم اخوتك ، وكثيرا ما اقرضتهم ، والفقر ليس بعيب يابنى ، فاذهب اليهم واطلب ما لك عندهم من دين ، فأنت على الاقل حتى الان لا تسألهم المعونة ، بل تسألهم أن يردوا لك ما اقترضوه منك وهو حق لك » .

فذهب الشاب الى أصدقائه واحدا بعد الاخر ، فاعتذروا كلهم بضيق ذات اليد بل ان بعضهم ادعى النسيان وعدم تذكر الدين ، وآخرون أبدوا دهشتهم لان الشاب جاء يسأل رد نقوده التى ظنوها هدية أهداها اليهم فى يوم من الايام .

ورجع الى أمه وحكي لها ما حدث فطلبت منه أن يذهب الى بعض أصدقائه الذين كان يقيم لهم الولائم ويهديهم الهدايا وينفق عليهم الاموال

الطائلة كل ليلة ، طلبت اليه أن يذهب اليهم ويقترض منهم ، وتألمت المربية فرجت الام أن تعطى الشاب ما خبأته من الذهب ، لكن الام قالت لهـا ، « انه لم يصبح رجلا بعد » ، ورجتها المربية كثيرا ، لكنها رفضت اجابـة طلبهـا .

وسار الشاب الى أصدقائه وطلب من أحدهم أن يقرضه مائة دينار فاعتذر بشتى الاعذار الواهية، فطلب من آخر ان يقرضه خمسين دينارا، فكانت الاجابة بالمثل ، حتى انه طلب من أحدهم عشرة دنانير ، فرفض ان يعطيها له ، بل الاسوا من ذلك ، أنهم قابلوه فى غلظة وأهملوه ، فلم يعد أحد يهلل لمقدمه كما كان يحدث من قبل او يرحب به، بل انكـر أحدهم وجوده مع أن الشاب سمع صوته داخل داره ، ولم يرض بعضهم أن يقابله ، فرجع الشاب الى أمه وقد آلمه ما حدث ، وحكى لها مـا جـرى ، وعندما رأت المربية ما يقاسيه الشاب من محن وآلام ، توسلت الى الام أن تظهر الذهب وتعطيه للشاب ، فصاحت بها الام ، « صبرا انه لم يصبح رجـلا بعد » .

وفى يوم قالت الام لابنها ، « لقـد ذهبت يابنى الى من تسألهـم الديون فلم يردوها لك وتهربوا منك ، وذهبت تحاول الاقتراض مـن اصدقائك ، فرفضوا وأساءوا معاملتك ، وقد آتتنى فكرة ، مـاذا لـو ذهبت الى مكان يجتمع فيه كل أصدقائك أو عدد كبير منهم ، واطلـب منهم جميعا أن يقرضوك شيئا من المال لتتاجر به من جديد ، وتحاول تعويض ما فقدت ، فربما خجلوا من بعضهم وأعطاك كل منهم شيئا من المال، وخاصة وقد ساءت بك الاحوال وهم يعرفون أنهم كانوا السبب».

وعرف الشاب أنهم يجتمعون عند أحد الاصدقاء كل ليلة ليلعبوا بأوراق اللعب (الكارطة) ، فاتخذ طريقه بعد صلاة المغرب الـى دار ذلك الصديق ، وحين دخل الغرفة أقرأهم السلام ، فرد بعضهم فى فتور، وتجاهله البعض ، ولم يعره أى اهتمام آخـرون .

وتذكر الشاب الماضي، وكيف كانوا يقابلونه ، فدارت به الدنيا ، وأخذ البعض منهم يقول له ، « جئت يامنحوس » ، وسخر آخر منـه حين رأى بلغته مقطعة ، قائلا ، « ما هذا ، البلغة قديمة جدا هـل ورثتها من جدك ؟ » ، وضحكوا ، ولكي ينقذ الموقف قال فى خجل وهو يتصنع الضحك ، « لا ، لا ، لقـد أكلها الفار » ، فسخروا منه وقـال



فاتخذ طريقه بعد صلاة المغرب الى دار ذلك الصديق، وحين دخل الغرفة أقرأهم السلام، فرد بعضهم في فتور، وتجاهله البعض، ولم يعره أي اهتمام آخرون

أحدهم ، « الفأر أكل البلغة ! أهى مصنوعة من السكر ؟ » ، وقال آخر انها مصنوعة من الجبن لان الفأر يحب الجبن » ، وضحكوا وقهقهـوا ، ولم يقدر أن يطلب مهم قرضا كما أوصته أمه ان يفعل .

ورجع الى أمه يائسا حزينا يمتلىء قلبه بالغضب ، وقد أحـس غدر الاصدقاء ، وأخذ يقارن ما كان يجده بالامس منمديح ونفاق بما لاقاه اليوم من سخرية مريرة واحتقـار وازدراء ، وحين رأته أمه سألته ، ماذا حدث ؟ »، وجاءت المربية وقد ذهلت حين رأته حزينا كئيبا متألما ، لكنه لم يجب أمه ، وجلس مطرقا ، يتمتم ويكاد ينفجر من شدة ما يقاسيه من آلام ، وبعد ساعة تكلم ، واعترف لامه بخطئه الفادح وجرمه الكبيـر ، وصاح ، « لقد بددت مالا كثيرا وانفقته على حثالـة من البشر محتالين خداعين منافقين ، منافقين ، منافقين يا أماه » ، وكان الندم ينبع من أعماق قلبه المتألم ، وحكى لها ما جرى له مـع الاصدقـاء ، وكيف سخروا من بلغته المقطعة ومنه عندما أخبرهـم أن الفأر اكلها وكيف ضحكوا وقهقهوا دون أى اهتمام بأمره أو مراعـاة لمشاعره ، وحكى لها كثيرا عن الماضى ، لقد صحا أخيرا ، لقد وعى الدرس ، فصرخت الام ، « هداك الله يابنى ، الان صرت رجلا ، لقد عرفت خطأك واعترفت به ، لقد عرفت حقيقة أصدقاء السوء ، الان عرفت الحياة وستنجح » ، وأظهرت الذهب وأعطته له ، وباركته الام ، ودعت له المربية . وجهز قافلة صغيرة ، ورحل الى بلاد بعيدة ليتاجر من جديد ليعـوض ما فـات .

لقد تغير ، فلم يعد ذلك الشاب العابث المستهتر المستسلم للنفاق والمديح ، لا ، لقد رأى الناس والاصدقاء فى صور مختلفة عن الماضى، وبدأ يربح وينجح ، ولم تمض ثلاث سنوات حتى كان قد عاد ومعـه قافلة كبيرة وأموال كثيرة ، ففرحت به الام تاجرا ناجحا ، ورجلا يعتز به ويعتمد عليه ، أما المربية فكانت فرحتها لا توصف ، وأحاطته بألوان من الرعاية والحنان وطالبته أن يتزوج .

ولم يصدق أصحابه حين سمعوا بعودته ، وقد أصبح أكثر ثراء ممـا كان عليـه ، لكنهم ما ان تأكدوا من صدق ما سمعوه ، حتـى هرعوا اليه ، يرحبون به ، أحدهم يقول ، « لقد اشتقنا اليـك » ، ويقسم الثاني أن البلدة كانت كئيبة بدونه ، ويهتف الثالث ،« والله لقد

قلت للناس انك لرجل ، وستعوض ما خسرت وأكثر » ، فيبتسم الشاب، لان هذا المديح والنفاق كان قد شبع منه ، وعرف ضرره ، وظن أصدقاؤه انهم يستطيعون أن يعيدوا الكرة ويلعبوا به ويستغلوه مرة اخرى ، فبدأوا يلتفون حوله ويظهرون له ألوان الود والمحبة والعطف .

أما هو فكان يضحك ويبتسم ويحكى لامه ، ويبين لها انـــه واع وحذر ، ويطمئنها .

وقالت له ألام يومـــا ، « لماذا لا تدعو أصدقاءك للعشاء ؟ » ، وكانوا نفس الجماعة أو اغلبها التى سخرت من بلغته المقطعة يوماً ، واقترحت الام أن تقدم لهم لبنا بالسكر مع الكسكس ، فقد مضى زمن الولائم الفاخرة والاسراف والتبذير ، فدعا الشاب أصدقاءه ، ففرحوا ورحبـــوا بالـــدعوة .

واسرعوا الى داره فى الميعاد المحدد ، وغسلوا ايديهم واستعدوا للاكل لكن الام لم ترسل الطعام ، فسكت الاصدقاء ساعة ، لكنهم بدأوا يقلقون ، وضحك احدهم ، وقال « لقـــد تأخر الطعام » ، فنادى الشاب مربيته وطلب منها أن تسرع ، فأجابته ، « لتصبر قليلا يا سيدى » ، فقـــد أوصتها الام أن تتأخر ، واحس الاصدقاء بالجوع ، فقد تأخـــر الطعام كثيرا ، فقالوا له فى لطف ، انهم قد جاعوا وانتظروا كثيرا، فنادى المربية وقال لها ، « لقد طلبت عدة مرات أن تحضرى الطعام وتأخرت كثيرا » ، فردت ، « نعم لقد تأخرت ، لاننى أريد أن أسحق السكر فى المهراز ، فلا يمكن أن تأكلوا الكسكس باللبن من غير سكر ، ولكننى لا أقدر أن أسحق السكر فى المهراز (1)» ، فسألها عن السبب ، فأجابت ، « لان المهراز مثقوب ، أكله الفأر » ، فصاح الشاب متعجبا ، «المهراز مثقوب وأكله الفأر » ، فردت بهدوء ، « نعم يا سيدى ، ان الفأر قد أكل المهراز وثقبه » ، فأخذ الشاب يجادلها فى ضيق ودهشة ، « وهل من المعقول أن يأكل الفأر النحاس ؟ » ، وكان الاصدقاء جائعين ويريدون الطعام بسرعة ، فقال أحدهم ، « كفى جدالا، نعم ان الفأر يأكل النحاس، انه يحفر الارض والجدران ويأكل الاحجار ، فلماذا لا يأكل النحاس ؟» ، وقال صديق آخر بسرعة ، « نعم نعم ، نعم ، الفأر يأكل النحاس ،

(1) — ويسمى فى مصر « الهون » وغالبا يصنع من النحاس وتدق وتسحق فيه التوابل وما يماثلها .

المهم انتهوا من الجدال واحضروا الطعام » ، وأقسم الثالث ان الفيران قد ثقبت المهراز عندهم وأنها تأكل النحاس والحديد ، حتى ينهى المشكلة وتحضر المربية الطعام ، فصرخ الشاب ، « اسمعى يا أماه اسمعى يا مربيتى ، انهم يقولون ويقسمون أن الفأر يمكنه أن يثقب المهراز ويأكل النحاس والحديد والحجر ، اذن لماذا سخرتم مني وضحكتم حين اخبرتكم انه أكل البلغة ، والبلغة مصنوعة من الجلد » ، وثار الشاب وسبهم ،« أخرجوا من دارى أيها المنافقون ، أخرجوا أيها المنافقون ».

مهارة اللصوص

تعاهد لصان على الوفاء والاخلاص كل لصاحبه ، واتفقا اذا ضبط وأمسك بأحدهما أن لا يعترف ولا يقول شيئا عن الاخر ، وكانا يسرقان بمهارة ويدبران الخطط والحيل ، وكثيرا ما سرقا الجمال والبقر والخيل ، ولم يكتشف أحد أمرهما ، وعاشا سويا فى خيام متجاورة مع زوجتيهما وأولادهما .

وفى يوم أراد اللصان سرقة حصان أصيل ، فتتبعا صاحبه ، وظلا متربصين له حتى رجع الرجل الى مضرب خيامه ، ونزل من فوق الحصان وأطلقه الى داخل خيمة من خيامه ، عندئذ تسلل اللصان بخفة تحسدهما عليها الثعالب ، وركب أحدهما الحصان بسرعة ، وجر الاخر الحصان من اللجام وأخرجه بهدوء من الخيمة ، لكن الحصان كان أصيلا، فما أن خرج من الخيمة حتى صهل ، فسمع صهيله صاحبه ، وتنبه ، ونادى غلمانه ليروا ماذا دهى الحصان ، فوجد الغلمان اللص راكبا الحصان والاخر يجره من اللجام ، وكان اللص ذكيا فجرى بالحصان ، لكن الغلمان أحاطوا باللص الاخر وأمسكوا به .

وأخذوه الى القاضى ، فعذبوه ، لكنه وفى بعهده ولم يذكر شيئا عن صاحبه،بل زاد وأنكر ، وقال انه لا دخل له فى الامر ، ولم يحاول سرقة الحصان ، وليس له شريك ، مع أنه عجز عن تفسير سبب وجوده فى هذا المكان ساعة السرقة ، وأبدى أوهى المعاذير ، لكن الغلمان شهدوا أنهم امسكوا به وهو يجر الحصان من اللجام .

ومضت الايام وهو محبوس فى سجنه ، أما اللص الاخر فقد أخذ الحصان وباعه وباع اللجام والسرج كذلك ، وأعطى نصف الثمن لزوجة السجين .



وفي يوم أراد سرقة حصان أصيل، فتتبعا صاحبه وظلوا ... متربصين حتى رجع الرجل الى مضرب خيامه، ونزل من فوق الحصان، وأطلقه..

وحين اطمأن أن الموضوع قد انتهى ، ذهب فى اليوم المخصص لزيارة المساجين ليرى صاحبه ، وقابله ، لكنه وجده محاطا بالحراس ، ونظر السجين اليه وكأنه يريد أن يقول له دون أن يتكلم ، « أنا لم أعترف فاياك أن تلفت نظر الحراس الى سرقة الحصان » ، فقال اللص للسجين ليطمئنه ويحكى له ما حدث عن بيعه الحصان والسرج واللجام بطريقة ذكية ، ودون أن يلفت نظر الحراس ، قال ،« مول الاربعة اربعين ، يقصد أنه باع صاحب الاربعة ارجل ـ الحصان ـ بأربعين دينارا ،« وشد واطلق بعشرة » ويقصد اللجام ، باعه بعشرة دنانير ، « وأرفد وحط » بعشرين ، يقصد بأنه باع السرج بعشرين دينارا ، وثلاثين وخمسة عند صاحبة « الكصة » ، يقصد اللص أنه أعطى زوجة السجين « صاحبة الكصة » خمسة وثلاثين دينارا .

وفهم اللص أن صاحبه باع الحصان بأربعين دينارا واللجام بعشرة والسرج بعشرين ، وأعطى نصف الثمن لزوجته ، وهو خمس وثلاثين دينارا ، لكن كان كل ما سمعه الحراس ، « مول الاربعة أربعين ، وشد واطلق عشرة ، وأرفد وحط عشرين ، وثلاثين وخمسة عند صاحبة الكصة » ، فلم يفهموا شيئا ، وأن فهم السجين .

البــرق

كانت المراة جالسة فوق سطح دارها ، حزينة مهمومة لانها لم ترزق بأطفال، وفجأة سمعت دوى الرعد ، وبعد قليل بدات السماء تمطر، وأبرق البرق يخطف سناه الابصار ، فتأثرت من لون البرق الساطع ونوره الوهاج ، وهتفت ، « يا برق أعطني بنتا كى أفرح بها ولو قليلا ، ثم خذها حين تريــد » .

ولم تمض أيام حتى حملت المرأة ، وبعد شهور وضعت بنتـــا جميلـــة . ونسيت المرأة تماما ما حدث فوق السطح ذات ليلة ، فقد مضت سنوات وكبرت البنت حتى أصبحت شابة يطلبها الخطاب .

ونزل البرق من السماء فى صورة رجل ، وقابل الفتاة وقال لها ، « اذهبى الى أمك وقولى لها ان صاحب الامانة جاء يطلب أمانته »، فاسرعت الفتاة الى أمها واخبرتها بما حدث ، فذعرت الام وقالـــت لابنتها ،« أن قابلت هذا الرجل مرة أخرى وأعاد عليك نفس الكلام ، فقولى له أنك نسيت أن تخبرينى بما حدث ».

وفى اليوم الثانى قابل البرق الشابة وسألها ، بماذا أجـــابت أمها ؟ ، فقالت له ،« لقد نسيت أن أخبرها » ، فأوصاها أن تقول لها أن صاحب الامانة جاء يطلب أمانته ، فذهبت البنت الى أمها وحكــت لها ، فارتعشت الام وجفلت ، ورجت ابنتها أن تقول للرجل ان قابلته مرة أخرى انها نسيت أن تبلغ أمها كلامه .

وفى اليوم التالى قابل الرجل الفتاة وسألها عن اجابـــة أمها ، فقالت له الفتاة أنها نسيت مرة ثانية أن تخبر أمها ، فأمسك الرجـــل باصبع الشابة وربط لها فيه خيطا من الصوف وقال لها ، « هـــذا

الخيط ربطته فى أصبعك لكى تتذكرى عندما ترينه ، مسرعين وتقولين لامك أن صاحب الامانة جاء يطلب أمانته » .

فهرعت الفتاة الي أمها وحكت لها ما حدث ، عندئذ ، اطرقت المرأة برأسها وقد غلبها الحزن وأضناها الالم ، وقالت للفتاة ، « ان قابلت هذا الرجل مرة أخرى فقولى له أن امى تقول لك خذ أمانتك » .

وقابل الرجل الفتاة ، وقبل أن يسألها قالت له ، « أمى تجيبك بقولها ليأخذ صاحب الامانة أمانته » ، فأخذها وطار بها الى السماء .

وبعد أيام افتقد القمر والشمس والنجوم صديقهم البرق ، لانهم لم يعودوا يرونه ، لانه حمل الفتاة الى قصره وأقفل أبواب القصر السبعة ، وكان هذا سبب غيابه وعدم رؤية أصدقائه له .

فذهبوا الى البرق ورجوه مرة ومرات ، حتى رضى البرق بأن يروا الفتاة ، و حين رأوها ، فتنهم حسنها و سحرهم جمالها ، فغاروا من البرق و ذهبوا الى أخيه الاكبر الرعد ، وشكوه اليه ، لانه احتجب عنهم بسبب الفتاة ، وأنه ليس من حقه أخذها من أمها ، واحضارها الى قصره فى السماء .

فنادى الرعد أخاه البرق ، وامره ان يرد الفتاة الى أمها ، وأن لا يتعرض لها مرة أخرى ، فسمع البرق أمر أخيه الرعد وأطاعه ووعد بتنفيذه .

وقبل أن يرجع البرق الفتاة الي أمها، جلس فى قصره حزينا غاضبا مما فعله أصدقاؤه ، لكن القمر والشمس والنجوم ذهبوا للبرق يهدئون خاطره ، وقال له القمر ، « لا تحزن ايها البرق فان كلا منا سيعطي لهذه الفتاة شيئا ، فان كنت تحبها فلابد أن ذلك سيسعدك » ، واعطاها القمر شيئا من نوره الساحر الفتان ، فان دخلت الى أي مكان شع حسنها نورا مضيئا ساحرا ، أما الشمس فأعطتها اللؤلؤ ، والماس ، والزمرد ، والياقوت ، فان ضحكت الفتاة تساقط من فمها كل حجر كريم ، أما النجوم فأعطتها الرائحة العطرة الزكية التى ليس لها مثيل ، فان تكلمت الفتاة ، أنبعثت من فمها رائحة الزهور ، وفاح عطرها من حولها .



وقابل الرجل الفتاة، وقبل أن يسألها قالت له :

« أمي تجيبك بقولها : ليأخذ صاحب الأمانة آمانته » فأخذها، وطار بها الى السماء.

وأرجع البرق البنت لامها ، ففرحت بها أمها فرحا شديدا ، وكان كل من يمر بجانب دار الفتاة يشم الروائح الزكية التى لا تنبعث الا من بستان ملىء بالزهور ، واندهش الجيران واخذهم العجب حين رأوها تضحك فتتساقط من فمها الاحجار الكريمة ، أما النور الوضاء الذى كان يشع من حسنها ، فقد دفع الناس الى الكلام ، حتى وصل الخبر الى مسامع الملـك :

فأرسل الملك الوزير للتحقق من الامر ، وعاد الوزير مبهورا ، وعندئذ أمر الملك أن تزف اليه الفتاة فى الحـال ، وطلب من أمها أن ترسلها الي قصــره .

وكعادة المغاربة فقد رأت الام أن ترسل مع ابنتها، ابنة أختها التى تماثل الفتاة فى العمــر ، لتؤنسها وتصفف لهــا شعرهــا ، وخالتها لتعتني بها وتخدمها .

لكن الغيرة دبت فى قلب الخالة ، فهذه ابنتها ستذهب وتعيــش مع الفتاة ، حقا ستعيش معها فى القصر ، لكن كوصيفة وما اقــرب الوصيفة الى الخادمة ، حتي هى نفسها خالتها ستصبح تابعا مـــن اتباعها ، وتمنت لو أن ابنتها كانت مكان الفتاة ، عندئذ دبرت خطة ، أتت بحبل وربطت قدمى الفتاة ويديها وراء ظهرها وهجمت عليهــا واقتلعت عينيها من محجريهما، واحتفظت بهما ، ووضعت الفتاة فى صندوق ورمته فى البحر ، وألبست ابنتها الملابس الجديدة الخاصــة بالعروس وزينتها وعطرتها ، واتخذت طريقها الى قصر الملك مع ابنتها مدعيــة أنها العروس .

ورحب الملك بعروسه ، لكنه لم يشم روائح الزهور الزكيــة الفواحة التي حكوا له عنها ، وأن ضحكت العروس لم يتساقط من فمها كل جوهر كريم ، وأما حسنها فقد كان عاديا ، وليس هناك نور يشع منها ، وتساءل الملك عن فقدان هذه المميزات والصفات التى قيلت عن الفتاة فأجابته الام ،« هذه صفات لا تكون موجودة دائما ، وأحيانــا تفقدها الفتاة ، ثم تعود بالتدريج » ، وأوصت الملك بالصبر .

أما الفتاة المسكينة فقد ظلت الامواج تتقاذفها وهى داخل الصندوق حتى التقطه صياد عجوز ، وأصابته الدهشة حين فتحه ووجد فيه فتاة تفوح منها رائحة اخاذة قوية ، ولها شذى أجمل من شذى بستان كبير

مليء بالزهور والورود ، ويشع حسنها وجمالها نورا يضيء الدنيا حونها ، وفزع اذ وجدها دامية العينين تئن وتتوجع ، فداوى جراحها ، ومع مرور الايام شفيت عيناها ، لكنها صارت عمياء .

وحين أحست بالراحة فى كوخ الصياد العجوز بدأت تبتسم وتضحك فتتساقط من فمها أنفس الاحجار الكريمة ، من ماس وياقوت وزمرد ومرجان ، فتعجب الصياد ، وأخذ بعضا من الجواهر وباعها، فأصبح غنيا ، وحمد الله على ما أعطاه من فضل ، وازداد حبه للفتاة وعنايته بها ، وكانت تضحك فتتساقط الجواهر من فمها ، مما زاد ثراء الصياد زيادة كبيرة .

وذات يوم قالت الفتاة للصياد ،« اننى أود أن أسألك معروفا»، فأجابها ، « لا تسألينى معروفا بل لك أن تأمرى فأطيعك ، فقد كان قدومك خيرا وبركة على ، فقد تغيرت حالى وأصبحت من الاثرياء ، وكل هذا بسببك أيتها الفتاة المباركة ، انك حورية من الفردوس ، ورائحتك من هناك »، فضحكت الفتاة فتساقطت من فمها الجواهر ، واستأنفت الفتاة حديثها ،« اريد منك أن تحضر لى سلة مملوءة بالزهور الجميلة » ، فلبى الصياد العجوز رغبتها ، واشترى السلة وملاها بالزهور الجميلة .

فأخذت الفتاة السلة ، وظلت طول الليل ساهرة لا تنام ممسكة بالزهور والورود مقربة اياها من فمها تنفخ فيها عطرها الفواح ، وبقيت طوال الليل تنفخ أنفاسها الزكية فى الزهور .

وفى الصباح نادت الصياد وقالت له ، « ان اردت أن تكمل جميلك ...» ، فانحنى الصياد يقبل يديها ، ويبدى محبته واستعداده لبذل أى شيء فى سبيلها ، فاستطردت ، « عليك أن تأخذ هذه السلة المليئة بالزهور وتذهب بها الى قصر الملك ، وتنادى على سلعتك وكأنك بائع ورود ، فان نادتك سيدة من القصر أو الملكة وارادت احداهما أن تشترى منك الورود ، لا تقبل أن تبيع الورود مهما كان الثمن كبيرا، بل قل ، انى لا أبيع الورود الا بالعيون ، فان أعطوك عينين ، بع لهما الورود ، والا فارفض اى ثمن ولو كل مال الدنيا بأجمعه » ، فوعدها الصياد بالطاعة وتنفيذ رغبتها .

وحمل الصياد السلة المليئة بالزهور وسار الى قصر الملك ،

وحين وصل تحت الاسوار بدأ ينادى على سلعته ، ولم تمض دقائـــق حتي سمع صوتا نسائيا يناديه ، ذلك أن رائحة الزهور الفواحة سبقته قبل أن يصل الى القصر ، فشمتها أم العروس المزيفة ، فذهلت وجرت الى ابنتها الملكة وهتفت بها ، « يا ابنتى ، ياللمصيبة ، أننى اشم رائحة بنت خالتك ، تعالى معى لنر ونعرف جلية الامر » .

وأسرعتا الي خارج القصر ، لكنهما وجدتا الصياد العجوز يحمل سلـــة الزهور وينادى كبائـــع ورود .

ففرحت المرأة وقالت ، « لقد نجونا ، هذا ليس الا بائع زهور» ، واقتربتا من الصياد ورائحة الزهور تفوح زكية من السلة فتعطر الجو ، وقالت الفتاة ، « حقاً انها نفس الرائحة التى كانت تفوح من ابنة خالتى » ، وفرحت الام وابنتها فرحا شديداً لانهما ستشتريان الورود وتوهمان الملك بأن الصفات التي فقدتها البنت بدأت تعود اليها .

واقتربت البنت وأمها من الصياد العجوز ، وفى لهفة طلبت منه الام أن يبيعها الورود فسألها الصياد ، « وماذا تعطيننى كثمن لهـــا يـــا سيـــدتى » ، فردت عليه ، « أعطيك ثمنا غاليا ، » وذكرت لـــه الثمن ، لكن الصياد أجابها فى هدوء ، « ان هذه الورود لا أبيعهـــا الا بالعيـــون » ، فضاعفت المرأة الثمن ، فرفض الصياد ، فذكرت الملكة ثمنا أكبـــر فامتنع الصياد .

عندئـــذ قالت الام ، «عندى العيون» ، وأحضرت عينى بنـــت أختها وأعطتها للصياد وأخذت منه الورود .

وعاد الصياد الى الفتاة العمياء الجميلة وأعطاهـــا العينـــين ، فوضعتهما فى مكانهمـا ، فعادت تبصر وترى كل شيء .

وذهبت الي والديها يرافقها الصياد ، ففرحوا بعودتها ، وطلبت ان يذهبوا جميعا الى قصـــر الملك .

ولما مثلوا بين يديه حكت الفتاة للملك القصة من أولها ، وقدمت البرهان بل البراهين ، فهاهي رائحتها الزكية تفوح وتملأ القصـــر ، وهاهو نور حسنها البهى يضيء المكان ، فيكاد يخطـــف الابصـــار ، وضحكت الفتاة للملك فانتثر الماس والياقوت واللؤلؤ والزمرد والمرجان على الارض متساقطا من فمها .

فغضب الملك غضبا شديدا ، وأحضر زوجته وأمها ، وأمر أن تحفر حفرة كبيرة وملاوها بالحطب واشعلوا فيها النيران ، وقال الملك للفتاة ، « أقسم بالله ثلاثا لابد أن تحرقيهما بيدك » ، فرمت الفتاة خالتها وابنتها فى حفرة النار . وفرحت الام بعودة ابنتها التى تزوجها الملك ، ورزق منها البنين والبنات ، وعاشوا جميعا سعداء .

مصائب الناس

كان الرجل يعمل صيادا ، وكان لديه ابن وحيد ، يحبه ويتمنى ان يصبح صيادا ماهرا مثله ، اما أمه فقد كانت تعبده وتخشى عليه مخاطر الصيد حين يصحبه أبوه معه كل يوم ، فهناك فى الغابة الكثير من الوحوش ، ومن يدرى فربما أصابه يوما سهم من سهام أبيه ، لذلك كانت تحاول دائما ان تبقيه الى جانبها ولا تريد أن يخرج مع أبيه ، لكن الاب بدد لها مخاوفها وصمم أن يعلم ابنه حرفته ، وان يصطحبه معه دائما ، أما الام فقد كانت قلقة ، واجفة القلب ، دائما تخاف على ولدها الوحيد .

وحدث ما خافته الام ، فقد افترس الغلام فى غفلة من أبيه احد الوحوش الضارية ، واحتار الصياد ، ماذا يفعل ؟ ، فهو يعرف مقدار حب الام لولدها ، فان اخذ اليها ما تبقى من جثة ابنها فستصدم صدمة كبيرة ، وربما تموت من هول الصدمة ، لذلك فضل الا يخبرها بموت ابنها ، فوضع الجثة فى قفة ، وحين دخل الدار قال لها : « لقد احضرت لك لحما كثيرا من لحوم الصيد ، لكننى لن أسمح لك بطبخه وانضاجه ، الا فى قدر تكون صاحبته لا تعرف الهموم ، فضحكت الزوجة وظنت الامر سهلا ، وان زوجها يسخر منها ، فأجابت ،« سأحضر اليك القدر الان من عند الجارة التى تسكن بجانبنا » .

وذهبت الام وسألت الجارة : « اريد ان أستعير منك قدرا كبيرا لاطبخ فيه » ، فردت الجارة : « نعم سأحضره لك » ، فقالت الام لها، « لكن هل انت مهمومة او يحزنك أمر من الامور » ، فتنهدت المرأة واجابت : « نعم اننى لحزينة ، ولدى من الهموم الشيء الكثير »، ومضت

تشرح ما يضنيها ويحزنها ، عندئذ سكتت الام وقالت لها : « اذن لا أريد القدر ، لا اريد القدر ».

واسرعت الام الي جارة أخرى واعادت عليها نفس السؤآل ، اكن الجارة ألاخرى كانت اكثر هموما واحزانا .

وظنت الام أن هذا من سوء حظها لكنها حين قصدت الكثيرات من النساء وجدت ان كلا منهن لديها من الهموم والاحزان الشيء الكثير ، لكن قيل لها أن آمرأة شيخ التجار (1) وحدها هى التى لا تعرف الحزن والهم ، فقررت ان تذهب إليها على الفور .

وقصدت دار شيخ التجار، وهى دار فخمة تقع على أطراف البلدة وادخلوها الي غرفة متسعة ، ودهشت حين جاء شيخ التجار بنفسه ورحب بهـــا .

وحين سألته عن زوجته اجابها : « انى أود أن تشاهديها وتقابليها فى الحال »، وصحبها الي بهو متسع ، وهتف شيخ التجار : « هـــا هى »، وصعقت الام لما رأت ، فقد وجدت امراة شابة على قدر كبير من الحسن والجمال ، اكنها فى ثياب مقطعة والدماء تسيل من جروحها التى فى وجهها وذراعيها ، وفى كل مكان من جسدها ، وقد حملت فوق كتفيها عبدا أسود ، وحولها عبيد ممسكون بالسياط ، والمرأة الشابة تسير بحملها الثقيل وتبذل جهدآ كبيرا لتتماسك فلا تقع على الارض، ذلك لانها كانت حين تقع يضربها آلعبيد بالسياط ويجبرونها على الوقوف ، فتسير بحملها وتدور فى البهو والعبيد وراءها يفرقعون السياط لتخويفها. فصرخت الام «أهذه زوجتك، غير معقول غير معقول كيف يحدث هذا ؟»، وصرخت به ، ماذا تعمل ، وكيف تسمح أن يضربوها بالسياط ؟»، فأجاب شيخ التجار ،« أن زوجتى غير أمينة على شرفى »، لكن الام لم تصدق ولم تستطع أن تحتمل ذلك المنظر المروع فقد كان الموت عندها أهون من رؤية هذا ، فخرجت نجرى من دار شيخ التجار ، وعلى بعد من الدار وجدت جارية تبكى وتولول ، وتصرخ : « يـــا لظلم آلرجال للنساء ، يا لمصيبتك يـــا سيدتـــى ، لينتقم الله منك يـــا شيخ التجار ».

---

(1) — ويسمى فى المغـرب أميـن التجـار

فوقفت الام وقد اثار انتباهها ما سمعته واخذت تستفسر الجارية عن ما يحدث فى اندار من فضائح ، فحكت لها الجارية قصة غريبة وقالت : « تناولت سيدتى طعام الغذاء مع سيدى شيخ التجار ، وبعد ان أنتهت من الاكل ، جاء أحد العبيد ليصب الماء من الابريق ليغسل لها يديها ، وكانت قد صبغت يديها بالحناء السوداء ، وزخرفت اصابعها وكفيها بالنقوش والرسوم الجميلة ، واعجبت بتناسق لون الحناء الاسود مع يديها البيضاوين ، فهتفت : « الله ! ماأجمل اللون الاسود مع اللون الابيض »، وكان شيخ التجار يكمل طعامه ، فتوقف عن الاكل ونظر ، فرأى العبد الاسود يصب الماء على يدى زوجته ، وكانت الزوجة تبتسم وتضحك وهى تتكلم كعادتها دائما ، وكان العبد شابا مكتمل الرجولة جميل القسمات مفتول العضلات ، فظن شيخ التجار الغيور ان هناك شيئا بين زوجته والعبد . وكان دائما يسىء الظن بالنساء ، لكن سيدتى كانت تتكلم عن الحناء » .

ومضت تبكى ، فسألتها الام فى لهفة أن تكمل قصتها ، فقالت الجارية : « عندئذ لست ادرى ماذا جرى لسيدى ، فقد قام واحضر سوطا وصار يضرب سيدتى ضربا يفتت الاكباد ، ولم يكتف بذلك ، بل امر ان تعذب وأن تحمل ذلك العبد فوق كتفيها لتدور به فى أنحاء البهو وان يحيط بها العبيد ويضربوها بالسياط » ، فصرخت الام فزعة مما سمعت ورأت ، وجرت ، جرت بسرعة لتعود الى دارها ، حيث ظنت ان هناك الامان والسعادة .

وحين رأت زوجها ، سألته : « لماذا طلبت منى أن استعير قدر امرأة لا تعرف الهم والاحزان ، ان كل امرأة حزينة ولديها من الهموم ما كنت اجهله ولا اتخيل وجوده ، لقد ادركت الان ان فى الدنيا مآسى ومصائب وفضائح ، وقصت عليه ما رأته فى دار شيخ التجار ، عندئذ قال الصياد لزوجته : « ان فى هذه القفة جثة ولدنا الوحيد ، لقد خفت ان اخبرك واردت ان اخفف من وقع الصدمة والمصيبة عليك فسألتك هذا السـؤال .

قال الصياد لزوجته : ان في هذه القفة جثة ولدنا
الوحيد. لقد خفت أن اخبرك وأردت أن اخفف عن
واقع الصدمة والمصيبة عليك فسألتك هنا السؤال



صرخت آلام ، وبكت وظلت تبكى ، وحزنت حزنا صادقا ، لكن آلامها كانت ستكون أفظع لو لم تر وتعرف الشيء آلكثير عن هموم الناس وأحزانهم .

وقال زوجها فليرض كل منـــا بمصيبته (2) .

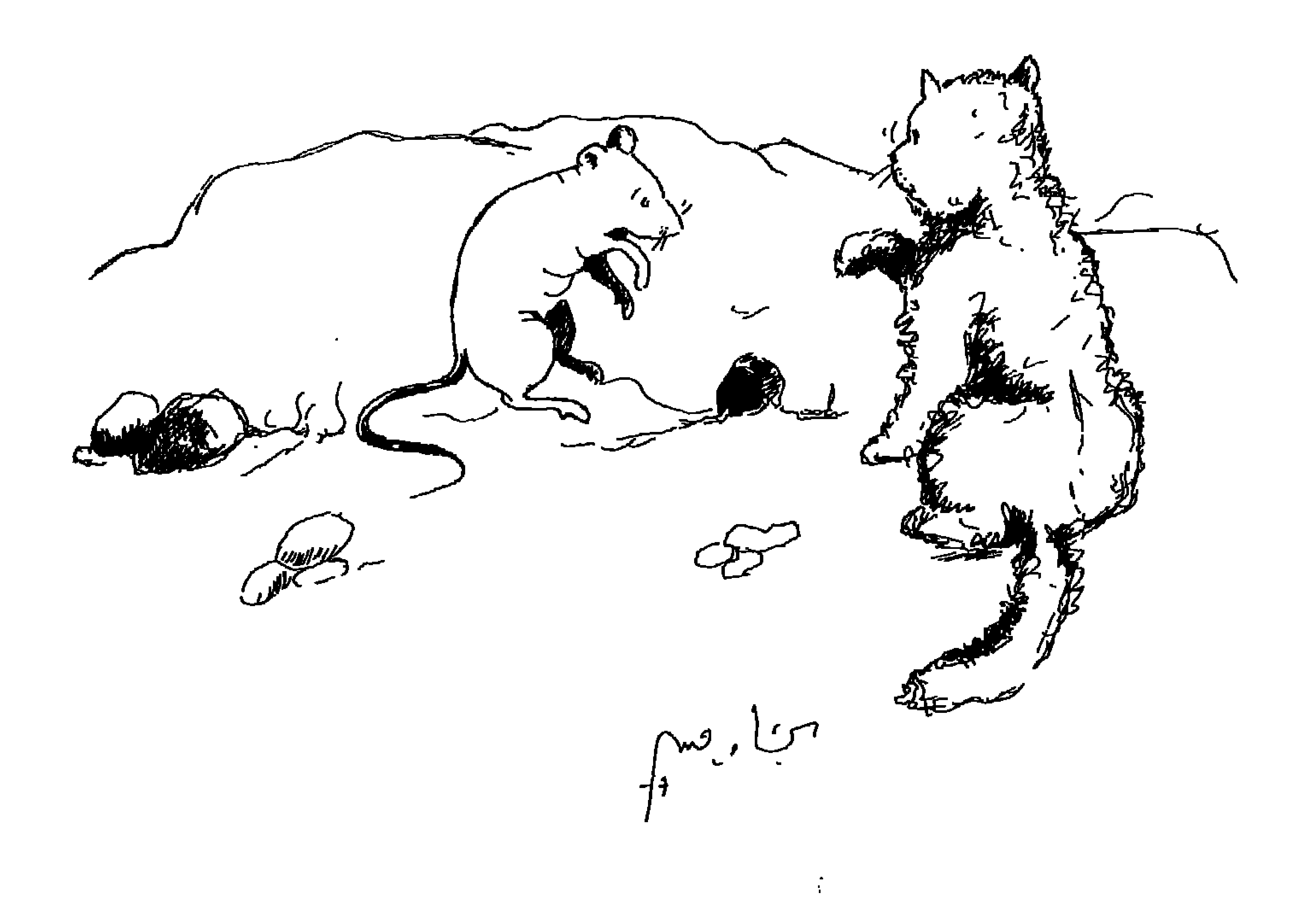
(1) — هناك مثل مصرى يقول « اللى بشوف بلاوى (مصائب) الناس تهون عليه بلاويـه » .

حكاية الفأر الذكي

كان الفأر صغيرا ساذجا ، لم يكن قد عرف بعد ان القطط تاكل الفيران ، وقابل يوما قطا صغيراً مثله أمام جحره ، فاخذا يلعبان سويا ، وكان القط هو الاخر لا يعرف ان القطط تاكل الفيران ، وصار يلعبان سويا كل يوم حتى الغروب ، يجيء ألقط الصغير ، ويخرج الفأر ألصغير من جحره ويجريان ، ويمرحان ويلعبان حتى مغيب الشمس .

وذات يوم انهمكا فى اللعب وبدلا من أن يعودا الى أهلهما عند المغيب ، ظلا يلعبان حتى منتصف الليل ، وحين رجع القط الصغير الى امه ، وجدها قلقة غضبانة ، وسألته ، « أين كنت ؟ » فأجابها ، « كنت ألعب مع صديقى » ، وحين استفسرت منه ، « من هو صديقك ؟» ، أجابها ، « أنه الفأر الصغير » ، فهدأت وسألته ، « كيف، وماذا فعلت به قبل أن تأكله ؟» ، فهتف مندهشا ، « كنت ألعب معه ، وهو صديقى فكيف آكله» ، فصرخت القطة ، وأخذت تنهر ابنها على جهله وسذاجته ، وقالت له ، « ان الله قد خلق لنا الفأر لنأكله ، ولحمه ألذ من لحوم الدجاج والارانب ، وقد خلق الله لنا نحن القطط لحم الفأر ليدفئنا فى الشتاء ويجعلنا خفافا وماهرين فى القفز والجرى ، ونستطيع أن نرى فى الليل بسهولة » ، فاعتذر آلقط الصغير عن جهله ، وطلبت منه امه أن يحضر فى أغد ألفأر الصغير ويأكله أمامها ان أراد أن تسامحه ولا تعاقبه ، فوعدها بذلك .

ورجع الفأر الصغير الى جحره فلقي أمه تبكي وتولول فقد ظنت أن مكروها أصاب فأرها الصغير ، لكنها حين رأته ، أمسكت به ، وانهالت عليه تضربه ، وسألته ، « اين كنت ؟» ، فأخبرها انه كان يلعب



وذات يوم انهمكا في اللعب وبدلا من أن يعودا الى أهلهما عند المغيب ظلا يلعبان حتى منتصف الليل.

مع صديقه ، فسألته ،« من هو صديقك الذى أنساك أمك وقلقها عليك وظللت تلعب معه بعد مغيب الشمس ؟»، فرد عليها ،« انه القط »، فصرخت أمه غير مصدقة وصاحت ، « القط ، وكيف لم يأكلك ؟ » ، فأجاب ، « انني العب معه منذ مدة طويلة وهو صديقى ، فكيـــف يأكلنى ، وهل تاكل القطط الفيران ؟» ، فضمنه الى صدرها وقالت ، « الحمـــد لله الذى أبقاك سليمـــا حتي أليــوم ، ان هـــذا القـــط يسمنك ليأكلك ، الا فلتعلم يا بنى أن القط هو عدونا اللدود ، ان القطط تأكل الفيران ونحن ألذ طعام لديهم ، انهم متوحشون لا يعرفـــون الرحمة ، انهم يفترسوننا فى كل لحظة ، فاياك أن تذهب للقط مـــرة اخرى ، واياك أن تخرج من الجحر ان رأيته على قرب منه ، وأوصته ونصحته كما أوصت ونصحت القطه ابنها القط الصغير ، ووعدهـــا أيضـا بتنفيذ ما أوصته بـــه .

وفى الصباح ذهب القط للفأر واندهش حين لم يجده فى انتظاره ، نأخذ يلعب حتى يجيء الفأر ، ومضت ساعة ولم يخرج الفأر من جحره، لكنه كان لصغر سنه يراقب القط ، ويود لو خرج ليلعـــب معـــه ، فاقترب قليلا من فتحة الجحر ، فرآه القط وناداه ، « تعـــال والعـــب معى»، فرد عليه الفأر ،« لا لقد اوصتنى أمى »، فسأله ،« بماذا أوصتك أمك ؟»، فأجاب الفأر ،« أوصتنى بأن لا العب معك ، لانك عدو لنا وانتم القطط تفترسوننا بغير رحمة ، وتأكلوننا نحن الفيران المساكين ، نحن أعداء ولا يصح أن نكون أصدقاء فى يوم من الايام ، وانت لابد أيضا أن تكون أمك قد أوصتك بأكلي وافتراسى »، فقال له القط ، « حقـــا ان القطط تأكل الفيران وهم أعداء لكم ولكننى صاحبك وصديقك والعب معك منذ أيام كثيـــرة ، وقد أوصتنى أمى أن آكلك ، لكننى لن أنفـــذ رغبتهـــا فانني أحب اللعب وأود أن نظل أصدقاء » .

ولم يجرؤ الفأر علي الخروج ، فقال القط ،« ما رايك يا صديقى اذا عاهدتك بأن لا اخونك ولا آكلك وبذلك تضمن عدم خيانتى لك »، فسأل الفأر وكيف يكون العهد ؟»، فأجاب القط ،« امسك يدك فى يدى ونشبك أصابعنا فى بعضها ، ويقول كل منا للاخر انه سيظل صديقه طول الحياة ولا يخونه أبدا ».

وكان الفأر الصغير يريد ان يلعـــب ، فقـــال ، « اذن ستعطينى

العهد ، هات يدك »، فأدخل القط يده الى داخل جحر الفأر وأمسك بيـد الفأر وشبك كل منهما أصابعه بأصابع الاخر ، فقبض القـط وأمسك بيد الفأر مسكة قوية وجذبه الي الخارج وسخر منه قائلا ، « ألم توصيك أمك أن لا تأمن جانبى ، ألم تحكى لك عن هذه الحيلة ؟»

فأخذ الفأر يتضرع ويتوسل اليه أن يطلقه ، لكن القط قـال ، « لا فائدة ياصاحبى ، فقد وعدت امى ان أحضرك لها وآكلك أمامها، فلا تتعب نفسك ، ولا تفكر لحظة اننى سأتركك ، فقد انتهت حياتـك وسآخذك معي وآكلك أمام أمى » ، فقال الفأر ، « الامر لله ، وقـد تأكدت الان من مصيرى ، وعلي أية حال ما دمت سأموت فليأكلنـي صاحبى احسن من أن يأكلنى قط غريب ، لكننى أطلب منـك معروفا صغيرا لن يغير من الامر شيئا ، فقبل ان تأخذنى الي أمك ، سأجلس فى حجرك بين يديك ، وكل ما أريد هو أن نقرآ الفاتحة وندعو اللـه معى أن يلهم أمى وابـى الصبـر بعد أن تـأكلنى ، حتى لا يبكيـا كثيرا ويصابا بالعمي »، وقرأ القط مع الفأر الفاتحة، وكان الفأر فى حجر القط ، فرفع الفأر يديه يدعو الله ويقول ،« اللهم امنح اهلى الصبـر والسلوان على فقدى »، فرفع القط يديه وقال ، « آمين يـارب » ، فانتهز الفأر الفرصة وجرى ودخل الجحر ونجا من الموت ، وسخر من القط وقال له ،« الم توصيك أمك أن لا تقرأ الفاتحة مع الفأر »، فذهل القط وغضب وثار ، واخذ يروح ويجىء أمام الجحر وهو ينادى الفأر مبيننا له أنه كان يداعبه ، لكن الفأر الصغير الذى رأى الموت بعينيه التزم الصمت ، فانصرف القط غاضبا .

الرجل الذي يبيض

كان الرجل يعمل حطابا ولديه سبعة أولاد ، يذهب للغابة كل يوم فيقطع الاشجار ويحمل ما قطعه من خشب ، ليبيعه ويكسب قوت عياله .

وبينما كان يحتطب فى أحد الايام فى الغابة ، هبت ريح شديدة عاصفة ، فكان كل ما يقطعه من الخشب ويكومه ، توقعه الريح وتدحرجه بعيدا بعيدا ، حتى تعب الحطاب ولم يقدر أن يحافظ على الاخشاب ، فقال الرجل لنفسه ، « ان احسن شىء هو أن أبحث عن شجرة صغيرة وأحفر حولها وانزع جذورها وأخرجها من باطن الارض ، فيبدو أن رزق اليوم قليل » .

ووجد الحطاب شجرة صغيرة كما فكر وأراد ، وانحنى يحفر الارض حولها بفأسه لينتزعها من جذورها ، وقبل أن ينتهى من عمله اصطدمت فأسه بشيء صلب ، فتوقف عن العمل وأزاح التراب بيديه ، فوجد قدرا من النحاس وكان مغلقا ، ففتحه ، وكم كانت دهشته حين وجد القدر مملوءا بالعملات الذهبية ، وصرخ الحطاب من الفرح كما كانت الرياح تصرخ من حوله ، لكنه كان رجلا عاقلا ففكر وقال لنفسه ، « لو أخذت الذهب معى الى دارى ، فلابد أن الامر سيفتضح ، ستحكى زوجتى وتذيع السر ، وربما بنت أو ابن من أولادى ، فيعرف القايد (1) وعندئذ يأمر بالقبض علي ويأخذ الكنز منى ، لذلك سأجرب تجربة صغيرة ، وأخذ الرجل شيئا قليلا من العملات الذهبية ، وأقفل القدر مرة أخرى ، ودفنه فى مكان عرفه وعينه واتخذ طريقه الى داره .

(1) — حاكم أو رئيس لقرية صغيرة مثل العمدة فى مصر والمختار فى سوريا

وذهب الي السوق وباع هذا القدر القليل من الذهب ، واشترى دقيقا وزيتا وخضرا كما يفعل فى يوم وفير الـــرزق وليـــس أكثـــر ، واشترى كذلك ثلاث بيضات .

وحين وصل الحطاب الى داره ، أعطى زوجته الدقيق والزيت والخضر ، وادعى المرض بحجة انه أجهد نفسه فى العـــمل ، وقـــد هبت العاصفة فى ذلك اليوم ، وكانت الرياح شديدة ، ودخل الى غرفته ووضع البيضات الثلاث فى حزامه حول وسطه .

وبعد لحظات جاءت زوجته أليه ، فوجدته نائما على غير عادته، وقد تغطى بغطائه الصوفى ، يئن ويتوجع تألما ، فسألته فى لهفة ،« ما الخبر ؟ » ، فأجابها ، « أننى أشعر بآلام غريبة وعجيبة فى بطنـــى ومؤخرتى » ، ومضى يئـــن ويتوجع ويتأوه ، وبعد دقائق صـــرخ ، آه ، آه »، وغطى نفسه جيدا ، ومد يده الى اسفله وينفخ وقال متألما ، « آه » ، ثم أخرج يده من تحت الغطاء وصاح فزعا ، « ماهذا ! »، وقدم لزوجته بيضة كان قد أخذها من حزامه ، فصرخت المرأة مذهولة وضربت بكفيها على فخذيها دليل الانفعال والاحســـاس بالعـــار ، وصرخت ، « بيضة ، بيضة ، أيها الرجل ، أنت تبيض كالدجاج »، وأمسكت المرأة بالبيضة وكانت دافئة ، فقد أخرجها من حزامه الملتف حول وسطه ، ومضى الحطاب يتأوه وينفخ ويقول آه ، وكأنه يبيض ويعسر عليه الامـــر ، وأخرج لزوجته البيضة الثانية ، فجلست المرأة بجانبه وقد ألجمتها المفاجأة ، فلم تقو على الكلام ، فقال لها الحطاب، « أنت زوجتى وأم أولادى ، وقد عشنا منذ عشرين عاما سويا ، فلا تفضحينى »، فأجابته ،« سأسترك ولا أفضحـــك »، فطلب منهـــا أن تعطيه وعدا بأن لا تحكى ماحدث أمامها لاى مخلوق ، فوعدته بذلك ، ثم أخذ يئن ويتوجع مرة أخرى مدعيا أنه يبيض ، وأخرج البيضة الثالثة ، وأعطاها لزوجته المذهولة ! .

ولم تمض ساعات حتى جاءت أم الزوجة لتزورها ، فلاحظت سكوتها وشرودها ، فسألتها عن السبب فأجابت ، « ليس هنـــاك شيء »، لكن الاجابة كانت غامضة وبعد تردد ، وكأنها تحرضها أن تعيد السؤال ، فألحت الام وسألت ، « هل ضايقك زوجك ؟ » لكن الزوجة تنهدت وكأن الامر أكبر من ذلك ، فغضبت الام وقالت لها ،



وقدم لزوجته بيضة كان قد أخذها من خرامه، فصرخت المرأة مذهولة، وضربت بكفيها على فخديها دليل الانفعال، والاحساس بالعار وصرخت بيضة، بيضة، أيها الرجل أنت تبيض كالدجاج.

« أنا امك ولا تخبرينني بما حدث » ، فقالت الزوجه ، « انها مصيبة يا امــى لقــد مرض زوجى مرضا خطيرا وباض كما يبيض الدجاج . هل سمعت بالرجل يبيض ، والله لقد باض امامى ثــلاث بيضات ، أخرجها من مؤخرته وامسكت بها دافنه فى يدى ، وهو مريض ونائــم فى غرفته الان »، فاندهشت آلام ، وكانت لا تحب الحطــاب ، فهــى حماته ، وقالت ، « والله كنت قادمه لازوركم واراه وارى الاولاد . لكننى الان لا أود رؤيته بعد اليوم أبدا ، يا للعار ، رجل يبيض » ، وقامت وغادرت الدار .

وحين وصلت الى منزلها وجدت ابنها وزوجته فى البيت ، فقد كانت تعيش معهما ، فادعت الحزن والشرود ، وأخذت تتنهد وتقول ، « يالطيف ، يالطيف ، يالطيف يارب ، استرنا ولا تفضحنا يارب »، وكان هذا على غير عادتها،فاستفسرها ابنها عن سر تنهداتها وكلامها الغريب ، فقالت له ، « أسكت يابنى فقد ذهبت اليوم لازور أختك ، فوجدت زوجها » ، وسكتت لتثير تشوقه ، فسألها ، « هل الم بــه مكروه ؟ » ، فأجابت ، « مكروه ! واى مكروه ، لقد وجدته مريضا بمرض غريب وعجيب لم نسمع به من قبل ، ان زوج اختك يبيض »، فاندهش الابن وصاح ساخرا ، « لا يا أمى ، هذا غــير معــقول ، فالرجل لا يبيض أبدا » ، فأقسمت له انها رأته بعينها يبيض سبــع بيضات ، وأن أخته حزينة ومهمومة لما حدث ، وتحس بالعار وتتألم لان زوجها يبيض مثل الدجاج .

وبعد ساعات خرج الابن وذهب الى الحلاق ليقص شعــره ، وكان هناك عدد من أصدقائه فقال لهم ، « هل تصدقون ان الرجــل يبيض ؟ » فاندهشوا وأجابوا ، « لا » ، لكن الابن أكد لهم انه يعرف رجلا — وخجل أن يقول انه زوج اخته — قد باض عشر بيضات .

أما الحلاق، فقد حكى لجاره البقال ، أنه قد سمع أن رجلا قد باض أربعين بيضة ، وأن هذا يحدث لاول مرة فى البلدة ، وحكى البقال لاحد حراس الملك انه يوجد فى البلدة رجل مريض بمرض غريب ، وقد باض سبعين بيضة .

وفى الصباح بينما كان الوزير يسير فى طريقه الى القصر ليمثل بين يدى الملك ، حكى له الحارس انه حدث شيء غريب فى البلاد ، فلما

استفسر الوزير الحارس ، حكى له أن هناك رجلا قد باض مائة بيضة ، فدخل الوزير وقابل الملك وأخبره بما سمعه من الحارس ، فكذب الملك الوزير وصاح غاضبا ، « انت وزير المملكة ، فكيف تصدق هذا الخبر وترده علي مسامعى ، كان يجب ان تحتشم ؟ »، وأراد الملك أن يثبت للوزير أن هذا الخبر كاذب ، فأمر أن يحضروا له الحارس ، فأتوا به ، ومثل الحارس امام الملك ، وقبل الارض بين يديه ، واستفسره الملك وسأله عن الشخص الذى حكى له القصه ، فاجاب، « أنه البقال فلان »، فأحضروا البقال ، وأتوا به الى الملك ، وحين سأله ، أجاب ، انه سمع الخبر من الحلاق فلان فاحضروا الحلاق ، فقال انه سمع من فلان ، « وهو ابن حماه الحطاب »، فاحضروه للملك ، وحكى انه سمع الخبر من امه ، وأن أمه عرفته من ابنتها ، أخته ، وأن الرجل الذى باض هو فلان الحطاب زوج اخته ، فامر الملك أن يحضروا اليه الحطاب فى الحال .

وجاء الحطاب ، وقبل الارض بين يدى الملك ، فسأله الملك ، « هل أنت الرجل الذى باض مائة بيضة ؟ » ، فضحك الحطاب وأجاب، « مائة بيضة ، وهل من المعقول أن يبيض الرجال يا مولاى ؟ »، فقال الملك ، « لكن هاهو زوج أختك يقول ان اخته زوجتك أخبرت أمه أنك بضعت » ، فقال الحطاب ، « ان وراء هذا الامر سرا يا مولاى »، وحكى للملك عن قصة عثوره علي القدر المملوء بالعملات الذهبية وعن خوفه من أن تذيع زوجته وأولاده السر ، فيصل الى مسامع القايد ، فيأخذ الذهب منه ، فاخترع حكاية البيضات الثلاثة التى ادعى أنه باضها أمام زوجته ، وطلب منها أن تحفظ السر ، وكانت هذه تجربة ليتأكد بها من قدرة زوجته على الكتمان ، لكنها أذاعت السر وأصبحت الثلاث بيضات مائة بيضة .

فضحك الملك وسر من ذكاء الحطاب وحكمته ، وقال له ، « أيها الرجل ، انك عاقل وحكيم ، وظريف خفيف الروح ، اذهب الى الغابة واستخرج كنزك فهو حلال عليك ، ولن يمسك أحد بسوء ، رافقتك السلامة » .

(1)
حكاية اللص والمتسولين الثلاثة

تشاجر لص مع اصحابه اللصوص العشرة ، وتخاصموا معه وطردوه ، ربما لانهم يحسدونه على مهارته فى السرقة وعلى حيلـه العجيبــة .

ومشي اللص فى الشارع متضايقا لما حدث ، ولفت انتباهه نداء غريب لمتسول ، فنظر ، فرأى متسولا أعمى يجلس بجوار جدار ، يطلب الاحسان ويدعو لمن يعطيه صدقة أن يقضي ليلته فى هناء كما يقضى هو لياليه ، فاندهش اللص وأراد أن يعرف كيف يقضـى المتسول الاعمى لياليــه .

وجلس اللص على مقربة منه ، حتى غربت الشمس ، والاعمى يواصل طلب الاحسان والمعونة ، ويردد قوله الغريب دائما ، يدعو لمن يحسن اليه بقضاء ليالى سعيدة كلياليــه .

واشترى اللص رغيفين وقطعا من اللحم ، واعطى المتســول نصفها ، ولم يأكلها الاعمى ، بل وضعها فى جرابه ، وبعد ساعة قام المتسول يدب بعصاه ليرجع الى داره ، فتبعه اللص .

وسار المتسول حتى وصل الى شارع يقع فى وسط البلــدة ، ووقف أمام دار متوسطة لا بأس بها ، وأخرج مفتاحا من جيبه وفتح الباب ، ودخل الدار ، فتسلل اللص وراءه فى خفة القطط ، ودخــل الدار كذلك ، ورفع المتسول عصاه ودار بها دورة كاملة فى صحــن الدار وهو يرفعها ويهبط بها بسرعة للتأكــد من عــدم وجــود أى

(1) — كتبت لها سيناريو وحوار وأخرجتها للتلفزة المغربية باسم « اللص والثلاثة عميان » عام 1976 .

انسان ، ولو لم يدر اللص مع الاعمى ، لاكتشف وجوده ، عندئـذ اقفل الاعمى باب الدار بالمفتاح ، وصعد آلدرج ، ونبعه اللص بخفة، وفتح الاعمى بابا آخر ودخل ، وتبعه اللص ، وأقفل الباب ، وكانت هناك غرفة صغيرة بها بعض المقاعد البالية وحشية قديمة مهلهله ، وجلس الاعمى ، واللص على مقربة منه يراقبه ، واخرج الاعمي مـن جرابه الرغيف واللحم وأكل نصفه وأعاد ما تبقى الى جرابه .

وكان هناك باب آخر تنسدل عليه ستارة رثة ، وقام الاعمـى واتجه الى الباب ، وازاح الستارة واخرج مفتاحا كبيرا وفتح البـاب ودخل الى الغرفة ، فتبعه اللص مسرعا ، واقفل الاعمى البـاب ، ونظر اللص ، وانتابه الدوار لما راى ، فقد كانت الغـرفة كبيـرة واسعة ممتلئة بالطنافس الغالية والاثاث الفخم، فراش من الصوف مغطى بالمفارش الحريريه، وستائر فخمة، وأوآنى فضية وكثير من التحف الغالية ، وصناديق جميلة مزخرفة ، وفتح الاعمى أحد الصناديـق واخرج ملابس فخمة ، وقفاطين رائعة ، وخلع ملابسه ولبس الملابس الفخمة وتعمم بعمامة محلاة بالجواهر ، ولبس خواتم ذهبيه مرصعه بالاحجار الكريمـة .

واتجه الى مقعد كبير فى خيلاء وجلس عليه ومد رجليه ثم اخـذ يتحدث وكان حديثا عجيبا ، فهو يتخيل أنه كبير من الكبراء أو وزير من الوزراء وأن هناك أمامه عبيد وخدم وطلاب حاجات ، يمد يده فيقبلها هؤلاء الذين يتخيل وجودهم ، ثم يتحدث بلسانهم ، ويرد عليهـم ، ويصبح هناك حوار ، الله يبارك فيك ، الله يبارك فيك ، نعم ، نعم سأجيب مطالبكم وأحقق رغباتكم الخ ...

وبعد ذلك قام الاعمي واتجه الى صندوق آخر وأخرج منه صرة مليئة بالعملات الذهبية ورجع الى مقعده وهو يقول ، « خذوا ذهبا»، وأخذ يخرج حفنة من العملات الذهبية ويعطيها لاشخاص وهميين ، ويمد لهم يده ليقبلوها ، ومضى الاعمى فى تمثيله ، يتكلم ويسأل ويرد ويحاور ، وكأنه ملك من الملوك ، عندئذ فهم اللص معنى كلام الاعمى حين يدعو لمن يعطيه صدقة أن يقضي ليلة كما يقضى هو لياليه .

وبعد ساعة خلع الاعمى الملابس الفخمة وأعادها الى الصندوق وارجع الصرة المليئة بالذهب الى مكانها ، وخرج من الغرفة يتبعـه

اللص ، واقفل بابها ، واسدل الستارة ومضي الى الحشية المهلهلة ونام فوقها .

وذهل اللص لما رأى ، فهذا المتسول يملك المجوهرات والذهب والاثاث والتحف ، ومع ذلك يتسول وينام على حشية مهلهلة بل انه لا يرضى أن يأكل الرغيف بأكمله والجراب ملىء بالطعام ، وقال اللص لنفسه ، « هذا الاعمى كتب عليه أن يعيش فقيرا ويموت فقيرا » . واقسم أن يسرق منه كل شيء ، وظل اللص ساهرا يراقب الاعمى وهو نائم ، وقبل الفجر بساعة قام اللص ونفخ البنج (1) على الاعمى فخدره ، وأخذ المفتاح ودخل الحجرة واحضر ملاءة صوفية وملأها بكل نفيس وغال ، وغادر الدار بسرعة ، وذهب الى منزله ، ثم عاد الى دار الاعمى وجمع مرة ثانية ما تبقى من التحف والاثاث ، وسار الى داره ، ثم عاد مرة ثالثة ومعه عربة صغيرة ، واخذ كل ما تبقى وخبأه . ورجع وجلس أمام دار الاعمى ليرى النتيجة .

واستيقظ المتسول الاعمى متأخرا وليس كعادته ، واحس براسه ثقيلة ، وبتيار من الهواء يتخلل الدار ، لان اللص ترك الابواب مفتوحة ، فقام الاعمى وتناول عصاه وتحسس بها الباب ، فوجده مفتوحا ، فصرخ ، وجرى الى باب الغرفة الداخلية ، وكان مفتوحا ، ودخل الغرفة وتحسس بيديه ، فلم يجد شيئا ، لا الصناديق ولا البسط ولا التحف ، ولا المقعد .

وصرخ ، فقد تأكد أنه فقد كل شيء ، كل شيء ، كل ما جمع ، كانت الغرفة خاوية ، فانكفأ الاعمى على وجهه وبكى كثيرا ، لكن ما فائدة البكاء ، فقام يترنح ، واستعان بعصاه ، وبذل مجهودا كبيرا كى يستطيع أن يتماسك لينزل الدرج ويخرج من داره .

سار فى خطوات ثقيلة ، فرآه اللص وتبعه ، وظل الاعمى يمشي حتى وصل الى منعطف فى الطريق يجلس فيه متسول اعمى عجوز ، يطلب الصدقات ويدعو للمحسنين بأن تشملهم بركة من بركات أولياء الله الصالحين .

اقترب الاعمى من المتسول العجوز وهتف باسمه فرحب الاخر

(1) — البنج مخدر يفترض ان يستعمله اللصوص لتخدير ضحاياهم .

به ودعاه للجلوس بجانبه ، فتهالك الاعمى وجلس وانفجر يبكى ، فاندهش المتسول العجوز وهدأ خاطره وساله عن سر بكائه ، وبصعوبة بالغه حكي له قصته ، فقال له الاعمى العجوز ،« ياأخى لقد تعديت ، لقد تعديت ، ما حاجتك الى الطنافس والملابس الفخمة وانتحف والمجوهرات ، وما حاجتك الى آدعاء العظمة وتخيل وجود خدم وعبيد وطلاب حاجات يقبلون يديك ، لقد تعديت » ، لكنه حين وجده غاية فى الحزن أخذ يواسيه ، وقال له ، « لو فعلت مثلي ، لما جرى لك ما جرى » ، فسأله الاعمى ، « وماذا تفعل بالمال الذى تحصل عليه ؟ »، فارهف اللص القريب منهما سمعه ، ورد العجوز ، « اننى يا أخى اجمع المال ثم احوله الي عملات ذهبية وأخبئه فى عكازى ، فقد أحضرت عكازا غليظا » ، ومد له العكاز الذى يمسكه ، واستطرد ، « وقد حفرته لاخبيء فيه العملات الذهبية، ولا يمكن ان يخطر علي بال أحد أن هذا العكاز القديم القذر الذى يساوى درهما فى داخله كنز » .

فتنهد المتسول الاعمى وقال ، « ولكننى أصبحت لا أملك درهما ، فما فائدة نصيحتك »، فتعجب منه الاعمى العجوز وأجابه ، « ولكن ياصديقى من أين أتيت بالمال الذى سرق منك ؟ » ، فرد الأعمى ، « من الناس » ، فقال له ، « اذن فأطلب من الناس مرة اخرى واعمل بنصيحتى ».

وانصرف الاعمى ليواصل مهنة التسول ، ويجمع المال مرة اخرى ، وبقى اللص على مقربر من آلمتسول الاعمى العجوز يراقبه ، ويفكر كيف يسرقه ، وبعد ساعة قام واتجه الى السوق واشترى عكازا يماثل تماما العكاز المليء بالذهب ، وحفره وملاه بالملح ليصبح ثقيلا مثل عكاز آلمتسول ، ورجع ورأى الاعمى يضع عكازه بجانبه وقد لف ذراعه حوله ، فقرر اللص أن يسير ويدعى أنه تعثر فى العكاز ويركله برجله ، ويعطى الاعمى العكاز المزور .

وبالفعل سار مهرولا وركل العكاز وهو يتعثر فيه، لكن الاعمى تنبه وتشبث بالعكاز ولم يتركه ، وفشلت الحيلة .

فجلس اللص يفكر ، وهداه تفكيره الي أن الاعمى لابد وأن يذهب الى المرحاض ليقضى حاجته ، ولابد أن يحاول حل سرواله ، وعندئذ

تتاح له فرصة أستبدال العكاز ، فظل ينتظر وينتظر ، وبعد ساعات قام الاعمى وتوجه ليقضى حاجته ، لكنه لم يترك العكاز ابدا ، ولم يستطع اللص أن يسرق العكاز بأية طريقة .

ومضى يتبع المتسول الاعمى ويراقبه ثلاثة ايام ، ولاحظ انه كثيرا ما يردد فى ندائه وهو يطلب الصدقات دعاءه للمحسنين بأن تشملهم بركة من اولياء الله الصالحين .

فاشترى اللص رغيفا كبيرا من انخبز وملاه بقطع كثيرة من اللحم الجيد المشوى ، وقدمه الى المتسول وقال له ، « انت دائما أيها الرجل الطيب تدعو للمحسنين بأن تشملهم بركة من بركات أولياء الله الصالحين ، لقد أعجبتني دعوتك ، وقررت أن أشملك ببركتى ، خذ »، وناوله الرغيف الكبير المملوء باللحم الشهى الساخن ، وانصرف ، وما أن ذاق المتسول الطعام حتى هتف ، « عد الى أيها الرجل الصالح ، عد الى » ، لكن اللص لم يجبه ، ومضى المتسول يأكل الطعام الشهى وهو غير مصدق ، ، وهيء له ان أحد أولياء الله الصالحين قد شمله فعلا ببركته .

وفى اليوم التالى كرر اللص نفس الشيء ، وان كان قد زاد فى كمية اللحم وانتقى صنفا اجود وأشهى ، وحين ناداه المتسول فى لهفة ليقبل يده وليمنحه مزيدا من بركاته لم يرد عليه .

وفى اليوم الثالث كرر اللص نفس الشيء فى وقت الظهيرة حين يخلو الشارع والاسواق من المارة ، وتمهل حتى أمسك الاعمى بيده وقبلها وطلب منه أن يباركه ؛ فقال له اللص ،« ماذا تريد أيها الرجل الطيب ؟ » ، فأجاب المتسول ، « بركاتك ، بركاتك ، أريد أن أحج»، فقال له اللص ،« ان كنت على استعداد ، أطير بك الآن الى مكة لاننى من أصحاب الخطوة » ، يقصد اللص قدرة الاولياء على اتيان المعجزات ، فأخذ الاعمى يقبل يده ورجاه أن يأخذه الى مكة ، فقال اللص فى صوت قوى ، « اذن فثبت نفسك وامسك بى جيدا » ، وانحنى اللص وادخل راسه بين رجلى المتسول ، وحمله فوق كتفيه وهتف ، « سأطير بك » ، وسار به اللص وهو يتمايل ويردد ، « نحن الان فوق الجبال » ، وسار به الى سوق الغزل وكان السوق خاليا من الناس والتجار ، وسأله الاعمى ،« أين نحن الان ؟»، فأجاب ،

«فى مكة فى بيت الله الحرام ، وسأحضر لك ثوبا لتحرم به » ، وانزله من فوق ظهره وطلب منه ان يخلع ملابسه ، وترك الاعمى العكاز ، فاختطفه اللص منه فى غمضة عين ، وصرخ الاعمى ، «عكازى» ، فناوله اللص بسرعة العكاز المزور ، وقال له « يا لك من رجل طماع أنا من الصالحين وتخاف منى ، انى أعرف سرك ، ان عكازك ملىء بالذهب ، سأتركك أنت وعكازك وذهبك » ، وتركه وانصرف .

فوجم المتسول العجوز وحزن كثيراً ، فقد كان يظن أن اللص من أولياء الله الصالحين ، والا فكيف عرف سره وطار به الى مكة ، وندم على عدم ثقته به ، وأخذ يفكر كيف سيرجع الى بلاده ، ولبث الاعمى فى مكانه ، وبعد وقت قليل جاء الناس والتجار الى السوق، ومن عادة الباعة والمشترين أن يقرأوا الفاتحة حين تتم الصفقة، فقرأ أحدهم الفاتحة ، فرددها الباعة والمشترون من بعده ، فسمع الاعمى هذا فظن انه فى مكة ، ومضى يردد صائحا ، « لبيك اللهم لبيك » ، وازدحم السوق بالناس ولم يكف الاعمى عن الابتهال ، فأشار طفل اليه ، « انظروا الى الاعمى السكران » ، وقذفه طفل آخر بالاحجار ، وطارد احد التجار الطفل ، وسأل الاعمى عن أمره ، فأجابه، «لقد أحضرنى هنا الى مكة أحد أولياء الصالحين » ، فضحك التاجر وقال له ، « أنت فى سوق الغزل فى بلدة كذا » ، فهتف الاعمى ، « أنا فى مكة » ، فالتف الناس به يضحكون ، وبدأ الاعمى يدرك الموقف ، وتحسس عكازه جيداً وحمله فى يده ليعرف وزنه ولاحظ الفرق ، وأخذ يصيح « عكازى ، لقد سرق عكازى » ، فضحك الناس منه وقالوا ،« معك عكاز آخر ، وما قيمة عكاز ثمنه درهم » ، ومضى يصرخ ويبكى ويندب ثروته الضائعة ويقول ، « ما يعرف المزود الا المضروب به » ، معناها (لا يدرك الالم الا المتألم .

أما اللص فحين وصل داره ورأى ما فى داخل العكاز من عملات ذهبية مرصوصة فوق بعضها ، تعجب وقال لنفسه ، « لقد كتب انفقر على هذا الاعمى ، أن معه هذا الذهب الكثير ويعيش متسولا هكذا » .



فقرأ أحدهم الفاتحة،فرددها الباعة والمشترون من بعده، فسمع الأعمى هذا
وظن أنه في مكة ومضى يردد صائحاً لبيك اللهم لبيك ...

ورجع الى سوق الغزل وشهد ما جرى للمتسول الاعمى العجوز والناس ملتفون حوله ، وهو يصرخ ويبكى ، ولم تكن هناك فائدة من البكاء والصراخ ، وسار الاعمي مترنحا كما ترنح زميله من قبل ، ومشى اللص وراءه وتبعه حتى وصل الى مدخل سوق الخضر حيث وجد متسولا اعمي يطلب الاحسان ويقول ،« من أعطانى صدقة ردها له مولانا عبد القادر » ، فقرأه الاعمى العجوز السلام وهو يبكى، فهتف به الاعمى ، « ماذا بك يا أخى ؟ » ، فحكى له ما حدث ، وزاد فقص عليه ما جرى لصاحبهما كذلك ، فأخذ يواسيه ويهون عليه المصيبة ، ولكنه أنبه قائلا ،« لو أنكما أنت وصاحبك فعلتما مثلى لما استطاع أحد أن يسرق أموالكما فالمال عزيز ، ونحن نجمعه بصعوبة خلال سنوات طويلة ، فيجب أن نحتفظ به معنا ولانفارقه »، فسأله ، « وكيف يكون ذلك ؟ » ، وانتبه اللص ليسمع ، واستطرد الاعمى وقال لصاحبه ، « أمدد يدك وتحسس هذه الصدرية (لباس داخلى) ، لقد وضعت فيها أموالى ، أجمع الصدقات وأحولها الى عملة ذهبية ثم أخيطها بين قماش الصدرية واعمل فوقها رقعة ، وفى هذه الصدرية مئات القطع الذهبية وهى متسخة ومرقعة ولا يخطر على بال أحد أنها مملوءة بالذهب ، وألبس فوقها الجلباب المزق ولا أخلعه أبدا ».

فقال الاعمى العجوز ، « ليتنى فعلت مثلك لان العكاز ليس مثل الصدرية » ، وفرح اللص بما سمع ، ولكنه احتار ، فهذا المتسول الاعمى لا يفارق الصدرية ولا يخلعها أبدا ، وأخذ يفكر .

وبعد ثلاثة أيام وجد الحل ، فذهب الى بائع نحاس واشترى منه آنية نحاسية بغطاء ، وأخذ اللص الانية واشترى صينية مستديرة من النحاس يمكنه أن يضع فوقها الانية ، وذهب الى بائع السلال واشترى سلة تصلح لان تكون غطاء كبيرا يغطى الانية بأكملها فوق الصينية ، وذهب الى قرية اشتهرت بتربية النحل واشترى كمية كبيرة من النحل الشرس،وطلب من صاحبه أن يملأ الآنية بهذا النحل ، ووضع الانية فوق الصينية وغطاها بالسلة حتى لا يقدر النحل ان يهرب منها.

وأخذ الانية وذهب الي المتسول الاعمى ، وكان ينادى بطلب الصدقات ويدعو للمحسنين ان يرد لهم مولانا عبد القادر صدقاتهم .

فقـــراه اللص السلام ، وأجاب الاعمى كعادة المتسولين بمزيد من الاحترام الممزوج بالمذلة ، فقال له اللص ، « انك دائما تقــول مولانا عبد القادر يرد الحسنات ، فشكرا لك لقد جئت لاكافئــك ، خــذ » ، وناوله الصينية والانية فوقها مملوءة بالنحل ومغطـــــاة بالسلـــة باحكام ، وتركه وانصرف .

فأمسك المتسول الاعمى بالصينية وهو يرتجف غير مصـــدق اذنيه ، أيكون مولانا عبد القادر بنفسه هو الذى ناوله هذه العطية، ولم لا ، فليس من عادة المحسنين أن يتصدقوا على المتسولين بصينية فوقها شيء ثقيل مغطى ، وارتجف قلبه وهو يحمل الصينية الثقيلـة ويتحسس السلة التي تغطيها ، لم لا تكون ذهبا ، وخيلت له أطماعه أنه رجل مبارك ، زاره مولانا عبد القادر وأعطاه .

فقام وسار حذرا ، سار خطوات وخطوات ، تكاد الفرحة أن تقتله ، حتى ابتعد كثيرا عن سوق الخضر ووصل الى مشارف البلدة حيث يقل المارة ، ودخل فى شارع جانبى يعرفه جيدا ، وأرهف أذنيه حتى تحقق من خلو المكان ، كل ذلك واللص يتبعه فى خفة ، ومد يده المرتعشة وأزاح الغطاء ، وفجأة دوى طنين النحل الذى كان محبوسا داخل الانية ، يمنعه الغطاء من الحركة ، هاج النحل وأخذ يقـــرص المتسول الاعمى فى وجهه ورقبته وذراعيه وبطنه وأرجله ، فى كل مكان من جسده ، وقد دخل الكثير من النحل بين ثيابه وجسمه ، وقرصات النحل مؤلمة ، موجعة ، فصرخ المتسول من شدة الالم ، ولم يدر ما يفعـــل ودون أن يشعـــر أخذ بسرعة يخلع ملابسه ويضرب علـــى جســـده ، ودون أن يدرى خلع الصدرية ورماها ، فتلقفها اللص قبل أن تنزل الى الارض ومضى بها بعيدا .

وجاء الناس على صراخ الاعمى يسألونه ما الخبر وساعـــدوه ليتخلص من النحل ، وان كان النحل قد لسع عددا كبيرا من الناس.

وحين عاد اللص الى داره أخذ يسترجع فى خاطره ما حدث ، ورأى أمامه أكواما من الذهب والمجوهرات والاثاث والتحف ، وتذكر هيأة المتسولين العمى الثلاثة وملابسهم الرثة المتسخة وتقتيرهم على أنفسهم وحياتهم المتقشفة وهم يملكون هذه الاموال .

فقرر ان يتسكوهم الى الملك ، ولما مثل اللص أمام الملك قبل الارض بين يديه ، وحكى له كل ما حدث ، فأمر الملك أن يحضروا المتسولين الثلاثة ، وأعطاهم الامان وطلب منهم أن يقصوا عليه الحقيقة ، فاعترفوا، وحكى كل منهم حكايته تماما كما رواها اللص .

فضحك الملك وقال لهم ، « كيف تطلبون الصدقات وعندكم كل هذه الاموال ؟ » ، وأمر بأن يأخذ اللص نصف أموالهم ، وأن يعيشوا فى أحد الملاجىء بنصف أموالهم الاخر ، حتى لا يطلبوا الصدقات مرة اخرى .

أشكون الحمار ؟[1]
أو
من هوالحمار ؟

كان التاجر غنيا وجشعا واكثر من ذلك بخيلا لدرجة لا تصدق ، ويروى أهل القرية أنه ورث البخل عن ابيه ، فبالرغم من ثراء الاب لم يرسل ابنه حين كان صغيراً ليتعلم فى الجامع ، ليوفر نفقات تعليمه .

وحين مات الاب ورث الابن ثروته وصفاته ، وكان يقرض الفلاحين ويسترد دينه مضاعفا منهم ، وعمل فى تجارة الحبوب،وعرف كيف يضاعف امواله ، فزادت ثروته مع الايام ، وتزوج ، لكنه لم يرزق بأولاد .

ومضت سنوات واقترب هو وزوجته من الشيخوخة ، لكنه لم يكف عن الجشع مع زيادة ثروته وظل بخيلا،تضرب ببخله الامثال .

وفى يوم جاء اليه احد الفلاحين وكان قد اخـذ منه كيسين مـن الحبوب ليردها له بعد أشهر قليلة ثلاثة اكياس ، وكان العام قحطا والمحصول ضعيفا ، واراد الفلاح أن يعطى للتاجر كيسين ويبقى الكيس الثالث للعام المقبل، فلم يقبل التاجر، ونهر الفلاح وسبه وهدده بالشكوى لحاكم القرية « القايد » ولم تجد توسلات الفلاح .

وانصرف الفلاح حزينا وذهب الى فقيه الجامع الذى يعلم الصبية القراءة والكتابة ، وحكى له قصته ، فقال الفقيه : « مسكين أنت يابنى،

(1) ــ كانت هذه أول تمثيلية اعددت لها السيناريو والحوار وأخرجتها وقدمتهـا فى فى التلفزة المغربية عام 1971 بهذا الاسم .

فهذا الرجل بالرغم من ثرائه بخيل وجشع وانني لاكره أن أذهب اليه لارجوه ، لكن من اجلك ومن اجل أطفالك سأذهب اليه فى الصباح » ، وسكت الفقيه ثم هنف فجأة ، : « انه لامر عجيب،فقد لاحظت خلال الايام الثلاثة الماضية انه يجيء ويقف وراء النافذة ويستمع الي وأنا القى الدرس على الصبية » ، وشكره الفلاح وانصرف .

وكما قال الفقيه،كان التاجر يجيء فى الايام السابقة ويقف وراء النافذة ويستمع الى كلام الفقيه وهو يلقى الدروس على الصبية الصغار، وكان هناك سبب ، فقد حدث منذ ثلاثة أيام ، أن سمع التاجر اثناء سيره فى طريق عودته الى داره شيئا من كلام الفقيه أثـار انتباهه ، فالفقيه فى ذلك اليوم ، وكان قد أتعبه الصغار ، وكما يفعل كل معلمى الصبية أن ثارت أعصابهم ، كان الفقيه ينهر الصبية ويسبهم قليلا ؛ وكان يقول ، « آه منكم يا شياطين ، كم أتعب معكم ، يرسلكم اهلكم الى حميرا واظل أؤدبكم واعلمكم واربيكم حتى تكبروا وتفلحوا ويصبح منكم التاجر والفقيه والقاضى ، فى البداية تأتون الى حميرا وأنا اتعب وانتم لا تقدرون »، ولما كان التاجر جاهلا بالرغم من ثرائه ، فقد رفض ابوه أن يعلمه ، استرعى انتباهه قول الفقيه يرسلكم اهلكم الى حميرا واربيكم حتى تكبروا ويصبح منكم التاجر الخ ... عندئذ ظن أن الفقيه يقدر أن يحول الحمار الي بنى آدم ، فأسرع الى زوجته واخبرها وهو فرحان بما سمع ، وقال لها ، انه سيختار احسن حمار عنده ويأخذه الي الفقيه ليحوله الى بنى آدم ويصبح ابنه لانه ليس لديهما أولاد .

وذهب التاجر مع حماره المختار ، وطرق دار الفقيه فى الليل ، ففرح الفقيه لانه وجدها فرصة ليرجوه كى يؤجل دين الفلاح . لكـن التاجر لم يدع له فرصة للكلام ، وقال له منفعلا ، « لقد سمعتك تقول للصبية أنهم يأتون اليك حميرا وأنت تتعب معهم حتى يصبحوا تجارا مثلى فليس لدى اولاد ، وساعطيك ما تطلب » ، فلم يصدق الفقيه مـا سمع وكتم ضحكته ، ثم تكلم الفقيه وطلب من التاجر أن يمهل الفلاح لسداد دينه ، فلم يوافق التاجر وغضب واتهم الفلاح بالطمع والخبث ، ورجا الفقيه ان لا يتكلم فى الموضوع لان هناك موضوعا أهم وهو حصوله على ابن ، وعاد الى حكاية الحمار ، عندئذ قال له الفقيه ،« ان الامر يحتاج الي وقت ، وطلب منه كيسا من القمح ، ففرح التاجر واحضر



وذهب التاجر مع حماره المختار وطرق دار الفقيه في الليل.

بسرعة كيسا من القمح وسأله ،« ومتى يصير الحمار بنى آدم ؟»، فرد الفقيــه ، « بعــد سنــة » وجاء الفلاح الى الفقيه ، فأعطاه الكيس فأخذه الفلاح ورده الى التاجر .

وبعد ان مضى عام جاء التاجر وطرق باب الفقيه الذى لم يكن موجوداً ، فأستقبله خادمه ، وكان يعرف القصة والايحب التاجر لجشعه. وسأل التاجر عن الفقيه ، فأخبره الخادم بغيابه ، فسأل عن ابنه فكتم الخادم ضحكاته واجابه ساخراً « آه تقصد سي بوعزة ، آه لقد صــار الحمار بنى آدم وسمي نفسه بسوعزة » .

فهتف التاجر فرحا « وأين هو ، أين هو ؟ » فاستطرد الخادم ، « الحق لقد أصبح شابا ذكيا ، لم يرض ان يبقى هنا فى هذه القريــة الصغيرة ، وقد رحل الى مدينة الصويرة ، وفتح هناك فى السوق حانوتا واصبح تاجراً مشهورا ، اسأل اى شخص فى الصويرة عن بوعزة تاجر الصوف ، يعرفه »، فازداد انفعال التاجر من شدة الفــرح وهتف ، «وكيف تتركونه يرحل دون اذنى »، فأجاب الخادم «لقد حاولنا منعه لكنه لم يقبل » ، فقال التاجر ، « سأسافر فى الحال الى الصويرة لاحضره ». فقــال الخــادم فى دهــاء ، « لكننى أخــاف أن لا يعرفك ، على اية حــال خــذ معــك المخــلاة ، (العــلافــة) التــى كــان يــأكـل منهــا ، وسيعرفهــا بالطبع ، لكــن عليك ان تحركهــا أمامه ، مرة بن مرات حتي يتذكرك » ، وكان هذا امعانا فى السخرية .

فانصرف التاجر مسرعا وجهز نفسه للرحيل الى الصويرة ، ووصلها بعد أيام ، وكان الخادم يعرف تاجراً مشهورا يبيع الصوف بالفعل فى الصويرة ، اسمه بوعزة ، لذلك عندما سأل التاجر عن بوعزة تاجــر الصوف أرشدوه اليه ، فاقترب من الحانوت على مهل ، وكــاد قلبه أن يتوقف من شدة الانفعال ، فقد كان بوعزة يبيع الصوف ، وهــو رجل فى مقتبل عمره ، جميل الشكل ، مفتول العضلات ، ووقف التاجر يتأمل ابنه المزعوم فى فرحة وسعادة ، وقد اخفى المخلاة وراء ظهره .

ثم اقترب التاجر من بوعزة ببطء وأظهر له المخلاة وقد بســط ذراعيه وأمسك بالمخلاة ، وقربها منه ، فظن بوعزة أنه أحد الزبائن فسأله عن حاجته فلم يجب التاجر وهز المخلاة قليلا أمام بوعزة ، فسأله

مرة أخرى ان كان يريد شراء شيء من الصوف ، فابتسم التاجر وهز المخلاة مرة أخرى . عندئذ هتف به بوعزة : « ماذا تريد أيها الرجل ؟ »، فابتسم التاجر وأجاب : « الا تعرفنى يا بنى ؟ » فهز التاجر راسه وبدأ الغضب يتملكه وسأله فى غلظة : « ماذا تريد أيها الرجل ابعد هذه المخلاة عنى يا أحمق »، فمضى التاجر يهز المخلاة ويبتعد ويقترب وهو يلوح بالمخلاة ويقربها من بوعزة ؛ فغضب بوعزة ونهره، فصاح التاجر «الا تعرفنى ياحمارى انا أبوك؟»، واقبل بعض الزبائن والجيران ، وحين كرر التاجر حركاته ، أمسك به بوعزة وقال له ،«لابد انك رجل مجنون»؛ فغضب التاجر وصاح به ،« أنا مجنون ، الست أباك يا حمار » ، عندئذ ضربه التاجر، واجتمع الناس ولولا تدخلهم لساءت العاقبة .

ورجع التاجر غاضبا الى قريته وذهب الى الفقيه ، وحين رآه هتف به مستنجدا ، « سيدى الفقيه لقد ضربنى ابني الحمار العاق ؛ وكل ما أريده منك الآن ان ترجعه حمارا كما كان ، وانا على استعداد ان أدفع لك ما تطلب » .

فضحك الفقيه ، ودخل الي ساحة الدار ، وعاد ومعه الحمار ، وما أن رآه التاجر حتى انهال عليه ضربا وهو يقول ، « ادعيت انك لاتعرفنى وسببتني وضربتنى، خذ، خذ »، وانهال عليه ضربا، وانصرف التاجر ومعه حماره .

حكاية فتاة من خشب

يروى أنه كان فى قديم الزمان ملك من الملوك ، مـاتت زوجتـه الحسناء التى كان يحبها حبا قويا صادقا ، وتركت له ابنة تشبهها تماما، جميلة وفاتنة مثلهـا .

وكان لدى الملك خاتم الحكمة الذى يخدمه جنى يلبى دائما أوامر صاحبه ويحقق له رغبـاتـه .

ومضت السنوات ولم ينس الملك زوجته الجميلة وظل وفيا لذكراها بالرغم من ثرائه وامتلاء قصره بالجوارى وحيازته للخاتم العجيب الذى يتيح له أن يحصل على ما يريد .

وكبرت الابنة واصبحت شابة حسناء ساحرة وفاتنة كأمهـا ، وتذكر الملك زوجته فى أول أيام زواجه بها ، لقد كانت شبيهة بها ، وهيىء له أنها زوجته وليست ابنته ، فقرر أن يتزوجها .

وعندما عرفت الاميرة الشابة رغبة أبيها ، وما أعتزم أن يفعله ، أخذت الخاتم خفية ، وصرة من المال،وخرجت من القصر الى بـلاد اللـه الـواسعـة .

وذهبت الى نجار وطلبت منه أن يصنع لها تمثالا من الخشب ، فصنع لها النجار التمثال ، فدخلت فيه واغلقته على نفسها .

وسارت فى طريقها ، ومرت ببلاد كثيرة وكانت تنادى وتقول ، « من يريد خادمة ، من يريد خادمة » ، فيضحك الناس ويرددون ، « خادمة من الخشب ، ما أعجب هذا ! » ، وتضايقت لانه ليس هناك من يريد أن يستخدمها .



ففتح الباب أحد الحراس ولم يجد أحداً

وسارت الى بلدة اخرى ولم تسأل احدا من الناس أن يستخدمها ، بل ذهبت الى قصر الملك وطرقت باب القصر ، ففتح الباب احد الحراس ولم يجد احداً فأغلق الباب ، فأعادت الطرق ، ففتح الحارس الباب مرة اخرى واغلقه فى ضيق لانه لم يجد أحدا ، لكنها طرقت الباب للمرة الثالثة ، وحين فتحه الحارس ، قالت له ، « أريد أن اخدم فى القصر » .

فاندهش الحارس واسرع الى الملك وأخبره بأن هناك (خشبة) بنت خشبية بالباب ، وتتكلم كالبشر وتطلب أن تخدم فى القصر ، فضحك الملك وأمره أن يدخلها الى القصر وأن تخدم فى الحمام .

ولم يكد يمضى أسبوع حتى حان ميعاد زفاف الامير ابن الملك الى ابنة عمه ، واهتمت الملكة بتجهيز كل ما يلزم حفلة العرس ، وكلفت كل جارية وخادمة بعمل معين لكنها لم تكلف الخادمة الخشبية بأى عمل لتقوم به .

فسألت الخادمة الخشبية الملكة أن تسمح لها بالخدمة فى المطبخ، ففرحت الملكة وكلفتهابانضاج اللحوم، لكن الفتاة الخشبية سألت الملكة أن تترك لها مهمة انضاج كل أصناف الطعام التى ستقدم فى العرس ، وبينت لها أنها على استعداد بأن تنجز هذا العمل فى خلال سبع دقائق ، فان لم تفعل فليقطعوا رقبتها ، لكنها طلبت ان يخرج الخدم والجوارى من المطبخ، وتبقى هى وحدها، فوافقت الملكة وهى مندهشة، ونفذت رغبة الفتاة .

وما ان اقفلت ابواب المطبخ ، حتى حكت الفتاة خاتم الحكمة ، فجاء اليها الجنى خادم الخاتم ، فطلبت منه ان ينضج الطعام ويضعه فى الاطباق والاوانى فى خلال سبع دقائق ، وقبل أن تمضى السبع دقائق كان أمرها قد نفذ ، ففتحت الابواب ، وخرجت الى الملكة ، وسألتها ان تقدم لتذوق الطعام ، فذهلت الملكة لما رات .

واقيمت الافراح ، وابتدأ الضيوف يتوافدون ، واضيئت الانوار وصدحت الموسيقى ، وطلبت الفتاة الخشبية من الملكة أن تسمح لها بأن تلبس ثوبا من أثوابها كمكافأة لها على ما فعلت ، فتعجبت الملكة ، لكنها وافقت ان تلبس الفتاة احد اثوابها .

واختارت الفتاة ثوبا من اثواب الملكـة ، لونه كلـون الشمس المشرقة ، وكانت الفتاة الخشبية حسناء فاتنة رائعة الجمال ، وكانت اميرة تعرف كيف تتزين ، لذلك فوجىء المدعوون بفاتنة فاق جمالها جمال كل امراة فى الحفل ، تلبس ثوبا يضوى كما تضوى اشعة الشمـس المشرقة ، حتى أن الملكة لم تدرك أن هذا الثوب هو ثوبها ، وحين اقبل الامير ، واقترب من العروس ومعه عقد من الجواهر الثمينة ، وسوار من الاحجار الكريمة ، وخاتم ثمين ، وكانت الاميرة الجميلة واقفة وراء العروس ، فصعق الامير جمالها ، فنسى عروسه ، واصابه الدوار ، ولم يدر ما يفعل فوضع الخاتم فى أصبع الاميرة الجميلة ، واحـاط معصمها بالسوار ، وألبسها العقد ، فغضبت العروس ، وخرجت من قاعة الاحتفال ، واختفت الاميرة الجميلة كذلك .

فوجىء الملك والملكة والضيوف بما حدث ، وعم القصر الهـرج والمـرج ، فكل ما حدث ، حدث فى لحظات قصيرة ، حتى ان اغلب الموجودين لم يعرفوا ماذا جرى ، لكن العروس صممت على مغـادرة القصر ، وصاح الامير وافصح عن عدم رغبته فى اتمام الزواج .

ولم يكد يمضى اسبوع على الحادث ، حتى كان الامير يعانى مرضا قاسيا ، وحار الاطباء فى شفائه والسحرة كذلك .

وفى يوم تقدمت الفتاة الخشبية الى الملكة ، وبينت لها انها قادرة على شفاء الامير ، وانها تعرف دواءه ، ففرحت الملكة ورجتها ان تسرع بعلاج ابنها وشفائه .

فصنعت الفتاة سميدة (1) وقدمتها للامير ليشربها ، فرفـض ، وكانت قد وضعت الخاتم الذى وضعه الامير فى اصبعها بجوار الطبق المحتوى على السميدة ، وعندما رفض الامير ، قالت له ، « انظر بجوار الطبق » ، فنظر ورأى الخاتم ، فشرب السميدة ، وابتسم ، وسألها عن صاحبة الخاتم ، فأجابته ، « ستجىء اليك ان شربت السميدة ثلاث مرات ، مرة كل يوم ، وها انت قد شربت مرة ، فبقى لك مرتان ، اى يومان ، ثم تجىء اليك حبيبتك التى كانت تلبس ثوبا فى لون الشمس» ، فصاح الامير ، « أين هى ؟ » ، وبدأ يتماثل للشفاء .

---

(1) ـ حساء يصنع من الدقيق .

وفى اليوم التالى قدمت له السميدة مع الســوآر ، وفى اليــوم الثالث قدمت له السميدة مع العقد ، وكان قد قارب الشفاء ، وسألها متلهفا ، « أين حبيبتى ؟ » ، فخرجت من التمثال الخشبى ، وحكت له قصتها ولكنها طلبت منه ان يكتم السر .

وذهب الامير الى أبيه الملك ، وطلب منه أن يزوجه الى الخادمة الخشبية ، فتضايق الملك ، وغضب ، وقال له ، « لقد زوجتك من ابنة عمك ، وهى اميرة جليلة ، لماذا سلكت سلوكا قبيحا ووضعت الخاتم فى أصبع فتاة أخرى وكذلك العقد والسوار ، حتى غضبت ابنة عمك وغادرت القصر ، وكانت فضيحة » ، لكن الأمير صمم على طلبه .

وحين علمت الملكة بالامر ، أصابها المرض ، لكن حب الام لابنها ، وما قاسته حين داهمه المرض اخيرا ، جعلها تــوافق على الزواج ، ورجت الملك أن يوافق على الزواج، ولما كان الملك يحب ابنه حباشديدا فقد قبل أن يزوجه الخادمة الخشبية .

وحكت الاميرة خاتم الحكمة ، فجاء خادمه الجنى ، فأمرته أن يبنى لها قصرا من البللور قبل ان تنتهى حفلة زفافها ، وأن يملأه بأفخر أنواع الاثاث التى لم تر لها الناس مثيلا من قبل ، وأن تكون الكؤوس من الذهب والحشايا من ريش النعام ، والبسط مزخرفة بأروع الرسوم، وان يكون القصر أكبر من قصر الملك ، وله حديقة جميلة تسر القلوب وترتاح لرؤياها العيون ، وطلبت منه كذلك ثوبا فى لون القمر ، وقرطا به جوهرة نادرة فى شكل العين ، وحجرا كريما ثمينا فى شكــل الفــم لتضعه على جبهتها ، وأحضر لها الجنى فى الحال ما طلبت من ثــوب وجواهر ، ووعد باقامة القصر قبل أن ينتهى حفل الزفاف .

واقيمت الافراح ، لكن الملك كان غضبانا ، والملكة كانت حزينة ، فالناس تكتم ضحكاتها ، والحاشية تسخر ، فالامير سيتزوج خادمــة مصنــوعة من الخشب .

لكن فوجىء الملك والملكة وكل الحاضرين بالامير يدخل صالة الاحتفال وبجانبه حورية حسناء ، لا يستطيع احد أن ينظر اليها ويطيل النظر ، لان جمالها يخطف الابصار ، ويتلألأ ثوبها الفضى ، ويتدلى القرط من أذنيها ، وبه عينان من الجواهر الكريمة تنظران الى الناس ، لتمنعا عنها

حسد الحاسدين وتقيها شرهم ، وعلقت علي جبهتها جوهرة فى شكل الفم ، لكن شفتيها الحقيقيتين كان جمالهما يضارع جمال الجـوهرة وسناها ، ان لم يكن أروع ، وعرف الملك الفتاة ، وأدرك أنها هى نفس الفاتنة الحسناء التى أضاعت صواب الامير ، وقدم لها فى ليلة زفافه السابقة هدايا عروسه ، فأقبل اليها وسألها ، « من انت أيتها الفاتنة الساحرة ؟ » ، فحكت له قصتها .

وقبل أن ينتهى الحفل ، انتبه الجميع الى قصر من البللور مجاور لقصر الملك وقد ظهر فجأة تتلألأ منه الضياء ويشع منه نور أبيض عجيب لم يعرفه أحد من قبل ، وضحكت الاميرة الجميلة وقالت للملك ، « هذا قصرى تعالوا اليه » ، واصطحبت الملك والملكة الى القصر البللورى العجيب ، فدهشوا عندما رأوا الحديقة الجميلة ؛ وحين دخلوا القصـر صاحوا وصرخوا أعجابا بما شاهدوا ، وصممت الاميرة أن تقيم الافراح مرة أخرى فى قصرها البلورى ، أربعين ليلة ، ثم عاشت مع الاميـر فى سعادة غامرة ورزقوا بالبنين والبنات .

شراب الزبيب

مات الرجل ، فحزنت زوجته ، ولم يبق معها الا ابنها الصغير الذى لا يتجاوز عمره ست سنوات .

وقاست من شظف العيش بعد أن فقدت الاسرة عائلها ، لذلك فكرت فى طريقة لتحصل بها هى وابنها على رزقهما ، وكان الولد جميلا حسن الصورة ووهبه الله صوتا شجيا .

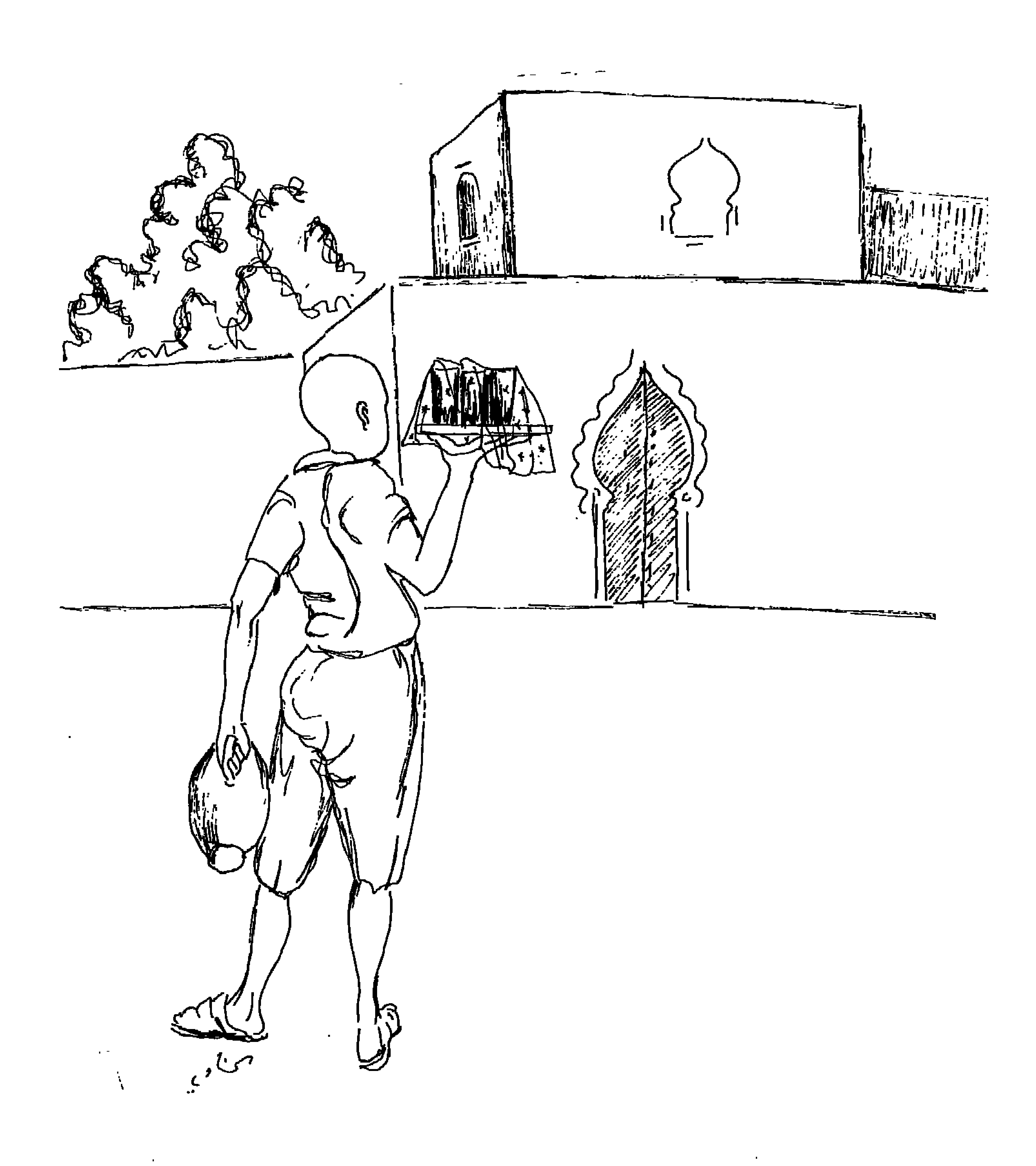
فصنعت الام شراب الزبيب ، ووضعته فى اناء حسن الشكل نظيف ، وألبست ابنها جلبابا أبيض ، وطلبت منه أن يذهب الى المشور (1) حيث يبيع شراب الزبيب ، وطلبت منه أن ينادى ويقول ، «اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد الحبيب أنا أبيع شراب الزبيب» .

وكان الغلام يذهب كل يوم الى باب المشور ، وينادى ليبيع ما يحمله من شراب ، ورآه الملك وأعجبه أنه حسن الصوت جميل الصورة نظيف الثياب ، فناداه وطلب منه شيئا من شراب الزبيب ، فانحنى وقبل يد الملك ، وقدم له كوبا نظيفا ، فذاق الملك الشراب وأعجبه مذاقه وتأدب الغلام ، فكافأه .

ولما كان من عادة الملك أن يجىء الى المشور كل يوم فى الصباح ليتلقى شكايات الناس ويحكم بينهم بالعدل ويتفقد شؤون الرعية ، فقد تعود أن ينادى الغلام ويشرب من شرابه ويكافئه ، بل زاد عن ذلك فكان يقبل الغلام لما رآه من حسن أدبه وكمال سلوكه ، بالرغم من صغر سنه .

---

(1) — المشور ساحة أمام قصر السلطان والمعنى رمزى لاتصاله بالحكاية الشعبية .



وكان الغلام يذهب كل يوم الى باب المشور وينادي ليبيع ما يحمله من ثراب

وتضايق الوزير فربما كبر الولد والملك معجب به ، وكان الوزير حقودا ، ففكر فى خطة وحيلة ليبعد بها الطفل عن الملك ويتخلص منه .

فنادى الوزير الطفل فى يوم من الايام وسأله عن أهله فأخبره الطفل بقصته ، فقال له الوزير ، « اطلب من أمك أن تضع لك لثاما فوق وجهك لان الملك لا يعجبه شكلك وتضايقه رائحة فمك القبيحة ».

فأخبر الطفل أمه بما قاله الوزير ، وسرعان ما أحضرت الام قطعة من القماش ووضعتها كلثام فوق وجه الطفل .

وحين راى الملك الغلام ملثما ، اندهش وعبر عن دهشته للوزير الذى كان بجانبه ، فقال له الوزير انه اندهش هو الآخر حين راى الغلام ملثما ، وقد سأله عن السبب ، وأبدى الوزير شيئا من التردد والقلق ، وقال للملك ،« أخاف يا مولاى أن أخبرك بالحقيقة فتتضايق »، فتشوق الملك وأبدى لهفته لمعرفة الحقيقة ، فقال الوزير ، « لقد قال الطفل انه وضع اللثام حتى لا تقبله يا مولاى لان رائحة فمك قبيحة » ، وانصرف الوزير ، وتضايق الملك ونوى أمرا ، ونفذه فى الحال ، نادى الملك السياف وقال له ، « غدا فى الصباح عليك حين تفتح باب المشور أن تقطع رقبة أول شخص يجىء الى الباب » .

فأجاب السياف ، « سمعا وطاعة يا مولاى » ، وتذكر السياف أن اول من يجىء الى الباب هو ذلك الطفل النظيف الجميل ، الذى يبيع شراب الزبيب ، لكن كان عليه أن ينفذ أمر الملك .

وفى الليل جاءت الاخبار بأن هناك قبيلة ثائرة ، فأسرع الوزير فى الصباح الباكر ليبلغ الملك بما حدث ، وحين وصل الى باب المشور تلقاه السياف وقطع رأسه ، وبعد قليل جاء الملك ، وأخبره السياف أنه نفذ أمره وقطع رقبة الوزير .

ولم تمض ساعة حتى سمع الملك الطفل ينادى ويقول ، « اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب أنا ابيع شراب الزبيب » ، فناداه الملك وسأله ، « لماذا تأخرت ولم تجىء اليوم مبكرا كعادتك ؟ » ، فأجاب الطفل ، « الحق يا مولاى انى مريض لاننى لم اتعود ان أضع لثاما ، وقد سبب لى اللثام المرض فى أنفى والحرارة فى جسدى » ، فسأله

الملك ؛ « ولماذا وضعت اللثام ؟ » ، فأجاب الطفل ، « بسببك يـا مولاى فقد أخبرني الوزير أنك تتضايق من رؤية وجهى ومن رائحة فمى القبيحة » ، فأدرك الملك الحيلة ، وعرف أن الوزير كان حقودا فقال الغلام ، « ناد وقل اللهم صل علي سيدنا محمد الحبيب أنا أبيع شراب الزبيب ، ومن يحفر حفرة لاخيه ، فيها يغيب » ، ففعل الطفل ، وأصبح ينادى تماما كما أمره الملك .

طائر الحكمة

كان محمد الحطاب رجلا تقيا صالحا ، وبعد أن ماتت زوجته الطيبة ازداد تدينه وكثرت صلواته وتسابيحه ، فكان يقضى النهار يحتطب ، وفى الليل يتزهد ويتعبد ولا ينام الا قليلا ، واعتبره الناس من عباد الله الصالحين .

واعتنى بتربية ولديه ، أحمد الذى لم يتجاوز عمره عشر سنوات ومحمد الاصغر منه بقليل ، وارسلهما الى الجامع (المسيد) وحثهما على حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف ومجاورة الفقهاء والعلماء . وشعر الحطاب بحاجته الى زوجة لترعى شؤون داره وأولاده ، فتزوج .

وما أن مضت شهور قليلة حتى بدات زوجة الاب تقسو على الولدين وتعاملهما معاملة سيئة ، وكان لها من الحيل والدهاء الشىء الكثير ، فكانت تخفى كرهها لهما وتدعى أمام الاب الاكاذيب وتتهم الولدين باتيان كل عمل قبيح .

وعجز الولدان أن يفضحا أمرها او يحيطا الاب علما بما يقاسيانه من زوجته من الايذاء والحرمان من الطعام ، وشاءت المقادير أن يزداد الحطاب فقرا مع مرور الايام ، فقد شحت الغابة بالاشجار الصالحة للاحتطاب ، وقاست الاسرة من الفقر ، وحين أقبل الشتاء كان كوخ الحطاب يكاد أن يكون خاويا من الطعام .

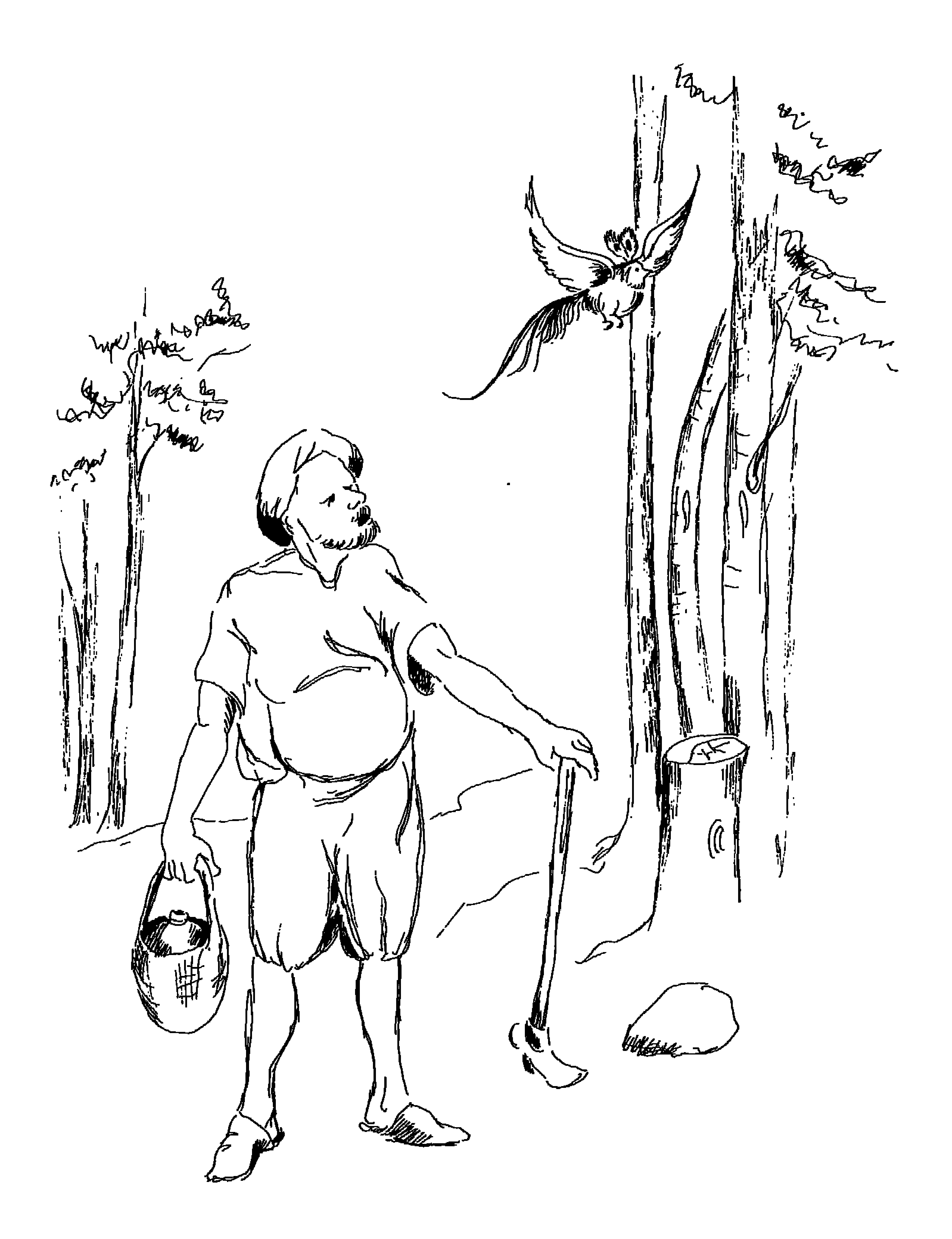
وفى يوم ذهب الى الغابة ، وكان اليوم ممطرا ، وهبت العاصفة ولم يستطع أن يحتطب شيئا ، وانتابه الحزن ، فكيف يرجع لزوجته وأولاده خاوى الوفاض ، فبكى الحطاب واشتكى لربه وابتهل اليه تعالى أن يرزقه ويغنيه .

وقبل أن ينتهي من دعائه ؛ جاء اليه طائر جميل الشكل ، ووقف على كتفه مستسلما ، فأمسكه الحطاب وابتسم واطلقه قائلا ، « اذهب وانت حر ، فما حاجتي بك » ؛ فطار الطائر وحوم حول الحطاب ورجع ونزل ووقف على كتفه ، فأطلقه الحطاب مرة أخرى ، لكن الطائر طار ودار دورة حول الحطاب وجاء ووقف على كتفه مستسلما ، فأمسكه ووضعه فى كيسه وقال للطائر ، « سأعطيك لاولادى ليلعبوا بك » .

وعندما رجع الى كوخه ، حكى لزوجته ما حدث ، وطلب منها ان تجهز شيئا من الحريرة (وهى حساء شعبى مغربى) لانه لم يرزق بشىء ؛ وقال لولديه انه قد أحضر لهما طائرا جميلا ليلعبا به ، ففرح الولدان واخذا يلعبان بالطائر حتى نسيا جوعهما ولم يهتما حتى بالعشاء، وأصر محمد ان ينام الطائر معه .

وفى الصباح ايقظ الحطاب ولديه ليذهبا الى الجامع ، ليتابعا دروسهما ، ونظر الحطاب فوجد بجوار محمد ياقوتة كبيرة تلمع وتتلألأ، فسأل ابنه من أين جاءت ؟ فأجابه محمد بأنه لا يعرف من أمرها شيئا ، فاستفسر منه ان كان قد اخذها من أحد التلاميذ الذين يدرسون معه ، فانكر محمد ذلك ، وقالت الزوجة ، « ان هذا لا يكون الا عند تجار الذهب والمجوهرات » ، وطلبت من زوجها أن يذهب الى السوق ليبيعها وابدى الحطاب ترددا ، وبين لها خوفه من أن يظنوه لصا ، لكنها شجعته ودفعته الى الذهاب .

وخرج ، ومشى الى السوق الذى يباع فيه الذهب ويشترى ، ولم يكن يعرف أى الحوانيت يدخل ، ورآه تاجر شاب ، عرف عنه الدهاء والتعامل مع اللصوص ، فقد كان يشترى منهم المسروقات بثمن بخس، فظنه لصا من اللصوص ، وناداه وسأله ان كان يريد أن يبيع شيئا ، فأخرج الحطاب الياقوتة وناولها له ، فأمسكها التاجر بين يديه ، واندهش لنقاوتها وكبر حجمها ، فقال له ، « اتبيعها بثلاثمائة دينار »، فهتف الحطاب مندهشا ، « ثلاثمائة دينار » ، فرد التاجر ، « انني على استعداد أن ادفع لك خمسمائة دينار » ، فذهل الحطاب وسكت قليلا وقد ظن التاجر يسخر منه ، وقال له ، « انني رجل كبير فهل تسخر مني ؟ »، فأجاب التاجر ، « سأدفع لك الف دينار ولن أزيدك فما رأيك ؟ » ،



جاء اليه طائر جميل الشكل ووقف على كتفيه مستسلما

ولم يصدق الحطاب ما سمعه ورد قائلا ، « لا مانع أننى أوافق » ، واخذ الالف دينار وعاد فرحا الى كوخه .

وحكي لزوجته ما حدث ، فقالت له ، « هذا رزقنا ، وكفاك تعبا ولا داعي أن تذهب للغابة لتحتطب » ، وامتلأ كوخ الحطاب بالطعام واحضر لاولاده ملابس جديدة ، وفى المساء كانت الفرحة تعم الجميع . ونام أحمد ومحمد سعيدين ، فقد أكلا مالذ وطاب ، وفرحا بالملابس الكثيرة التى أحضرها لهما أبوهما ، واصر أحمد فى هذه الليلة أن ينام ومعه الطائر ، فلم يعارضه محمد .

وفى الصباح أسرع أحمد وايقظ أباه ليخبره أنه وجد هو الاخر ياقوتة كبيرة تلمع ويخطف سناها الابصار ، تماثل تماما تلك التى وجدها محمد فى اليوم السابق ، فشك الاب وزوجته فى أن يكون الطائر الجميل هو مصدر هذه الياقوتة ، واحتار الجميع فى الامر ، لكن ذلك لم يمنع الزوجة أن تحث الحطاب على الاسراع والذهاب الى سوق الذهب والجواهر ليبيع الياقوتة كما باع السابقة بالامس ، ولم تمض ساعة حتى رجع الحطاب ومعه ألف دينار .

وراقبوا الطائر وغطوه بسلة ، وفى الصباح التالى وجدوا تحته ياقوتة كبيرة نقية مماثلة للاخريتين ، فتأكدوا أن الطائر الجميل يبيض كل يوم ياقوتة غالية ثمينة ، وهرع الحطاب للسوق وباع الياقوتة بألف دينار ، وقال له التاجر الشاب ، « ارجوك أن لا تذهب الى تاجر آخر » . ذلك لانه كان يربح ألف دينار ، فالياقوتة تساوى الفين .

ولم ينس الحطاب أن يحضر قفصا كبيرا فخما للطائر . ومضت الايام واشترى الحطاب دارا وملأها بالاثاث الجميل ، وطلبت زوجته أن يشترى لها جارية ، ففعل ، أما احمد ومحمد فكل ما تمنياه وجداه أمامهما .

وكان الحطاب يذهب كل يوم الي السوق ويبيع للتاجر ياقوتة ، يكاد التاجر ان يجن ، فالامر غريب ، واخذ يتساءل ، كيف يحصل الحطاب على هذه الجواهر الثمينة يوما بعد يوم ، أيكون قد عثر على كنز ؟» ، لكن الكنوز لا يوجد فيها هذا العدد الكبير من الياقوت بهذا الشكل الاخاذ ، ترى أيسرق الرجل الياقوت من بيت المال ؟ حتى لو كان يفعل ، لفرغ

بيت المال ، وحاول التاجر أن يستفسر من الحطاب ، لكن الحطاب نهره وبين له أنه لا يحب أن يسمع هذا الكلام مرة أخرى والا فلن يجيء اليه أو يبيعه الياقوت ، فسكت التاجر مضطرا وترك للايام أن تكشف له السر .

وحمد الحطاب ربه وشكره ، فقد أيقن أنه جل وتعالى قد استجاب لدعائه فى الغابة واغناه ، فكان يكثر من الصلاة وقراءة القرآن والتسابيح ويحمد الله على نعمته . لذلك حين مر المنادى ينادى المؤمنين أن يستعدوا للحج ، وقد اقترب ميعاده ، أسرع الحطاب وجهز ما يحتاج اليه ليزور الاراضى المقدسة .

وقبل الرحيل قال لزوجته ، « الطائر عندك وهو يبيض كل يوم ياقوتة فما عليك الا ان ترسليها مع الجارية ، وقد اتفقت مع التاجر ان يعطيها ألف دينار ، وعليك أن توصيها بالكتمان » ، فوعدته بتنفيذ رغبته .

وفى اليوم الموعود ، ودع الحطاب احمد ومحمدا ، وأوصى زوجته أن ترعاهما ، وتمنت الاسرة للحطاب حجا مباركا . وكانت الجارية تذهب كل يوم للتاجر وتناوله الياقوتة فيعطيها ألف دينار ، وحاول التاجر مرات كثيرة أن يعرف من الجارية شيئا ، لكنها لم تجبه ، فقد كانت مطيعة لسيدتها ، لكن التاجر دبر خطة ، ففى يوم بعد أن أعطاها الألف دينار سار وراءها وتبعها وعرف الدار واستقصى الاخبار .

وذهب ليزور الزوجة ، ولما سألته الجارية عن سبب زيارته ، طلب منها أن تقول لسيدتها أنه التاجر الذى يشترى الياقوت ويريد ان يقابلها لامر هام ، وما أن رآها حتى أعجبه حسنها ، أما هى فقد وقعت فى حبه، فقد كان شابا جميلا ، ونسى ما جاء لاجله ، وصارحته هى بالغرام . وصارا يتقابلان فى دارها و فى داره ، وأخذا يدبران الحيل لابعاد الولدين عن الدار ، واصبحت عشيقته ، ولاحظ الولدان كثرة مجيئه للدار ورأيا أشياء لم تكن تخطر لهما على بال .

وفى يوم قال التاجر لزوجة الحطاب ، « ان الامور لا يمكن ان تسير على هذا المنوال » ، وقبل أن يتم حديثه فهمت المرأة ما يريد قوله ، فصاحت به ، وكانت تعشقه بجنون ،« نعم ، لابد أن ندبر وسيلة

حتى لا نفترق فأنا لا أستطيع الابتعاد عنك » ، وفكر كثيرا ، وقال لها ، « انني أريد أن أعيش معك طول حياتي ، ولكنك متزوجة »، فردت عليه بأنها على استعداد أن تهرب خفية وتعيش معه ولن يعرف أحد مكانها ، ولما ذكر الاولاد وأنهم يعرفون علاقته بها ، أجابته انه يمكن لها أن تقتلهم وتتخلص منهم وعندئذ طلب منها أن تذيع السر ، من اين يأتي الياقوت ؟ ، فحكت له كل شيء .

وعندما عرف التاجر أن الطائر يبيض ياقوتة كل يوم ، ذهب الى احد اليهود الذين عرف عنهم المهارة في فنون السحر ، واذهله ما قاله له اليهودى ، فقد اخبره اليهودى أن هذا الطائر يجيء مرة واحدة كل الف عام ، وهو طائر الحكمة والسعادة ، ومن اكل قلبه عرف كل حكمة الدنيا ، ومن أكل رأسه اصبح ملكا ليس له مثيل بين كل ملوك الدنيا ، بل يخضعون له ويطيعون ، وبين له اليهودى أن كل ذلك مكتوب تحت ريش جناحي الطائر ، فما عليه الا ان يفرد الجناحين وينظر ، وسيجد الكتابة ، وعندئذ يكون اليقين .

فأسرع التاجر الى عشيقته وطلب الطائر ، فأحضرته له ، فأمسك به ونشر جناحيه ونظر اسفلهما فوجد الكتابة منقوشة على الريش بلون الذهب ، فحكى لها ما سمعه من اليهودى ، واراد أن يذبح الطائر ، فقالت له ، « حذار لا تنس أنه يبيض كل يوم ياقوتة ثمنها الف دينار » ، فأجابها ، « لا يهم ولو كان ثمنها عشرة آلاف دينار » ، واستل خنجره وذبح الطائر ، ونادت الخدم وامرتهم أن يطبخوا الطائر ، وقال لها ، « سأذهب الان لاحضر عبدى القوى الشديد ليأخذ الولدين ويذبحهما في الغابة ، وسأرجع بعد ساعة لاصحبك معي الى داري ، ولابد ان تبيعى هذه الدار حتى اذا رجع زوجك لا يجد هنا شيئا ولا يعثر لك على اثر » ، وانصرف ،وقامت المراة ودخلت الحمام لتستحم وتتزين .

وجاء أحمد ومحمد وهما لا يدريان شيئا مما دبر لهما ، وكانا قد لعبا كثيراً واحسا بالجوع وخاصة حين شما رائحة الطائر وهو يطبخ، فدخلا الى المطبخ ووجدا الجارية قد انضجت الطائر ، فاقترب أحمد ورأى الطائر ناضجا وبجانبه قلبه وكبده وكليته ، وكان يحب هذه الاشياء

فأكلها ؛ أما محمد فقد أكل راس الطائر ورقبته ، ولم تهتم الجارية طالما ان الطائر بقي سالما بأكمله .

وحين عاد التاجر ومعه العبد ، تكلم مع الزوجة فى خلوة ، وهمس لها بأشياء ، فنادت المراة الولدين واخبرتهما أن اباهما قد رجع وان عليهما أن يذهبا مع العبد لاستقباله ، ففرح الولدان وخرجا مع العبد ، وجلس التاجر فى غرور فرحا ، وطلب ن تحضر له المراة الطائر ، وجاءوا له به ، لكنه لم يجد الراس ولا القلب ، فصرخ ، وسألت المراة الخادمة فأجابتها بأن محمدا وأحمد أكلا القلب والراس والكبد كذلك ، ولم تكن هناك فائدة من الصياح والصراخ أو الندم .

أما العبد فقد سار مع أحمد ومحمد ، واخذهما الى الغـابة وانقض عليهما واستعد ليذبحهما ، فلما أدركا الامر ، بكيا وسألاه فى براءة عن السبب الذى يدفعه لقتلهما ، فبين لهما أن هذه مشيئة سيده الذى لا يمكنه أن يعصيه ، لكن بكاء الولدين اثر عليه ، وأشفق قلبه عليهمـا فقـال لهمـا : « انني على استعداد لمخالفة امر سيدى ، لكنه لو علم اننى لم اطعه لذبحنى ، فان وعدتمانى بأن تتركا هذه البلاد ونرحلا بعيداً ، فسأحل وثاقكما ولن أقتلكما ، فوعداه بالرحيل بعيـداً وعدم الرجوع الى هذه البلدة مرة اخرى ، فحل العبد وثاقهما ، وسارا فى طريقهما ، واصطاد العبد غزالة وذبحها وملأ قنينة من دمائها ، وعاد الى سيده ، فشرب التاجر الدماء ، وباعت المراة الدار ، وذهبت مـع التاجر واختفت فى منزله .

وسار الولدان فى الغابة حتى اخترقاها وخرجا منها ، ولم يكن أحدهما يعرف الى أين يذهب ، فتابعا المسير حسب وعدهما للعبد ، يقطعان الوديان والقفار ، وفى اليوم الثالث بكى محمد الصغير فقد انهكه التعب وأصابه العطش واضناه الجوع ، فطيب احمد خاطره وسأله الصبر والجلد ، فقد كانا وسط قفر موحش حيث لا يوجد انسان ، وبعد ساعات وصلا الى حافة بئر عميقة ، لكن الماء كان بعيدا لا يمكن أن يصلا اليه ، فلا يوجد حبل ولا اناء ، فوقفا بجانب البئر عاجزين وحائرين ، وفجأة ظهر أمامهما رجل يشع النور من وجهه وله لحية طويلة بيضاء ويلبس ملابس خضراء وفى يده اليمنى حربة وفى يـده اليسرى مسبحة ، وقال لهما :« مرحبا بسيدى أحمد ، مرحبا بسيدى

محمد » ولما سألاه من هو ، وكيف عرف أسميهما أجاب وهو يبتسم، « انني شيخ أبيكما سيدى عبد القادر » ، فأخبراه أنهما جوعانان وعطشانان ، فمد يده ووضعها فى جيبه الذى كان يبدو خاويا ، واخرجها ممسكة بالخبز والطعام ، فأكلا ، ثم نظر الى البئر فأخذ ماؤها يرتفع حتى الفوهة ، فشربا ، وقال لهما ، « ان أباكما مازال فى الحجاز يحج ويؤدى الفريضة وأنا أعرف ما فعلت زوجته ، لكن صبرا فسيدور الزمان ويجيء الاوان ، وان زمانكما لقادم ، لكن اوصيكما فانتبها لما أقول » ، واستطرد ، « ها هو الطريق أمامكما فسيرا فيه ، وبعد سبعة أيام ستجدان الطريق يتفرع الي طريقين فلابد عندئذ أن يودع كل منكما اخاه ، ويسير كل بمفرده فى طريق ، هذه وصيتى، حذار ، حذار أن لا تعملا بها » ، ولم يكد ينتهي من كلامه حتى اختفى .

فقال أحمد لاخيه محمد الصغير ، « لقد اوصانا سيدى عبد القادر ولا بد من تنفيذ وصيته » ، وسارا سبعة أيام ، وكما قال الشيخ فقد تفرعت الطريق الى طريقين ، فودعا بعضهما وهما يبكيان، وقال احمد ، « لا تبك يا أخى فالدنيا تفرق الابن وأباه والاخ واخاه » ، فرد محمد ، « الى اللقاء ، الى اللقاء يوم القيامة » ، وتعانقا وافترقا ، ومشى سيدى محمد الصغير فى الطريق الايمن ، وظل يسير ويسير ، ومنذ تلك اللحظة التي قابل فيها سيدى عبد القادر وهو لا يحس بجوع او عطش ولا يتعبه المسير .

ظل يمشى اياما واياما حتي وصل الى مدينة بدت له من بعيد كبيرة عامرة ، وحين وصل الي اسوارها وجد أبوابها مغلقة ، فقد غابت الشمس، واعتاد اهل المدينة أن يغلقوا الابواب ، فتوسد أحمد الاحجار ونام خارج الاسوار .

وقبل أن تشرق الشمس ، هب من نومه مذعورا ، فقد ايقظته الجلبة والضوضاء واصوات الطبول ، ولم يصدق ما رأى ، فقد أبصر امامه أهل المدينة يتقدمهم الوزراء والقواد وأكابر القوم ينحنون له ويحيونه فى احترام بالغ ، وقالوا له ، انهم قد اختاروه ملكا لان ملكهم قد مات ، وحسب تقاليدهم كانوا يغلقون أبواب المدينة وينتظرون عشرين يوما مجيء غريب ، ليتوجوه ملكا ، وفرحوا به عندما أخبرهم انه قد حفظ القرآن والم بالسنة والحديث .

ولم تمض سنوات قليلة حتى علا شأنه وظهرت نجابته وعرف عنه العدل حتى سموه سيدى محمد سلطان الحق ، وجاءت اليه الملوك تستشيره وتطلب نصحه ، وتسأله أن يحكم فى قضاياهم ان استعصت عن الحل ، واصبح سيدى محمد سلطان الحق علما بين الملوك وأرفعها شأنا وأعظمها وأعلاها مقامـــا .

اما سيدى أحمد الاخ الاكبر فقد سار فى الطريق اليسرى ، وبعد ايام كثيرة وصل الى غابة هى أكبر غابات الدنيا ، غـــابة ليس هناك منيل لاتساعها ، الداخل اليها مفقود والخارج منها مولود . ظل سيدى احمد تائها فى الغابة يسير ويسير ويقطع دروبها وممرآتها ويأكل من ثمرها وأعشـابها وطيورها سنوات ، قيل أنها سبع سنوات (1) . وفى يوم لاح أمامه جبل كبير ، ففرح وأسرع الخطى حتى وصل الى سفح الجبل ، ووجد فى أسفل الجبل كهفا كبيرا ، مظلما ، ويبدو أنه لا نهاية له ، فخاف ان يدخل نيه ، ورأى أن يدور حول الجبل وان طال به الوقت ، وفجأة خرج من الكهف عبد أسود ، أشد سوادا من ظـــلام الكهف ، خرج اليه وكأنه قطعة حية متحركة من الظلام ، وكان العبد جيد التكوين حلو القسمات ، وابتسم وانحنى لسيدى أحمد ، واخذ يردد بصوت عميق جذاب ، « سيدى أحمد ، ابن ألحاج الحطاب التقى ، سيدى أحمد المظلوم ، لا تخف ، فأنا مرصود لخدمتك كي أساعدك ، وتعرف الحكمة كلها وتصير حكيم الزمان ، ولن يكون ذلك الا اذا ملكت ملكة الحكمة ، وهى هنا داخل هذا الكهف ، يابني أنا عبدك طول العمر ، لكن لابد أن تسمع لكلامى وتنفذ نصائحى فانتبه الي ما اقول » .

ففرح سيدى أحمد وطلب من العبد أن يسمعه المزيد ، فاستطرد العبد ، « ادخل الي الكهف ولا تخف الظلام فسأنير لك الطريق وستجد قصراً كبيرا تحيطه الحدائق الغناء ، فاطرق باب القصر ، وستفتح لك الباب فتاة جميلة لا مثيل لفتنتها وحسنها وستسألك ، من أنت ، فأجبها ، بنى آدم ، قريب من الاقارب وحبيب من الاحباب » ، وقل

---

(1) — توضح الحكاية ، وتركز على هذه النقطة ، الغابة الواسعة الكبيرة ، ولابد ان هناك دلالة ومغزى لذلك ، كأن تكون أحداث الحكاية جرت فى مكان ملىء بالغابات ، ويبدو أن الحكاية قديمة وقد تطورت وأضيفت اليها أفكار دينيه تعد حديثة نسبيا تتعلق بسيدى عبد القادر .

لها ، انك كنت مسافرا وراكبا بغلة ، وقد تركت البغلة لتقضى حاجتك، وعندما عدت لم تجد بغلتك ، فتتبعت آثار حوافرها حتي باب القصر وتأكدت أنها دخلت اليه ، واطلب منها ان ترد أليك بغلتك ، وستنكر الفتاة الجميلة وتقول لك ، « لا توجد هنا بغلة » ، فلتصر عندئذ علي قولك ، وسترد عليك الفتاة ، « ادخل وابحث عنها » ، وستصحبك الى كل غرف القصر وبساتينه ، ولن تجد فيها البغلة بالطبع ، ثم ستأخذك الفتاة ألى غرفتها وتقول لك ، « هذه غرفتى ، وقد اخبرتك أنه لا توجد هنا بغلة »، وسترى لجاما معلقا على الجدار فصح ، « هذا لجام بغلتى لقد سرقتها ، رديها الي » ، وستقول لك الفتاه ، « هذا اللجام له قصة اخرى ، اكنك معذور فيبدو انك جوعان سأجهز لك الطعام » .

وعندئذ ستحضر الفتاة الجميلة كومة صغيرة من الرمال وستلامسها وتسويها بأصابعها الرقيقة ثم تضع فوق الرمل محراثا صغيرا لا يزيد حجمه عن أصبع ، ثم ستغرس فى الرمل شيئا من القمح وترشه بالماء فينبت القمح فى الحال وينضج أمامك وتتكون سنابله وتجف سيقانه ، وستحصده الفتاة الجميلة بحصادة صغيرة مثل حجم المحراث وتدرسه بنورج صغير وتطحنه بمطحنة مماثلة وتصنع الخبز وتنضجه فى فـــرن صغير، وتقدم لك خبزا ناضجا ، وكل ذلك من فنون السحر والكهانة ، فحذار ، حذار أن تأكل من هذا الخبز ، فان رفضت الطعام ستدعوك للشراب وتحضر لك ماء صافيا نميرا ، فحذار أن تشرب منه كذلك، وعليك أن تهتف بها ، « ايتها اللصة ، لقد سرقت بغلتي ، أعيديها الي وها هو لجامها دليل على سرقتك لها » ، عندئذ ستشعـــل النـــار فى الخبز ، وسترد عليك الفتاة قائلة ، « يا سيدى هذا لجام الحكمة وليس لجام بغلتك » ، فادع أنك لم تفهم شيئا ، وأسألها عن معنى كلامها ، وستجيبك انه لو وضع الانسان هذا اللجام فى فمه لامكنه أن يرى اى شيء يريده، فكذبها، وعندئذ ستضع لك اللجام فى فمك وان شئت أن ترى الصين أمامك لرأيتها أو الهند لشاهدتها ، وستجد كتابا معلقا على الجدار فغافلها واخطف الكتاب ، واضربها به بين عينيها وقل لها ، « تحولى من هيئة بني آدم الي هيئة بغلة » ، وفى الحال ستتحول الى بغلة وستجد اللجام فى فمها ، فأمسك اللجام بشدة حتى أجيء اليك ، لكن حذار حذار أن تتغلب عليك ، ولن تقدر ان تغلبك ما دمت لا تأكل خبزها او تشرب ماءها ، وانها لعدوتك،وطريق الحكمة مفتوح امامك ،

فانتبه ونفذ كل ما قلته لك » ، فوعده سيدى احمد أن يفعل . وسار سيدى أحمد ودخل الكهف المظلم وحدث كل ما قال له العبد ، الا أنه عندما البسته الفتاة الجميلة لجام الحكمة لم يطلب أن يرى الصين أو يشاهد الهند ، بل طلب أن يرى اخاه وأباه وكم كانت دهشته عظيمة حين راى اخاه سيدى محمد سلطان الحق فى قصره المنيف ومعه ابوه هناك ، ثم خطف سيدى محمد الكتاب وضرب به الفتاة الجميلة بين عينيها فتحولت الى بغلة ، بغلة سوداء لم ير لها مثيلا فى حياته من قبل ، كان جلدها لامعا وعيناها براقتين وذيلها منتصبا وفوقها سرج فخم ، فأسرع وركبها ، فضحكت البغلة بصوت انســانى واستمرت تضحك ، وارتفعت ، وارتفعت بسرعة ، وانشق سقــف الحجــرة ، وارتفعت حتى جاوزت السحب وضحكت وقالت له ، « الا تعرفني ، انني عدوتك ، ولقد تغلبت علي وحولتنى الى بغلة ، وصرت فى أمان لكنك أخطأت وركبتني فأوردت نفسك مورد الهلاك ، لقد حانت ساعتك والان سأنتقم منك ، وسأقذف بك الى الارض وتمزقك الرياح » ، ومضت تعلو وابصر سيدى أحمد العبد بجانبه فى اعالى السماء وقال له العبد ، « لقد أوصيتك ، لماذا لم تنتظر حتى أحضر اليك ، لمــاذا ركبت البغلة » ، وأعطاه مخطافا وهمس فى أذنه « تظاهر أنك تأكل ، والبغلة جوعانة ، فان سألتك اعطنى مما تأكل فأجبها ، أنت عدوتى ولن أعطيك الا شيئا قليلا ، سأناولك أياه بيدى لتذوقى منه فقط ، عندئذ ستدير رأسها ناحيتك ، فادخل المخطاف فى فمها واجذبه ، وقل لها انخفضي والا قتلتك ، عندئذ ستهبط بك وستجدني معك » ، فتظاهر سيدى احمد انه يأكل ، واستدارت البغلة وسألته ، واجابها ، ووضع المخطاف فى فمها وجذبه وهددها ، وهبطت به .

ونزل من فوق ظهرها ووجد العبد بجانبه ، وصرخ العبد قائلا ، « أيتها الاميرة ، لقد آن ميعاد خلاصك ، وسيزول مفعول سحرك ، وها هو سيدى أحمد منقذك فلماذا تفعلين معه هذه الامور ؟ » ، فأجابت البغلة فى صوت انسانى ،« لكنه حولنى الى بغلة وركبني »، فرد العبد ، « هذا سيدك وستكونين له وستطيعينه حتى يزيل السحر عنك » ، وسأله العبد ، « سيدى أحمد ماذا تريد ؟ » ، فأجاب سيدى احمد ، « أريد أن اذهب عند اخى وأبي » ؛ فقال العبد ، « سيدى احمد هذه البغلة أميرة مسحورة ، وستكون نجاتها وعودتها الى هيئتها الانسانية

على يديك ، واليك ماحدث لابيك ، فبعد عودته من الحج وجد أن داره قد باعتها زوجته واختفت ، وحزن لانه لم يجدكما أنت وأخاك سيدى محمد ، فسلم أمره الي الله جل وتعالى وبنى كوخا على أطراف الغابة وعاش فيه يعبد ربه ، حتى سمع ذات يوم بوجود ملك عادل عظيم . هو سيدى محمد سلطان الحق ولم يكن يعرف أنه ابنه ، فسافر الى بلاده ليعرض مشكلته ويطلب منه المساعدة ، ففرح اخوك فرحا شديدا بلقاء أبيكما ، وقص عليه قصته ، حدث هذا منذ ثلاثة أيام وارسل سيدى محمد سلطان الحق رجاله ليحضروا له زوجة ابيك والتاجر ليقتص منهما ويعاقبهما شر عقاب ، فما عليك الا أن تركب البغلة وستطير بك الى دار التاجر ، فأمسك به وبزوجة أبيك واحملهما معك الى قصر اخيك وبذلك تسبق رجال أخيك ، وسيفرحون بعودتك ؛ وعندئذ اوصيك أن تنزع اللجام عن البغلة وابقه معك فهو لجام الحكمة ودائما سيساعدك ويكشف لك الماضى والمستقبل والاسرار ، ثم بعد ان تتم فرحتك بلقاء أهلك ، قل للبغلة أن تتحول الى صورتها الانسانية وتزوجها » ، وما أن انتهى العبد من كلامه حتي اختفى تماما .

فركب سيدى أحمد البغلة وطارت به ، وبعد لحظات نزلت الي دار التاجر ، وأمسك سيدى أحمد بزوجة ابيه والتاجر وحملهما معه فوق البغلة ، وطارت بهم الى قصر أخيه ، وفوجيء سيدى محمد سلطان الحق وأبوه ببغلة تقف امامهما وينزل من فوق ظهرها شاب جميل ممسكا بالزوجة والتاجر وصاح سيدى أحمد ، « انا احمد يا ابى » ، فهرع الاب وعانقه وبكى ، وأسرع سيدى محمد واحتضنه ، وصاح سيدى أحمد ، « ها هى زوجتك الخائنة يا ابى ، وها هو التاجر الغدار ، لقد هربت معه بعد ان حاولا أن يقتلانا ويتخلصا منى أنا واخى» ، فأمر سيدى محمد أن تحفر حفرة كبيرة ،ملأوها بالحطب واشعلوا فيها النيران ورموا الزوجة والتاجر فى أتونها المشتعل .

وجلس الحطاب فرحا بولديه ، لكن فجأة هتف سيدى أحمد ، « لقد نسيت » ، وقام وخلع اللجام من فم البغلة وقال لها ، « عودى الى هيئتك الانسانية » ، فتحولت البغلة فى الحال الى فتاة جميلة فتانة رائعة الحسن ، وقالت الفتاة ، « هل تعرف يا سيدى أحمد من هو العبد ؟ » . ثم سألت سيدى محمد سلطان الحق « هل تعرف يا سيدى

محمد من هو الرجل الشائب ذو اللحية الطويلة صـــاحب المــلابـــس الخضراء ؟ ». فأجاباها « لا، لا نعرف » ، فقالت ، « انه شيخ أبيكمـــا سيدى عبد القادر (2) » ، وتزوج سيدى احمد الفتاة وعاشوا سعداء.

---

(2) — تقول الحكاية أن سيدى عبد القادر هو الذى غير شكله وبدا فى صورة هذين الشخصين ، ومن مميزات الفولكلور ان يلصق أحداث الحكاية بشخصيات مشهورة سواء كانت شبه مقدسة كسيدى عبد القادر ، أو ذات شهرة وسلطة كالملـــوك .

ذئب بلا قلب

مرض السبع ملك الغـــابة وطال مرضه ، وذهبت الحيوانات نزوره وتعوده ، وتتمني له الشفاء ، ذهب اليه الفيل ، والنمـــر ، والثعلب ، والقرد ، والضبع ، والقنفد كذلك .

وحين زاره القنفد اقترب منه وسلم عليه وقبل يده ، ودعا لـــه بالشفاء العاجل وطول العمر ، وسأل القنفد ملك الغاب عما يؤلمه فشكر السبـــع القنفـــد واجابه ، « اننـــى احس بوجـــع فى راســى ، وحرارة فى جسدى وثقل فى أطرافى »، فقال له القنفد ، « لقد عرفت مرضك ، واستطيع أن أداويك يا ملك الغابة » ، فسأل السبع القنفد فى لهفة عن الدواء ، فأجاب القنفد ، « ان دواءك هو ان تأكل قلب الذئب »، فامتعض السبع وقال ، « لكننى كثيرا ما أكلت الذئاب ومع ذلك مرضت » ، فأكد له القنفد خطأ ذلك الرأى وقال ،« حقا لقـــد اكلت الذئاب لكنك لم تأكل قلب الذئب بمفرده ، وهذا هو دواؤك »، فنظر السبع هنا وهناك ، فوجد حيوانات كثيرة لكنه لم يـــر ذئبـــا بينها فقال للقنفد ، « لا يوجد ذئب الآن وانا مريض متعب ولا أقدر على الصيد ، فهوّن القنفد له الامر قائلا ، « أنا احضر اليك الذئب هنا فى عرينك » ، فشكره السبع ، وانصرف القنفد ليحضر الذئب .

وكان للقنفد غرضٌ ، ذلك أنه أحس بضعف واراد هو ان يأكل قلب الذئب ليسترد قواه ، ولم يكن يستطيع أن يصيد الذئب بالطبع، فانتهز فرصة مرض الاسد ودبر هذه الحيلة .

وبحث القنفد عن الذئب حتي وجده ، فسلم عليه وأخذ يجاذبه الحديث قائلا ، « ماذا دهاك ايها الذئب ، أنت انانى وأبله ، تصيد

وتأكل كثيرا ولا تعمل حساب المستقبل » ، فاندهش الذئب وسأل القنفد عما يقصده من هذا الكلام . فأجاب القنفد . « ألم تسمع أن السبع مريض ، وقد ذهبت الحيوانات كلها وزارته وتمنت له الشفاء ماعدا أنت ، الا تعرف قيمة هذه المجاملات ، انها لن تمضى أيام قليلة الا ويشفى السبع ويخرج للصيد ، وسيترك بالطبع من جامله وزاره أثناء مرضه »، فقال الذئب .« الحق لقد فكرت فى ذلك ، لكننى أخاف يا أخى القنفد من السبع »« فضحك القنفد وقال ، « ألم أقل لك أنك أبله ، ولم تخافه ، انه مريض وسيفرح بزيارتك ولن ينسى لك هذا الجميل ؟ » .

فوافق الذئب ، ومشى مع القنفد ليزور السبع ، وحين اقترب من السبع الذى كان يرقد متكاسلا ، صاح القنفد ، « لقد جاء الذئب يا ملك الغابة يسأل عنك ، ويتمنى لك الشفاء » ، لكن الذئب ظل خائفا مبتعدا عن السبع خاصة وانه رأى فى نظرات السبع التوحش والغدر ، لكنه تماسك واقترب مسلما ، ولم يصدق السبع عينه لانه وجد الذئب فى متناول يديه ، فأسرع يريد أن يمسكه ويفتك به ، لكن الذئب كان أسرع منه فجرى من بين يديه وهرب الى الغابة ، وهنا صاح القنفد حانقا مؤنبا السبع ، « يا ملك الغاب لقد أحضرت لك الذئب بين يديك وأضعت الفرصة ، وتركته يهرب منك» ، فتضايق السبع وحزن حزنا شديداً لضياع الفرصة ، لكن القنفد هوّن له الامر وقال ، « سأحضره لك مرة أخرى لكن أياك أن تجعله يفلت منك هذه المرة »، وذهب القنفد يبحث عن الذئب حتى وجده ، وحين رآه بادره قائلا ، « لماذا جعلت الاسد يغضب منك ؟ » فأجاب الذئب ، « ألم تر ما حدث يا أخى القنفد ، لقد قفز على الغادر يريد افتراسى ، وأنا ذهبت لازوره فى مرضه ، وأتمنى له الشفاء » ، فكذب القنفد بشدة هذا الرأى ، وقال ، « أبداً أبدا أنك سىء الظن ، لقد كان السبع يريد أن يعانقك وأنت مخطىء فى تفكيرك ، وهل من المعقول أن تذهب اليه وتزوره وهو مريض فيأكلك ، لقد ذهبت اليه جميع الحيوانات ولم نسمع انه اكل واحداً منها ، وهو يعانق كل الحيوانات هكذا ، وقد هىء لك أنه اراد أن يقفز عليك » ، لكن الذئب ظل خائفا ، فمضى القنفد يقنعه وأوضح له أنه يجب أن يزور السبع مرة أخرى لان السبع اندهش وتعجب حين رآه يجرى ويهرب ، وغضب غضبا شديداً ، لان الذئب



فأسرع يريد أن يمسكه ويفتك به، لكن الذئب كان أسرع منه فجرى..

ظن به ظنا سيئا ، واخيرا اقتنع الذئب ، وذهب فى صحبة القنفد ليزور السبع مرة أخرى .

وحين اقتربا من السبع ، قال القنفد للذئب ، « تقدم انه يريد ان يعانقك ، فلا تخف منه »، فاقترب الذئب من السبع ، فضربه السبع بيده ضربة قوية قطعته نصفين ، فأسرع القنفد بخفة وتناول القلب واكله بسرعة وتشاغل كأنه يبحث عن قلب الذئب المقتول ويريد ان يخرجه ليعطيه للسبع ، ولما تأخر ، اقترب السبع من الذئب وازاح القنفد بعيداً عنه لانه يريد ان يأكل القلب ويشفى من مرضه ، كما قال له القنفد ، وبحث السبع عن قلب الذئب لكنه لم يجد للذئب قلبا ، فصاح ، « ياقنفد ان هذا الذئب الملعون ليس له قلب » ، فأجاب القنفد موافقا ، « حقا ما تقول يا ملك الوحوش ، لو كان له قلب (1) لرفض أن يرجع معى مرة ثانية اليك » .

(1) — كان قدماء المصريين يعتقدون ان القلب مصدر التفكير ، وقد دونت هذه الحكاية فى كتاب كليلة ودمنة وان اختلفت شخصيات الحيوانات فبدلا من الذئب نجد الحمار وبدلا من القنفد يوجد الثعلب .

(1)

المرأة الذكية

كان الرجل تاجرا غنيا وهبه الله ولدين آية فى الذكاء واللطف ، أما زوجته فكانت سيدة حكيمة عاقلة تؤدى فروض ربها .

وفى يوم مرض التاجر مرضا خطيرا ، ولم يفلح الاطباء فى شفائه ، ولما احس الرجل بدنو أجله نادى زوجته وقال لها ،« ايتها المراة الطيبة، سأموت قريبا اننى احس بذلك ، سأموت وأكبر ولدى الصغيرين فى السادسة من عمره ، واخاف بعد موتى أن تتزوجى رجلا لا يحسـن معاملة اولادى ، فهل تعاهديننى على عدم الزواج حتى يكبر الولدان ؛ وأنا سأجعل المال فى يدك ، والوصاية لك عليه » ، فعاهدته المراة على هذا .

ولم تمض أيام حتى مات . وكانت ثروته كبيرة وأعماله واسعة فحاول التجار واقارب الرجل أن تترك الزوجة الوصاية ، لكن شيخ التجار قال، « ما دامت المراة تقرأ وعاقلة فان من حقها الوصاية » .

وتحملت المرأة مسؤولية الإعمال ، وحفظت الاموال ، ورعت تجارة زوجها،فنمت وازدهرت ، وأحسنت تربية ولديها ، وكانت تبيت الليـل ساهرة تصلي الى وقت متأخر ، وازداد طمع التجار وأراد أحدهم ان يتزوجها ، فأرسل اليها احدى قريباته لتخطبها له وبين لها أن كل غرضه ان يرعى اولاد صاحبه وانه لا يطمع فى الاموال ، لكن الزوجة الوفية رفضت ، وتقدم تاجر آخر ورفضته كذلك ، وظلت ترفض الواحد بعد الآخر حتي تأكد التجار انها لا تريد الزواج .

ومضت ثلاث سنوات والمراة وفية بعهدها ؛ لكن احد التجار ، وكان

(1) ـ حولت هذه الحكاية الى تمثيلية تلفزيونية وكتبت لها سيناريو وحوار وقمت باخراجها وعرضتها التلفزة المغربية عام 1973 .

أكثرهم طمعا ، دبر خطة فقد كانت هناك عصـــابة من اللصوص ، عشرة لصوص وزعيمهم . كانت هذه العصابة يخشاها كـــل التجـــار ويدفعون رشوة لزعيمها لكى يتجنبوا أذاه . وكان زوج المراة يدفـــع كذلك بدوره ، لكن الزوجة رفضت ان تدفع للعصابة ، بعد أن مـــات زوجها فتركوها دون أن يهتموا بأمرها ، فذهب التاجر الي زعيم العصابة وقال له ،« انى واثق من أن هذه المراة عندها من المال الشيء الوفير ، فأريد أن تسرقها ، وعندئذ سترضى أن تتزوج بى ، فطالما هى تشعر أنها غنية فسترفض الزواج » ، ففرح زعيم العصابة وقرر سرقة المراة .

وفى منتصف الليل كان اللصوص العشرة وزعيمهم قد صعدوا الى سطح المنزل ، فأحست المراة بهم ، وكانت قائمة تصلى فى غرفة نومها ، وبجانبها ولداها ، فارتبكت وبكت ، وتوجهت الى الله تعالى وقالت ، « انى يارب امرأة مسكينة ، فساعدني يا رب والهمنى الحيلة لاتغلب علي اللصوص »، وقرات الفاتحة، وحين انتهت من قراءتها، أيقظت ولديها وافهمتهما أن فى المنزل لصوصا فوق السطح ، وانهم كثيرون ، فخاف الولدان وشرعا فى البكاء لكنها طمأنت خاطريهما وأوحت اليهما الثبـــات وبثت فيهما الشجاعة وقالت لهما ،« سأقعد امام باب الغرفة واسالكما هل نمتما ، فأجيبانى لا لم ننم ، وسأسألكما عن السبب ، فأجيبانى ، لاننا نريد منك أن تحكى لنا حكاية .

وكان اللصوص يرغبون فى سرقة الاموال دون ضوضاء او ضجيج، فنظروا الى داخل الدار فوجدوا الضوء فىغرفة المراة وسمعوها تقول، هل نمتما يا ابنائى ، فأجاب الولدان ،« لا لم ننم بعد يا أماه »، فسألت المراة « ولماذا لم تناما ؟»فرد الولدان ،« لاننا نريد أن نسمع منك حكاية»، فقال زعيم اللصوص لعصابته ،« أن المراة مستيقظة ولم تنم بعد »، وسمع المراة تقول ،« سأحكى لكما حكايتى أنا وماذا حدث يا ولديّ بينـــى وبين أبيكما ، ففى اليوم الذى تزوجنى أبوكما لم اكن هكذا ، بل كان لي سبعة أثداء،ثلاثة أثداء على يمين صدرى ، وثلاثة على الشمال ، وثدى فى الوسط »، فسأل الولدان ،« وهل أنت كلبة ياأماه ؟»، فأجابت، « لا أنا بنى آدم ، لكن الله يخلق ما يشاء ، فلتسمعا ما حدث لى مع أبيكما » ، فأثارت الحكاية اللصوص واخذوا يستمعون هم بدورهم ، واستأنفت المراة حكايتها وقالت ،« كنت أعيش عند أبى حين جاء أبوكما

وخطبنى ولم يكن يعلم بالطبع ان لى سبعة أثداء ، وحين تزوجنى واراد أن يدخل بى ليلة العرس ، خلعت ملابسى ، وما ان رأى ابوكما اثدائى السبعة حتى خاف منى فلم يقربني . وفى الصباح قال لى ، آن الله أمر بالستر وانا لا استطيع أن أتزوجك فهل انت وحشة ام غولة ، وساحفظ سرك ، لكننى سأطلقك ، فبكيت وناشدته أن يرجع عن رأيه وقلت له ، لو طلقتنى تكن قد قسوت على ولم تسترنى لان الناس سيسألون عن السبب وانا الا ذنب لى ، فقد خلقنى ربي هكذاً ، واننى اعدك ان اصلح الامر ويكون لى ثديان فقط ، فهات سيفك ، وفى كل يوم تعال وانا اعرى لك صدرى واقطع ثديا من أثدائى ، فأحضر أبوكما سيفه وكان كل يوم يقطع ثديا من أثدائى » فسألها الولدان ،« الم يكن يؤلمك ثديك وهو يقطع بالسيف ؟»، فأجابت المراة « والله لقد كان يؤلمنى الما فظيعـــا وكنت أصرخ واه ، واه ، واه ، واه ،» ومضت المراة تصرخ واللصوص يستمعون ناسين كل شيء .

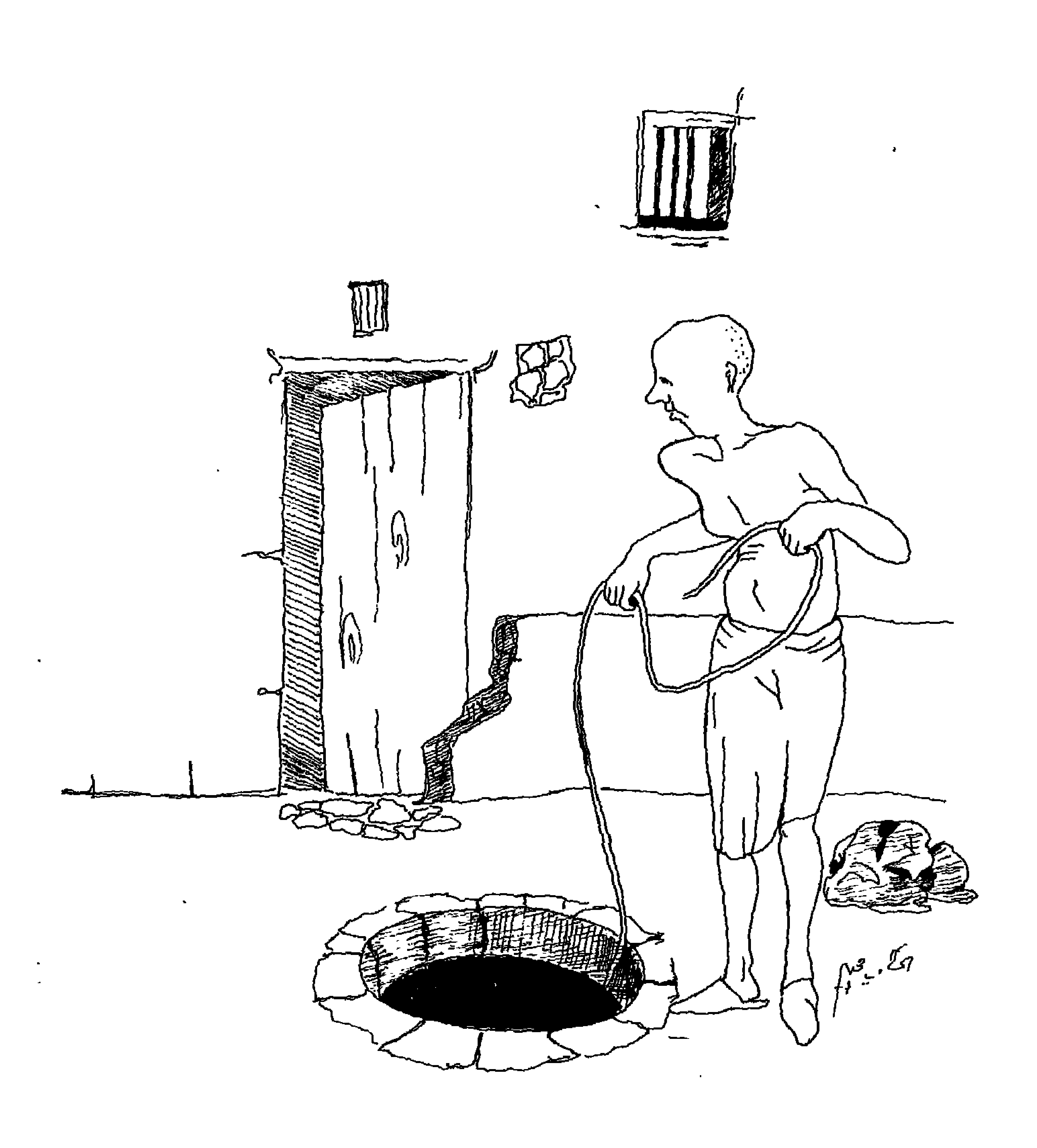
واستمع الجيران للصراخ ، فأتوا ودخلوآ البيت واجتمعوا فى صحن الدار ، عندئذ قالت المراة يا جيرانى ، أغيثونى ، فان اللصوص فى أعلى الدار ، فامسكوهم جميعهم ، واخذوهم الى الملك ، ولما حكوا للملك عما حدث ضحك كثيرا واعجب بحكمة المراة وسعة حيلتها ، وانب اللصوص قائلا ،« هل ذهبتم للسرقة أم لسماع الحكايات ، وحكم أن يسجنوآ لمدة ثلاث سنوات .

ومضت السنون ، وأنهى اللصوص وزعيمهم مدة سجنهم ، وخرجوا من السجن لكنهم ارآدوا الانتقام من المراة ، وتسللوا الى منـــزلهـــا ، فأحست المراة بهم كما أحست فى المرة السابقة ، وتضايق زعيم اللصوص حين وجد الضوء ينبعث من غرفة المراة ، فقد كانت تصلى ، وايقظت المراة ولديها ، وطمأنتهما وأوصتهما بما يقولان لها وكيف يجيبان على كلامها ، واستمع اللصوص وزعيمهم للمراة تسأل ولديها ،« هل نمتما يا ولدى ؟»، فأجاب الولدان ،« لا لم ننم بعد يا أماه ، لاننا نريد أن نسمع منك حكاية »، فقالت ،« سأحكى لكما حكاية عن ابيكما قبل أن يعمل تاجرا ، فقد كان لصا قبل ان يشتغل بالتجارة ، لكنه كان أمهر لص بين اللصوص وكانت لديه حيلة لدخول المنازل لا تخيب أبداً ، فلم يكن يكسر آلاقفال أو يقفز فوق السطوح أو يستخدم الحبـــال » ، فأنصت

اللصوص وأرهفوا السمع ، يريدون أن يعرفوا تلك الحيلة الفريدة التى كان زوج المرأة يستخدمها فى دخول المنازل ، واستأنفت المرأة حديثها وقالت :« ان حيلة أبيكما كانت بسيطة وسهلة ، لكن لا يعرفها أحد من اللصوص ، لقد كان يحضر الصابون ويدهن به ظهره، ويصعد الى المنزل الذى يريد سرقته ويلصق ظهره بالجدار وينزلق عليه بخفة »، فسأل زعيم اللصوص :« من منكم يذهب ويأتى لنا بالصابون »، فأسرع لص من اللصوص ليحضر الصابون ، واستمرت المرأة تحكى عن سرقات زوجها ومغامراته ، وحين جاء اللص بالصابون والصق ظهره بالجدار وانزلق عليه ، وقع فوق الارض مكسر العظام وأخذ يئن ويتوجع ، فسأل الولد أمه ، « من الذى وقع من السطح ؟ »، فأجاب اللص وهو يصرخ ألما ، « هذه حيلة أبيك ».

وخاف اللصوص مما حدث وهربوا ، وجاء الجيران وأخذوا اللص الجريح الى الملك فعاقبه وسجنه بعد شفائه ، وحين انتهت مدة السجن، خرج اللص وذهب الى اللصوص وزعيمهم وقال :« والله ان الانتقام امر لابد منه ، هيا بنا نسرق تلك المرأة ونذبحها» ، لكن زعيمهم أجابه «اننى اخاف هذه المرأة ، مرة تقول أنه كان لها سبعة أثداء ومرة تحكى حكاية زوجها اللص ، انها ذكية ، ولن أجازف مرة أخرى بدخول بيتها » لكن اللص الذى كسرت عظامه ، وسجن أياما كثيرة ، أقسم بأنه سيذهب بمفرده وانه سيقتل تلك المرأة ، وكانت المرأة تنتظر خروج اللص من السجن . فما عرفت أنه أوفى مدة سجنه حتي كانت فى انتظاره .

أخذ اللص سيفه وذهب ليسرق المرأة ويقتلها ، وكم كانت دهشته كبيرة حينما وجد الباب مفتوحا ، ورأى الضوء ينبعث من غرفة المرأة ، فاقترب من الغرفة حذرا ، وكانت المرأة تنتظره وقد أوصت ولديها بما يقولان بعد أن أيقظتهما فسمعها تقول لهما :« قبل أن تناما أريد منكما أن تعرفا أين خبأت مال أبيكما لاننى أخبئه كل يوم فى مكان مختلف ، فسألها ولداها ، « وأين خبأت الاموال اليوم يا أماه » ، فأجابت لقد وضعته فى ثلاثة قدور نحاسية وأنزلتها فى البئر » ففرح اللص فرحا شديدا وخرج الى فناء الدار وخلع ملابسه ووضعها بجانب البئر ، وأدلى الحبل ، ونزل الي أعماق البئر ، وظل يبحث ويبحث لكنه لم يجد شيئا فاغتاظ ، وعرف أن المرأة واسعة الحيلة وانها خدعته ،



ففرح اللص فرحا شديدا، وخرج الى فناء الدار وخلع ملابسه، ووضعها بجانب البئر وأدلى الحبل

وتساق الحبل وخرج من البئر . لكنه لم يجد ملابســه ، فوقف عاريا لا يدرى ماذا يفعل . وسمع المراة تقول من داخل غرفتها ،« مع السلامة لكن لا تنس أن تقفل الباب وراءك »، فأجاب اللص ،« سأمشى وأمرى الى الله لكننى لن أقفل الباب فربما يجىء اليك لص آخــر فتسرقيــن ملابســه ».

« فرطت »
أو
الذنب ذنبك لانك لم تأخذ حذرك

كان شيخ التجار (1) حكيما ، يثق فيه التجار جميعهم ، ويستفتونه في مشاكلهم، وفي يوم من الايام هبطت الى البلدة من الجبال عصابة خطيرة من اللصوص ، وكانوا عشرة غير رئيسهم ، ولما كانت البلدة تعيش في أمان ودعة ، فقد فوجيء الناس في الصباح بخبر السرقات التى حدثت في الليل ، فقد هاجمت العصابة منازل التجار الاغنياء وسرقتها .

فهرع التاجر الواحد تلو الاخر الى شيخهم ، يشكون له ما حدث ويسألونه المساعدة ، وما أن زاره أولهم ، وحكى له كيف سرق اللصوص ماله من داره ، حتى أنبه شيخ التجار قائلا : « الذنب ذنبك لانك لم تأخذ حذرك « فرطت ، فرطت ، فرطت » ، ولم ترض هده الاجابة التاجر فانصرف غاضبا، وجاء تاجر آخر، وآخر وآخرون. جاء اليه المسروقون جميعا وحكوا له كيف سرقوا ، لكن شيخ التجار بين لهم وفسر وأوضح أن السبب هو الاهمال وعدم الحرص ، وترك ثغرة يستطيع اللص أن ينفذ منها ، ومهما حاول أحدهم أن يقدم نوعا من الاعذار والمبررات كان شيخ التجار يجيب بقوله الذى لا يتغير ، «فرطت ، فرطت ، فرطت ».

وفي الايام التالية كان اللصوص العشرة ورئيسهم يمرون في أسواق البلدة وطرقها فسمعوا بما حدث وبما قاله شيخ التجار لكل من المسروقين ، فأخذ رئيس العصابة يتعجب وقال لاصحابه ، « ان

(1) — يقال في المغرب « أمين التجار »، ولكن الغرض من هذا الكتاب نشر الحكايات المغربية والتعريف بها في مختلف الاقطار ، وكلمة شيخ التجار متداولة في اغلب أنحاء العالم العربي .



فهرع التجار الواحد تلو الآخر الى شيخهم يشكون له ما حدث

هذا الرجل يتعالى ويدعى الحكمة ، فما رأيكم لو سرقناه وسنرى كيف يحتاط ويحـــذر » .

وانتظروا شيخ التجار أمام حانوته ، وحين غابت الشمس واقفل الرجل الحانوت واتجه الى داره تبعه بعض اللصوص وعرفوا الـدار ووضعوا عليها علامة لكى يعودوا فى الليل وينفذوا جريمتهم .

واتخذوا للامر عدته ، فأحضروا الحبال وأدواتهم التى يتسلقون بهـا الجدران ، وتسللوا بخفة حتى وصلوا الدار واعتلوها فى هدوء، وصاروا فوق السطح ، ونزلوا فوجدوا فى الطابق الاول ثلاث غرف ، تكاد تكون خاوية الا من أشياء تافهة لا قيمة لها ، فهبطوا الى صحـن الدار ، فوجدوا غرفتين مفتوحتين وليس فيهما شىء مهم كذلك ، لكنهم وجدوا غرفة مغلقة باحكام ، ولا يقدرون على فتحها ، فتركوها الى حين، وذهبوا الى المطبخ فلقوا جارية عجوزا سوداء ، وحين رأتهم خافـت وارتعدت فوضعوا السكين فوق عنقها وسألوها ، « أين سيدك ؟ » ، فأجابت وأسنانها تصطك من الهلع، «سيدى فى الغرفة المغلقة»، فسألوا، «وأين أمواله ؟»، فقالت ،«معه فى الغرفة المغلقة »، ففكر رئيس العصابة ماذا يفعل مع هذا الرجل الحذر ، وجاءته فكرة ، فقال للعجوز وهـو يضغط بنصل السكين على عنقها ، « ان لم تفعلى ما آمرك به ذبحتك فى الحال » ، فرددت الجارية العجوز ، « مرنى بما تشاء أفعله ، مرنى بما تشاء أفعله » ، فقال رئيس اللصوص ، « اصرخى مرة ومرات ، وان سألك سيدك ماذا دهاك أجيبيه بأنه قد عضتك عقرب ، عندئذ سيخرج ويفتح الباب »، لان من تلدغه العقرب ، يحتاج الى أن يجرح مكان اللدغة فيسيل السم مع الدم وتنقذ حياته .

فوقفت العجوز وصرخت وظلت تصرخ ، وكأن عقربا قد لدغتها حقيقة ، فاستيقظ شيخ التجار وزوجته وسألها ، « ماذا حـدث لـك يـا سعـدة ؟ » فأجابته ، « لقـد عضتنى عقرب ياسيدى » ، فسألها « وكيف كان ذلك ؟»، فأجابت ،« لقد كنت نائمة ووضعت راسى على ذراعى لان الوسادة ممزقة ، فجاءت العقرب وعضت يدى » ، فقـال شيخ التجار ، لقد اهملت وكان يجب ان تخيطى الوسادة ، فالذنـب ذنبك لانك لم تأخذى حذرك ، فرطت ، فرطت ، فرطت ، فلتمـوتـى مسمومة » ، ولم تجد صرخات العجوز ، فضغط رئيس العصابة بنصل

السكين على رقبتها حتى كاد دمها أن يسيل ، وهمس قائـلا لهـا ، « اطلبى منه ان يخرج السكين من فتحة الباب ، وعندئذ نمسك بذراعه ولا نتركها حتى يفتـح ، واستمرى فى الولولة والصـراخ » ، ولم تكن الجارية فى حاجة الى التهديد والتوصية ، فقد مضت تصـرخ وتبكـى وتضرع لسيدها قائلة ، « فلتسامحنى يا سيدى كل ما اريده هـو ان تجرح مكان العضة ، لاننى لا أقدر أن أجرحها بنفسى ، فلتخرج يدك فقط ياسيدى أبقاك الله وأطال عمرك ، وتجرح ذراعى ، لان السم يسرى فى دمائى ، ناشدتك الله ياسيدى فاننـى أموت » ، ومضـت تصرخ وتبكى ، عندئذ سمع اللصوص صوت زوجة شيخ التجار تقول، « هذه جاريتك العجوز التى خدمتك أربعين سنة تموت ، فاخرج لها يدك وانقذها » ، فرد شيخ التجار قائلا ، « دعيها فالذنب ذنبها لانها لم تأخذ حذرها ، فرطت ، فرطت ، فرطت ، دعيها تموت بسمها »، فتوسلت اليه زوجته أن يمد يده بالسكين ويجرح مكان العضة فأعاد عليها نفس القـول .

فأحضـرت الـزوجـة سكيـنـا وقـالـت ، « اقتـربـى يا سعدة من الباب » ، واخرجت ذراعها من فتحة الباب ممسكـة بالسكين فى يدها ، فأمسك اللصوص بذراعها بقوة ، وهتفوا فجـأة فرحين ، « افتح أيها الرجل الحذر الباب والا قطعنا ذراع زوجتك » ، فذهل ووجم شيخ التجار ولم يرد ، لكن الزوجة الخائفة كادت أن تموت واخذت تناشد زوجها أن يفتح الباب ، ويعطيهم ما يشاءون ، واخـيرا قال شيخ التجار : «ايها اللصوص أيكفيكم ثلاثة أكياس كبيرة من العملات الفضيـة ؟ » ، فرد رئيس العصابة ساخرا ، « نعم يكفينا أيها الرجل الحذر » ، فاستأنف شيخ التجار حديثه ، « اذن فلتصعدوا الدرج ، وبعد عشر درجات دقوا على الحـائط وستسمعون صدى الصوت لان هناك بابا صغيرا من الخشب مختفيا فى الجدار ، افتحوا هذا البـاب وستجدون قبوا بـه ثلاثة أكياس كبيرة ممتلئة بالعملات الفضيـة » ، فضحك رئيس العصابة وقال، « سنفعل لكننا لن نترك ذراع زوجتك قبل أن تجد العملات الفضية أيها الرجل الحذر ». وترك رجلين قويين ممسكين بذراع المـراة وصعد الدرج مع باقي اللصوص وعدوا عشر درجات ، ثم دقوا على الحائط وسمعوا رنينا لدقاتهم مما يدل على وجود فراغ وعثروا على الباب الخفى كما قال شيـخ التجـار ، وفتحـوه

ونظروا فرأوا أمامهم قبوا مظلما فدخل الرئيس ، فوجد ثلاثة أكياس كبيرة فمزق أحدها بالسكين فوجده مليئا بالعملات الفضية ، ومزق الاخر فوجده مليئا بالعملات الفضية كذلك ، فصاح من اعلى السلم « اتركوا ذراع المرأة » ، فترك اللصان ذراعها ، وحمل اللصوص الاكياس الثلاثة ونزلوا الدرج ، لكنهم ما أن وصلوا الى صحن الدار حتى وقعت بعض العملات من الاكياس فكان رنينها مكتوما ، فأمسك رئيس اللصوص بالعملات فاذا بها كلها مزيفة ، مصنوعة من المعدن الرخيص الذى يعاقب على وجوده مع أى شخص ، عملات مزورة لا قيمة لها ، جمعها شيخ التجار من مشترين وزبائن أرادوا أن يسرقوه فاكتشفها وأخذ العملة المزورة وحفظها عنده ، فطرق رئيس اللصوص الغرفة الموصدة وصاح ، « لقد خدعتنا أيها الرجل الملعون » ، فضحك شيخ التجار وقال ، « ولماذا تركت ذراعها قبل أن تتأكد من جودة العملة ؟ الذنب ذنبك لانك لم تأخذ حذرك ، فرطت ، فرطت ، فرطت ، فانصرف اللصوص حانقين . [1]

---

(1) — حكاية فرطت كانت من أنجح التمثيليات التى اقتبستها من الفولكلور وقدمتها على شاشة التلفزة المغربية عام 1971 .

سيدي محمد بن عمر

يروى أنه كان هناك سلطان لم يرزقه الله بأطفال ، لذلك حين ولدت زوجته بنتا فرح بها فرحا شديداً ، وبنى لها قصراً فخما من الزجاج واحضر لها اجمل الجوارى والخدم ، ورباها فى العز والرفاهية ، وحين كبرت البنت كانوا لا يقدمون لها الا لحم الدجاج والحمام بعد أن يزيلوا منه العظام وكذلك كانوا يفعلون بلحم البقر والغنم ، حتى الخبز لم تعرف الفتاة الا لبابه وافخر أنواعه ، والخضروات كانت تقدم اليها مقشرة ، مصفاة ، والفواكه من غير بذور أو قشرة كذلك .

ترعرعت البنت ونشأت فى أحضان النعيم ، لكنها لم تر الدنيا ، ولم تعرف غير ما أحاطها به أبوها من الوان الحياة السهلة الرغيدة الناعمة فقد كانت جدران القصر من الزجاج ، لكنه زجاج غير شفاف ، فلم تعرف أبدا ما هى الحياة ، فقد عزلها السلطان عنها وأراد أن ينشئها ويربيها كما تربى الزهور .

وكبرت الفتاة وأصبحت شابة رائعة الحسن والجمال وكانت الجوارى تحطن بها تدللنها وتطرين حسنها وتقلن لها ، « ليس فى الدنيا جمال مثل جمالك »، فظنت الفتاة أن الحياة هكذا فى كل مكان ، دجاج ولحم بلا عظم ، وخضروات بلا قشور ، وفاكهة بلا بذور ، ورفاهية ونعيم ، فكل ما تطلبه تلقاه وما ترغب فيه وتتمناه تجده أمامها .

وفى يوم ماتت احدى جواريها ، واشترى لها أبوها السلطان جارية أخرى ، لم تكن قد أدركت وعرفت حياة القصر تماما ، لذلك قدمت لها فى يوم لحما بالعظم ، فصرخت الاميرة مرتاعة وكأنها رأت عفريتا ، وهتفت وهى تمسك قطعة العظم ، « ما هذا ؟ » ، فأجابت الجارية

« هذا عظم يا مولاتى »، فاندهشت الاميرة وسألت :« وما هو العظم انني لم اره ابدا ؟ » فأخذت الجارية تشرح لها :« ان اللحم يجيء من الحيوان ، وأن للحيوان لحما وعظاما مثل الانسان ، وأنه احيانا فى داخل بعض عظام الحيوان يوجد المخ »، (المخاخ) .

واستمرت الجارية تشرح للاميرة وتقول :« نحن آن طرقنا العظم هكذا »، وطرقت العظم فسقط منه المخ ، واعطت للاميرة منه لتذوق ، فاعجب الاميرة ووجدته لذيذ الطعم ، وفرحت واخذت تطرق جدار القصر الزجاجى بالعظم ليتساقط منه المخ ، فانكسر الزجاج وانفتحت فيه فجوة دخل منها النسيم العليل ، ورات الاميرة ، ويا لحلاوة ما رأت ، رأت الدنيا التى لم تعرفها من قبل .

فقد امتدت امامها المراعي الخضراء ، وتناثرت الاشجار المورقة هنا وهناك ، وفوق الحشائش كان هناك مهر يرقد ويتقلب ، يغطيه شعر اصفر فى لون الذهب ، يخطف بريقه الابصار ، وكان المهر جميلا ، فظلت الاميرة تنظر اليه وقد سحرها جماله وفتنها شعره الذهبى ، فهتفت تترنم وتغنى :

من الجدع من الجدع (1)
ترعى فى الصن ولا البدع (2)

فرد عليها المهر وقال :

منا قصر منا تصر
يا بنت السلطان الاخضر
تمنيت لك يا لا
ساقية ورد و ساقية زهر

ومشى المهر الى حال سبيله ، لكن الفتاة تغيرت حالها ، فلم تعد تقبل علي الطعام والشراب ، فقد أحبت المهر ، وعرفت الحزن الذى لم تعرفه من قبل ، فقد كانت تريد شيئا ولا تستطيع الحصول عليه ، فبكت وظلت تبكي ، فهرع العبيد والجوارى الى أبيها السلطان واخبروه

(1) الجدع : المهر
(2) — الصن والبدع : كلمتان لم استطع معرفة معناهما مع سؤالى للكثير ن . واظن ان المقصود ، اى مرعى بديع يرعى فيه المهر ، والمعنى سيتوضح فى سياق الحكاية .

ان ابنته تريد فى القصر قناة مليئة بماء الزهر وأخرى بماء الورد ، ذلك لان الاميرة كانت تردد غناء المهر وكلامه .

فأسرع السلطان الى ابنته ووعدها بتلبية رغبتها وتحقيق أمنيتها، وأمر أن تحفر قناتان وتملا واحدة منها بماء الورد والاخرى بماء الزهر . وكانت الاميرة تجلس على حافة قناة ماء الزهر ، ترشف منها رشفات وترش جواريها بمائها العطرى ، وقضت أوقاتا طويلة كذلك بجانب قناة ماء الورد ، وتمتعت وذرحت وظنت أن الحياة جميلة .

لكن فى يوم نظرت من تلك الكوة التى فتحتها فى جدار القصر الزجاجى حين طرقت العظم ، فرات المهر الجميل يرقد فوق الحشائش الخضراء ، يتقلب ويغطيه شعر فضى فى لون الفضة فسحرها حسنه وفتنها بريقه ، فنادته وغنت له :

من الجدع من الجدع
ترعى فى الصن ولا فى البدع

فرد عليها المهر وغنى :

منا قصر منا قصر
يا بنت السلطان الاخضر
تمنيت لك يا لالا
ساقية ورد وساقية زهر
تمنيت لك يا لالا
درجة نضة ودرجة ذهب
تمنيت لك يا لالا
ياقوتة حمراء وياقوتة خضراء
يزين بها القصر

كان المهر معجبا بالقصر ويتمنى زيادة عن القناتين المليئتين بماء الورد وبماء الزهر ، أن يصبح فيه درج (1)، درجة من فضة ودرجة من ذهب ، وأن تزين جدرانه بالياقوت ، ياقوتة خضراء وياقوتة حمراء .

فعادت الاميرة تتمنى شيئا جديدا ، وعرفت الحزن مرة أخرى ، وأخذت تبكى وتقول للجوارى والعبيد أن الحياة ليست جميلة كما كانت

---

(1) — درج : سلم

تظن ، فهذا القصر تنقصه درجات ، واحدة من الفضة والاخرى من الذهب، وأن يزين بالياقوت الاحمر والاخضر ، قالت هذا وبكت كثيرا.

فذهبوا الى ابيها السلطان ، واخبروه بما تطلبه ابنته وترغب فى تحقيقه ، فجاء اليها مسرعا وهدأ خاطرها ، ووعدها بتلبية رغبتها ، وامر ان تبنى درجات القصر ، واحدة من الذهب والاخرى من الفضة، فأتوا بأمهر الصناع ، واحضروا كميات كبيرة من الذهب والفضة ، وبنوا درجات القصر كما تمنت الاميرة اما الياقوت الاحمر والاخضر فلم يجدوه الا عند اليهود ، فأحضروه ، وزينت به الجدران ، فصار القصر تحفة رائعة تسر العيون .

وعادت الاميرة ترى الحياة جميلة حلوة ، تصعد درجات القصر فتدوس فوق الذهب والفضة ويسعدها أن تتفرج على الياقوت الاحمر والاخضر وقد تناثر فوق الجدران يزينها ويجعلها تفتن الابصار .

لكن فى يوم من الايام ، نظرت الاميرة من الكوة التى فتحتها فى جدار القصر الزجاجى فرأت ، ويا لحلاوة ما رات ، المهر الجميل يرقد ويتقلب فوق الحشائش الخضراء وقد تغطى بشعر اسود براق ، فسحرها وفتنها مرة أخرى فنادته وغنت .

مـــن الجـــدع مـــن الجـــدع
ترعى فى الصن ولا فى البـــدع

فرد عليها المهر وغنى :

منـــا قـــصـــر منـــا قـــصـــر
يـــا بنت السلطان الاخضـــر
تمنيـــت لـــك يـــا لـــــــلا
ساقية من ورد وساقية من زهر
تمنيـــت لـــك يـــالــــلا
درجة فضـــة ودرجة ذهـــب
تمنيـــت لـــك يـــا لـــــلا
ياقوتة حمرا وياقوتة خضـــرآ
يزين بهـــا الـــقـــصـــر
تمنيـــت لـــك يـــا لـــــلا
سيـــدى محـــمـــد بـــن عمـــر
ملـــوى الشعـــر على الشعر
يـــدور لـــك فـــى القـــصـــر

لقد ظنت الاميرة أن الحياة حلوة ، وأنها سعيدة ، حين شق لها أبوها قناتين وملأهما بماء الورد ، وكان المهر الجميل صاحب الشعر الذهبى والفضى يتعجب من جمال القصر ثم قال ،« أن ماء الزهر وماء الورد ينقصان القصر برغم كماله وفخامته ، وقال أن درجات من الفضة والذهب ، واحجاراً من الياقوت حمراء وخضراء تضفى على القصر جمالا وتملأه سحرا، وقد سعدت الاميرة وانتشت بماء الزهر والورد . وفتنتها درجات القصر المصنوعة من الفضة والذهب ، والجدران المزينة بالياقوت .

وهكذا ظنت انها سعيدة فى يوم من الايام ، وأن الحياة جميلة ، لكن لا ، فكل هذا لا يهم ، انها لحزينة ، وبكت وبكت ولم تعرف الا البكاء ، واصبحت لاتأكل ولاتشرب ، فمرضت، ولازمت الفراش وهى تئن وتبكى وتصرخ ، وطلبت من جواريها أن يحضروا لها سيدى محمد بن عمر بشعره الطويل الغزير — ملوى الشعر — يتمشى فى القصر ويدور فى انحائه — ويدور لك فى القصر — أنها تريده ان يكون هنا معها ، فهذه رغبتها وأمنيتها وهذا ما تطلبه ، انها مريضة ، مريضة ، وستظل مريضة وستموت أن لم تره ، فاسرعوا واخبروا اباها السلطان بمرضها وبما ترغب فيه وتتمناه .

لكن السلطان غضب هذه المرة غضبا شديدا وصاح ،« لا ، الا هذا ، لقد حفرت لها القنوات وملأتها بماء الزهر والورد ، ثم بنيت لها درجات القصر من الذهب والفضة وزينت الجدران بالياقوت الاحمر والاخضر ، أما الرجل فلن احضره لها ، انها تخوننى وتطعننى » ، وامر احد عبيده المخلصين أن يأخذها معه الى الغابة ويذبحها وان يملأ بدمائها قصبة من الغاب ويحضرها له .

(وخدعوها) فقد ذهب العبد اليها وقال ،« ان السلطان قد امرنى أن اصحبك الى خارج القصر لترى الدنيا ، وسنذهب لنتريض فى الغابة ».

فلبست الاميرة ثوبا حريريا جميلا وتزينت بأغلى مجوهراتها ، وخرجت مع العبد ، وفى أعماق الغابة اخبرها العبد ان اباها السلطان قد طلب منه أن يذبحها ويأتيه بدمائها فى قصبة من الغاب ، وعليه أن ينفذ الامر ، لكن قلبه لا يطاوعه فان ارادت النجاة فعليها ان تمشى

بعيدا ولا ترجع الي القصر ابدا ، فشكرته الاميرة واعطته بعض مجوهراتها ووعدته أن لا تعود الى بلاد أبيها .

وصاد العبد غزالا وذبحه ، وبدمائه ملأ قصبة غاب ، واخذها معه ، ورجع بها الى السلطان ، واخبره انه نفذ ما امره به ، فحزن السلطان حزنا شديدا ، لكنه ندم علي ما فعل ، وامر ان يسجن العبد .

اما الاميرة ، فقد سارت وقد دبرت أمرا ، وقابلت فى طريقها امراة فقيرة وقالت لها :« أيتها المراة ، اننى اود أن اعطيك ثيابى الفاخرة ، نظير أن تعطينى ثيابك » ، وكانت ثياب المراة قديمة وبالية فاندهشت المراة وفرحت ، وبادلتها ثيابها .

ولبست الاميرة الثياب المتسخة القديمة ووضعت مجوهراتها فى صرة، وسارت فى طريقها ، واخذت تسأل عن سيدى محمد بن عمر، ترى اين تكون بلاده ؟ واين يعيش ؟ ، وكل من سألته ، ضحك وسخر منها وقال لها :« سيدى محمد بن عمر ، ومن تكوني أنت أيتها المتسولة ، لقد سألت عنه اجمل النساء واغناهن ، واعرقهن حسبا ونسبا ، ولم تفزن منه بطائل .

لكنها مضت تسأل ، وتسأل ، حتى وصلت الى بلاده ، واخبروها بان له سبع اخوات ، وانها ان ارادت أن تراه وتقابله ، فلن يكون هذا الا عن طريق اخواته . وعرفت اين تعيش اخواته ، فذهبت الى واحدة منهن ، فقابلتها الجوارى وادخلنها الى أخت سيدى محمد بن عمر ، فسألتها وقد احتقرتها حين رأت مظاهر الفقر بادية عليها ، وثيابها متسخة ومقطعة ،« ماذا تريدين أيتها المراة ؟»، فهتفت الاميرة ،« أريد أن أراه ، أن أراه فقط ، وقبل أن تكمل كلامها ، أمرت اخت سيدى محمد بن عمر جواريها وعبيدها أن يضربوها مائة جلدة ، فامسك بها العبيد وضربوها مائة جلدة ، وخرجت تئن وتتوجع وتبكى .

لكنها ذهبت الى الاخت الثانية ، وسألتها وطلبت أن ترى أخاها سيدى محمد بن عمر ، فامرت الاخت الثانية عبيدها أن يضربوها مائة جلدة ، وهكذا تكرر الامر . فما أن تسأل أختا من اخواته الا وتكون مائة جلدة من نصيبها ، وقد زارت ستا منهن ولم تبق الا الاخت الكبيرة السابعة التي تعيش مع سيدى محمد بن عمر فى داره .

فذهبت اليها وطلبت من جواريها الاذن لمقابلتها ، فأخذنها اليها ، وحين رات الاميرة الاخت الكبرى ، اعطت لها جواهرها الثمينة ، وقبلت يديها وقالت لها ، « اننى أريد أن أرى سيدى محمد بن عمر ، أريد أن أراه وان يرانى »، وحكت لها قصتها من أولها الى آخرها ، فأشفقت الاخت الكبرى عليها ، وقالت لها ،« اننى سأساعدك ، وأدبر خطة ، واجعلك ترين اخي ، وكان سيدى محمد بن عمر شابا جميلا كالبدر ، تقيا وصالحا ، له الكثير من المريدين والاتباع الذين يعتقدون انه من اولياء الله والفقهاء المباركين ، وبجانب هذا كان قويا مكتمل الرجولة ؛ وقد سحر النساء ، وحاولت الكثيرات منهن التقرب اليه ، لكنه كان يمتنع ، ويتقرب الى الله بالصلاة والعبادة والعفة والطهر .

وذات يوم ذهبت اليه اخته الكبيرة ، وأخبرته أنها اشترت له جارية لتخدمه فقال لها ، « الحمد لله ان عندى من الجوارى ثلاثا ، لكن ما دمت قد اشتريتها فلتبق فى الدار »، وشكر لها صنيعها .

وأحضرت الاخت صبغة سوداء وصبغت الاميرة باللون الاسود ، والبستها ملابس الجوارى ، وطلبت منها أن تصب الماء لتغسل يدى سيدى محمد بن عمر ساعة الغذاء ، وهكذا تستطيع أن تراه ويراها، ففرحت الاميرة ، وعندما حان وقت الغذاء ، تقدمت لتصب الماء فوق يديه ، لكنه غسل يديه ولم ينظر اليها ، فحزنت الاميرة وقالت لاخته ، « انه لم ينظر الى ولم يرنى »، ففكرت الاخت وقالت لها ،« عليك أن تنتظرى حتي الغد وأن تصبى الماء فوق ذراعه وعلى ملابسه ، وعندئذ لابد أن ينظر اليك ».

وفى اليوم التالى تقدمت الاميرة ممسكة بالابريق ، وصبت الماء فوق ذراع سيدى محمد بن عمر ، فنظر اليها ورآها ورآته ، اجمل من القمر ، وتذكرت المهر الجميل ، صاحب الشعر الاصفر كالذهب ، والفضي كلون القمر ، والاسود كالليل، وكادت أن تقع مغشيا عليها .

وفى الصباح طلب سيدى محمد بن عمر من أخته أن تجهز له الجارية الجديدة الحمام ، وتدخل معه لتخدمه ، تناوله الصابون والمناشف وتحك له ظهره . وفى الحمام امرها أن تحضر الماء وتمزج الماء الساخن بالبارد وأن تغسل له ظهره بالصابون ، وعندئذ ذاب لون الصبغة الاسود



وفي اليوم التالي تقدمت الأميرة ممسكة بالابريق، وصبت الماء فوق ذْراع سيدي محمد بن عمر، فنظر اليها ورآها ورأته ....

وظهرت الصبغة وهى تتبدد ، ومن تحتها ظهر لون جلد الاميرة الحقيقى الابيض، فهتف سيدى محمد بن عمر « لقد عرفتك ايتها الاميرة الجميلة وأردت أن اتحقق انك هى التى رايتها تنظر من الكوة فى جدار القصر الزجاجي ، لقد اردت أن أفتنك بشعرى ، فحولت نفسى الى شكل مهر، وكنت اغير لون شعرى كل مرة ، وطلبت منك قنوات ماء الزهر والورد ودرجات الفضة والذهب ، والياقوت الاحمر والاخضر ، ثم طلبت أن أكون معك ، انه الحب ، انك الوحيدة الجديرة بحبى ، ذلك لانك وقعت فى حبي كما وقعت أنا فى حبك » .

فبكت الاميرة من الفرح وحكت له كل ما جرى لها ، فأمر أخته الكبرى أن ترجع للاميرة مجوهراتها ، وشكرها لانها اتاحت لها فرصة اللقائه ، واراد سيدى محمد بن عمر أن يعاقب أخواته الست ، لكـن الاميرة رجته أن يسامحهن ، فاكتفى بالتأنيب .

وجهز سيدى محمد بن عمر مائة ناقة حملها بأثمن أنواع الحرير والاقمشة وبالفضة والذهب والمجوهرات الكريمة ، وصحب مائة من العبيد والجوارى ورحلوا الى بلاد السلطان ليخطب منه الاميرة ، وفى الصباح راى حراس القصر جموعا قادمة من بعيد ، فظنوا أن الاعداء قادمون ليهجموا عليهم ، فاستعدوا للقتال ، وذهب الفرسان ليقابلوا الفرسان ، لكنهم راوا موكبا يتقدمه سيدى محمد بن عمر فوق فرسه الاصيلة ، وحوله الاعوان والاتباع .

وحين تقابل مع السلطان احتضنه وعانقه وقال له ،« أنا محمد بن عمر ، جئت اخطب منك الاميرة الجميلة ابنتك ، وها هو مهرها »، واشار الى القافلة المحملة بالفضة والذهب والحرائر ، والـى العبيـد والجوارى ، ففرح السلطان لان الاميرة ما زالت على قيد الحياة ، ولان سيدى محمد بن عمر قد حفظ الاميرة عفيفة طاهرة ، فاقام الافراح وعمت الفرحة البلاد ، وأمر السلطان أن يفرج عن العبد الذى كان قد سجنه ، لانه لم يذبح الاميرة .

جحا قاضي الفيران

صنع جحا عجينة وقطعها الى قطع صغيرة مثل الحب ، ووقف فى السوق ينادى ، « حب الفهم والذكاء ، حب النباهة والفطنة » وادعى أن من يأكل من حبوبه يصبح من الاذكياء ويفهم كل شـىء ، فاشـترى الكثيرون منه ، لكن حالتهم لم تتغير .

وجاء يوما شاب ذكى واشترى حبة من حبوب الفهم وأكلها ، وحاول أن يعرف ما تحتويه ، فلم يقدر ، فاشترى حبة ثانية وأكلها، فلـم يدرك من أى شىء صنعها جحا ، واشترى ثالثة ورابعـة وخامسة ، وحين أكل الحبة السابعة ، عرف كيف صنع جحا الحبوب ، وكان جحا قد وضع قليلا من البراز فى عجينته ، فهتف الشاب ، « يـا جحا انت تسخـر من الناس ، وقد خلطت مواد من أصناف العطارة ومزجت بها شيئا من البراز وصنعت حبوبك وادعيت انها تجلب للناس الفـهم والذكـاء » ، فضحك جحا وقال ، « الحقيقة أن حبوبى تجلب الفهم والذكاء وها قد بدأت تفهم وتصبح ذكيا ، لانك أكلت سبعا منها».

فأراد الشـاب أن يسخر من جحا كما سخر جحا منه ، فقال له ، « انك تبغـى الحصول على المال ، وبدلا من هزلك ومحاولتك ان تسخر من الناس وتخدعهم ، هناك طريقة سهلة تكسب منها أموالا كثيرة »، فتساءل جحا مندهشا ،« ما هذه الطريقة ؟»، فأجاب الشاب ،« شاركنى فى تجارة رابحة ، فالحديد يكون غاليا فى الشتاء ورخيصا فى الصيف ، ونحن الان فى الصيف، فهات مائة دينار وأنا مائة دينار، ونشترى حديدا، وفى الشتاء نبيع ما اشتريناه بسبعمائة دينار ، فنكسـب أنا وأنـت خمسمائة دينار»، ففرح جحا ودفع مائة دينار ، واشترى الشاب الحديد، وأبقاه فى داره ، وفى أوائل الشتاء ذهب جحا اليه ، فاظهر الشـاب



فأخذ جحا العمال وهم يحملون مطارقهم وفؤوسهم وذهب بهم الى دار القاضي وأمر بهدم الدار، وجاء القاضي...

الحزن وقال لجحا ، « لقد اكلت الفيران الحديد ، لم يبق منـــه شيء».

فعرف جحا أن الشاب قد خدعه ، فذهب واشتكاه الى القاضي، لكن القاضي كان قد أخذ رشوة من الشاب فقال لجحا ، « ان الفيران يجـــوز ان تأكل الحديـــد » .

فانصرف جحا غاضبا ، وذهب الي السلطان وطلب منه ان يعينه قاضيا على الفيران ، فضحك السلطان كثيرا ، وأصدر مرسومـــا (1) عين فيه جحا قاضيا على الفيران ، وصحب جحا معه عمالا وذهب الى دار الشاب ، وأمرهم أن يهدموا الدار فجاء اليه الشاب مذعـــورا ، وسألـــه ، « ماذا تفعل يا جحا ؟ » ، فأجابه ، « لقد عينت قاضيا على الفيران » ، وأراه المرسوم « ولما كانت الفيران قد ارتكبت جرما واكلت الحديد فانني قررت أن اقبض عليها ، وأعاقبها بالسجن وهي تختبـــيء ى دارك لذلك سنهدم الدار ، ونقبض على الفيران » ، فعرف الشاب ان جحا ينوى الانتقام ، فأعطاه المائة دينار .

وأخذ جحا العمال وهم يحملون بمطارقهم وفؤوسهم ، وذهب الى دار القاضي وأمرهم بهدم الدار ، وما أن بدأوا فى الهدم حتى جاء القاضي غير مصدق ما يرى وسأل جحا ، « مـــا الامـــر ؟ » ، فأجابه بـــأن السلطان قد عينه قاضيا على الفيران وهناك بعض المجرمين من الفيران، اختبأوا فى داره ، وهو يريد أن يقبض عليها . فاحتج القاضي غاضبا ، لكن جحا قال له ، « أنت قاضي وأنا قاضي ، أنت قاضي بين الناس، وأنا قاضي بين الفيران ، وكل منا معين بمرسوم سلطاني » .

فعرف القاضي أن جحا يريد أن ينتقم منه لقبوله الرشوة مـــــن الشاب وحكمه بأن الفيران يجوز أن تأكل الحديـــد .

فاعتذر لجحا ووعده ان يصبح شريفا ، وانصرف جحا مع عماله.

---

(1) ــ قـــانـــون .

دهاء امرأة

كانت المراة فاسدة الاخلاق ، لا تحب زوجها ولا تخلص له ، وهو لا يدرى من هذا الامر شيئا ، وزيادة على ذلك فقد كانت تسرقه ، فاذا احضر كمية من اللحم او الدقيق أو البيض ، تسرق نصفها ، تبيعه او تأكله .

وفى يوم قال لها : « اننى أحضر لك من الطعام الشيء الكثير ولا تقدمين لى الا شيئا قليلا » ، فشهقت المراة وولولت وضربت على فخذيها ، وصاحت به ، « يالك من رجل ظالم ، حرام عليك ، أتتهمنى بالسرقة ، فان كنت تعتقد ذلك فاثبته ، وآت بشهود » .

وفى اليوم التالى خرج الرجل فى الصباح وذهب الى السوق ، واشترى زوجا من الدجاج وملأ قفة بالخضروات والفاكهة ، واستأجر جماعة من الزمارين والطبالين ، وحمل القفة وسار وراء الزمارين والطبالين ، كما يحدث فى الافراح .

فسأل الجيران الزوجة ،« هل عندكم عرس ؟ » ، فلما اجابتهم بالنفي ، اخبروها ان زوجها قادم فى موكب يضج بالتزمير والتطبيل ، فسكتت المراة ولم تجب ، وأدركت أن زوجها يسخر منها ، واحضر الطعام ومعه شهود ليثبت سرقتها وجشعها .

وحين دخل الدار صاح بها ، « ها هم الناس يشهدون ، وها هو الطعام والخضروات والفاكهة ، والاهم يا زوجتى العزيزة دجاجتان كبيرتان لا واحدة »، فسكتت المراة على مضض ونوت أمرا .

وحين رجع زوجها فى آخر الليل ليتناول العشاء الشهى ، هتفت

به حين سألها أن تجهز الطعام : « لا والله ، مـــا دمت قــد احضرت الطعام بشهود فلابد أن تأكل ومعك شهود »، فضحك ولم يعبأ بقولها ، لكنها اصرت وقالت له : « لابد من اثنين يشهدان انك اكلت ، اى اثنين من اصدقائك »، فرجع الرجل الى المقهى فلم يجد الا واحدا ، فعرض عليه أن يذهب معه الى داره ليتناول معه العشـــاء ، وبالرغم مـــن ان الدعوة جاءت متأخرة ، فقد قبل صاحبه ، ومشي معه الى داره ، وما أن رأت الزوجة زوجها وقد عاد ومعه صديق واحد ، حتى قالت له : « لا، واحد لا يكفي أبدا ، لقد أقسمت بالله أن لا اعطيك الطعام حتى تحضر صديقا ثانيا ، فليبق هذا الرجل هنا ، ولتأت بصديق آخر » .

فخرج الرجل ليبحث عن صديق ليتناول معه طعام العشاء ، فأيقظت المراة ولدها الصغير ، وضربته ضربا مبرحا ، فأخذ الولد يبكى ويصرخ بشدة ، مما اثار شفقة الضيف ، فأنب المراة قائلا : « الا يصح ان تضربى الولد الصغير بقسوة وتجعليه يبكى ويصرخ بهذا الشكل ، حرام عليك »، فادعت المراة الحزن والضيق واجابت ، « لعنة الله على هذا الولد وعلي أبيه ، فقد عوده عادة سيئة ، فزوجى يخرج فى الليل ويخـــدع صديقا ويقول له تعال لتتناول العشاء ، وحين يجيء الي الدار يهجم عليه ويقطع خصيته ويعطيهما للولد ، فيأكلهما هذا الوحش الصغيـــر الذى يبدو انه سيصير كأبيه حين يكبر ، وحشا كبيرا » .

فخاف الضيف ، وارتعدت اوصاله وتذكر دعوة صاحبه فجأة له فى وقت متأخر من الليل للعشاء ، فازداد خوفه وناشد المراة ان تساعده لينجو بحياته، فادعت أنها ترغب فى ذلك؛ وسمعت خطوات زوجها مقبلا، فطلبت منه أن يقف خلف الباب ، وحين يفتح زوجها الباب ويدخـــل ، عليه أن يخرج ويجرى بسرعة ولا يرجع ابداً ان ناداه زوجها وحاول خداعه ، فشكرها الضيف وتأثر من طيبتها ومعاونتها له .

اما الزوج فلم يجد احدا يدعوه ، فرجع غاضبا ، وفتح الباب فى غلظة ودخل الدار ، فجرى الضيف المختبىء وراء الباب بسرعة ، وقالت الزوجة لزوجها ، « ايها الرجل الاحمق ، انت تحضر الى بيتي اللصوص؛ ها هو صديقك قد خطف الدجاجتين وجرى بهما » ، فهتف الـــرجل : الدجاجتين هذا غير معقول » ، وجرى وراء صاحبه ليلحق بـــــه ، لكن الضيف وقد تذكر المصير الرهيب ان امسك به صاحبه ، فقد كان

اسرع من الغزال ، ونادى الزوج : « سى أحمـد ، سى أحمد » ، لكن الضيف سي أحمد ، كان يجرى بسرعة كبيرة ، فصاح الزوج : « ولو واحدة ، يقصد أن يرجع له ولو دجاجة واحدة ، فرد الضيف من مسافة بعيدة وقد تأكد أن الزوج لن يلحقه : « أن أمسكت بى فخذهما معا »، يقصد الخصيتين ، فظن الزوج انهما الدجاجتان ، ورجع الى داره ، ولم تقدم له زوجته الا الخبز والخضر والكثير من التأنيب بسبب أصدقائه اللصوص ، سارقى الطعام وان دعوا اليــه .

وفى اليوم التالى خرج زوجها، فأرسلت الى أحد عشاقها كى يزورها، فجاء اليها ورآه أحد أصدقاء زوجها وهو يدخل الدار ، وكان يعرف عن هذا الرجل سوء السيرة ، فذهب الى زوجها وهمس فى أذنه بالخبر وانصرف .

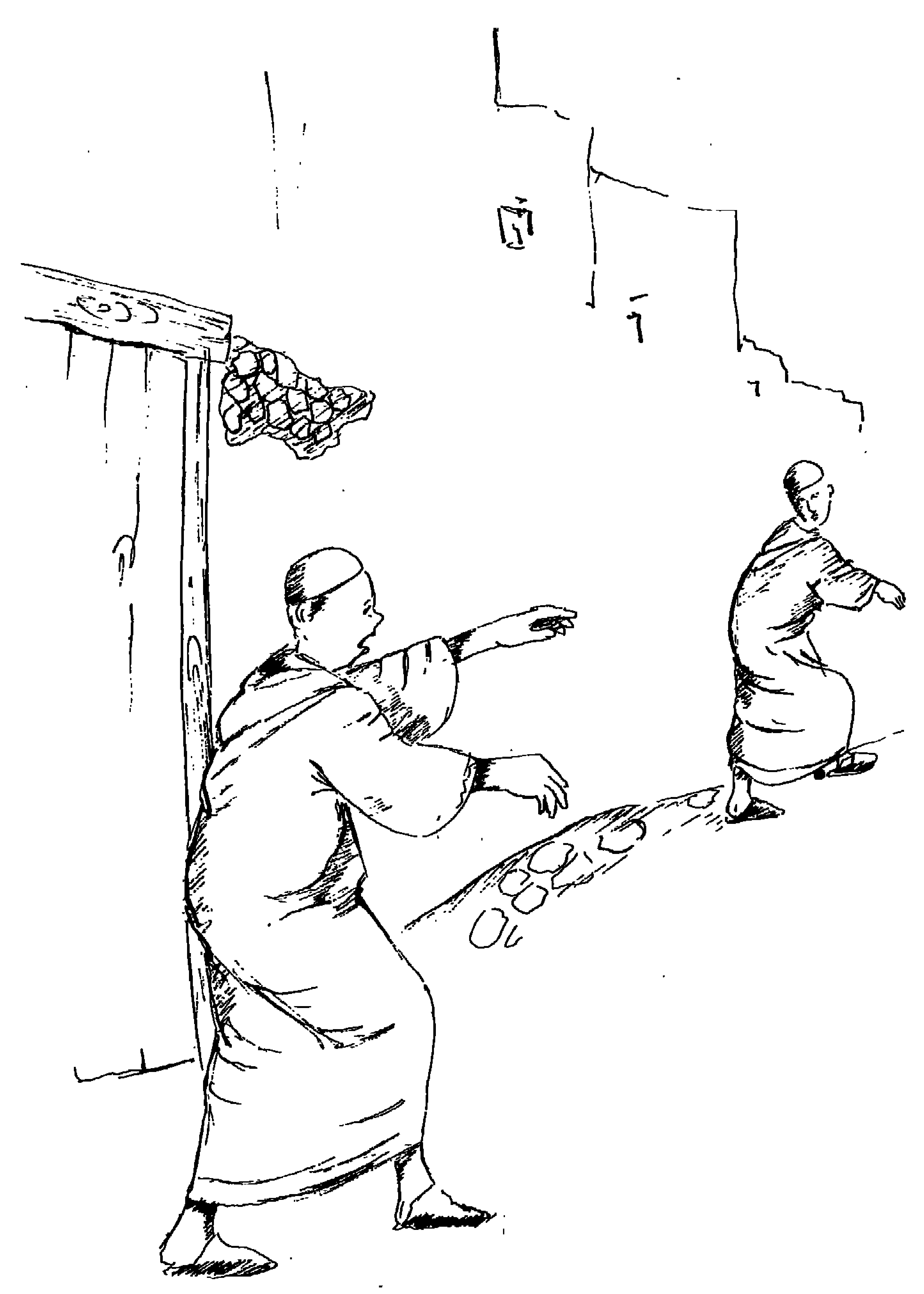
فأسرع الزوج الى داره ، فوجد الباب مغلقا ، فطرق بشدة ، فعرفت المرأة أن زوجها قد عاد ، فخبأت بسرعة عشيقها فى البئر ، وادعت أنهــا كانت نــائمة ، وفتحت البــاب وهى تحــك عينيهــا ، فدخل الزوج ثائرا يصيح « أين الرجل ، اين عشيقك أيتها الكافرة ؟»، فصرخت المرأة وولولت ، وأخذت تبكي وتسبه ، وتقول : « لقد تحملت منك كل مصيبة ، الا هذا ، لاذهبن الى القاضى واشكو له حمقك » .

وزاد صراخها وعويلها ، فجاء الجيران يستطلعون الخبر ، فأخذت تصيح وتطالب الجيران أن يبحثوا فى الدار لان زوجها المجنون الاحمق ، يقول أن عندها رجلا ، وبحث الجيران ولم يجدوا أحدا ، واراد الجيران أن يوفقوا بين الرجل وزوجته ، لكن الزوجة ادعت الحزن والالم وقالت : « والله أنا لا أقدر على عشرته فقد صرت أخاف منه ، وكيف اثق فيه الان ، انه مجنون ومن يدرينى ربما يذبحنى فى الليل ما دام يعتقد أننى أخونه »، وطلبت من الجيران أن يضعوه فى المطمورة (1)، حتى الصباح لتضمن سلامتها وتذهب عند أهلها أو تجد حلا .

ووجد الجيران ان هذا الحل معقول ، ووضعوا الزوج فى المطمورة وانصرفوا .

وبعد ساعة أخرجت المرأة عشيقها ، ووقفت المرأة وعشيقها

(1) ـــ حفرة فى الارض شبيهة بالبئر .



فصاح الزوج : « ولو واحدة » يقصد أن يرجع ولو دجاجة واحدة، فرد الضيف : « ان امسكت بي فخدهما معـًا ».

ينظران الى أسفل ، حيث الزوج فى المطمورة ، وسخرا منه ، فصاح الرجل وصرخ ، وسمع الجيران ، لكنهم لم يهتموا وقالوا انــه لرجل أحمق لا يكف عن الضجيج واقلاق راحة الناس ، وان زوجته لمظلومة، كان الله فى عونها، فقد احضر لها الطعام فى موكب يضج بالتزمير والتطبيل.

وانصرف العشيق ، فأحضرت المراة رحى الطــاحون وصــارت تديرها بالقرب من فوهة المطمورة فأحدثت ضجيجا هائلا ، فظن زوجها انه الرعد ، واخذت تصب الماء وترشه عليه ، فظن أنه المطر وكانت تدور بين الفينة والفينة بالمصباح حول فوهة المطمورة فظن أنه البرق ، ولم تكف المراة عن الحركة طوال الليل ، تدير لرحي ، وترش الماء وتدور بالمصبــاح .

وفى الصباح جاء الجيران ، واخرجواالرجل من المطمورة ، فأراد أن يهجم على المراة ليقتلها ، فمنعه الجيران ، فأخذ يصيح ، « انهــا عاهرة ، لقد اخرجت عشيقها وسخرا منى بعد انصرافكم ، فاندهــش الجيران ، وصرخت المراة ، « ان زوجى لمجنون ، أحمق ، لقد فقد عقله تماما »، فصاح الرجل . « والله لاقتلنك ، ولن أنسى الليلة الماضية ، لقد ظللت بسببك حبيسا فى المطموره طوال الليل ، والمطر يتساقط والرعد يصم الآذان ، والبرق يبعد عنى النوم » ؛ فهتفت المراة ، « أرايتم ! . يقول ، كان معى رجل ، وكان هناك مطر وبرق ورعد فى الليلة الماضية »، فرد الزوج ، « نعم كان معك رجل ورأيته » ، فسأله الجيران وقــد تأكدوا من جنونه ، « وهل سمعت الرعد ورايت البــرق واحسســت المطر ؟ »، فأجاب الرجل ،« نعم لقد كان المطر مستمرا طوال الليل ، مع الرعــد والبرق » .

فصرخت المراة ،« يالمصيبتى لقد جن زوجى ، اشهدوا أيها الناس»، وشهد الناس بما حدث واثبتوا جنون الرجل وحمقه ، ووضع فى مكان يحجز فيه المجانين ، هناك فى برشيــد (1) .

(1) — برشيد : المقصود بلدة « بئر رشيد » وفيها مستشفى للمصــابــين بالامراض العقلية ، ويبدو أن هذه اضافة حديثة للحكاية ، فلاشك أن الحكاية رويت قبل انشاء مستشفى برشيــد بقرون طويلة ، واصل الحكاية هندى وهناك حكاية روسية مشابهــة .

ابناء اللص

يروى انه كان هناك لص ، انتابه المرض وأحس باقتراب المــوت منه ، فنادى زوجته ، وقال لها ، « أن لدينا ولدين ، وهما مازالا صغيرين ، فان مت فاكتمى عن ولدي السر ، فان سألاك ماذا كان يعمل ابونا ، فقولى لهما عن اى مهنة ، لكن اياك أن تخبريهما أننــى كنت لصا ، فلا اود أن يصبحا من اللصوص »، وأوصاها أن تدفن ادواته التي كان يستخدمها فى الســرقــة .

ومات اللص وترك ولديه ، وكان احدهما اسمه « رطل » وهو الاكبر ويبلغ من العمر عشر سنوات ، والاخر اسمه « نصف الرطل » وله من العمر سبع سنوات .

ونفذت الام وصية زوجها ، فلم يعرف الولدان ماذا كان يعمل ابوهمــا ، ودفنت أدواته .

ومضت السنوات، واشتغل الولدان، وزاولا مهنا كثيرة ، النجارة، الحدادة ، وغزل الصوف ، وصناعة السجاد ، فلم يستطيعا أن يتقنا أو ينجحا فى أى عمل من هذه الاعمــال .

وبعد سبع سنوات من الفشل المتوالي ، ذهبا الي أمهما وسألاها « أن المثل يقول يا أماه : صناعة ابيك او يغلبوك (صنعة ابوك ليغلبوك) فماذا كانت صناعة ابينا ؟»، فلم تقل لهما الام الحقيقة ، واجــابت ، « كان أبوكم يبيع الخضر » ، ففرحا وظنا ان التجارة هى المهنة المريحة وانهما قد ورثا مهارة أبيهما وحذقه ، فبحث رطل عن حانوت وأحضر نصف الرطل ما يحتاجه الحانوت من سلال وموازين ، وذهبــا الــى

السوق واشتريا الخضروات ، ومضت سنة وأفلست الحانوت ، فذهب نصف الرطل مع اخيه ، وسأل تجار الخضروات عن أبيهما ، فأجاب التجار ، بأنهم لم يسمعوا به ، ولم يكن تاجرا للخضر في يوم من الايام .

وذهبا الى أمهما مرة ثانية ، وسألاها عن صناعة ابيهما ، وحكيا لها ما اخبرهما به تجار الخضروات ، وعن عدم معرفتهم لابيهما ، فقالت الام وهي تحاول خداع ولديها ، « الحق ، ان اباكما عمل لفترة قصيرة كتاجر خضروات ، لكنه عمل بعد ذلك تاجر فواكه ، يبيع التمر واللوز والليمون والتفاح والبرتوق ؛ وكان يربح كثيراً ، فاشتغلا في مهنته وستكسبان المال الوفير » .

وظل الشابان يعملان في تجارة الفاكهة ، لكن لم تمض سنة حتى كانا قد افلسا ؛ لكن الام لم تيأس ، واخذت تشجعهما ، وتعمل بوصية ابيهما ، واعطتهما ما تملكه من المال ، وساعدتهما ، وعملا في مهنة الجزارة ، يشتريان البقر والغنم ويبيعان اللحم في حانوتهما ، لكن الاحوال كانت تسير من سيء الى أسوأ ، وبعد عام أفلس الحانوت .

وسأل الشابان الكثير من تجار الفاكهة والجزارين ، « هل تعرفون ابانا ؟ » ، فلم يعرفه احد ، لانه لم يعمل في هذه المهن ، ذلك لان الام كانت تحاول دائما الكذب وتدعي أن أباهما اشتغل في هذه المهن .

ولكي يصل الاخوان الى حقيقة مهنة ابيهما فكرا في خطة ، أحضرا شيئا من الذرة ، وطبخا (مزجور) وهو نوع من حساء الذرة ، وسخناه الى درجة كبيرة وامسكا بيد أمهما ووضعاها في الحساء الساخن ، فصرخت وبكت ، فأقسما لها أنهما لن يخرجا يدها من الوعاء الا اذا اخبرتهما عن مهنة ابيهما ، فاضطرت أن تتكلم وقالت ، « لقد كان أبوكما لصا ، وحكت ، لهما ما أوصاها به ، ودلتهما على المكان الذي دفنت فيه أدواته ، فأسرع الشابان واخرجا أدوات أبيهما زرواطة (1) وسلبة (2) ، وسكين ، والبنج (3) ، وضد البنج (4) ؛ وقرر الشابان

(1) ـ عصا كبيرة
(2) ـ حبل متين .
(3) ـ مادة مخدرة
(4) ـ مادة تبطل مفعول البنج



وأمسكا بيد أمهما ووضعاهما في الحساء الساخن فصرخت وبكت، فاقسما لها انهما لن يخرجا يدها من الوعاء الا إذا أخبرتهما عن مهنة أبيهما.....

أن يعملا كلصوص ، وأراد كل منهما أن يتولى القيادة لكنهما اتفقا بعد جدال طويل ان يتباريا فى السرقة ويظهر كل منهما مقدرته ، والذي يتفوق يقـود .

وكان الاختبار أن يحاول كل منهما سرقة البيض من عش طائر ويكون الطائر راقدا على البيض ، ومن ينجح فى سرقة البيض دون ان يزعج الطائر أو يجعله يحس يتولي القيادة .

وذهبا الي شجرة ، بنت حمامة فى أعلاها عشها ورقدت واحتضنت بيضها ، وتسلق رطل الشجرة حتى وصل الى العش ومد يده فى خفة وسرق بيضة من تحت الحمامة ووضع حجرا صغيرا بدلا منها ثم سرق بيضة ثانية ووضع حجرا ، فتسلق نصف الرطل اخوه الشجرة هو الاخر ، وكلما سرق رطل بيضة ووضعها فى جيبه سرقها نصف الرطل منه ، وما أن انتهى رطل من سرقة الخمس بيضات ووضع بدلا منها الاحجار حتي كان نصف الرطل قد سرقها منه ، وبخفة هبط قبله الى الارض ، وعندما نزل رطل من فوق الشجرة وصاح فى غرور ، « ها هى البيضات الخمس »، هتف به نصف الرطل ، «لا تبالغ أين البيض ؟» ، فمد رطل يده الي جيبه ليخرج البيض ، فلم يجد شيئا ، فتقدم له نصف رطل البيض ، وضحك وقال له ، « اننى لم أرك شيئا من مهارتى بعد » ، وتسلق الشجرة وبخفة تقدم الي العش وأخرج الاحجار واحدة بعد أخرى من تحت الحمامة ووضع البيض مكانها ، ونزل من فـوق الشجرة وقدم الاحجار الى أخيه ، فاعترف له رطل بالتفوق ورضى به كقائد ورئيس ، وان كان أصغر منه فى العمر .

وبدأ الشابان يعملان كلصوص ، فقال نصف الرطل ، « يا أخى انني أود أن نسرق سرقة كبيرة وليس هناك أحسن من بيت المال فى قصر السلطان » ، وتسللا الي القصر وثقبا فى سطح بيت المال ثقبا، ودخلا منه الى بيت المال ، وسرقا عشرة اكياس من الذهب .

وفى الصباح اكتشفت السرقة ، وتضايق السلطان وثار ، وقال ، « لقد ضاعت هيبتى مادام اللصوص يجرؤون على سرقة بيت المال » ، وكان المكلف ببيت المال رجلا يهوديا ، فعنفه الملك لانه لم يأخذ من الحيطة والحذر ما يمنع اللصوص من الوصول الى بيت المال ، فاقسم

اليهودي ان ما حدث شيء لا يصدق ، وان اللصوص مهرة ، لكنه سيعرف كيف يمسك بهم ، ويحضرهم للسلطان ، لينالوا شر جزاء على علي تعديهم وجرائتهم ، فقال الملك ، « ان لم تحضر الى اللصوص ساقطع رقبتك »، فرد اليهودي ، « سمعا وطاعة يا مولاى » ، وساله الملك ماذا سيفعل ليمسك باللصوص ، فأجاب اليهودي ، « أرى ان نكتم ما حدث فلا يسمع به انسان ، وعندئذ سيحاول اللصوص العودة الي السرقة مرة أخرى ، وسأدبر حيلة ومكيدة » ، واحضر اليهودي قزانا (1) كبيرا ملأه بالزفت والقطران ووضعه تحت الفتحة التى ثقبها اللصوص فى السقف ونزلوا منها ، وحدث ما توقعه اليهودي ، ذلك ان نصف رطل حين عاد فرحا مع رطل أخيه الى أمه ، سألها ، « هل كان ابونا يسرق مثل هذا ؟ » ، وقدم لها العشرة أكياس المليئة بالذهب، فاجابت ، « ان أباكما كان يسرق أشياء بسيطة »، وفى الصباح لم يسمع أحد فى البلدة بأن سرقة حدثت فى القصر ، ولو اكتشفت سرقة بيت المال لسمعت بها البلدة كلها ، ولهذا ظن نصف الرطل ، أن من فى القصر لم يكتشفوا السرقة ، فقرر الذهاب مرة أخرى ، وسرقة بعض الاكياس المليئة بالذهب ، وخاصة أنهما عرفا الطريق ، والثقب ما زال موجودا فى السقف .

وفى الليل تسلل نصف الرطل واخوه مرة ثانية الى القصر ، وحين وقفا عند الفتحة التي فى سقف بيت المال ، اراد نصف الرطل أن ينزل كما فعل بالامس ، لكن رطل طلب منه أن يسبقه هذه المرة ، ووقع رطل فى قزان الزفت والقطران فصاح محذرا أخاه ، « لقد دبروا مكيدة ووقعت فى قزان مملوء بالزفت والقطران » . فتدلى نصف الرطل بحذر وقد ربط نفسه فى حبل متين ، ونزل بجانب القزان ، وكان رطل قد غطس حتى عنقه فى الزفت والقطران السميك ، وحاول نصف الرطل انقاذ أخيه ، او اخراجه من الزفت فلم يقدر ، وفكر نصف الرطل ، ماذا يفعل ، انه ان ترك أخاه فى الزفت فسيعذبه السلطان حتى يعترف وعندئذ لابد أن يحضروه هو الآخر مع امه ، ويقطعوا رؤوسهم جميعا ، فودع رطل وقد نوى امرا ، قبله واستل سكينه وقطع رأسه ، وأخذها معه وانصرف .

---

(1) ــ قدر كبير الحجم

وحين رجع الى أمه قال لها ، « كان السلطان سيقتلنا جميعا رطل وانـا وانت ، ففضلت أن اقتل أخى بيدى حتى أنقذك وانجو براسى .

وفى الصباح وجدوا جثة بلا رأس فى قزان الزفت ، فثار السلطان وعنف اليهودى وقال له ،« هذه هى مكيدتك وخطتك التى وعدتنى ان تمسك بها اللصوص »، فاعتذر اليهودى وقال ،« هناك خطة ثانيـة ومكيدة سأدبرها وستنجح هذه المرة ، وسنمسك اللصوص وتعاقبهـم على وقاحتهم وتجرئهم »، فسأله الملك ،« وكيف يكون ذلك ؟ »، فأجاب اليهودى ، « أرى ان نشيع جنازة اللص ونعلن فى البلد ما حدث ، واننا وجدنا لصا مقطوع الراس وستشيع جنازته ، ولابد أن يكون له أب ، أو أم ، أو أخ ، وسيبكي حزنا عليه ولاشك ، وعندئذ نبـث العيون والحراس فى كل مكان ونمسك من يبكى ونعذبه ، وبذلك نتوصل الى اللصوص ، ومن ناحية أخرى لابد ان يحاول أهل اللص دفن رأسه فى المقابر فعلينا أن نرسل الحراس ليمسكوا من يحاول دفن الراس »، فهدده الملك بالعقاب ان لم تنجح خطته هذه المرة ، ونادى المنادون ، واعلن فى البلدة ما حدث ، وعن ميعـاد سير جنازة اللص .

وصح ما توقعه اليهودى ، ذلك لان أم رطل قالت لنصف رطل ابنها ، « لابد أن أبكي اخاك حتى يخف حزني وتبرد نار قلبى ، هل يعقل ان يشيعوا جنازة ولدى ولا أبكيه »، ووعدها نصف رطل باجـابة رغبتهـا، واحضر الكثير من الاوعية والأدوات الفخارية من أوانى وأطباق وأباريق ووضعها فوق حمار وقال لها ، « خذى هذا الحمار بما عليه وحين تظهر الجنازة ، سأدفع حمل الحمار من الفخار ، وسيتكسر ، فتقعدين وتبكين كما تشائين وان جاءك الحراس وسألوك ، « ما يبكيك ؟ » ، قولى لهم ،« هذا مال ولدى الذى لا يملك غيره ، وقد حطمته فكيف لا أبكى »، واخذت الام الحمار بما عليه من فخار وجلست تنتظر قدوم الجنازة .

وحين ظهرت الجنازة أوقع نصف الرطل حمل الحمار ، فتحطـم الفخار وتكسر ، فأخذت المراة تولول وتصرخ ، وتبكي وتصيح ،« ماذا افعل ياولدى،ضاع ولدى وما يملكه»، فجاء اليها الحراس وسألوها «لماذا تبكين ، هل تعرفين الميت ؟ » ، فقالت ، « أنا أبكى الفخار المكسور ، والاوانى المحطمة ، أنها كل ما يملكه ولدى فى الدنيا وقد بددته وحطمته فماذا أقول له ؟ » ، فذهب الحراس وأخبروا السلطان أن المراة تبكـى

الفخار الذى كسرته ، وحين عادت الى الدار طلبت من ابنها ان يدفن راس اخيه ، فهى لا يمكنها أن تترك راس رطل للكلاب ، فوعدها نصف الرطل بدفن الرأس .

وذهب الي المقابر فرأى الحراس فى كل مكان ، فدبر خطة ، واشترى اثنى عشر معزة وأربعة وعشرين شمعة وثمانية وأربعين ناقوساصغيراً، وانتظر حلول الظلام ، ووضع شمعتين على رأس كل معزة واشعلهما ، وربط فى رقبة كل معزة ناقوسا ، وفى ذيلها ناقوسا ، وفى رجليها ناقوسين واطلق الماعز ، ففوجىء الحراس فى منتصف الليل بأنوار غريبة شبيهة بعيون الجن مقبلة من بعيد ، وسمعوا رنين الاجراس مع مـــا تصدره الماعز من أصوات ، فخيل اليهم أن الشياطين هجمت على المقابر ، ففروا هاربين ، واستطاع نصف الرطل أن يدفن راس أخيه المقطـــوع، ورجع الى أمه وأخبرها بأنه قد نفذ رغبتهـــا .

وفى الصباح ثار السلطان،ونادى اليهودى واغلظ له القول وسخر من خطته التى فشلت ، فلم يمسكوا أهل الميت اثناء تشييع الجنازة ، ولم يذهب احد الى المقابر ليدفن الراس ، ذلك لان الحراس لم يحكوا عن هجوم الشياطين ، واكتفوا بأن قالوا للسلطان ، « لم يحضر احد للمقابر » ، فأخذ اليهودى يهدىء من غضب السلطان ، ووعده بتدبير خطة،ولابد أن تنجح ، ووعد السلطان بالقبض على اللصوص هذه المرة ، فقال له الملك ،« لقد وضعت الزفت والقطران ، ولم تفلـــح خطتـــك ، وشيعنا الجنازة ، وارسلنا الحراس الى المقابر دون فائدة ، أريد أن تحضر لي اللصوص وآلا قطعت رأسك » ، فقال اليهودى ، « عندى حيلة لابد وان تنجح » ، فسأله الملك عنها فأجاب اليهودى ، « أرى ان نبعثر المال فى الطرقات الوف العملات الذهبية ، نرمى اكواما فى اماكن معينة ويقف الحراس بجانب كل كومة وكل من تقدم وســـرق امسكناه » ، ولم يستطع او يتجرأ أحد من اللصوص فى البلدة أن يقترب من الذهب المنثور فى الطرقات ، خوفا من الحراس الواقفين يراقبون فى حذر وانتباه ، لكن نصف الرطل دبر أمرا ؛ فأحضر ثلاثة جمال ، والصق فى اخفافها مادة لزجة ، وصبغ كل جمل بلونين ، فالجـــانب الايمن أحمر والايسر أخضر ، والجمل الثاني نصفه الايمن أبيض والأيسر اسود ، والجمل الثانى نصفه الايسر أزرق والايمن أصفر .

وكانوا قد رموا ونثروا على الارض مائة الف عملة ، فلما عدوها وجدوها قد نقصت عشرة آلاف وقال الحراس عند أخذ الاكوام مر أمامنا جمل أسود ، فقال زملاؤهم لا بل أبيض »، وقال الاخرون « جمل أصفر » ، فقال زملاؤهم « لا بل كان جملا أزرق »، وقال آخرون « جملا احمر »، فرد من معهم « بل أخضر »(1)، فاندهش الملك ، فقد اختلفت الآراء وغضب غضبا شديدا ، ونادى اليهودى ووبخه على فشل خطته ، وقال له ، « كل ما حدث كان بسبب اهمالك رعاية بيت المال ، وعدم الاهتمام بحراسته ، انك لا تفلح ولا تعرف كيف تدبر حيلة تمسك بها اللصوص ولابد من قطع رقبتك ، فقد ضاعت عشر الاف قطعة ذهبية بسببك »، فاعتذر اليهودى بأنه لم ير لصا بمثل هذه المهارة ، وبين انه لا ذنب له ، فان هذا اللص شيطان ، وانه سيحاول بأى شكل أن يدبر حيلة لا تخيب ، فسأله الملك عن حيلته الجديدة ، فأجاب اليهودى، « علينا أن نستعين بالنساء فهن أمهر من الرجال وأرى أن نحضر عشرين نعامة ونطلقها ، واذا سرقت نعامة فسنكتشفها اذا ارسلنا العريفات (2) بطريقة مستترة ، فيسألن الناس عن شيء من دهن النعام، ومن وجد عنده الدهن نقبض عليه . »

واطلقوا عشرين نعامة فى البلدة ، وتجرأ نصف رطل ، وسرق واحدة وادخلها الي داره وذبحها ، وطلب من أمه أن تطبخ لحمها ، وتخبيء ريشها وشحمها ، وخرج لبعض حاجته ، فجاءت احدى العريفات لامه ، وسألتها أن تعطيها شيئا من دهن النعام أن كان عندها ، فلم تفهم الام الحيلة ، وأعطتها بعضا من ذهن النعامة ، فأخذته العريفة ، وبينما هى خارجة ، دخل نصف رطل فسألها ماذا كانت تفعل فى دارهم، فأجابته ، انها جاءت لتأخذ شيئا من دهن النعام لولدها المريض ، فعرفها نصف الرطل فى الحال ، فأمسك بها واخرج السكين ووضعه على رقبتها وقال لها ،« أما ان اقطع رقبتك أو اقطع لسانك، ولافائدة من الجدال »، فأخرجت العريفة لسانها ، وقطعه نصف الرطل ، وسمح لها بالخروج ، فملأت العريفة يدها من الدماء التى تسيل من فمها ، ورشت به باب

(1) — من الواضح أن هناك مبالغة فى ذكر الوان الجمال ، فلا توجد جمال لها هذه الالوان ، لكن المبالغة تكون أحيانا من سمات الخيال الشعبى وربما كان الغرض منها حفظ الحكاية من الاندثار أو لاسباب أخرى يكتشفها المختصون فى علم الفولكلور .

(2) — العريفات نساء يعملن مع رجال الامن (الشرطة) .

الدار حتى تعرفه ، وذهبت الى السلطان ، وجاءوا اليها بمن يفهمون لغة ابكم الذين لا يتكلمون ، وذهب معها الحراس لترشدهم الى الدار التى فيها النعامة ، فان بابها مرشوش بالدماء .

لكن نصف الرطل كان قد رأى العريفة وهى ترش بـاب دارهـم بالدمـاء فأتـى بكبش وذبحه ورش أبواب كل الدور بالدماء ، وحـين جاء الحراس وجدوا ابوابا كثيرة كلها مرشوشة بالدماء ، فقالوا ، أن المراة مخبولة لا تعرف ما تقول ، وفشلت خطتها وحيلة اليهودى .

عندئذ احضر السلطان اليهودى وقال له ،« لقد تركتك تدبر الحيل ولم تستطع أن تمسك اللصوص ، فلابد من قطع رقبتك »، فارتمـى اليهودى على الارض وقبل أقدام السلطان ، وقال ، « بقيت حيلـة واحدة لدى يامولاى ، فلنجربها فان لم تفلح فافعل بى ما تشاء » ، فسأله السلطان عن هذه الحيلة الاخيرة ، فأجاب اليهودى ، « لا يكون من فعل كل هذا الا شاب ، ومادام شابا فانه يحب أن يفاخر ولا يحل عقـدة اللسان شىء مثل الخمر ، لذلك أرى أن نقيم وليمة تدعو اليها كل الشباب ونجعلهم يشربون الخمر ويسهرون حتى الصباح (1) ، وسيقع اللص هذه المرة ونمسكه .

فأقاموا وليمة ، ودعوا شباب البلد كلهم ، وقدموا لهم الكثير مـن الخمور حتى سكروا جميعهم ، وبقى اليهودى يستمع للاحاديث ، وسكر نصف الرطل هو الآخر ، وكما توقع اليهودى وقف متفـاخرا وقـال ، « أنا امهر لص ، قطعت رأس أخى حين وجدت ان بقاءه سيؤدى الى موتنا انا وامى ، وقد حملت حمارا بالفخار وكسرته لاتيح لامى البكاء وهى ترى جنازة اخى ، واستطعت أن ادفن راسه فى المقابر بالرغم من وجود الحراس ، فقد أحضرت الماعز وربطت فى قرونها الشموع وعلقت فيها الاجراس ، فرآها الحراس وظنوها الشياطين » ومضى يقول ، «ولونت الجمال والصقت فى اخفافها العلك (2) وسرقت عشرة آلاف قطعة ذهبية ، وحين ارسلوا النعام اخذت واحدة ، وعندما خدعت العريفة أمى

---

(1) ـ من الواضح بالنسبة لموضوع الخمر ، أنه هناك تناقض مع التعاليم الدينية الاسلامية ، لكن هذه الحكاية تعتبر رواية من مئات الروايات لحكاية شعبية ترجع الى قدماء المصريين وقد رواها المؤرخ الكبير هيرودوت. أنظر ص8

(2) ـ مـادة لـزجـة لاصقـة

واخذت منها دهن النعامة ، قطعت لسانها ، فرشت العريفة بابنا بالدم ، فرششت أبواب كل الدور بالدماء » ، فعرفه اليهودى ، وحين نـام نصف الرطل جاء اليهودى وحلق لنصف الرطل لحيته وانصرف ليعود فى الصباح مع الحراس، وصحا نصف الرطل وتحسس لحيته فوجدها محلوقة، فقام وحلق لحى كل الشبان ، وحين جاء اليهودى فى الصباح ، لم يستطع ان يعرف الشاب ، فالكل محلوقة لحاهم ، وذهب اليهودى الى السلطان واخبره بما حدث ، وقال له ، « لقد فشلت وليس لدى حيلـة اخـرى ولتفعل بى ما تشاء يا مولاى »، فاندهش السلطان ، من مهارة هذا اللص الذى لم تجد معه مكيدة أو تنفع معه حيلة .

فأمر السلطان بقطع رأس اليهودى ، وارسل السلطان المنادى يقول ، « ان من فعل كذا وكذا عليه الامان وليتقدم للسلطان » .

فذهب نصف الرطل الى القصر ، ولما مثل أمام السلطان قبـل الارض بين يديه واعترف له بكل ما فعله ، فعفا عنه السلطان ، وتاب نصف الرطل عن السرقة وعينه السلطان حارسا لبيت المال ، وظل يعمل فى القصـر الى أن مـات .

(1)

الأحمق لا يصلح لشيء

احتارت الام ماذا تفعل مع ابنها الاحمق ، لانه كـان دائمـا لا يحسن التصرف، وذات يوم ارسلته ليشترى قنطارا من القمح، فعاد اليها بعد ساعة منهوك القوى يلهث ، ويكاد ان يموت من التعب ، ذلك لانه قد حمل قنطار القمح فوق ظهره وقطع به الطريق الطويلة بين حانوت التاجر حتى دارهم ، فهتفت به الام ، « يا أحمق لماذا لـم نؤجر حمـالا بدراهم قليلة ليحمل القمح بدلا منك » ، فتمتم الاحمق ، «سأفعـل ، سأفعل فى المرة القادمة » .

وفى العصر طلبت منه أمه ان يشترى ابرة ، فعاد اليها مـع الحمال ، فقد اجر حمالا ليحمل له الابره ، فغضبت أمه وتضايقت ؛ لكنها أفهمته أن الحمال يؤجر ليحمل الاشياء الثقيلة ، وظلت تشرح لـه وتفهمه ، فتمتم الاحمق ، « سأفعل ، سأفعل فى المرة القادمة » .

اما فى اليـوم التالى ، فقد أرسلته ليشترى لها تينا يابسا وحذرته ان يؤجر حمالا ، فعاد اليها خاوى الوفاض الا من بضع تينات ، فلمـا استفسرت منه ، « أين التين ؟ » ، اجابها، « وقع منـى فقد كان كثيرا وصغيرا ولم أعرف كيف أحمله وقد حذرتني من أن اؤجر حمالا مادام التين غير ثقيل ، وأنا ذكى وأطيعك » ، فضحكت الام وسخرت منه وأخذت تفهمه ان التين المجفف يحمل بحبل يمر وسطه كما يحدث لحبات العقد ، فتمتم وقال ، « سأفعل سأفعل فى المرة القادمة » .

وحين طلبت منه أن يشترى لها زلايف « أوانى صغيرة شبيهـة بالاطباق لكنها أكثر تقعرا » ، عاد لها وقد ثقبها وجمعها فى حبل رفيع ،

---

(1) — ويسمونها فى فاس ونواحيها حكاية محمد البهل ، والبهل كلمة بالعامية ومعناها الابلـه .



فعاد الى أمه منهوك القوة، لأنه قد حمل قنطار القمح فوق ظهره.

ودخل على امه فرحا يهز يده بالزلايف التى أتلفها وهو يبتسم ، فصرخت الام ، وانبته ، ومضت تشرح له وتبين الفرق بين ما أوصته أن يفعلــه بالتين وبين ما فعله بالاوانى ، وفى النهاية قالت له، «ان الزلايف توضع داخل بعضها هكذا » ، وأوضحت له ، فاعتذر وأجــاب « سأفعــل ، فى المــرة القادمــة » .

وعندما طلبت منه أن يشترى لها بيضا عاد اليها وقد كسر البيض ووضعه داخل بعضه كما أوصته أن يفعل بالزلايف ، فهتفت الام حــين رأته ، « الاحمق لا يصلح لشىء » .

اصدقاء الحطاب وعدوه

يروى أن حطابا ماتت زوجته ، وتركت له سبعة أولاد ، فكان الحطاب يذهب كل يوم الي الغابة ويعمل بجد واجتهاد ليحصل على قوت عياله ، لكنه قاسى كثيرا من الفقر ، لان الغابة وان اتسعت، فان الاشجار الصالحة للاحتطاب قد قلت مع مرور الايام وكثرة الحطابين .

وفى يوم بينما كان الحطاب عائدا من الغابة ، محملا حماره بما احتطبه من اخشاب قليلة ، اذ سمع على مقربة منه أصواتا تنبعث من تحت الارض ، فاندهش وتعجب واقترب من مصدر الصوت ، فوجد بئرا مهجورة تخرج منها الاصوات ، ونظر فرأى رجلا وافعى وفأرا وأسداً فى أسفل البئر ، وصاح الرجل ،« انقذنى ياأخى فالموت ينتظرنى ان لم تخرجنى من هنا ، اننى أخوك الانسان اتمنى لك الخير فلا تتركنى أموت » .

وقبل ان يجيب الحطاب هتفت الافعى ، « اياك ان تنقذ ابن أدم، فان سمه أكثر من سمى ، انقذنى أنا وأعاهدك ان أنفعك ، فان حاق بك الموت أنقذتك » ، فرد عليها الحطاب ، « وكيف يكون هذا ، أأترك ابن آدم أخى الذي هو من جنسي وأنقذك انت آلافعى ، ثم كيف تنفعينني ؟ » ، فأجابت الافعى ، « نعم ان هذا الرجل أبن آدم مثلك، لكنه سيؤذيك ان انقذته ، اخرجنى من هنا وسأعطيك بعضا من قشورى فان حاق بك الموت او الم بك الخطر والضيق فاحرق قشورى فآتي اليك وانقذك » .

فضحك وقال لها ، « هذا عن المستقبل ، لكن من يدرى انك

لا تخونيني ، فربما ان أخرجتك عضضتنى وقتلتني » ، فعاهدته الافعى ان لا تخونه ، وقالت ، « وكيف أخون من انقذنى من الموت لا قـــد يفعل هذا ابن آدم ، أما نحن الافاعى فلا نخـــون » .

فصاح الرجل ، « اياك أيها الحطاب أن تتركنى ، فلا يريد ابن آدم لاخيه الا الخير » ، فهتف الاسد ، « يا سيدى الخطاب ، خذ حذرك من ابن آدم فسيؤذيك ان انقذته ، واياك ان تخرجه ، بل اخرجنى انا وسأنفعك ، ولا تخف مني فاننى ملك الغاب ، واقوى الوحـــوش ولا اغدر أبدا بمن ساعدنى ، اننى اعاهدك أن لا أضرك ابدا بل انفعك وسأنفعك » ، فسأله الحطاب ، وكيف تنفعنى يا ملك الـــغاب » ، فأجاب الاسد ، « سأعطيك شعرات من لبدتى فان احاطت بـــك المصاعب أو خفت الموت والخطر فلتحرقها ، فأحضر اليك وانقذك ، لكننى احذرك من ابن آدم ، فلا تأمن له »» فصاح الرجل ،« لاتصدقه يا اخى الحطاب واخرجنى انا » ، فصرخ الفأر « أياك ان تخرج ابن آدم فلا فائدة منه ، ولا يجىء منه الا الضرر ، اخرجنى انا وسأنفعك»،

فضحك الحطاب وسأل الفأر : « وكيف ستنفعني انت الاخر ؟»، فأجاب الفأر ، « سأعطيك زغبا من شعيراتى فان تاسيت من الفقر فاحرقها أجىء اليك واغنيك واملا بينك بالمال ، وانت يا ابن آدم تحب المال وهو ينفعك ، اليس كذلك ؟ اخرجنى وانا سأنفعك » ، فأجابهم الحطاب ، « سأخرجكم جميعا من هنا» .

وأمسك بحبله ورماه للرجل واخرجه ، ومن بعده اخرج ملـــك الغاب الذى أعطـــاه شعرات من لبدته ، ومـــن بعده اخرج الافعـــى فأعطته القشور كما وعدته ، ثم أخرج الفأر فأعطاه زغبا من شعيراته، وشكروه جميعا على حسن صنيعه وانقاذه لحياتهم، وانصرفـــوا ، وعـــاد الحطاب الى داره .

ومضت الايام ، وخرج الحطاب يحتطب ، وتوغل فى اعمـــاق الغابة ، وحمل حماره بما قطعه من الاخشاب ، وأراد ان يرجع الى كوخه لكنه ضل الطريق فى ذلك اليوم ، وبدأت الشمس تغيـــب ولم يعرف ما يفعل ، وفجأة سمع زئير الاسود ، وأبصر ثلاثة من الاسود تقترب منه تبغى افتراسه ، فخاف الحطاب وارتعب واحتار ماذا يفعل، وتذكر شعيرات الاسد الذى أنقذه ، فأخرجها من كيسه وحـــرقها ،

فاذا به يسمع زئيرا يدوى فى انحاء الغابة ، ورأى الاسود تقف فى مكانها ولا تقترب منه .

وبعد لحظات جاء ذلك الاسد الذى أنقذه واخذ يدور حوله كالكلب الاليف ، وزأر الاسد ، وكأنه يخاطب الاسود ، فانصرفت ، ثم غاب الاسد عن بصره لحظات قليلة ، وعاد وقد صاد غزالا ورماه أمام الحطاب ، فأشعل الحطاب نارا وشوى الغزال ، وجلس والاسد معه يأكل فى اطمئنان ، ثم نام الحطاب والاسد بجانبه يحرسه ويرعاه ، وفى الصباح أرشده الاسد الى الطريق حتى عاد الى داره .

ومضت الايام . وكان رزق الحطاب قليلا ، فان لديه سبعة أولاد ، والغابه ضنينة شحيحه بأخشابها ، ووهنت قوى الحطاب وأصابه المرض ، وفرغت الدار من الطعام ، وعض الجوع بأنيابه الحطاب وأولاده ، وقاسوا من الفقر ، فتذكر الحطاب زغيبات الفأر ووعده بأن يغنيه بالمال ، فأحضر الزغيبات وأحرقها ، فجاء اليه الفأر ، وشكا له الحطاب سوء حاله ، وصرخ الفأر صرخة غريبه ، وفجأة امتلات دار الحطاب بالفئران ووقف الفأر بينهم خطيبا وقال لهم : « اخوتى ، أن هذا الحطاب صنع معي معروفا ، واننى لادين بحياتى له ، فقد انقذنى من الموت ولابد أن أرد له الجميل » .

فصاحت الفيران نحن على استعداد أن نرد له المعروف ونساعده، فأمرهم الفأر أن يحفروا نفقا من دار الحطاب الى بيت المال فى قصر الملك ، فأخذت الفئران تحفر النفق ، وطلب الفأر من الحطاب أن يأتيه بشيء من العسل ، فأحضره له ، وبعد أن حفرت الفئران النفق من بيت المال الى دار الحطاب ، اخذ الفأر يدهن لها ظهورها بالعسل ، وذهب كل فأر فى النفق الى بيت المال ، ولصق علي ظهره كيسا من المال واتى به الى دار الحطاب ، ولم تمض ساعات قليلة حتى كان اغلب ما فى بيت المال من أكياس مليئة بالنقود قد انتقل الى دار الحطاب ، فشكر الحطاب للفأر صنيعه ، وانصرف الفأر مع اخوانه الفئران .

واكتشف امين بيت المال السرقة فأبلغ الملك ، فغضب الملك وقال، « كيف تجرأ اللصوص وسرقوا قصرى ؟ » ، وأصدر الملك أوامره المشددة بالبحث عن اللصوص ، ووعد بمكافأة كبيرة لمن يرشده اليهم



وصرخ الفأر صرخة غريبة، وفجأة امتلأت دار الحطاب بالفيران، ووقف الفأر بينهم خطيبا وقال لهم « اخوتي ان هذا الحطاب صنع معي معروفا وانني لأدين بحياتي له، فقد انقذني من الموت، ولابد أن أرد له الجميل

ويكشف سرهم ، فذهب رجال الملك الى كل مكان يبحثون وينقبون ويتجسسون ويستقصون .

فخاف الحطاب لان اموال الملك كانت عملات ذهبية ، والحطاب رجل فقير ولا يستطيع أن يحمل الذهب ويذهب به الى الاسواق ، فربما شك بعض الناس فيه وابلغوا الامر للملك ، لذلك فرح فرحا شديدا حين قابل ذلك الرجل الذى أنقذه من البئر فى يوم من الايام ، وحكى له ما حدث ، ورجاه أن يحفظ السر ، وأعطاه بعض الاكياس وطلب منه أن يساعده ويشترى له بعض الاشياء ، فطمع الرجل فى المكافأة الكبيرة التى أعان عنها الملك وذهب الى القصر ووشى بالحطاب .

وسرعان ما أحضروه للملك ، فلما مثل أمامه قبل الارض بين يديه ، واغلظ الملك له القول وصاح غاضبا ، « كيف تجرؤ أيها الرجل على سرقة أموال بيت المال من قصرى » ، فأجابه الحطاب « والله يا مولاى اننى لم أسرق شيئا طوال حياتي ، فأنا رجل شريف اعمل وأتعب كثيرا لاكسب قوت عيالى » ، وثار الملك وقال له ، « انك تكذب ، فقد وشى هذا الرجل بك » ، واشار الى الرجل الذى أنقذه الحطاب فى يوم من الايام . وقال ، « انك قد أعطيته بعض اكياس المال المليئة بالعملات الذهبية ليبيعها وهى مسروقة من عندى » ، فأجاب الحطاب ،« أقطع رقبتى يا مولاى ان كذبت عليك ، أو ثبت اننى سرقت شيئا من قصرك » ، فصاح الملك ، « اذا كيف حصلت على الاكياس والاموال » ، فرد الحطاب ، « الصدق أقوله لك يامولاى، فقد أنقذت يوما فأرا من الموت وأعطانى زغيبات من شعره وسألنى أن أحرقها ان ضاق بى الحال ، ولما قاسيت من الفقر أنا وعيالى حرقتها » ، وحكى الحطاب للملك عن حضور الفأر واخواته وعن حفر النفق ولصق الاكياس فوق ظهور الفيران ، فاندهش الملك ولكى يتحقق من صدق ما قاله الحطاب ، أحضروا بعضا من الشجيرات والاعشاب الطرية الخضراء ، وحرقوها فى بيت المال ، فامتلات بالدخان وسرى الدخان فى النفق المحفور حتى خرج من بيت الحطاب، فعرف الملك وتأكد أن الحطاب روى الصدق ، لكن الملك قال ، « على اية حال ،« انا لا اريد أن يسرق بيت المال فى قصرى » وأمر أن يسجن الحطاب بدلا من قتله .

وفى السجن أخذ الحطاب يفكر فى أولاده السبعة ، ماذا يفعلون، من اين يأتون بالطعام ؟ ولم تمض ثلاثة أيام حتى كاد الحطاب أن يجن ، وتذكر الافعى فان الخطر لجسيم ، وأكثر من الموت ، فأولاده لا يجدون القوت ، فأخرج تشور الافعى وأحرقها فجاءت اليه وقالت له، « الم أحذرك من ابن آدم وقلت لك آن سمه أكثر من سمى ، وانه سيؤذيك فلا تخرجه ، لكننى حضرت الان لارد لك الجميل والمعروف وانقذك » ، فهتف الحطاب فى يأس ، « وكيف ستنقذيننى ؟ » ، فقالت الافعى ، « ان للملك بنتا أعز لديه من عينيه ، وسأذهب والتف على بطنها وصدرها وعنقها ومن يقترب مني سأقتله الا انت ، وعليك أن تقول لحارسك انك من أولئك الذين يعرفون كيف يتفاهمون مع الافاعى ، وانك لقادر على انقاذ الاميرة ، وعندما يحضرونك للملك قل له أننى من الملكات ولن أترك الاميرة الا اذا ذبحوا رجلا خائنا ينكر المعروف ولا يحفظ السر ، واطلب ان يذبحوا الرجل الذى وشى بك للملك وسيأتون به ويذبحونه ، عندئذ سأترك الاميرة وتأخذ انت من الملك ما شئت من الأموال فتغنيك طول حياتك » ، فشكرها الحطاب .

وذهبت الافعى فى الليل الى غرفة الاميرة ، وكانت نائمة ، والتفت على بطنها وصدرها وعنقها ، فرأتها جاريتها ، فذهلت لما رأت ، وهرعت مسرعة الي الملك وايقظته واخبرته بما حدث ، وجاء الملك والملكة والعبيد والجوارى والحراس ، وما أن اقترب أحد الحراس قليلا من السرير حتى نفخت الافعى فيه فوقع ميتا فى الحال ، فخافوا جميعا من الاقتراب من الاميرة الاسيرة التى تلتف حولها الافعى ولا تقتلها !

وعم القصر حزن شديد ، واعلن الملك انه يعطي من ينقذ الاميرة من الافعى ما يشاء ويطلب ، فجاء بعض الرجال الذين بينهم وبين الافاعى عهود ومواثيق ، وما أن اقترب أولهم من الاميرة حتى نفخت فيه الافعى فوقع ميتا ، وانصرف الباقون .

ونادى الحطاب حارسه وقال له ، « اذهب الى الملك واخبره أننى قادر على انقاذ الاميرة من الافعى ، فذهب الحارس وأخبر الملك، فأمر أن يحضر اليه الحطاب فى الحال ، فلما مثل أمامه قبل الارض

بين يديه وسأله الملك فى لهفة ، « هل تستطيع أن تنقذ ابنتي ، اننى اهبك حريتك واعطي لك ما تشـــاء وترغب » ، فطلب الحطاب أن يرى الاميرة والافعـــى .

فأخذوه الى غرفتها ، ووقفوا جميعا ، الملك والملكة والحاشيــة والحراس بالباب ، لا يجرؤون على الدخول ، لكن الحطاب دخـــل الغرفة واقترب من الافعى دون ان تنفخ فيه أو تؤذيه ، ومســح الحطاب بيده على جسد آلافعى ، فلم يكن يخافها او يخشاها ، ومكث مع الافعى بعض الوقت ثم خرج الى الملك وقال له ، « أن هذه الافعى ملكة من الملكات وهى تريد أن يذبح رجل حتى تترك الاميره ، وترغب فى دماء رجل خائن ناكر لجميل ، لا يحفظ السر ، وهى تطلب أن تذبح الرجل الذى وشى بى اليك يامولاى » .

ولما كان الملك قد راى ان كل من يقترب من الافعى تنفخ فيــه فيموت ، وراى الحطاب يقترب منها فلا تؤذيه وتساله ، بل ان الحطاب تكلم مع الافعى وربت ومسح بيده على جسدها ، فقد أمر فى الحال أن يحضروا الرجل ، وما أن أتوا به حتى ذبحوه بأمر الملك أمام الحطاب والافعـــى ، وفـــى الحال تركت آلافعى الاميرة وانسابت تتلـــوى وتمشى على الارض وانصرفت .

وكافأ الملك الحطاب واطلق سراحه واعطاه من الاموال الشئ الكثير حتى صار غنيا هو واولاده واولاد أولاده من بعده .

حكاية بلارج

كانت الشابة تنزل من الجبل كل يوم وتجلس فوق حجر ، تشرف على الطريق الذى يمر أمامها محيطا بسفح الجبل ، ومخترقا السهول ، وتظل فى مكانها ترقب الناس وتتفرج عليهم ، وتسخر منهم ، فهذا أعرج يتلوى وينحنى فى كل خطوة يخطوها ، فتضحك الفتاة وتشير اليه وتقلده وتقهقه ، ثم ها هى امرأة عجوز تدب على الطريق بعصاها ، وتسير على مهل ، فتسخر منها الفتاة وتميل برأسها مقلدة العجوز وهى تمشى ، ثم هذا صعلوك مقطع الثياب ، وهذا رجل غليظ بدين ، بنقل رجله فى صعوبة ليخطو خطوة واحدة ، وتسبقه بطنه الضخمة المنتفخة كبطن الثور ، فكانت تقلده وتضحك ، وتضحك ، وتسخر من كل الناس ، ودائما تذمهم وتهزأ بهم .

وتذكرت نفسها فجأة ، الا يضحك الناس عليها ، ويسخرون منها، انها حامل وعلى وشك الوضع ، انها حامل وليس لها رجل ، ترى ماذا يقول الناس عنها ، لاشك الكثير ، فهل تضحك هى على نفسها ، أم على الناس ؟ .

وولدت ، لكنها وضعت طائرا ، وضعت بلارج (1) طويلة المنقار طويلة الساقين ، أيكون الله القدير قد أعطاها هذه المصيبة لانها تنقد وتسخر وتهزأ من بنى آدم ، على أية حال لقد ولدت بلارج وعرف الناس الامر واعتادوا عليه وسموها أم بلارج .

وكبرت بلارج وأصبحت (بجعة) بيضاء جميلة ، وكانت تذهب

(1) ــ بلارج : اللقلاق

فى الصباح الى حديقة السلطان ، وحين تطير الى الحديقة تمر بالحارس فتهتف بصوت انساني،« مولاى ربى جلت قدرتك، لتعمه ولتشل حركته»، وفى الحال يعمى الحارس ويصيبه الشلل ، فلا يقدر على الحركة ، ويصير اقرب الى الموت ، عندئذ تخلع بلارج ريشهـا الابيض وتصبح فتاة حسناء غاية فى الفتنة والجمال ، فتقطف أوراق الحنة ، وتدقهـا وتسحقها وتستحم فى عين ماء هناك ، ثم تصبغ أصابعها وقدميها بالحناء الذهبية وبعد ذلك تجمع بعض الفاكهة وشيئا من الخضر ، وتأخذها معها وتلبس ريشها ، وتهتف بالحارس فى صوت انساني ، « مولاى ربى جلت قدرتك ، لترد له بصره وتشفى جسده »، فترجع للحارس حيويته وقواه ، ويعود اليه بصره ، لكنه يجد الفاكهة قد نقصت ، وبعضا من الخضر قد أخذ ، وأوراقا من الحناء قد سرقت .

ومضت الايام ، وفى كل صباح كانت بلارج تذهب الى الحديقة وتخلع ريشها وتستحم وتصبغ بالحناء أصابعها ، وتأخذ الفاكهة والخضر وتعمى وتشل الحارس ، ثم تشفيه بدعائها وتنصرف .

وفى يوم كان الامير ابن السلطان يتنزه فى الحديقة ، فلاحـظ أن الفاكهة قد نقصت والخضر أصبحت قليلة والحناء تكاد تكون غير موجودة، فنادى الحارس وأنبه واتهمه بالسرقة ، فقال له الحارس « والله يـا مولاى تحضر كل يوم فى الصباح بلارج ، وأنت تعرفها ، فان أمها ليس لديها غيرها ، وأنها المراة الوحيدة التى ولدت طائرا فى بلدنا ، وحين ارى بلارج ، أسمع صوتا انسانيا يصدر منها ويقول ، مولاى ربى جلت قدرتك لتعمه ولتشل حركته ، وفى الحال يصيبنى العمي والشلل فلا ارى ولا احس شيئا ، ثم أسمع مجأة نفس الصوت يقول مولاى ربى جلت قدرتك ، فلترد له بصره وتشفي جسده ، فأفيق واعود مبصرا أحس وأدرك كل شيء ، فأجد أوراق الحناء قد قطفت وشيئا من الفاكهة قد جمع وبعضا من الخضر قد أخذ ، واننى لامين لم أسرق فى حياتى وصادق فيما أخبرتك به » .

فجاء الامير فى الصباح الباكر واختبأ خلف الاشجار ، وبعد برهة من الوقت اقبلت بلارج ، وهتفت بصوت انساني ، مولاى ربى جلت قدرتك ، فلتعمه ولتشل حركته »، فصار الحارس وكانه ميت ، فخلعت

بلارج ريشها وتحولت الى فتاة رائعة الحسن ، وما أن رآها الامير عارية ، ساحرة ، حتى وقع فى حبها ، وأخذت تقطف أوراق الحناء وتدقها ثم استحمت فى العين ، وعندما انتهت ، صبغت كفوفهـا وأصابعهـا وقدميها ، وجمعت بعض الفاكهة والخضر ، ولبست ريشهـا وردت قولها ، فأفاق الحارس وعاد حيا يبصر ويحس ، وانصرفت ، كـل ذلك والامير صامت وساكن فى مكانه ، فصدق الحـارس ، ووقـع فى حبهـا .

وأسرع الامير الى أمه ، وطلب منها أن تدعو كل نساء البلـدة ليصنعن له سجادا ، وجهز لهن الكثير من الطعام ، الكسكس والخراف ، والدجاج .... وأحضرت الام المغنيات والراقصات « الشيخات » ، وجاءت النساء وأخذن يصنعن السجاد ، وتناولن الطعام ، ولهون وتمتعن بالغناء والرقص فى ضيافة الملكة ،(ومن ضمن النساء اللائى حضرن ، ام بلارج)لكنها لم تحضر معها بلارج ، فذهب الامير اليها وسـألها ، « لماذا لم تجىء بلارج معك »، فأجابته ، « ان بلارج لا تضر ولا تنفع، ولا تصنع السجاد وهى تجلس فى الشمس ولا شىء اكثر من ذلك » ، فقال الامير ، « فلتحضريها فى الغد وستجلس هنا فى الشمس كمـا ترغب » .

وفى اليوم التالى ملأ الامير غرفة فى القصر بالملابس الفخمـة ، قفاطين نسائية موشاة بالذهب ، وشتى أنواع اللباس المغربى الفخمة، كثير من البدعيات (1) والدفينات (2) ، ووضـع الكثير مـن الاقراط والعقود والاساور الذهبية والخواتم المرصعة بالاحجار الكريمة الجميلة، وحين جاءت بلارج مع أمها ، اخذها الامير وأدخلها الى الغرفة واقفل الباب .

وحين همت النساء بالانصراف افتقدت أم بلارج ابنتها ، لكنهـا ظنت أنها طارت وسبقتها الى الدار ، فانصرفت ، وأعد الامير فحمـا مشتعلا، وكانت بلارج قد وجدت نفسها بمفردها ، وحولها الكثير مـن اشكال اللباس المزخرف الجميل ، والكثير من الحلى المنوعة الساحرة ، فخلعت بلارج ريشها واخذت تجرب وتلبس القفاطين ، والملابس المنوعة،

(1) — لباس مثل القفطـان لكنه بدون اكمام
(2) — الدفينة رداء يلبس فوق القفطان وهو مفتوح من أمام



وخطف الأمير الريش ورماه في الفحم المشعل، وصاحت بلارج وهتفت، أعطنى ريشى ...

وتضع الاقراط والعقود والاساور، وفتح الأمير الباب فجأة وخطف الريش ورماه فى الفحم المشتعل ، وصاحت بلارج وهتفت ، « أعطنى ريشى ، أعطني الريش »، لكن الامير كان قد رماه فى الفحم المشتعل فاحترق عن آخره ، فأخذت بلارج تبكي وتولول ، لكن الامير أخبرها أنه سيتزوجها ، فهتفت به ،« وكيف تتزوجنى وأنت ابن السلطان ، ترى هل يوافق أبوك ؟ » ، لكنه قال لها ،« سأتزوجك مهما كان الامر »، ووقعت فى حبه ، لانها تذكرت أنه قد دعا كل النساء وسأل أمها أن تحضرها وملأ لها الغرفة بالملابس الفخمة والحلى الثمينة ، وجهز النار ، وأحرق ريشها ، وأنه لجميل وشاب ، وابن السلطان ، وقعت فى حبه ، فقالت له ، « اذا لم تتزوجنى فسيحدث لك من الضرر مالا تتصوره » .

وقدم الامير بلارج الى السلطان والى أمه فأعجب السلطان بجمالها الفتان ، ورضيت بها أمه عروسا له ، وأقيمت الافراح ودعوا أم بلارج ، وحين رأت العروس وهنأتها قال لها الامير ، « هذه بلارج ابنتك » ، فاندهشت ، وفرحت لان الفتاة كانت جميلة وطيبة ولا تسخر من الناس مثل أمها فى شبابها ، فعرفت أنها ستكون سعيدة وأنها لسعيدة ، فقد تزوجها الامير .

القــزم

حدث فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ، أن أحد الملــوك خرج مرة مع وزيره يتفقد أحوال الرعية ، وبينما كانا يسيران فى أحــد أزقة المدينة ، نظر الملك فرأى على بعد قليل منه قزما يتبعــه بعــض الاولاد ، يسخرون منه ويضحكون عليه ، لكن القزم لم يكن غاضبا ، بل كان يرد عليهم فى لطف ويضحك معهم ، فوقف الملك ليتمتع بالحــوار اللطيف الذى يتبادله القزم مع الاولاد ، ولم يستطع الملك أن يكتم ضحكاته، ويبدو أن الاولاد تمادوا فى سخريتهم، فنهاهم القزم فى حــزم وبــأدب ، فانصرفوا طائعين ، مما اظهر حبهم للقزم وقوة شخصيته فى نفس الوقت.

وكان القزم يحمل قفة كبيرة وقد غطيت بغطاء نظيف فلا يستطيع أحد أن يعرف ما يوجد فيها ، فاعجب الملك بالقزم وقال للوزير ، « مــا رايك ياوزيرى لو تبعناه لنعرف الي أين هو ذاهب وماذا يوجد فى القفة فيبدو انه شخصية غريبة وظريفة ؟ »، فأجاب الوزير ،« سمعا وطاعة يــا مولاى » .

وسار القزم فى طريقه يتبعه الملك والوزير حتى وصل الى أحــد البساتين ودخله ، لكن البستان كان مزدحما بالناس ، وسرعان ماغادره، وسار حتى وصل الى بستان آخر ودخله ، لكن يبدو أن البستان لــم يعجبه كذلك ، فقد غادره بسرعة،كل ذلك والملك والوزير يتبعانه .

وسار القــزم فى اتجاه قصر الملك حتى اقترب من أجمل بستان تابع للقصر ، ووقف تحت السور ، ونظر هنا وهناك وحتى اطمأن مــن عدم وجود الحــارس ، فاعتلى الســور بصعوبة ودخــل البستان ، فتعجب الملك وزادت دهشته وقال للوزير ، « غريب والله أمر هــذا



وصار القزم في اتجاه قصر الملك حتى اقترب من أجمل بستان تابع للقصر

القـزم » وأسرع الملك يتبعه الوزير ، ودخلا البستان فى هـدوء دون أن يشعر بهما القزم وجلسا خلف الشجيرات يراقبانه .

أما القـزم فقد أزال غطاء القفة ، وأخرج من القفة بساطا صغيرا فرشه على الارض ، وصرة مليئة بالفواكه الجافة اللذيذة الطعـم ، وأخرج عودا جميلا ، وجلس يأكل من الفاكهة ، ثم أخذ يضبط أوتار العود بيـد خبيرة مدربـة .

ولم تمض لحظات حتى بدأ يعزف ، ثم ارتفع صوته بالغناء ، وكان صوته جميلا وشجيا وعزفه يؤثر فى الانسان وياخذه معه الى عالـم الالحان والانغـام الساحـرة .

ومضى القزم يعزف ويغنى ساعة من الزمان ، حتى كاد الملك أن يصرخ اعجابا وتقديرا ، ثم انتهى أنقزم من غنائه ، فقال الملك للوزير، « سأرجع الى القصر وعليك أن تتبع القزم وتعرف عنـه كل شـىء ، وتجىء الى وتخبرنى بما عرفت » .

ورجع الملك الى قصره ، أما القزم فحين انتهى من غنائه وقـف بهدوء وجمع ما تبقى من الفاكهة ، ووضعه فى الصرة وربطها ، ثم طوى البساط الصغير ووضع العود وكل الاشياء فى القفة وغطاها وحملها ، وسار على مهل وهو يغنى بصوت خفيض بعض الالحان التى غناها من قبـل ، وسار والوزير فى اثره .

سار القزم فى اتجاه المدينة ، ثم ذهب الى سوق الحدادين وهناك وقف أمام احد الحوانيت ، وأخرج مفتاحا كبيرا فتح به باب الحانـوت ودخل وهو يحمل قفته ، فسأل الوزير بعض الجيران وعرف عنه كـل شىء .

وحين رجع الملك الى قصره أخذ يفكر فيما رأى وسمع ، فقد كان غناء القزم جميلا ولم يطرب الملك من قبل كما حدث ذلك اليوم ، وعندما رأى الملك رئيس فرقة القصر المكونة من عدد كبير من العازفين والمطربين هتف به قائلا ، « لا ، لا ، لا، هناك من هو أفضل منكم جميعا ، لقـد سمعت اليوم قزما يعزف ويغنى أحسن من أى واحد فيكم » ، فقـال الرئيس ، « وهل يمكن يامولاى أن لا نصدقك وقد وهبك الله رهافـة الحس وموهبة التذوق ، لكن الله خلق المواهب درجات ، ونريـد ان

تحضره الينا لنتعلم منه ، وان شاء الله نمتعك بما اعجبت به واحسـن منـه » .

وجاء الوزير فسأله الملك فى لهفة عن أخبار القزم ، فأجاب الوزير بأن القزم يعمل مساعدا لاحد الحدادين ، لكنه كما يقول الجيران يجيد العزف على العود وقد وهبه الله صوتا جميلا ، لكنـه لا يرضى أن يغـير مهنتـه .

فأمر الملك الوزير أن يأخذ معه بعـض الاعوان ، وعليهـم أن يحضروا القزم دون أن يشعر واوصى الملك الوزير بما يفعل ، وانصرف الوزيـر .

ذلك ان الملك قد أعجب بخفة روح القزم وفكاهاته المرحة التـى تبادلها مع الاولاد عندما كانوا يعاكسونه فى لطف ومحبة ، وأراد الملك ان يروح عن نفسه ويستمتع مرة أخرى بفكاهات القزم ومرحه ولطفه، فأمر الملك الوزير أن يخدر القزم (ينجه) بأن يرش المخدر على وجهه وان يحضره غائبا عن الوعى .

وأمر الملك الحراس والحاشية أن تختفى وراء ستائر ، وبين لهم الملـك بأنه سيدّعى بأنه الوزير ، وسيوهم القزم بما سيبديه له مـن الوان الاحترام والتبجيل بأنه هو الملك ، واوصى كل منهم بما يفعل ، واختفى العازفون والمغنيون وراء الستار ليسمعوا ويروا كل شىء .

وذهب الوزير وبعض الاعوان الى سوق الحدادين وكان القزم قد نام واقفل عليه الحانوت ففتح الاعوان الحانوت ، ووجدوا القزم نائما ، فرشوا (البنج) المخدر على وجهه ، فتخدر القزم ، فحملوه واسرعوا بـه الـى القصـر .

وما ان وصل الوزير الى القصر حتى امر أن يدخل القزم الحمام، وغسلوه وزينوه ، والبسوه كسوة ملكية ، وادخلوه الى الديوان وأجلسوه على العرش ، ثم أمر الملك الوزير أن يفيقه ، فرش الوزير على وجه القزم عقارا مضادا للتخدير ، فعطس القزم ثلاث عطسات ، فأفاق ووجد نفسه معطرا لابسا كسوة ملكية وجالسا فوق العرش فى الديـوان والحاشية حوله ، فضحك القزم وقال ، « ما هذه الاحلام الجميلة ؟»، وأخذ يفتح ويغمض عينيه ويحكهما ، ثم اخذ يضرب نفسه ، والحاشية

والملك ينحنون له ويقولون عبارات لا تقال الا للملوك ، وقال له الملك الذى ادعى انه الوزيـــر ، « لقـــد نهت قليلا يا مولانا » ، فصـــرخ القزم ، « مولانا من هو ملككم ؟ » ، وضحـــك وقال ، « هـــذا مـــن عمل الجن »، واخذ يتفرس ويفحص نفسه فوجد ملابسه فخمة ، وجسده نظيفا ، فصرخ ،« هل انتم انس أم جن ؟ »، فضحك الملك — الوزير — وسأله ،« وكيف تعرف الانس من الجن ؟»، فرد القزم ،« بسهولة، أحضروا كمية من الملح » ، فأحضروا الملح وأعطى القزم كـــلا منهـــم شيئا من الملح وأمره أن يأكله ،فأكلوا الملح ، فصرخ القزم ، « اذن انتم بشر باللمصيبـــة »، وضحكوا جميعا .

وكما رتب الملك الامور ، دخل أحد أفراد الحاشية يحمل صندوقا وقال ، « هذه قبيلة كذا تقدم هديتها لمولاى » ، وقدم الصندوق ، ففتحه القزم ووجده مليئا بالمجوهرات الكريمة ، ودخل آخرون وقدموا بعض الهدايا ، ثم دخل أصحاب الشكايات ، فأصدر الملك الوزير احكامـــا بسرعة ، ثم اعطى اشارة ، فانصرف الجميع ولم يبق سواه مع القزم ، وقال له ،« يكفي هذا اليوم يا مولاى تصبح على خير » ، وانصرف .

وبقي القزم وحيدا ، وظل جالسا في مكانه مشدوها ومذهولا ، وبدأ يشعر بالخوف وأخذ يفكر ، ما هذه الاشياء الغريبة ؟ ، هذه امـــور لا يصدقها العقل ، ترى ماذا عليه أن يفعل ، لكنه سمع صوتا ودخلت امرأة جميلة فاندهش واضطرب ، لكنها قالت له بصوت حنون لطيف ، « لاتخف » ، فسألها ، « من أنت ؟» ، فضحكت كثيرا ثم أجابت ،« انا زوجتك يامولاى»، فلم يستطع أن يكتم ضحكاته وهتف ،« أنت زوجتى ؟»، وكان الملك والوزير والحاشية والعازفون مختبئين خلف الستائر يشاهدون ويسمعون كل شيء .

وادعت المرأة الغضب وقالت ، « أتنكرني يا مولاى الا تعـــرف زوجتك ؟ » ، ثم أخذته من يده وسارت به الى غرفة وازالت بعض الستائر فظهر فراش فخم ، وسألها ، «ماذا تريديـــن ؟ » ، فأجابـــت مندهشـــة ، « لقـــد آن ميعاد النوم » ، فانفجر ضاحكا وسألهـــا ، « وهل ستنامين معي ؟»، فأجابته ،« بالطبع ، لكنك وعدتنى البارحة أن تغنى لى اليـــوم ، ولن أنام معك قبل أن أسمع غناءك » ، فهتـــف القـــزم « هذا أمر سهل ، أين هو العود ؟ » فصفقت ، فجاءت جارية

جميلة ، فسألتها أن تحضر العود ، وبسرعة أحضرت الجارية عـــودا ممتازا ، فأمسك القزم بالعود ، وضبط أوتاره ثم عزف أنغاما جميلة ، وغنى غناء شجيا ، واستمع المختبئون كلهم الملك والوزير والاخــرون اليه ، وما أن انتهى من غنائه حتى هم بالمراة ، فأبدت دهشتها ، وسألته عن سر تسرعه ، ونادت الجارية وأمرتها أن تحضر الطعام ، وكانت مائدة حافلة بما لذ وطاب من طعام وشراب ، فأكل القزم حتى شبع ، وكانت المرأة تأكل أصنافا وتترك أصنافا ، لانهم وضعوا للقزم مخدرا فى الطعام ، وسرعان ما تخدر ، فحملوه ، وخلعوا عنه ملابسه ، والبسوه ملابسه القديمة ، وأسرعوا به الى سوق الحدادين وادخلوه الحانوت واقفلوا الباب وانصرفوا ـ

وظل القزم نائما ، ولم يستيقظ فى الصباح الباكر كعادته ، لذلك حين جاء الحداد صاحب الحانوت ، دهش كثيرا عندما راى كل الحوانيت مفتوحة ماعدا حانوته ، فطرق الباب وبعد مدة طويلة فتح له القزم وهو ما زال يغمض العينين وآثار النوم فى وجهه ، وكان الحداد يحمـــل عصا ، فانهال بها ضربا على القزم وهو يصيح ، « أكلت الافيون يا ابن الحرام وشربت الخمر ، يا فاسق » ، ومضى يضربه والقزم يصـــرخ ويقول ، « كنت ملكا بالامس ، لا تضربني » ، ومضى يحكى قصتـــه والحداد يكاد ينفجر من الغيظ وقال القزم ، « لقد أكلت طاجنا ما الذ مذاقه ، وهاهى رائحة الطعام مازالت فى يدى »، فقال له الحداد ،« لقد حلمت يابنى ولعب بك الجن ، فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيـم ، واشعل النار حتى نبدأ العمل »، وبدأ القزم يشعل النار لكنه لم يكف طـــوال اليوم عن الكلام ، وكان يحكى تفاصيل ما حدث له ، حتى نصحه الحداد بأن يذهب الى أحد الفقهاء ليبعد عنه الجن ويشفيه مما جرى لـــــه .

وقد أعجب غناء القزم وعزفه الحاشية ، فالتمس العازفـــــون والمغنون من الملك أن يحضر لهم القزم مرة ثانية ليتعلمون منه ويقلدونه فى عزفه وغنائـــه .

فأمر الملك الوزير أن يحضر القزم ، وعندما ذهبوا اليه ليحضروه وجدوه مستيقظا لان القزم لم تكن له رغبة فى النوم فى هذه الليلة خوفا من تلك الاحلام الغريبة ، وعندما دخل الاعوان الى الحانوت ، صاح

فرحا ، « اذن انتم الذين تلعبون بي تسخرون منى » ، وقبل أن يصرخ طالبا النجدة أمر الوزير الاعوان أن يخدروه ، فرشوا المخدر على وجهه وحملوه الى القصر ، وادخلوه الحمام ، ثم البسوه كسوة ملكية ، واجلسوه على العرش ، ووقف الملك فى لباس الوزير ، وبعض الحاشية واختبأ الباقون ، ورشوا وجهه بالعقار المضاد للمخدر فعطس ثلاث مرات وأفاق .

وبدأوا ينحنون له ويبدون له الطاعة،لكنه هتف وقال ، « اسمعوا لعن الله النفاق ، الان تقولون اننى ملك ، وفى الصباح يضربنى الحداد، اسمع ياهذا من انت ؟» فأجاب الملك «أنا الوزير»، فسأله ، «وأنا ؟»، فأجابه ، « انت مولانا الملك » ، فهتف ، « اذن أريد أن تحضر لى الحداد فلان الان » .

فامر الملك بعض الاعوان ، أن يسرعوا ويحضروا الحداد مخدرا بسرعة واجاب الوزير، «لن تمضى ساعة حتى يكون الحداد هنا » .

ومضى القزم يسخر من الحاضرين ، وقال لهم ، « أنا لا يهمنى ان كنتم انسا أم جنا ، لكننى أريد أن أتأكد » ، وأمرهم أن يحضروا الملح مرة ثانية ، فأحضروه ، فأمر كل واحد منهم ان ياكل كمية من الملح ، ففعلوا ، فهتف القزم ، « بشر هذا غير معقول » .

وادخلوا الحداد مخدرا الى القصر ، واحضروه أمام القزم ، ورشوا على وجهه العقار المضاد للبنج ، وما ان رأى الحداد القزم فى ملابس الملك وحوله الحاشية حتى صرخ مندهشا ، فنظر اليه القزم مذهولا وصاح ، « لا، لا، لا، هذا غير معقول غير معقول » ، وسأله « هل أنا ملك أم لا » ، فأجاب الحداد ، « نعم أنت ملك يامولاى » ، فاقترب منه القزم وانبه قائلا ، « ولماذا ضربتنى بالعصا فى الصباح ، هه ، سأنتقم منك ، أضربوه خمسمائة ضربه بالعصا » ، ودون أن يشعر القزم أصدر الملك أوامره بأن توضع مخدة تحت ملابس الحداد حتى لا يتألم .

ونفذ الامر ، وأخذ القزم يفكر ثم قال ، « وما الفائدة من ضرب الحداد » ، وسأل الوزير أن يعطيه خمسمائة دينار ، فأحضرها له الوزير ، فقال القزم للحداد ، « اسمع هذه خمسمائة دينار خذ منها

مائتين واعط القزم ثلاثمائة دينار ، عليك ان تفعل هذا في صباح الغد وانصرف الان بسلام » . فأخذ الاعوان الحداد وخدروه وحملوه الى داره.

اما القزم فقد بقي في القصر ، وجاءت الهدايا مرة اخرى، ثم انصرف الموجودون واستأذن الوزير من القزم ، وانصرف ، وبقي القزم وحيدا، ودخلت اليه امراة أجمل من السابقة وانحنت وقبلت الارض بين يديه ، نسألها ،« من انت ؟ »، فضحكت وأجابت ،« زوجتك ألا تعرفني ؟ »، نهتف القزم ،« ومن تكون المرأة الاخرى التي رايتها بالامس ؟»، فأجابته، «ان لديك زوجات كثيرات يا مولاى » ، فصاح القزم وهتف بها ، «هيا بنا ، هيا بنا »، وأخذها من يدها اتجاه الغرفة ، فتبعته لكنها قالت ، « الن نتناول العشاء ؟ »، فأجاب ،« من بعد ، من بعد »، لكنها قالت في اصرار ، « لا . . لابد أن أسمع غناءك فلست أقل من الزوجة الاخرى جمالا ولابد أن نشرب سويا ولو كأسا واحدة »، فهتف ،« أين العود؟ »، واحضرت جارية العود للقزم ، فعزف وغنى أنغاما والحانا أجمل مما سمعوه في الليلة البارحة ، وما أن انتهى من غنائه حتى ناولته المرأة كاسا وشرب قليلا ، فغاب عن وعيه ، فحملوه ، وخلعوا عنه ملابسه، واخذوه الى حانوت الحداد ، وتركوه وانصرفوا .

وفي الصباح أفاق الحداد مصدع الرأس وظن ما جرى له حلما ، لكنه وجد بجانبه المال ، الخمسمائة دينار ، فصرخ وجاءت زوجته فزعة تحكى لها ما حدث ، وظنت الزوجة أن للجن دخلا في الامر ، لكن الحداد أمسك بالدنانير الذهبية ، وقال لها ، « الجن لا يمكنها أن تفعل هذا » ، وكان الحداد طماعا ،، وكما يقال « الطمع طاعون » ، فقد قرر أن يخفي أمر الدنانير عن القزم ، وكان عليه أن يعطيه ثلاثمائة دينار .

وتوجه الحداد الى الحانوت ووجده مغلقا ، فأخذ يطرق بباب الحانوت حتى ايقظ القزم ، وما أن فتح القزم الباب حتى انهال عليه الحداد ضربا بالعصا فصرخ القزم ، « حرام عليك لقد أعطيتك مائتى دينار »، فرد الحداد متجاهلا ،« ها أنت قد عدت مرة ثانية للافيون »، وكاد القزم أن يجن ، وقال للحداد ، « لقد أمرت بضربك خمسمائة ضربة بالعصا حتى لا تضربني » ، فانهال الحداد عليه بالضرب وسبه، واخيرا قال له القزم ، وأين الثلاثمائة دينار التي أعطيتها لك لتعطيها

لي فى الصباح ؟ » فقال الحداد ، « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، يبدو أن الجن قد لعبوا بك مرة اخرى » ، وصاح القزم ، « حرام عليك ،لا تخجل لماذا تسرق الدنانير الذهبية ؟»، لكن عصا الحداد كان لها القــول الفصل ، وانتهت المناقشــة وأشعــل القزم النار وبدأ يعمــل.

وكان الملك قد زاد أعجابه وتقديره للقزم ، فأمر الوزير أن يذهب ويحضر القزم بسرعة وفرح المغنون والعازفون وانتظروا جميعا وصول القــزم .

وجاءوا بالقزم وأدخلوه الحمام والبسوه الملابس الملكية وافاقوه ، وأبدوا له الوان الاحترام والتبجيل ، لكن القزم كان فى حالة متغيرة فقد قــال للوزيــر (الملك) « لا هذه الامور لم تعد تعجبنى ، انا ملك ، هه، ملك فى الليل فقط وفى الصباح ينهال على الحداد بالعصا ، هه ، هنا ، هنــا ، هنــا » ، وكشــف عن ذراعيــه وبدت آثار الضرب واضحة، واسترسل فى حديثه ، « لا.. لا .. لا ، أنا لا اريد أن يضربنى الحداد احضروه الى بسرعة » ، وأصدر الملك الامر باحضار الحداد ، وذهبوا ليحضروه ، ونادى القزم الوزير (الملك) وسأله ، ألم أعط الحداد خمسمائة دينار بالامس ؟ » فأجاب الوزير ، « نعم يامولاى » فرد القزم « لكــن الحداد انكر فى الصباح ، وضربنى ضربا مبرحا » ، فضحك الوزير وقال «يبدو يامولاى أنك حلمت حلما مزعجا »، فهتف به القزم ،« انا الان احلم، وانت تقول لي اننى حلمت ، فكأننى احلم انني فى حلم هاهاها ما هذا ؟»، فقال الوزير ،«عفوا يا مولاى» فصاح القزم ،«انا ملك وانت تخدعنى»، فرد الوزير ، « حاش الله يامولاى » ، فسكت القزم .

ووصل الحداد الى القصر ، فأفاقوه وأدخلوه الديوان ، وحين راى القزم جالسا على العرش صرخ فقال له القزم ، « هه تعال يا لص الـم اعطك بالامس خمسمائة دينار، وقلت لك خذ مائتتين واعط القزم ثلاثمائة»، فتوســل الحداد اليه قائــلا ، « اعــف عنى يا مولاى لقــد طمعــت والطمع طاعون ، سامحنى »، فسخر منه القزم قائلا ، « وما الفائدة ، اسامحك الان وستضربنى فى الصباح، هل تعرف أن ضرب العصا مؤلما»، فرد الحداد ، « سامحنى لن اضربك ما حييت »، فقال له القزم ،« ان ضرب العصا مؤلم ، ولذلك امرت بالامس أن يضربوك خمسمائة ضربة بالعصا ، لكنك لم ترتدع وضربتنى مرة اخرى صباح اليوم .. انظر » ،

وكشف عن ساعديه ، فظهرت آثار ضرب العصا واضحة ، جروح وقروح زرقاء مختلطة ببقايا الدماء ، وكان المنظر مفزعا ، واسترسل القزم في حديثه باكيا ، « لذلك سآمر أن يقطعوا راسك في الحـال ، اقطعوا راسه »،فاخذ الحداد يتوسل اليه ان يعفو عنه أويكتفي بضربه أويسجنه، لكن القزم صمم على قراره ، وقال الوزير ، «سننفذ امرك يامولاى وامر الاعوان ان ياخذوا الحداد ويدعوا انهم قطعوا راسه ، وعليهم ان يقطعوا راس كبش ويغطوها بثوب ، وكأنهـا راس الحداد المقطوعه ، ولـم تمض دقائق حتى دخل الوزير يحمل صرة تقطر بالدماء ، وقال للقزم ، « هاهى راس الحداد يامولاى » .

فصرخ القزم ، واشاح بوجهه وردد في ألم ، « غير معقول ، غير معقول »، فرد الوزير مدعيا انه أحرج ، وقال ،« لقد نفذت امـرك يامولاى ولم أكن أظن أن هذا يضايقك » ، وأمر الوزير الموجوديـن ان ينصرفوا ، وترك القزم وحيدا بعد ان تمنى له ليلة هادئه .

وجاءت الى القزم امرأة أجمل من السابقتين ، لكن القزم لم يسألها اى سؤال أو يكلمها ، فاقتربت منه في رقة وقالت له ، « أن مزاجـك اليوم ..»، وقاطعها صائحا ،« مزاجي ، أنا مهموم ، أنا حزين ، كيف حدث هذا ، لقد قطعت رأس الحداد ، ما هذه الامور ؟» ، ولم تنجح المراة ابدا في تغيير حالته ، فذهبت الى الملك المختبيء خلف الستـارة ، فأمرها أن تحاول مرة أخرى ، لكن دون فائدة ، فلم يقبل القزم أن يغنى او ان يأكل أو يشرب ، ولم يرد حتى أن ينظر الى المراة أو يستجيـب لتوسلاتها ، فخرج الملك والوزير والحاشية والمغنون مـن مخابئهـم ، ففوجيء القزم وذهل وسأل ، « ما هذا ؟ » ، ووجد أن الحاشية لا تهتم به ، والموجودين يهملونه ، ورأى الكل ينحنون للوزير ويكلمونه على انه الملك ، فسأله القزم « من انت » فأجاب ، « أنا الملك » ، فضحـك القزم في مرارة ، « ومن انا اذن ؟ » فأجابه الوزير الحقيقي ، « أنت فلان صبى الحداد فلان وهذا مولانا الملك »، فتنهد القزم وقال ، اذن هذه هي الحقيقة ، فأنا لست ملكا »، فضحك الحاضرون ، لكن القزم انحنـى للملك وقبل الارض بين يديه ، وقال في جدية غريبة ، « يامولاى لمـاذا تنفذ أمرى وقطعت رأس الحداد ؟ » ، فضحك الملك وقال له ، «لا يابنى لم ينفذ أمرك احد ، وقد قطعنا رأس كبش ووضعنـاه في الصـرة ، ان الحداد ينام الان سليما في داره » ، فهتف القزم ، « لا تسخر منى وتضحك

على يامولاى » فرد الملك ،« انني أقول الصدق »، وحكى الوزير للقزم عن كل شيء ، لكن القزم أراد أن يذهب ليرى الحداد سليما بعينيه ، فقال لــه الملك ، « ستبقى هنا فى القصر وستكون مغنيا وعازفا فى فرقـــة القصر ، وفى الصباح سآمـــر أن يحضر الحداد لتراه وتطمئن » .

ولم تغمض للقزم جفن هذه الليلة ، بالرغم من أنه ينام فى القصر ولن يضربه أحد فى الصباح ، وحين احضروا الحداد ، فرح القزم واخذ يقبله، فقال له الحداد ، لكنك أمرت بقطع راسى »، فضحك القزم وقال،« وانت سرقت الدنانير وكنت تضربنى كل يوم ، بالله أوصيك أن لا تضرب من سيعمل عندك مكانى » ، وعاش القزم مغنيا وعازفا فى القصر ولم يعــد الحداد يضرب مساعده أبدا .

لاتكثر من الأصدقاء

يروى انه كان هناك تاجر غنى ، رزقه الله فى أواخر سنواته بولد ، وبذل الرجل كل جهوده لتربيته أحسن تربية .

وحين كبر الولد وصار شابا التف حوله عدد كبير من الاصدقاء ، ذلك انهم توقعوا أن يموت التاجر ويرث الشاب ثروته الطائلة ، وكان الاب ينصح ابنه دائما بأن يقلل من أصدقائه ويختار منهم الوفى المخلص ، وما اقل الاوفياء والمخلصين ، بل ما أندرهم ، لكن الشاب الذى أطربه الثناء والمديح ، وأسكره التملق والنفاق ، لم يكن يسمع لكلام ابيه ونصائحه ، بل فعل العكس ، وكان يظن أن كثرة الاصدقاء دليل حب الناس له ، وتكسبه مهابة وتجعله عظيما .

واحس التاجر الثرى باقتراب ملاك الموت منه ، فنادى ابنه وقال له ، « لقد نصحتك كثيرا فلم تسمع لكلامى ، ولن أكرر عليك القول ، بل كل ما أطلبه منك هو أن تدبر معى خطة ، ونجرى تجربة ، وعندئذ ستفهم ما أقصد اليه وما أريده لك من خير » .

ولم يسترسل الاب فى حديثه ، واحضر كبشا وذبحه ، واحضر ثوبا يستخدم ككفن للموتى ، ووضع حول الكبش بعض الحشيات ولف الكبش والحشيات بالكفن ، فكان الناظر اليه يظنه آنسانا ميتا مكفنا .

وسأل التاجر ابنه أن يدعى حين يجيء اليه اصدقاؤه بأن هناك ضيفا جاء لابيه وأنه مات فجأة ، وقد كفنه الاب وعليه أن يطلب من اصدقائه أن يساعدوه ليدفنه فى حديقة الدار ، وأن يسألهم الكتمان وعدم اخبار اى أحد بما حدث .



فذهب الحراس وحفروا وأخرجوا الجثة المزعومة ، وقبضوا على التاجر وابنه واصطحبوه الى السلطان والجثة المكفنة معهم.

وحين جاء الاصدقاء وتناولوا العشاء وقضوا سهرة ممتعة ، قال لهم الابن :« لقد جاء ضيف عند أبي ومات فجأة ، وقد كفناه ، وأرجوكم ان تساعدونى لندفنه فى الحديقة » ، وطلب منهم كتمان السر وعدم اذاعته .

فساعدوه ودفنوا الكبش المكفن ، لكن ما ان انصرفوا ، حتى قال واحد منهم ، « ماذا يظن هذا الشاب الابله ، ألانه قدم لنا العشاء يجبرنا أن ندفن معه القتيل » ، وقال آخر :« ان أباه هذا قاتل » ، وسرعان ما أبلغوا الامر للسلطان وبينوا الموضع الذى دفنت فيه الجثة .

فأرسل السلطان جنوده ، وأمرهم أن يحفروا الحديقة ويخرجوا الجثة ويحضروا التاجر وابنه اليه .

فذهب الحراس ، وحفروا واخرجوا الجثة المزعومة ، وقبضوا على التاجر وابنه واصطحبوهما الى السلطان والجثة المكفنة معهم .

وما ان مثل التاجر أمام السلطان حتى قبل الارض بين يديه ، وازال الكفن وظهر الكبش المذبوح ، فاندهش السلطان ، وحكى التاجر قصته ، فضحك السلطان وقال له :« انك لرجل حكيم » ، ونهر الشاب وأمره ان يستمع لنصائح أبيه وأن لا يكثر من الاصدقاء .

الفتاة والصندوق

كانت المرأة حاملا، وهي امرأة جميلة ، معجبة بنفسها ومغرورة ، تظن انه ليس فى الدنيا حسن يفوق حسنها او نتنة تضارع فتنتها .

وفى يوم بينما كانت نائمة مستلقية على ظهرها فوق سطح دارها ، بزغ القمر بنوره الفضى الاخاذ ، فسألته المرأة ، « هل أنا اجمل من المولودة التى فى بطنى أم هى أجمل ؟ » ، فرد القمــر ، «ان كانت اجمل منك اقتليها وان كنت أجمل منها ابقيها ».

ومضت الايام وولدت المرأة بنتا جميلة الى درجة لا تصدق ، ولا يمكن أن تقول انها أجمل منها ، فسألت المرأة الجميلة القمر ، « كيف يمكن أن اقتل ابنتي ؟ » ، فأجابها القمر ، « ابقيها حتى تتعلم الابتسام والضحك » ، ومرت سبعة شهور والطفلة لا تضحك ولا تبتسم ، لكنها ابتسمت وضحكت فى يوم من الايام ، وسألت الام القمــر ، « كيــف يمكنني أن أقتل ابنتى ؟ » ، فأجابها القمــر ، « اذن ابقيها حتى تتعلم المشي » ، ومضى عام وتعلمت الطفلة المشي ، فصعــدت الى سطــح الدار وقــالت للقمر ، « لقد تعلمت ابنتي المشى ، هل أقتلهــا ؟ » ، فاجابهــا ، « لا بل ابقيهــا حتى تتعلم كيف تتكلم » ، فلم تقتلهــا ، وتعلمت البنت الكلام بعد ثلاثة سنوات ، فســألت الام القمر ، هــل تقتل ابنتها ، وأجابها القمر ،« لا ، أبقيها حتى تتعلم القراءة والكتابة »، ومضت سبع سنوات استطاعت خلالها الطفلة أن تتعلم القراءة والكتابة، عندئذ سألت الام القمــر ، « هل أقتل ابنتى ؟ » فأجابها ، « لا ، ابقيها حتى تتعلم كيف توقد النار وتطهو الطعام » ، فلم تقتلها وأبقتها .

ومرت ثلاث سنوات وأصبحت البنت قادرة على اشعــال النــار

وطهى كل أصناف الطعام من لحوم وطيور وخضر ، وصعدت المرأة الى سطح الدار وسألت القمــر هل آن الاوان وحان الميعاد لتقتل ابنتها ، فأجابها القمــر ، « بل أبقيها حتى تتقن التطريز وتعرف كيف تصنع الملابس » ، ومضى عام وتعلمت الفتاة أن تصنع الملابس واتقنــت انتطريز ، فســألت الام القمــر ، « هل أقتلهــا الان ؟ » ، فأجابها ، « لا ، أبقيها حتى تكتمل أنوثتها وتتحول الى امرأة صالحة تتحمل و الزواج » .

ولم تمض شهور حتى كانت الفتاة شابة ناضجة ، أجمل من امها وصالحة للزواج وكانت تفوق أمها لا بجمالها فحسب بــل بحلاوة صوتها المغرد كذلك .

وغارت الام من ابنتها وحقدت عليها بسبب حسنهــا وفتنتهــا وصوتها الجميل ، وصعدت الى سطح الدار ، وسألــت القمــر ، « هل أقتلها الان ؟ » ، فأجابها القمــر ، « أقتليها وإن لم تقتليهــا ستقتلك » .

فاصطحبت المرأة ابنتها الى الغــابة ، وســارت الى مكــان بعيد تتشابك حوله الاشجار وتضيق الممرات ويحتاج الدخول اليه والخروج منه الى معرفة جيدة بمسالك الغــابة ودروبهــا ، وكــان المكان خطرا ، فعلى قرب منه تزأر الاسود ، ويخشى حتــى الصيادون الاقتراب من هذا المكــان ، وهربت الام وتركـت ابنتهــا وحيدة ، لكن الفتاة الجميلة استطاعت بذكائها وتتبعها لاثار أقــدام امها ، وتذكرها لبعض المعالم ، استطاعت أن تنجو وترجع الى الدار ، نذهلت الام حين رأتها وادعت أنها ضلت الطريق وافتقدتها .

وفى اليوم التالى صحبتها معها الى الغابة لتحتطبا ، وظلتــا تكسران الاغصان والفروع ، وتجمعان الحطب حتى غابت الشمس ، فحملت الام ابنتها حطبا كثيرا وربطته بها ثم زادت عليه وربطــت الحطب كله ربطا متينا مع جسد الفتاة ، فاعترضت الابنة لكــن الام نهرتها وزادتها حطبا وربطته بها ، أما الام فقد حملت شيــئا بسيطا من الحطب ، ومشت وتركت ابنتها وراءها لا تستطيع الحركة الا بصعوبة ، فصرخت البنــت ونادت الام كى ترجع وتحل وثاقهــا ، لكن دون فائدة ، وظلت تصيح وتصيح ، لكن الام مشت بعيــدا ،

ولم تلتفت وراءها ، وخافت الفتاة ، فقد أقبل الليل ، وما أخطر الغابة في الليل .

وكانت الفتاة صحيحة البدن قوية ،فأمكنها بعد جهود كبيرة أن تخلص نفسها من حملها المربوط بها بعد أن تسلخت ذراعاها وساقاها واصابتها جروح كثيرة ، وهرعت الى الدار فلم تصدق أمها عينيها ، وأدعت انها كانت تظن أن الابنة تسير وراءها ، وعندما قالت لها الابنة ، « لقد صرخت وصحت وناديتك يا أماه » ، أجابتها ، « لم أسمعك » .

وفي اليوم التالي جهزت الام خبزا عجنته بالملح ، وماء وضعت فيه ملحا كثيرا وأيقظت ابنتها في الصباح الباكر وقالت لها ، « ان البنات صديقاتك ، ينتظرنك في الغابة لتجمعن الحطب سويا » ، ووصفت لها المكان بطريقة خاطئة حتي تضل الطريق ، وهذا ما حدث ، وبالطبع لم تكن هناك صديقات ينتظرنها ، وجاءت البنت ، فأكلت من الخبز المملح ، فعطشت ، فشربت ووجدت الماء مملحا كذلك ، فجلست البنت تبكي ، فقد ضلت الطريق ولم تدر ما تفعل ، وحاولت الرجوع ، فتاهت في مجاهل الغابة واحست بالتعب والانهاك ، وبدأ الليل يقترب ، وبينما هي سائرة أذ قابلت غولا رهيبا ، جلس على الارض يأكل جملا ويتناول طسامه بعظام أسد ، فتراجعت الفتاة وتسلقت شجرة كبيرة ، لكن الغول شم رائحتها فقال ، « انني اشم رائحة بني آدم » وجاء ووقف تحت الشجرة وقال ، « انزل أيها البنى آدم وأنا لا آكلك » ، فطلبت منه الفتاة أن يقسم علي ذلك ، فقال الغول ، « أقسم بالبقرة التى تأكل الزيتون انني لن آكلك » ، فرفضت الفتاة أن تنزل من فوق الشجرة ، فقال الغول ، « اقسم بالقطة التى تأكل الاعشاب الخضراء » ، فرفضت الفتاة ان تنزل من فوق الشجرة ، فقال الغول ، « أقسم بالثعبان الذي يشرب الماء أنني لن آكلك » ، فلم تنزل اليه أو تطمئن الي قسمه ، فقال الغول ، « اقسم بالله تعالي وبرسوله محمد أنني لن آكلك » ، فنزلت الفتاة من فوق الشجرة ، واعتبرها الغول ابنته ، وأحضر لها طعام الانسان ، الخضر والفواكه والخبز ، لانه كان لا يأكل الا لحوم البشر ، لكنه لم يستطع أن يداوم على ذلك طويلا ، فقال لها ، « أنا لا أقدر أن أتولى رعايتك والعناية بك دائما ، واحضر صندوقا

من الخشب ووضع فيه ملابس كثيرة وطلب منها أن تدخل الصندوق وتغلقه على نفسها ، وحمل الغول الصندوق وبداخله الفتاة وذهب الى قصر السلطان ، وطلب منها أن لا تخرج من الصندوق عندما يدخلوه الى القصر ، واذا سألوها ، ما هو العمل الذى تتقنه ؟ فعليها أن تجيبهم ، بأنها تستطيع أن ترعى الجمال ، ولكن جملا واحدا .

وطرق الغول باب القصر ومشي وترك الصندوق أمام الباب ، فجاء حارس وفتح الباب واقفله لانه لم يجد أحدا . فطرق الغول الباب مرة ثانية ومشى ، وجاء الحارس لكنه اغلق الباب بعد أن تحسه ، لانه لم ير أحدا ، لكنه وجد صندوقا بجوار الباب ولم يكن قد انتبه لذلك فى أول مرة ، فرجع الغول وطرق الباب للمرة الثالثة، وجاء الحارس واندهش ، وذهب الى السلطان واخبره بالامر ، فتعجب السلطان وطلب منه أن يحضر له الصندوق . وكان الصندوق عاديا، لا يلفت النظر ، فأمر الملك أن يضعوه فى الحظيرة التى تربى فيها الماشية والدواب .

وفى اليوم التالى جلست احد الجوارى فوق الصندوق لتحلب بقرة ، فتكلم الصندوق وقال للجارية ، « حرام عليك أن تجلسى فوقى وتؤلمينى وتعذبينى » ، وكان الامير ابن السلطان يسير بالقرب من الحظيرة فنادته الجارية وقالت له ، « ان لهذه الخشبة — تقصد الصندوق — صوتا جميلا والخشبة تتكلم مثلنا » ، فاقترب الامير من الصندوق مندهشا وسأله ، « ايها الصندوق هل تستطيع أن تمشى ؟ » فرد الصندوق بصوت جميل ، « استطيع أن أمشى » ، وتحركت الفتاة داخل الصندوق ، فتدحرج على الارض، فضحك الامير وسأل ، « وماذا تستطيع ان تعمل أيها الصندوق ؟ » ، فأجاب ، « يمكنني أن ارعى الجمال ، ولكن جملا واحدا » ، فأمر الامير أن يعطوا للصندوق جملا من جمال السلطان ليرعاه ويهتم به .

واعطوا الصندوق جملا ، وكان الصندوق يتدحرج كل يوم من الحظيرة حتى المرعي خارج البلدة وجمله وراءه . وكانت الفتاة حين تتأكد انه لااحد هناك تفتح الصندوق وتخرج منه وتحلب النوق وتشرب من لبنها وتبحث عن شيء من الفاكهة أو الخضر لتأكله ثم تضع فى أذنى



وحمل الغول الصندوق وبداخله الفتاة وذهب الى قصر السلطان

جملها قطعتين من القطن ، وتغنى بصوتها الجميل الساحر ، فتكف الجمال ماعدا جملها عن الرعى والحركه حين تسمعها تغنى وتقول .

يا جمـال يـا جمال يا طيبـة
شـوفى عيشـة المسكينـة
خليتها (1) أمها فى الغـابة معذبـة
مـع الغـول فى الركينـة (2)

وكانت الجمال لا تأكل حين تغنى الفتاة ، فضعفت وهـزل جسمها ، ماعدا جمل الصندوق . وبعد شهر لاحظ الاميـر ذلك ، فسأل الصندوق عن السبب ، فأجاب الصندوق ، « أنا لا اعـرف السبب فالجمال ترعى فى نفس المكان الذى يرعي فيه جملى » .

ومضت الايام والجمال تزداد ضعفا ونحولا ، اما جملها فقد كان فى حالة حسنة ، واراد الامير ان يعرف السبب ، فاستيقظ مبكرا ، وانتظر حتى ندحرج الصندوق يتبعه جمله ، وسار وراءهما ، واختبأ الامـير خلف شجرة وجلس يراقب الجمال وهى ترعى، وبعد ساعة، فتحت الفتاة الصندوق وخرجت منه ، فذهل الامير لما راى ، فقد كانت الفتاة فاتنة ساحـرة ، رائعـة الجمال ، كانت تسير فوق الارض المعشوشبـة تتمايل وتتهادى وتلتقط الفاكهة من الشجر وكأنها حورية من الجنـة تخطـو فـوق العشب الاخضر النضير ، ثم وضعت فى أذنى جملها قطعتين من القطن وأخذت تغنى ، فكاد الامير أن يصرخ اعجابـا بصوتها الرنان ، وغنت :

يـا جمال ، يا جمال ، يا جمال ، يا طيبة
شـوفى عيـشة المسكينـة
خليتهـا أمهـا فى الغابـة معـذبـة
مـع الغـول فـى الركينـة

وكاد الامير أن يغمى عليه ، ثم دخلت الفتاة الصندوق وأغلقته، فأسرع الى الصندوق وجلس عليه ، وقال ؛ « أيتها الفتاة الجميلـة الحسناء ذات الصوت الشجى المؤثر ، اننى أحبك ، احبك ، ولابد أن

(1) ــ خليتهـا : تركتهـا
(2) ــ الركينـة : المكـان المهجـور

تتزوجينى ، لن اقوم من فوق الصندوق حتى تقسمى لى أنك رضيت أن تتزوجينى » . فردت عليه ، « أقسم لك بالبقرة التى تأكل الزيتون ، سأتزوجك » ، فلم يقتنع وأجاب ، « لا ، هذا ليس بقسم » ، فقالت ، «أقسم لك بالقطة التي تأكل الاعشاب الخضراء سأتزوجك » ، فهز راسه وأجابها ، « لا، ولا هذا »، فقالت ، « أقسم لك بالثعبان الذى يشرب الماء سأتزوجك » ، فلم يوافق وهتف بها ، « لا ، لا ، هذه كلها ليست بألفاظ قسم » ، فقالت ، « أقسم لك بالله تعالى وبرسوله محمد أن أتزوجك » ، فقام من فوق الصندوق وفتحه ، وخرجت منه وسارت معه الي القصر .

وحين اخبر الامير أباه أنه سيتزوج الصندوق ، خجل السلطان وقال ، « يا للعار ! » ، أما أمه فقد عارضت معارضة شديدة ، حتى الجوارى والعبيد سخروا من الامير وصاروا يضحكون خفية ، لكن الامير صمم أن يتزوج الصندوق .

وفى يوم الفرح دحرج الامير الصندوق والجميع مندهشون ومذهولون ، لكن الصندوق كان فارغا ، وأقبلت الفتاة الجميلة يفتن حسنها العيون ويسحر جمالها العقول ، وتزوجها الامير ، وفرح السلطان وضحكت أمه وعاشوا سعداء .

أخدم يالتاعس للناعس

كان الرجل غنيا ، لديه المئات من الابل والبقر والاغنام ، وبالرغم من ثرائه فقد كان غاية فى البخل والشح ، يأكل خبز الشعير ، ويلبس رداء رخيصا ، وقد قاست زوجته من بخله كثيرا .

وبالرغم من مرور سنوات طويلة على زواجه لم يرزق بأبنـــاء ، وصبرت المرأة علي حرمانها من الاطفال ، كما صبرت على تلك الحياة المتقشفة التى عاشتها مع زوجها البخيل .

وحملت المرأة فجأة ، ففرحت فرحا شديدا لذلك ، ومرت شهور ، ووضعت ولدا ، ثم أرادت أن تحتفل بمرور أسبوع علي ولادته ، كمـــا يفعل الناس ، فقالت لزوجها ،« لقد من الله علينا ، ورزقنا طفلا ، بعد ان حرمنا سنوات طوال ، وانه لذكر وبه فرحنا ، وهو خير من ان نرزق بنتا ، لهذا أود احتفالا يليق بفرحتنا ، ونقيم وليمة ندعو اليها الاهل والاصدقاء »، لكن البخيل صاح وصرخ فى وجهها ،« والله أن الخير لا يجيء عن طريق النساء،انك تريدين لى الضـــرر والاذى ، انـــك تريدين لى الضرر والاذى ، انك تريدين لى الفقر والخراب عندمـــا تطلبين منى أن ابدد أموالى فى التوافه » .

لكن المرأة أصرت ولاول مرة عارضته فى قوة ، وقالت ،« والله لنقيمن الوليمة وندعو اليها الناس ولابد لى ان افرح بطفلي » .

ولما وجد الرجل أنه لا فائدة من الجدال مع زوجته ، قال لها « ما دمت مصممة ، فليكن ، ولندع عددا من الاهل لا يزيد على سبعة ونذبح ثلاثة ازواج من الدجاج »، فصرخت المرأة « يالك من رجل بخيل،

إعطاك الله ولدا ، وأعطاك المئات من الابل والبقر والاغنام ، ثم تريد ان تذبح دجاجا فى حفلة العمر »، فصاح آلرجل « ماذا تبغين ايتهـا المراة ؟ »، فأصرت علي ذبح كبش حتى لا يعيبها الناس ، فقال لها ، « انت مجنونة ، لكننى سأوافقك مضطرا »، ونادى رعاة ماشيته . واخذ يبحث عن حمل صغير، أو شاة عجوز ليذبحها فيحفلة مرور أسبوع علي ميلاد ابنه فلم يجد ما يرغب ، لان أكثر الخراف كانت فى حـالة جيدة ، فأخذ يبحث بين الماعز ليختار معزة يذبحها ، ووجد معزة عجفاء فاقترب منها وقال ،« انت أيتها المعزة تصلحين للذبح، وتوافقين غرضى»، فاذا بالمعزة تتكلم بلسان فصيح وتقول ،« هاهاها ليس لك أن تذبحنى ، انا لست ملكك ، ونحن الماعز والغنم والابل والبقر ، لسنا ماشيتك . انك لا تملك شيئا ، لسنا رزقك اننا رزق الناعس ، رزق الناعس » . وكررت قولها عشرات المـرات .

فوجم البخيل واندهش ، وابتعد عن قطيعه ورجع الى خيمته غاضبا وقال لامراته ،« والله لاغادرن هذا المكان ولن أعيش هنا ابدا ، سأبيع كل ما أملك من ماشية ، وآخذ أموالى واذهب الى آلمدينة ، واعمل فى التجـارة » ، فاندهشت المراة لكن البخيل كان قد قرر أمرا وبدأ فى تنفيـذه .

واخذ البخيل يبيع أبقاره وأغنامه ويذهب الى الاسواق بابله ، فلم تمض ثلاثة أشهر حتى كان قد أنتهى من بيع كل ما يمتلك ، واحضر سبعة قدور من النحاس وملأها بأمواله من الذهب والفضة ، وتأهب للرحيل الى بلدة بعيدة ، وكان لابد له أن يسافر اليها عن طريق البحر ، وبالقرب من بلدته كان يقع آلميناء الذى سيسافر منه .

فاتخذ طريقه الى آلميناء ووجد مركبا سيبحر بعد أيام ، واتفق مع ربانها أن يسافر معه هو وأسرته نظير قدر بسيط من المال ، وأن يأخذ معه ايضا سبعة قدور نحاسية ، قال البخيل انها مليئة بالملح ، وبعض المتاع ، واخذ يساوم الربان فى أجر نقلها مدعيا الفقر ، وحين تم الاتفاق طلب البخيل من الربان ان يرسل معه بحارين من رجاله ، واستأجر حمارين لحمل القدور وما عنده من متاع .

وحمل البخيل القدور فوق الحمارين وذهب يصحبهما الى الميناء ،

ووضعوا القدور فى المركب ، واراد ان يرسل الحمارين ليحملا زوجته وطفله وما تبقى من متاع ، وبينما هو يتكلم مع البحارين ، وكانا فى عجلة من امرهما لان المركب كانت ستبحر بعد ساعات قليلة ، بينما هو يتكلم معهما ويجادلهما فى الاجر ، وقع مغشيا عليه ، ولم تمض دقائق حتى لفظ آخر أنفاسه ، فحمله البحاران فوق حمار وذهبا به الى زوجته ، وارتاعت الزوجة وأخذت تبكى وتولول ، ورجع البحاران بسرعة ليلحقا بالمـركب .

ولم تصدق الزوجة ما حدث ، فقد كان زوجها فى صحة جيدة ، واحتضنت طفلها ، وأرسلت الى اهله ليقوموا بدفنه وتقبل العزاء فيه ، وبعد ساعات ، تذكرت الزوجة التى اطارت المصيبة صوابها ، تذكرت الاموال والقدور النحاسية ، فهرعت الى الميناء لتحضر القدور ، لكن المركب كان قد غادر الميناء فى طريقه الى عدد كبير من المدن ولن يعود قبل سنة ان لم يكن أكثر ، فعرفت أن المال قد ضاع،ذلك لان القدور كانت مليئة بالذهب والفضة ، واذا طالبت بها ، فلن يصدقها أحد ، وهل يعقل أن من يجد الذهب يحفظه ويرده ؟ على اية حال ، فقد ذهب المركب ، وذهبت الاموال ، فقالت المراة ،« فليعوض الله خيرا ».

أما المركب فقد سار فى طريقه ، ومر بمدن كثيرة حتى وصـــل الى البلدة التى أراد البخيل ان يذهب اليها ، عندئذ تذكر الربان الرجل ، وافتقده ولم يجده ، فاندهش لكن الامر لم يهمه ، لانه قبض أجره ، ولم يكن أحد يعرف ان فى القدور ثروة طائلة .

ونزل الربان ، وذهب الى مقهى فى الميناء ، اعتاد البحارة الذهاب اليه، وكان يملك المقهى رجل كسلان، يجلس دائما فوق كرسيه لايتحرك، فالزبائن يجيئون ويخدمون انفسهم ، فان اراد زبون كوبا من الشـاى ، فأمامه النار والسكر والشاى والوعاء ، فعليه أن يجهز الشـاى ، وان اراد زبون شيئـــا من القهوة فعليه أن يجهزهـــا بنفسه ، وكل مـــن اراد شيئـــا عليـــه أن يخـــدم نفســـه ، حتـــى من يريـــد أن يدفـــع ثمن ما أخذ ، فان صاحب المقهى كان يقول له ،« هناك الوعاء ضع فيه ثمن ماأخذت »، لذلك سموه الناعس ، دائما كسلان ودائما «نعسان» ، لكنه كان حلو الحديث،طيبا لطيف المعشر ، فأحبه الناس ، وكان البحارة



فارسك الربان بحارا واحضر القدور ووضعها في ركن منعزل من المقهى.

يحبونه لحلو حديثه وظرفه ، وكان للناعس زوجة وسبعة أولاد ، وبالرغم من كسله فقد كانت المقهى رائجة تضمن له حياة رغيدة سهلة .

جلس الريان مع الناعس وتحدثا حديثا شجيا ، وبعد أيام رحل . وكان كل سنة يعود ويمكث أياما معه ، ومضت ثلاث سنوات ، وذات يوم كان الريان يجلس مع الناعس وبعض البحارة فتحدث وقال لهم ، « لقد اعطانا رجل سبعة قدور نحاسية مليئة بالملح وهى تشغل حيزا ومكانا فى المركب ، ولولا ان الرجل دفع لنا الاجر لرميناها فى البحر »، فضحك الناعس وقال ،« ولماذا ترميها فى البحر ، ها هى المقهى واسعة هاتها وضعها هنا »، فأرسل الريان بحاراً واحضر القدور ووضعها فى ركن منعزل من المقهى ، وضحك الريان وقال للناعس ،« لقد مضت ثلاث سنوات وقد سألت كثيراً عن الرجل لكننى لم استطع ان اجده ، لعدم معرفتى باسمه ، وعلى اية حال فان ظهر صاحبها ، سأرسله اليك ليأخذها »، وضحك الريان كثيرا ثم استطرد ،« وان لم اجده يمكنك ان تأخذ القدور والملح ، وتكون حلالا لك ، فى السنة القادمة »، ذلك لان الريان كان يزور بلدة الناعس مرة كل سنة .

ولم تمض سنة واحدة ، بل مضت ثلاث سنوات والقدور متروكة فى ركن من المقهى ، وكان الريان عندما يزور الناعس يضحك ويقول له ،« يارجل ابعث بالقدور الى بيتك وخذ الملح »، لكن الناعس كان يضحك بدوره ويقول ، « حين أحتاج الى الملح سآخذه » .

وذات يوم أرسلت زوجة الناعس ابنته الصغيرة اليه ، واقتربت منه وهمست فى اذنه ،« ان امى تريد شيئا من النقود لتشترى ملحا » ، فتذكر القدور ، فقال لها ، خذى قدرا من هذه القدور الى المنزل ، فهي مليئة بالملـــح » .

فحملت البنت قدراً من القدور وأخذتها الى البيت ، وهناك فتحت امها القدر لتأخذ الملح ، فأذهلها أن تجد القدر مليئة بالذهب ، فأسرعت بالذهاب الى مقهى زوجها ، فاندهش الناعس لقدوم زوجته ، ونادته الزوجة ليقوم اليها،لكنه رفض وقال متكاسلا لها ،« اقتربى منى وأخبرينى بسبب حضورك »، فهزت الزوجة راسها واشارت اليه ان يتقدم منها، لكنه رفض وطلب منها أن تقترب منه ، فاقتربت وهمست فى اذنه قائلة،

« أتعرف ماذا حدث ؟ لقد وجدت القدر التى أرسلتها الي مع ابنتنا مليئة بالذهب »، فصرخ الناعس ،« غير معقول »، وسار لاول مرة منذ سبع سنوات الي ركن المقهى حيث توجد الست قدور ، واخذوا القدور الى المنزل .

كان الناعس كريما ، فاستأجر حانوتين مجاورين لمقهاه ، وافتتح الناعس مطعما ، وكتب على لافتة المطعم ،« من معه نقود يأكل ومن ليس معه يأكل ، مال الله ، يأكله عباد الله »، فأخذ الفقراء يجيئون الى مطعم الناعس ويأكلون مجانا دون ان يدفعوا شيئا ، والناعس يأخذ من القدور ويحسن الى الفقراء .

ومضت الايام وجاء الريان صديقه يزوره ، فاحتضنه الناعس،وساله الريان ، « من أين لك هذه الاموال يا صاحبى ؟ »، فرد الناعس ضاحكا، « والله أنت السبب »، وحكى له حكاية القدور ، وتصادف أن سمعهم أحد زبائن المقهى ، وهو رجل اشيب الشعر ومن بلدة البخيل ، فصاح، « والله عرفت السر »، وقص عليهم قصة لم يسمعوها من قبل ، فقد كانت بلدة البخيل بعيدة ، وحكى لهم عن موت البخيل وافتقاد زوجته للقدور ، ورحيل المركب قبل أن تذهب اليها الزوجة ، عند ذلك قال الناعس ،« على ان أرد ما بقى من المال الى زوجة الرجل وابنه » ، فقال الرجل العجوز ،« لقد ماتت المراة وابنها منذ سنوات »، فقال الريان للناعس ،« ان المال مالك ، حلال لك »، فقال العجوز ،« اخدم يا الناعس للناعس »، وصارت مثلا .

الذئب والقنفد

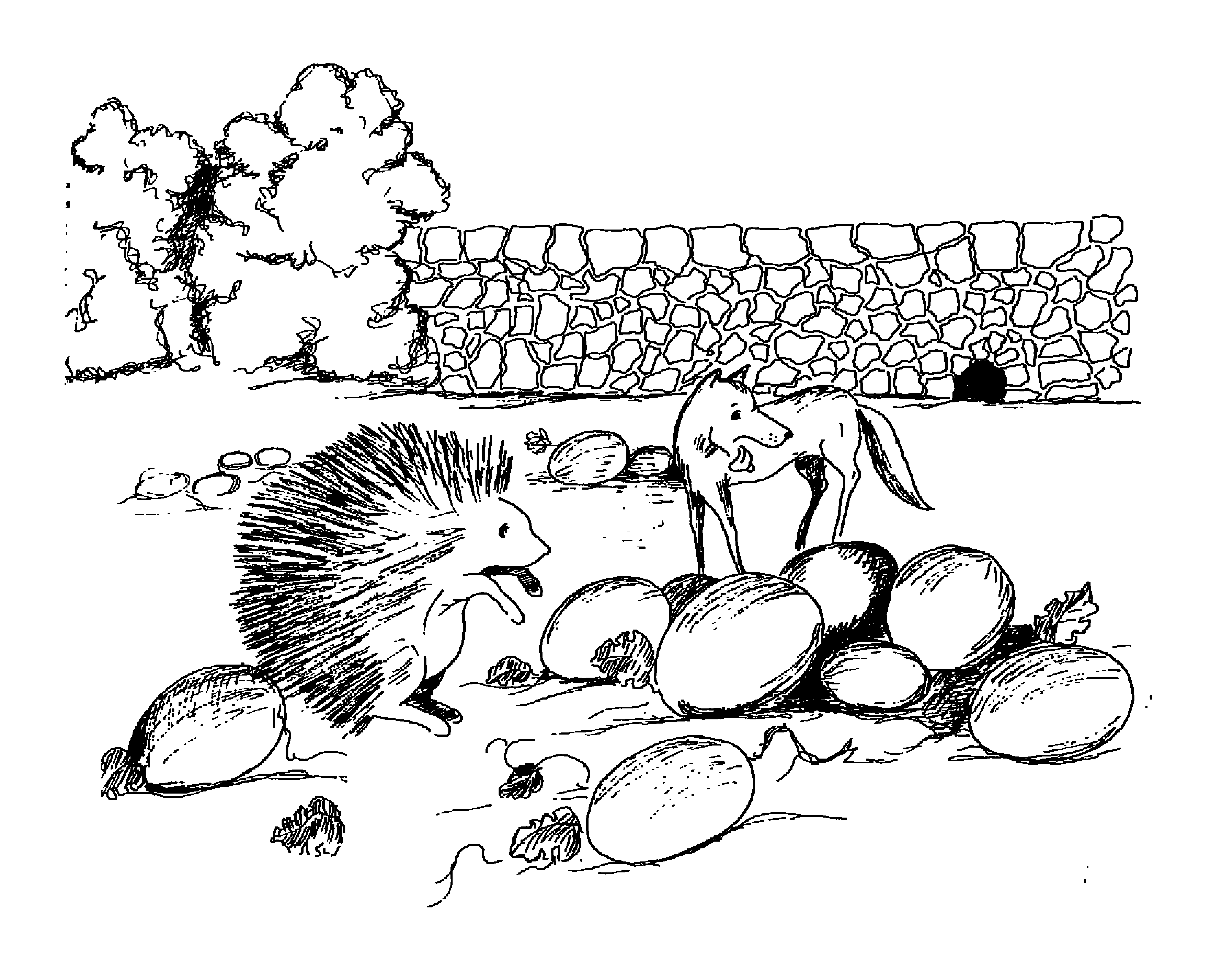
كان الذئب والقنفد صديقين بالرغم من اختلاف طباعهما ، فالذئب طماع جشع وغدار ، والقنفد ذكـي واسـع الحيلـة ، وكان كل منهما يعيش فى غار تحت الارض بجانب الاخـر .

وفـي يوم اتفق الذئب مع القنفد أن يتعاونا سويـا فـى الصيد والحصول علي رزقهما ، فذهب القنفد الى أولاد كانوا يرعون الغنم فامسكوا به وبدأوا يلعبون معه ، وانشغلوا بذلـك ، فأتى الذئـب واختطف خروفا وفر به ، وحين أدرك الاولاد ما حدث رموا القنفـد وضربوه بالاحجار ، لانه كان السبب فيما حدث .

وذهب القنفد وعظامه توجعه الى الذئب الذى كان قد وضع الخروف امامه ، وقد سال لعابه ، وسأل الذئب أن يعطيه شيئا من اللحـم ، لانه لو لم يله الرعاة ويلاعبهم لما استطاع الذئب أن يخطف الخروف، لكن الذئب الجشع رفض أن يعطى القنفد شيئا من اللحم ، فطلب القنفد مصرانا من مصارين الخروف ، فأعطاه الذئب المصران .

فأخذ القنفد المصران ونفخه ، ووقف خلف شجرة واخذ يضرب بيده على المصران المنفوخ فأحدث صوتا شبيها بضربـات الاقـدام ، وصرخ القنفد وقال ، « اننى لم آكل شيئا وليس لى دخل فى الامـر فالذئب هو الذى خطف الخروف ، وهاهو الذئب يأكله هناك خلـف الشجـرة ، حرام عليكم اتركوني أنا لم افعل شيئا » ، ومضـى يصرخ، فخاف الذئب وهرب، فذهب القنفذ وأكل من الخروف حتى شبع.

وحين رجـع الى جحـره ، اخبره الذئب أن الرعـاة أمسكـوا به وضربوه ضربا مبرحا ، فقال الذئب ، « نعم لقد سمعتك وانـت



وكان للبستان سورعال ، وفي أسفل السور (ثقبا) صغيرا لقناة تروى البستان...

ترشدهم الى مكانى ولو لم أهرب لامسكونى انا الاخر »، وسأل الذئب القنفد أن يخرجا سويا للصيد مرة أخرى فرفض القنفد وأنب الذئب على جشعه ، لكن الذئب أقسم على التوبة .

ومضت أيام ، وتصالحا وخرجا سويا مرة آخرى للصيد ، وفى الطريق وجدا بستانا مليئا بالبطيخ ، وكان للبستان سور عال ، وفى اسفل السور ثقبا صغيراً لقناة تروى البستان ، فدخل الذئب والقنفد من هذا الثقب ، وقال القنفد للذئب ينصحه ، « لا تأكل كثيرا حتى لا تنتفخ بطنك فلا تستطيع أن تخرج من الثقب ، وكان البطيخ لذيذ الطعم حلوا ، فأكل القنفذ منه ولكنه كان حريصا بين الحين والحين على الذهاب الى المخرج الثقب ليتأكد من عدم انتفاخ بطنه وقدرته على الخروج بسهولة . أما الذئب فقد كان طماعا ، فأكل كثيرا ولم يقلد القنفد او عمل حتى بنصائحه ، وحين شبع الذئب أراد الخروج ، لكن بطنه المنتفخة لم تسمح له بالمرور من «الثقب »، أما القنفد فقد أمكنه ان يخرج ، عندئذ صرخ الذئب ،« يا اخى القنفد ماذا أفعل ؟ دبر لي حيلة ، فان بقيت هنا حتى الصباح نسيجىء صاحب البستان ويقتلنى حين يرانى ويدرك أننى اكلت من البطيخ » ، فأخذ القنفد يفكر ، ثم قال للذئب ، « عليك أن تتظاهر بالموت، تمدد على الارض ، وان ضربك صاحب البستان ، فتحمل واياك أن تتحرك ، عندئذ سيرميك خارج البستان خوفا من تعفن جثتك » ، فشكره الذئب .

وفى الصباح، حين جاء صاحب البستان ، تمدد الذئب على الارض وتظاهر بالموت ، فلكزه صاحب البستان بالفأس ، فآلمت الذئب اللكزة ، لكنه تحملها ولم يتحرك ، فأمسكه صاحب البستان من ذيله ورماه خارج السور تماما كما قال القنفد .

وخرجا سويا مرة أخرى ، وبينما هما فى طريقهما ، وجدا مطمورة فول ،« مخزن للفول على هيئة بئر مملوءة بالفول »، وكانت هناك سلة كبيرة تستخدم لاخراج الفول ، ونزل القنفد فى المطمورة وادلى الذئب له السلة ، واخذ القنفد يملاها ، فيخرجها الذئب ، واكل الذئب حتى شبع أما القنفد فلم يأكل شيئا لانه كان منهمكا فى ملء السلة بالفول ، وفجاة نظر الذئب من اعلى فوهة المطمورة وقال

للقنفد ، « سامحني ياصديقي لانني مستعجل ، وسأتركك هنا فـي مطمورة الفـول » ، فرجاه القنفد أن يخرجه من المطمورة ، لكـن الذئب لم يرض ، واخذ يضحك ، عندئذ قال له القنفد ، « فلتفعـل ما تشاء يا اخي فهذا أمر الله كتب علي ، لكنك تعرف أن عنـدي أطفالا تتائد صغارا فكل ما ارجوه منك ان تعطي صغاري ملء سلة من الفول وسأملأ السلة الان ، فوافق الذئب ، وانهمك القنفد فـي العمل وملا السلة لصغاره ، واخرج الذئب السلة ممتلئة بالفول ، وحملهاالي البيت ، وكان القنفد قد وضع نفسه في السلة وتغطـى بالفول ، فأخرج رأسه وسأل الذئب ، « لماذا أردت أن تتركني في المطمورة ياعمي الذئب ؟»، ففزع الذئب من المفاجأة ، وقفز مرتعبا ، فوقعت السلة على الارض وانتشر الفول في كل مكان ، فأخذ القنفد يجمع الفول ويضعه في السلة ، ومضى يؤنب الذئب ، فاعتذر الذئب للقنفد بأنه كان يضحك معه ويلاعبه ، وأنه كان في نيته أن يعود اليه ليخرجه ، وأخذ يساعده في جمع الفـول .

وعلى حين بغتة سمعا زئير الاسد ، ونظرا فوجدا ملك الغاب يتقدم مكشرا عن أنيابه ، ينـوي افتراسهما ، فارتعـش الذئـب واصطكت ركبتاه ، وتهاوى على الارض من هول المفاجأة ، وتوسل الى القنفد أن ينقذه وسأله ، « أليس لديك حيلة تنقذنا وتحفـظ ارواحنا ؟»، فأجاب القنفد ،« لدي حيلة واحدة وأنت ؟ »، فقـال الذئب ، « لدي مائة حيلـة لكنها جميعها لا تنفع في الوقت الحاضر»، فأجاب القنفد ، « ان لدي حيلة واحدة نافعة » ، وكان الاسد يتقـدم والارض تهتز تحت أقدامه ، فاستجمع القنفد كل ما لديه من الشجاعة وأسرع يجري نحو الاسـد ، فتمهل ملك الغاب غير مصدق عينيه ، لكن القنفد تقدم حتى أصبح امامه ، وأمسك بيد الاسد وقبلها وقال له، « صباح الخير ياملك الوحوش ، ناشدتك الله أن تحكم بيني وبـين الذئب » ، وكان السبع قد نوى أن يأكل الاثنين ، وبما أنه يعـرف أنهما لا يستطيعان الافلات منه ، فقد تمهل ليستمتع بالفريسة وسأل، « وماهي المشكلة يا قنفد ؟»، فأجاب القنفد ،« ان لدي أولادا كثيرون، ولدى الذئب اولادا كثيرون ايضـا ، ونحن نعيش معا في غـاريـن متجاورين ، وقد اختلطت أولادي مع اولاد الذئب ، وقد أصبحنا الان نواجه مشكلة ، فأنا لا اعرف أولادي من أولاد الذئب ، والذئب يقول

ان اكثرهم أولاده ، فلو تفضلت وحكمت بيننا بأن تجعل أولاد الذئب فى ناحية وأولادى فى ناحية أخرى فاننا سنرتاح » ، ففرح الاسد وقال لنفسه ، لاذهب معهما وآكلهم جميعا مع أولادهم ، فوافق الاســد أن يقوم بدور الحكم ليفصل فى النزاع .

وحين وصلوا الى الغار قال القنفد للذئب ، « أدخل الى غارك وهات ما عندك من الاولاد » ، فدخل الذئب آلغار ، غير مصدق انه نجــا من الاسد بحيلة القنفد الواحدة .

ووقف القنفد مع الاسد ينتظران الذئب ، ومضى وقت ، ولــم يعد الذئب بالطبع ، فتساءل الاسد ،« لماذا غاب الذئب ؟ »، فقال القنفد ، « لتسمح لى يا مولاى أن ادخل وراءه لانني اخاف أن يخبىء بعضا من أولادى » ، فاستحثه الاسد ان يســرع ويخــرج الاولاد جميعهم ، فأجاب آلقنفد ، « سمعا وطاعة يامولاى » ، ودخل الغار، ووقف الاسد ينتظر ، وغاب القنفد كثيرا ، فنادى الاسد الذئب والقنفد ليسرعا ويخرجا الاولاد ، فأجاب القنفد من داخل الغار ، « مــولاى الاسد فلتسمح لنا ، فقد عرفه كل منا أولاده ، أولادى لهم شوك وأولاد الذئب ليس لهم شوك وقد انتهت المشكلة ولا داعى لاتعابك يامولاى، نشكرك يا مولاى » ، فزأر الاسد غاضبا وانصرف .

أولاد الحاكم افلاطون

تتضمن هذه الحكاية بعض الاشعار ، لكنها لا تروى بالشعر ، واصلها حكاية خرافية نمقها الخيال الشعبى الجميل ، ونسبها الى الحاكم افلاطون ، وقال أنه من « الرتوت » ويبدأ انشادها هكذا :

هـا الحاكم مـن الـرتـوت ،

نهار مرض وبغى يموت ، « يوم مرض واحس بالموت يقترب منه »
عيط علي ولاده من لبيوت ، « نادى أولاده من غرفهم »
قال ليهم ها بيت الخزين ، « قال لهم هذا مخزن الطعام فى الدار »
إللى يحله سخطي عليه ،« من يفتحه (مخزن الطعام) العنه »

لكننا نحب أن نعرف الحكاية ، فهى تقول :

كان فى قديم الزمان حاكم اسمه افلاطون ، اعطاه الله ثلاثة أولاد ، الاكبر حفظ القرآن ، وتبحر فى علوم الدين ، وأصبح فقيها مثل أبيه ، والاوسط تاجر يبيع ويشترى ويربح ، فيه كل صفات التجار الحسنة والسيئة ، وصار غنيا ، والاصغر ، وكان فى صغره ذكيا وطيب القلب ومحبوبا، لكنه حين أصبح شابا التف حوله أصدقاء السوء ، واصبح لاهيا عابثا ، وكان يدخن المخدرات ولا يهتم بشيء فى الدنيا .

ومرض الاب واحس بأنه سيموت ، فنادى أولاده الثلاثة وقال لهم ، « لقد تركت لكم الكثير من الاموال ، فاقتسموها ، وستجدون فى وسط هذه الدار غرفة ، وهي موصدة ، فأياكم أن تفتحوها أو تدخلوها، ومن يفعل هذا فاننى العنه واسخط عليه » ، وما أن لفظ هذه الكلمات حتى مات .

يقـــول الشـــاعـــر :
اللـــى يحلـــه سخطـــى عليـــه ،
ما هو ولدى ما نرض عليه ، « ليس ولدى ولا أرضى عنه »
وصـــى ولـــده ذاك الفقيـــه ،

ودفن الابناء آباهم ، وعادوا الى دارهم وقسموا أمواله الوفيرة ، واخذ الفقيه الابن الاكبر نصيبه واقتصد وعاش ميسور الحال ، وأحبه الناس واحترموه ، أما التاجر فقد زاد ماله بما ورث ، فنمّى تجارته وكسب واغتنى ، واصبح من أكثر التجار ثراء وجاها ، أما الابن الصغير فقد سار فى طريق الفساد ، يشرب ويسكر ، ويدخن المخدرات ويخالط اصدقاء يدفعونه الى الهاوية .

ولم تمض ثلاث سنوات حتى كان الابن الاصغر قد بدد كل امواله التى ورثها من ابيه ، واصبح صعلوكا ، مقطع الثياب ، متسخا ، لا يملك شيئا ، فكان يذهب الى أخويه ، فأحيانا يعطيانه بعض المال ، فيبدده فى الشراب والمخدرات والفساد، وأحيانا يطردانه ، فقد سئما وتضايقا من فساده ، وحاولا اصلاحه ومساعدته مرات كثيرة دون فائدة، ثم أصيب بالقـــرع ، فأصبـــح أقـــرع .
ومات أبوهم وهزوه ، « حملوه »
ورجع الاقرع عند أخوه ،
أرى الورث نفرقوه ، « أريد الميرآث لنقتسمه »
فرقوا المال بلا عداد ، « بلا عداد : بلا عدد »
ها القرع شرع فى الفساد ،
والتاجر أرى مـــاله ازداد ،
والفقيه مـــن الصـــالحين ،

وذات يوم حين ازدادت حالته سوءا، فذهب الى أخيه التاجر وقال له، « ان أبي قد ترك غرفة فى وسط الدار ، فهيا لنفتحها ، فربما كان فيها شىء من المال ، وأنا محتاج اليوم ، فان كنتما انت واخى الفقيه من الاغنياء ، فأنا فقيـــر » ، فغضب التاجر وصاح به يزجره وينهـــاه مذكرا أياه أن اباهم قد حذرهم من فتح هذه الغرفة ، وأن من فتحها فعليه اللعنة وسينال سخط الاب ، فلم يهتم الاقرع ، وقال فى غير مبالاة ، « فلأتحمل أنا مسؤولية فتح الغرفة واصبح ملعونـــا ومسخوط

الوالدين »، فصحبه التاجر وذهبا الى أخيهما الفقيه ، فحذره الفقيه من سخط الوالدين ، فلم يسم وقال لهما ، « والله آن لم تجيئا معى فسأذهب بمفردى وأفتح الغرفة وآخذ ما فيها »، فاضطرا ازاء تهديده أن يذهبا معه ، وفتح الاقرع الغرفة ودخل التاجر والفقيه مترددين ، ودهشوا جميعا ، فقد كانت الغرفة خالية تماما ، رطبة الجو ، تنضح جدرانها ماء ، وعلي أرضها الكثير من المياه الآسنة وليس بها شيء ، ونظر الابن الاصغر هنا وهناك ، فأبصر فى السقف قفة معلقة ، فصاح ، « هنا الكنز ، هنا الكنز » ، وانزلوا القفة ، فوجدوا فيها عمامة من القماش الرقيق قديمة و (هيدورة) فروة خروف كاملة ، وقصبة صغيرة للتدخين ، جديدة وفى حالة حسنة.

وجه يكمـــى ما صابشى ، « أراد أن يدخن فلم يجد ثمن الدخان »

الاقرع تعب فى كل شيء ، « قاسى كثيــرا »

رجع لاخـــوته بالمشـــى ،

وقال لهم أنا كانحب ،

تمشـــوا معـــايـــا بالغصب ،

راه البيت معمر بالذهب ، « ان الغرفة مملوءة بالذهب »

قالوا له يا مسخوط بـــوه ،

زاد الاقرع والصحيـــح ، (زاد : ذهب أو مشى)

ولاقو البيت كايسيح ، « وجدوا على أرض الغرفة الكثير من الماء »

الشاشية غـــاملـــة ، « العمامة بالية »

ولاقو هيدورة كاملة ، « وجدو فروة خروف كاملـــة »

والسبسى والمطوى زين ، (السبسى قصبة التدخين والمطوى كيـــس يحتفظ فيه المخدر)

فصاح الفقيه « أهذا ما أردت يا مسخوط الوالدين ليس هنا شيء له قيمة ، ليتك ما فتحت الغرفة » ، فهتف الاقرع ساخرا ، « بل انها بركة الوالدين ، فلنقسم ما وجدناه ؛ انت فقيه فخذ الفروة ، وانت تاجر فخـــذ العمـــامة ، أمـــا انا فاتركو لى السبســـى و المطـــوى ، فهذا يصلح لي وانا اصلح له ، وسأدخن فيه المخدرات ، فاسمعـــوه مـــن التوبيخ والتأنيب والسب الشيء الكثيـــر .



وانزلوا القفة فوجدوا فيها عمامة من القماش الرقيق قديمة، وهيدورة (فروة خروف كاملة) وقصبة صغيرة للتدخين (سبسي)

يقول الشـــاعـــر :

نفرق ليكم هذا الحبوس ، « نقسم بينكم هذا الارث »
خذ الشاشية للبوس ، « خذ العامة لتلبسها »
وخذ الهيدورة للجلوس ، « خذ الفروة للجلوس عليها »
وانا والسبسي ناضين ، « انا وقصبة التدخين مناسبين لبعضنا »
ارى الاقرع عمت ليه ، « عمت بصيرته »

واخذ الاقرع القصبة والكيس الصغير ، « السبسى والمطوى » ، وذهب الي المقهى حيث يخالط الصعاليك أصحابه ، وحشـــا القصبـــة بالمخدر واخذ يدخن ، وحين أراد أن يرمي الرماد وقعت كرة ذهبية صغيرة من السبسى ، فأمسكها غير مصدق ، ودخن ونفض الرماد فوقعت كرة ذهبية صغيرة ثانية ، فانتحي ركنا بعيدا ، واخذ يدخن ، فتساقطت بدلا من الرماد كرات ذهبية صغيرة ، فباع بعضها واشترى كســـوة كاملة ، ورآه اخواه فسألاه وقد ظنا به الخير وانه قد غير طريقه المعوج في الحياة ، فأجابهما ، « كل ما حدث هو أن الله قد رزقنى » ، ولم يقل لهمـــا الســـر .

وفي يوم ذهب وجلس تحت أسوار قصر السلطان يدخن قصبته ، وتساقطت الكرات الذهبية بدلا من الرماد ، فرأته الاميرة بنت السلطان فدهشت وأسرعت وأرسلت اليه جاريتها لتناديه ، فذهبت اليه وقالت ، « تعالى كلم اللالة » فدخل القصر .

ويقـــول الشـــاعـــر :

مشى المشور وضل فيه ، « مشى فى المشور وهو مكان متسع أمام القصر وبقى فيه »
بنت السلطان تشوف فيه ، « تنظر اليـــه »
داير يكمى وريوكه سايلين ، « مضى يدخن وقد سال لعابه »
عيطت للخادم مسعدة ، « نادت للخادم ، مسعدة »
قالت لها هذا احكيم الفايدة ، « هذا حكيم ممكن نستفيد منه »
سيرى ناديه يا مسعدة ،
قالت له تكلـــم اللالـــة ،
بنته السلطان بها وزين ، « ذات بهاء وجمال »

وضحكت له بنت السلطان ، وكعادة النســـاء أن أردن شيئـا خدعن ، وقالت له ، « لقد اعجبتنى فأنت شاب جميل » ، وسألته عن سر القصبة ، وهل يتساقط الذهب منها بقدرته أم ان السر موجود فيها ، فأجابها ، « ليس لي دخل فيما تعطيه القصبة من ذهب جربى »، فتناولت القصبة ، ودخنت ، فتساقطت كرات الذهب الصغيرة بدلا من الرماد ، فطمعت وقالت له ، « هل تعطينى هذه القصبة كصـــداق لي ، وانا اتزوج بك واعطيك الف دينار ، وستذهب وتخطبنى من ابى وان سالنى رايى وافقت » .

ففرح فرحا شديداً ، واخذ منها المال وانصرف ، وذهب الـى أخيه التاجر وأخبره أن لديه مالا وهو يرغب أن يشترى له التاجر بغلة وهدايا وملابس لانه سيذهب للسلطان ويخطب منه ابنته ، فحذره التاجر ، لانه لا يصح منه أن يذهب ويخطب بنت السلطان ، فهـذا حمق ، ولن يقبل السلطان أن يزوجه ابنته ، لكن الاقرع اصر وصمم على رايه وفكرته ، فقال التاجر لنفسه ، « آخذ منه المال واشترى له ما شاء وآخذ جزءا من المال لنفسى فهو لا يعرف الاسعار »، واشترى له التاجر ما طلبه بعد أن أخذ الكثير من المال لنفسه .

ولبس الاقرع ثيابه الجديدة ، وركب بغلته وحملها بالهدايـــا ، وذهب الى السلطان ، واثار جلبة وصاح وتشاجر مع الحراس ، فسمع السلطان ضجيجه وسأل ما الخبر ، وطلب منهم ان يحضروا من أحدث الضجيج اليه ، وعندما جاءوه به، لم يرض أن ينزل عن بغلته ، ومثل امام السلطان راكبا أياها ، فدهش السلطان وسأله ماذا تريد ، وفى وقاحة قال الاقرع ، « اريد أن أتزوج ابنتك » ،

فأمر السلطان أن ينزلوه عن بغلته ، ويأخذوها بما عليها ، وأن يخلعوا ثيابه ويضربوه مائة ضربة بالعصا ثم يرموه خارج الاسوار، ونفذ الحراس امر السلطان .

وظل ملقى على الارض حتى خفت آلامه وقلت أوجاعه ، وامكنه بصعوبة أن يقوم ، وذهب الى أخيه التاجر ، وحكى له ما حدث ، فأنبه التاجر وذكره أنه قد حذره ونهاه عن الذهاب ، وخطبة ابنة السلطان ، وعالجه وسأله ، « ماذا ستفعل ؟ » ، فقال له ، « ان الضرب قتلنى

فاعطني العمامة التي أخذتها من الغرفة المقفلة فربما كان فيها بركة من بركات أبي فتشفيني » ، فوافق التاجر لتفاهة قيمتها ، وقام ليحضر له العمامة ، وذلك لان الاقرع ظن ان في العمامة سرا ما دامت القصبة قد تساقطت منها الكرات الذهبية .

واخذ العمامة وانصرف ، وقلبها وحكها وشدها وبحث في نسيجها لكنه لم يجد شيئا ، ويئس وظن انها عمامة قديمة عادية ، فلفها حول راسه ومشي ، فقابل أحد اصدقائه وناداه ، فظهرت الدهشة على وجه صديقه ، ونظر حوله في كل مكان مذهولا وهتف « من ينادى ؟ »، وكان من الواضح انه لا يراه ، فعرف الاقرع أنها طاقية الاخفاء ، من لبسها اختفى عن الانظار .

فأسرع الى بنت السلطان ، ومر امام الحراس دون ان يروه ، ودخل القصر ولم يمنعه احد وذهب الى غرفة الاميرة ، وحين اصبح امامها وهى لا تراه ، قال « مـــومـــو » كأنه قطة ، فصـــرخـــت، تسأل ، « أانسى أم جنى ؟ » ، فأجابها ، « أنـــا الاقرع ابن الحـــاكم الاطـــون » ، وأرادت أن تخدعه مرة اخرى ، فضحكت وتصنعت الدلال وقالت ، « اظهر يا حبيبى فانني اريد ان اراك » ، فقال لها ، انه ذهب لابيها وحكى لها ما جرى له معه ، فقالت ، « سأنادى ابى واجعله يعتذر اليك ويصالحك » ، وهتفت ، « لكن كيف تكلمنى وأنا لا أراك »، نخلع العمامة وظهر امامها ، فاندهشت وسألته عن السر فبين لها انها طاقية الاخفاء من يلبسها يختفى عن الانظار، فسألته ،« هل استطيع ان أجربها ؟ »، فاعطاها العمامة ولبستها فلم يعد يراها أمامه ، وخرجت ونادت العبيد وأمرتهم أن يمسكوه ويضربوه ويرموه الى الخـــارج ، فامسك به العبيد ونفذوا ما أمرتهم به بنت السلطان .

وظل ثلاثة أيام مريضا يئن من الالام والاوجاع ويقاسى من الجوع، وقال لنفسه ، « لابد أن فروة الخروف فيها سر » ، فذهب الى أخيه الفقيه ، وطرق باب الدار ، ففتحت له الجارية ، وما ان لمحه الفقيه حتى هتف ، « ماذا بك يا اخي » ، فقد راعه ما وجده فيه من تعب ومرض وانهاك ، فرد عليه وهو يرتعش ، « انني لم آكل منذ ثلاثـــة ايام » ، فأمر ، فأحضروا له أصنافا من الطعام واعطاه كسوة ، وقال له الاقرع ، « الحق يا اخي لقد انهكنى المرض ، فأردت أن أنام فوق

الفروة آلتي اخذتها من الغرفة المغلقة ، فربما كانت بها بركة من بركات ابى ، آن نمت عليها شفتنى »، فأحضر له انفقيه الفروة وأعطاها له ، فأخذها ومشي ، وبعد ذلك اخذ يقلبهـا ويتفحصهـا فلم يجد فيها شيئا غير عادى ، فيئس وغضب وحزن ، وقال ، « لا فائدة من الفروة »، عندئذ هداه آلله وقال لنفسه ، « ان أبى كان فقيها يصلى عليها ، فماذا لو قمت وتوضأت وصليت ركعتين لله ، وابتهلت اليه تعالى ، أن يشفينى ويهدينى سواء السبيل »، وقام وتوضأ ووقف فوق الفروة وبدأ بالصلاة وصاح :« آلله أكبر »، وما أن انتهى من التكبيرة الاولى حتى ظهر أمامه عفريت ، انحنى له وقبل الارض وقال :

أطلب منـى ما تشاء أحققه لك
فانني طوع أمرك ، اجيب رغبتك
ما تريـد يكـون بيـن يـديـك
مال الشرق يجىء لك ومال الغرب ياتي اليك

فقال للعفريت :« خذنى عند بنت الملك » ، فطارت فروة الخروف وعليها الاقرع ووجد نفسه فى غرفة بنت السلطان ، وحين رأته مضت فى خدآعه مرة ثالثة ، فهتفت متصنعة الفرح ، « يا حبيب القلب ، أخيرا جئت يا حبيبى ، لكن كيف جئت ؟ »، فأجابها :« وقفت على هذه الفروة وصحت ، « آلله أكبر » فظهر العفريت خادمها وانحنى وقبل الارض وطلب منى أن أبدى له أى رغبة فيحققها فى الحال ، فسألته أن يحضرنى اليك » ، فقالت له ، « غير معقول « ، وابتسمت له ووقفت فوق الفورة وصاحت :« الله أكبر » فظهر العفريت وآنحني لها وقبل الارض وقـال :

أطلبـى ما تشـائيـن احققه لك
فانني طـوع أمرك اجيب رغبتـك
ما تريدين ، يكون بيـن يـديـك
مـال الشرق يجىء لك ومال الغرب يأتى اليك

فقالت للعفريت « خـذ هذا الاقرع وارمه بعيدا فى ربـع الدنيـا المهجور »، فوجد الاقرع نفسه فى صحراء واسعة قفراء ، موحشـة كئيبة ، حيث لا شيء أمامه على الاطلاق ، ومر يوم ويومان ، وفى اليوم

الثالث ، أبصر الاقرع ثلاث حمامات ، أقبلن طائرات فى الهواء ، ونزلت الحمامة الاولى ، وما أن لمست الارض حتى تحولت الى فتاة جميلة ، ونزلت الحمامة الثانية والثالثة ، فاذا أمامه ثلاث فتيات جميلات ، ابتسمن له وقبلن الارض بين يديه ، وقالت واحدة منهن ، « مولانا وسيدنا ، اننا مرصودات لخدمتك ، لان أباك الفقيه الصالح الحاكم افلاطون ، كان يعرف قبل أن يموت أنك ستحضر الي هذا المكان ، ومن هنا يبدأ سعدك ، سنأخذك الى مكان حيث الكنوز والخير ، وقد أعد لك الطريق لتسير فيه وتأخذ ما تستحقه من الدنيا » .

واستمرت فى الكلام ، وقالت ، « ستأخذك أختى »، وأشارت الى احدى الفتاتين وستوصلك الى قصر ، وهذا القصر مسدود وليس له باب ظاهر ، لكن در حوله ثلاث مرات وسيفتح لك بابه المختفى فادخل القصر ، وستجد شيخا كبيرا مكبلا بالاغلال والسلاسل الحديدية ، وسيسألك ، هل أنت ابن الحاكم افلاطون ؟ فأجبه ، نعم ، وسيسألك هل انت جوعان ؟ فأجبه نعم ، وسيقول لك ، كل ، وحين تنتهى من الطعام عد الى وستجدني قد مت ، فاغسل جثتى وكفني وادفني فى هذا القبر ، وسيشير الى قبر محفور أمامه وسيقول ، وسيجيء أناس ليصلوا صلاة الجنازة ، وبعد الصلاة سينصرفون ، وبعد ذلك أخرج من القصر وستجد بجوار الباب حديقة فادخلها ، وتوجد هناك فى الحديقة شجرتان من أشجار التين ، واحدة فيها تين ابيض والاخرى تينها اسود، فخذ ثلاث تينات بيضاء وثلاث تينات سوداء ، ومن يأكل تينة سوداء ينبت له قرن فى رأسه ، فان أكل تينة بيضاء يختفى القرن فى الحال ، واذهب الي قصر السلطان وارم التينات السوداء فى القناة التى تروى الحديقة وسيأكل السلطان وزوجته وابنته التينات ، وستنبت لهم قرون، فاذهب وعالجهم بالتينات البيضاء بعد أن يعدك السلطان بالزواج من الاميرة .

وحملته الجارية ووجد نفسه أمام القصر ، الذى ليس له باب ، فدار حول القصر ثلاث مرات ، فظهر أمامه فجاة باب كبير فى سور القصر فدخل منه ووجد شيخا مكبلا بالاغلال والقيود الحديدية فى يديه ورجليه ، وسأله الشيخ ، « هل أنت ابن الحاكم افلاطون ؟ » فأجابه ، « نعم » ، فسأله الشيخ ، « هل أخذت منك بنت السلطان

القصبة والعمامة والفروة ؟ » فأجابه ، « نعم » ، فسأله ،« وهل أنت جوعان ؟ » ، فأجابه ،« نعم »، فقال له ، أدخل هذه الغرفة وستجد الطعام ، فكل ، وحين تنتهي اخرج ، وستجدني قد مت ، فاغسل جثتي وكفني » ، واشار الى قبر محفور أمامه واستطرد ، « ثم سيحضر الناس فصل معهم صلاة الجنازة ، وادفني هنا ، واخرج بعد ذلك من القصر وستجد حديقة ، فادخلها ، ان فيها شجرتين من أشجار التين ، واحدة تينها أبيض ، وواحدة تينها أسود ، ومن يأكل تينة سوداء ينبت لــه قرن في راسه ، فان أكل تينة بيضاء اختفى القرن في الحال ، وستأخذك جارية وتوصلك الى قصر الملك فارم في قناة الحديقة التينات السود ، وسيأكل الملك والملكة والاميرة التي عذبتك التينات السوداء فتنبت لهم القرون ، عندئذ يمكنك أن تشفيهم ان أعطيتهــم التينـــات البيضـــاء ، واكلوها ، لكن لا تعطها لهــم قبل أن يعدك السلطان بالــزواج مــن ابنته الاميــرة .

فدخل الاقرع الغرفة التى أمره الشيخ بالذهاب اليها ، فوجد مائدة عامرة بأنواع الطعام ، فأكل حتى شبع ، ورجع الى الشيخ فوجده قد فارق الحياة ، فغسل جثته وكفنه ، وحضر أناس كثيرون ، وصلوا ، وصلي الاقرع معهم صلاة الجنازة ، ثم قام ودفن الشيخ في قبره المحفور، وخرج من القصر ، فوجد حديقة فيها صفين من أشجار التين ، صف أشجاره تينها أسود والآخر أشجاره تينها أبيض ، فأخذ ثلاث تينات بيضاء ، وثلاث تينات سوداء ، وجاءت اليه الجارية الثالثة ، فالاولى كلمته والثانية حملته الى القصر الذى ليس له بواب ، أما الثالثة فقد حملته على ظهرها ، ووجد نفسه فجأة أمام قصر السلطان فرمي فــي القناة التي تروى مياهها حديقة السلطان ، الثلاث تينات السوداء ، فحملتها المياه الى داخل الحديقة ، ورآها البستاني ، وكان ميعاد نضج التين فوق أشجاره لم يأت بعد ، بل بقيت له ثلاثة أشهر لينضج ويوجد ، ففرح البستاني بالتينات الثلاث السوداء التى وجدها في غير أوانهــا وميعادها فأخذها بسرعة الى السلطان .

فأكل السلطان واحدة ، واعطى تينة لزوجته فأكلتهـــا ، وتينـــة لابنته ، وفي صباح اليوم التالى نبت للسلطان قرن في رأسه ، ونبت

لكل من زوجته وابنته قرن فى راسها ، فاحضروآ الاطباء ، لكن أحدا
منهم لم يستطع أن يشفيهم أو يزيل القرون من رؤوسهم .

فلبس الاقرع عمامة ، وذهب الى القصر وادعي انه يستطيع ان
يداويهم ، فأخذه الحراس آلى السلطان فى الحال ، ولما مثل أمامه ،
قبل الارض بين يديه ، وقال ، « يمكننى ان اشفيك انت والملكة والاميرة
يامولاى » ، فأجابه السلطان فرحا ، « ان فعلت أعطيك ما تشاء واحقق
ان اية رغبة تبديهـــا » ، فقال الاقرع ، « لى رغبة وحيدة يا مولاى ،
ان تزوجنى الاميرة » ، فوعد السلطان بذلك ، فأعطاهم الثلاث تينات
البيضاء ، واكلوها ، واختفت القرون من رؤوسهم فى الحال ، ففرحوا
بالشفاء ، وحكى الاقرع السلطان قصته من اولها ، فتعجب السلطان
من امره ، ونفذ وعده ، وزوجه الاميرة وعاشوا سعداء .

كل يغني على ليلاه

استيقظ الرجل من النوم مبكرا وصلى الفجر ، وذهب الي الحمام، ورجع الي داره قبل ان تشرق الشمس ، وبينما هو يهم بدخول الدار قابل مالكها ، واتفق أن كان اليوم أول الشهر ، وبادره صاحب الدار بقوله ، « صباح الخير » ، ولم يقل كلمة غيرها ، لكن الرجل عندما راى صاحب الدار ظن أنه قد جاء ليطالبه بالايجار ، طاف بذهنه كل هـذا، فأجاب صاحب الدار ، « ما أن تمضى ساعة من النهار حتى أحضر اليك الدراهم ، نعم سأحضرها لك » . ودخل الرجل الى داره ، وكانت زوجته جالسة تفكر فى حاجتها الي غطاء لراسها « سبنية »، فحكى لها الرجل ما حدث وهي شاردة الذهن وقال ،« لقد قابلنى صاحب الدار وقلت له ما أن تمضى ساعة من النهار حتي أحضر اليك الدراهم ، نعم سأحضرها، لـك » فلم تنتبه الزوجة الا لكلمة سأحضرها لك ، فظنت وهى التى كانت تفكر فى غطاء راسها ، أن زوجها سيحضر لها الغطاء ، فأجابته، « أحضرها سوداء أو حمراء ، المهم ان أغطى بها راسى » ، تقصد لون « السبنية » غطاء الراس . وبعد لحظات ، جاءت الابنة ، وكانت شابة حسناء تأخر زواجها قليلا ، وكانت تفكر فى الزوج المقبل ، والخاطب المنتظر .

وحكت لها أمها ، ان أباها سيحضر لها غطاء رأس ، وسيأتى به اليها ، فهيء للابنة التي كانت تفكر فى الزواج أن أباها سيأتى لها بزوج، وسيحضر لها خطيبا ، فأجابت، ،« أن آتى بشريف « تقصد رجلا من نسل الرسول ، أو برجل من عامة الناس سأرضى به زوجا » .

وبعد قليل دخلت الفتاة الى مطبخ الدار حيث كانت الخادمة تجهز الطعام وقد انتهت من اعداد الخضر ، وتنتظر أن يحضروا لها



وبادره صاحب الدار بقوله « صباح الخير، فظن أنه جاء ليطالبه بالايجار،
فأجابه، ما أن تمضي ساعة من النهار حتى أحضر اليک الدراهم.

اللحم ، وقد ذهب خادم ليأتى به ، فقالت لها الفتاة ، « ان أبى سباتى الى بعريس وسيحضره معه بعد قليل ، ولست أعرف ان كان شريفا أم لا »، لكن الخادمة قاطعتها ولم تنتبه الا لكلمات «سيحضره بعد قليل»، وكانت تفكر فى أن يحضروا لها اللحم الذى تنتظره منذ ساعة ولم يأتوا به اليها بعد ، فقالت ،« يحضروا لى لحم بقر ، أو لحم غنم ، سأطبخه أيــن هــو اللحم لقــد تأخــروا » .

المقدر والمكتوب

كان الرجل يعمل تاجراً ، ولم يكن عنده من الابناء سوى ولـد وحيد ، يحبه ويعتنى به عناية شديدة .

وذات يوم احضر التاجر لابنه كتابا فيه لغة الطيور ، وطلب منه أن يحفظ لغة الطيور ، ووعده ان حفظ الكتاب أن يأخذه معه فى رحلته المقبلة ، فجد الولد واجتهد وحفظ لغة الطيور وعرفها معرفـة جيـدة .

ولمـا حـان ميعاد سفر الاب أراد ان يصحب ابنه معه ، لكن الام عارضت لان الاب سيسافر لبلاد بعيدة ، وسيغيب مدة طويلة ، فقال لها الرجل انه وعد ابنه ولا يستطيع أن ينقض بوعده .

وسافرا ، ومضت أيام كثيرة ، وذات يوم بينما كانا يسيران فى الصحراء ، اذا بغرابين يقفان قريبا منهما ويتكلمان بلغة الغربان ، فسأل الاب ابنه ،« ماذا يقول الغراب لصاحبه ؟» فأشاح الابن بوجهه وصمت ، ولم يرد على ابيه ، لكن الاب اصر على معرفة حديث الغربـان ، فقال له الابن »« ان هذا الغراب يقول للاخر ، اننى سأصبح سلطانا وستكون أنت خادمـا عنـدى » .

ومشت القافلة فى طريقها ، وتضايق الاب مما سمعه من ولده واصابته الهموم والاحزان ، فدبر خطة ونوى أمرا ، فبعد أيام حين وصلوا الى شاطىء البحر ، أحضر الاب صندوقا ووضع فيه ابنه ورماه فى البحر حتى لا يكون سلطانا ويصبح هو خادما عنـده .

وحين رجع التاجر بعد مدة طويلة من رحلته ، أخبــر زوجته أن ابنهما قد مات أثناء السفر ، فحزنت الام حزنا شديدا .

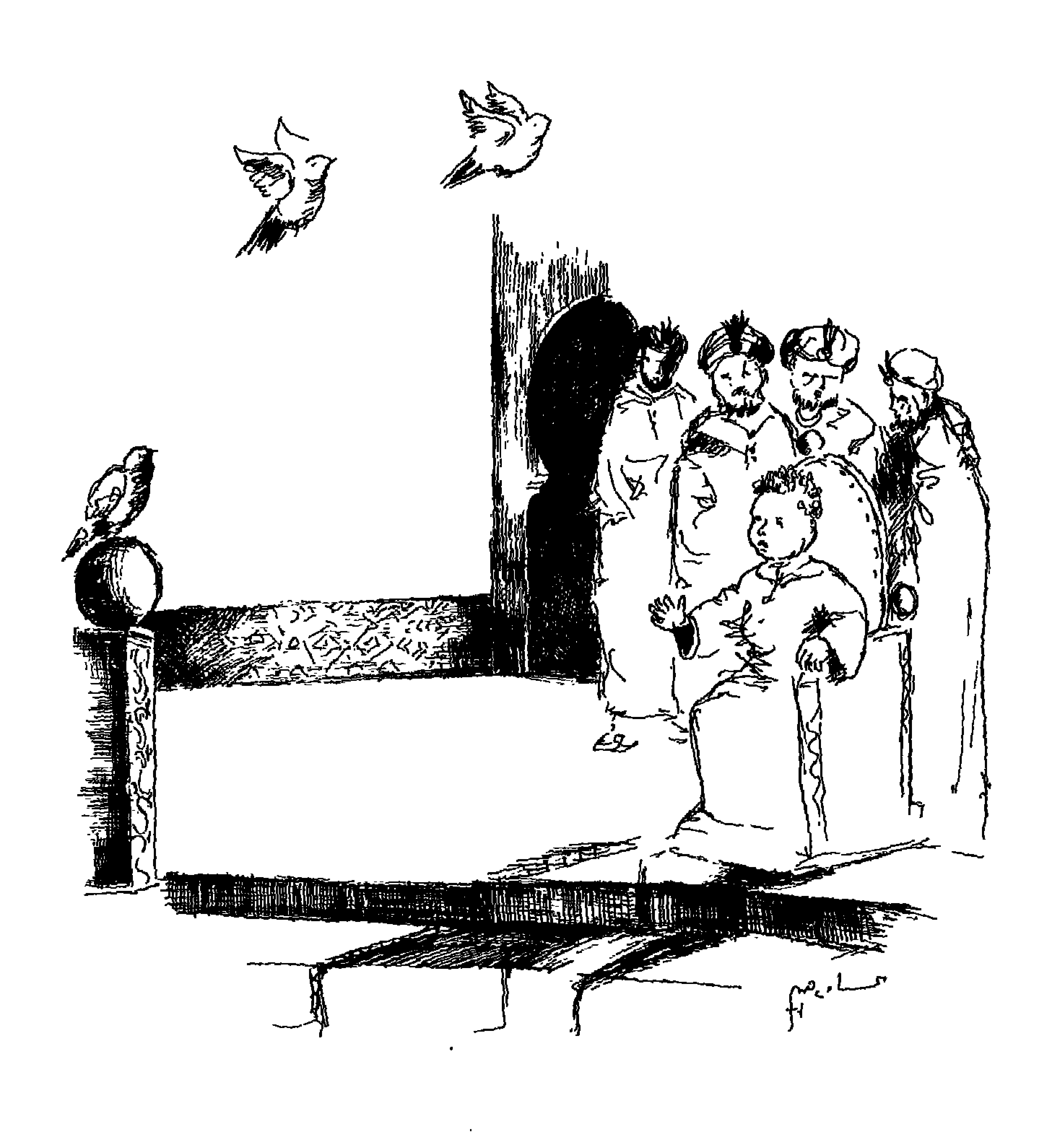
أما الولد فقد ظل داخل الصندوق ، تتقاذفه الامواج حتى رمته على شاطىء جزيرة بعيدة فى البحر .

وكان لهذه الجزيرة سلطان حدثت له أحداث غريبة منذ اربعين يوما قبل أن تقذف الامواج بالصندوق الى جزيرته ، ذلك أنه جاءت اليه ثلاث حمامات ، ووقفت امامه وكلمته بلغه الحمام كلاما كثيرا ، فقال لها السلطان تعالوا فى الغد ، لانه لم يفهم شيئا من كلامها ، وكان أهل الجزيرة كلهم لا يعرفون لغة الحمام، وقد غضب السلطان غضبــا شديدا لانه لم يعرف ماذا يريد الحمــام .

وكان السلطان يستدعى رجلا من اهل الجزيرة كل يوم ويسأله، ماذا يقصد الحمام وماذا يقول ؟ ، فلا يعرف الرجل كيف يجيب السلطان لجهله بلغة الحمام ، فيصدر السلطان امرا بموته ، ويصلون عليــه صلاة الجنازة ، لكن السلطان كان يؤجل تنفيذ الحكم مؤقتا . ويجيء بشخص آخر ويسأله ، فلا يعرف لغة الحمام ، فيصدر حكما بموتــه ويعتبر الرجل نفسه ميتا ، وهكذا أصبح أهل الجزيرة كلهم فى عداد الموتى وهم احياء ، ولم يبق الا شخص واحد ليسأل .

وفى هذا اليوم قذفت أمواج البحر الى شاطىء الجزيرة بالصندوق فانتشلوه وأخرجوا الولد منه وسألوه ، « أ انسى أنت أم جنــي ؟ »، فأجابهم ، « أنا انسى »، وحكوا له حكاية الحمامات الثلاث ، وقالوا ، اننا كلنا أموات ، فالسلطان سينفذ فينا الحكم بالموت جميعا فى الغد ». فطلب الغلام أن يذهبوا به الى السلطــان .

وفى الصباح جاءت الحمامات الثلاث وانحنت وحيــت السطــان وكلمته ، فخاطبها الغلام بلغتها ، وظل يتكلم معها وفهم مشكلتهــا ، فسأله السلطان ،« ماذا يقول الحمام ؟ »، فطلب الغلام من السلطان أن ينزل عن العرش اذا اراد الجواب ، فنزل السلطان عن العرش فقال له الغلام ، « ان الحمامات الثلاث ذكران أولاد عم وأنثى ، وكل من الذكرين يحب الحمامة الانثى ، ويريد أن يتزوجها ، وقد سألانى ان أحكم بينهما ، فانتظر قليلا يا مولاى حتى اصدر حكمــي » .



فطلب الغلام من السلطان أن ينزل عن العرش اذا أراد الجواب وأخذ الغلام يكلم الحمام

واخذ الغلام يكلم الحمام ، والحمام يكلمه ، وبعد مدة من الزمن ذهبت حمامة الى ناحية اليمين ، وحمامة الى ناحية اليسار ، ووقفت حمامة بينهما فى الوسط ، واخذت هذه الحمامة تنظر تارة الي اليمين وتارة الي اليسار ، ثم سارت الى اليمين وطارت مع الحمامة الواقفة هناك ، وبقيت حمامة واحدة ناحية اليسار ، فخاطبها الغلام بلغة الحمام ، فبكت بكاء كثيرا ، وردت عليه ، وتكلمت معه ، لكن الغلام قال لها فى حزن كلاما بلغتها لم يفهمه احد ، فطارت فى اتجاه مخالف لناحية التى طارت اليها الحمامتان .

فاندهش الملك واهل الجزيرة كلهم ، وسأل الملك الغلام أن يشرح له ما حدث بينه وبين الحمام . ولماذا طارت الحمامتان وبكت الحمامة ، فأجاب الغلام ، « لقد حكمت ان يقف كل ذكر من الحمام فى ناحية ، لان كلا منهما يحب الحمامة ، وقال لى أنه يحبها اكثر من ابن عمه ، وسألت الحمامة الانثى أن تقف فى الوسط ، وأن تختار من تحبه وترغب فيه ، لان هذا هو المهم ، حب الانثي ، فلا يكفى حب الذكر ، فاختارت أحدهما واتجهت الي ناحيته ، وطارت معه ، فقلت للآخر ، ان الانثي اختارت ابن عمه ، فأجابني « أننى سأظل أحبها الى ان أموت « ، فقلت له ، هذا لايهم ، انها تحب غيرك ، وعليك أن تذهب الي بلاد بعيدة عن بلادها ، وليس لك آلا أن ترحل ، فبكى وطار فى اتجاه مخالف ؛ وقد قسوت عليه فى الكلام حتى ينسى حبه ، فأجلس السلطان الغلام على العرش وقال له ، « ستصبح انت السلطان وأنا وزيرك » ، وعاش أهل الجزيرة فرحين بسلطانهم الجديد .

أما التاجر الاب ، فقد خسرت تجارته ، وفقد ماله ، وساءت به الاحوال حتى أصبح فقيراً وهاجر من بلدته مرة ومرات ، حتى رمت به المقادير الى تلك الجزيرة ، فاشتغل هو وزوجته كخدم فى قصر السلطان .

وفى يوم ماتت طباخة السلطان ، وعينت أمه طباخة فى القصر ، كل ذلك دون أن يعرف السلطان ان اباه وامه يخدمان عنده فى القصر ، وفى ذلك اليوم قدموا الطعام للسطان ، وكان أول طعام تطبخه أمه ، وذاق الطعام وتذكر طعام امه ، وسأل ، « من طبخ الطعام ؟ » ، فأجابوه ، طباخة جديدة ، فطلب ان يجيئوا بها اليه ، فأحضروها ،

وقبلت ارض بين يديه ، فعرفها لكنها لم تعرفه ، ولم يقل لها انها امه، وسألها ، « أين زوجك » ، فأجابت ، « يخدم هنا معى فى القصر يا مولاى » ، فسألها ، « أليس عندك أولاد ؟ » ، فقالت ، « كان عندى ولد ذكى وجميل ، وكان يعرف لغة الطيور لكنه رحل مع أبيه ومات اثناء السفر » .

فأمر ان يحضروا زوجها ، وسأله وطلب منه أن يقول الصدق ويخبره بما حدث لابنه ، فبكى الاب ، وحكى حكاية الغراب ، وكيف خاف أن يصبح خادما عند أبنه الذى سيصير سلطانا ، ولذلك وضعه فى صندوق ورماه فى البحر ، فقال الابن السلطان ، « أننى يا ابى ابنك وقد رمانى الموج الى شاطىء هذه الجزيرة » ، وحكى له حكاية الحمامات وما حدث له وتوليه العرش ، وقال هذا هو القدر والمكتوب ، لا نقدر علي منعه أبدا .

الحمقى الثلاثة

كان ثلاثة من الحمقى متزوجين من ثلاث نساء حمقاوات كذلك ، ودورهم تجاور بعضها، وقد اعتاد الرجال أن يجلسوا أمام دار واحد منهم ، وهى تقع على ناصية الطريق .

وفى يوم كان الملك يزور أحد أصدقائه وهو فى مرض الموت ، فمر أمام الحمقى الثلاثة وهم جالسون وقال لهم ،« السلام عليكم »، فوقفوا تأدبا وردوا السلام بأحسن منه ، وبعد أن مشى الملك قال أحدهم « أعرفتما من هذا ؟» فأجاباه ،« انه ملك البلاد »، فقال مفتخرا « لقد حياني وقال لى السلام عليكم » فقال له أحد صاحبيه ،« لا ياصديقى »، ان الملك حياني أنا واقرانى السلام »، فصاح الثالث متعجبا ،« والله ان الملك لم يحيك أنت ولا هو بل قصدنى أنا بتحيته وسلامه »، وتشاجروا ؛ وكل منهم يقول ان الملك خصه بسلامه وتحيته، وافترقوا غاضبين، ورجع كل منهم الى داره وحكى ما حدث لزوجته ، فأيدته فى رأيه بأن الملك كان يعنيه بالتحية .

وفى الليل كانت الزوجات تصعدن الى سطوح الدور وتتجاذبن الاحاديث لتأتنسن ببعضهن ، أما فى هذه الليلة فقد أخذت كل زوجة تؤنب الاخرى على سلوك زوجها وتقول ،« ان الملك حيا زوجى أنا ، واقراه السلام »؛ فترد الثانية وتنفى هذا ، وتدعى أن الملك حيا زوجها هى ، فتصيح الثالثة وتتهم صاحبتيها بالكذب ، لان الملك لا يعرف الا زوجها ، فدب الشجار بين الزوجات الثلاث ، وكانت معركة رهيبة ، فقد التحمن فى الشجار واستخدمن فيه الايادى والضرب وشد الشعر والعض وعلا الصراخ ، وجاء الازواج واشتركوا فى المعركة وعاون كل



وتشاجروا، كل منهم يقول أن الملك خصه بسلام وتحيته

منهم زوجته ، وتجمع انناس وهم مندهشون لهذه المشاجرة الحاميـة التى حدثت فى هداة الليل بين الرجال والنساء كما أصيـب بعضهـم بجروح ، واخذوهم آلى الملك .

فمثلوا أمام الملك وقبلوا الارض بين يديه ، فسأل الملك واحدا منهم عن سبب العراك ، فقال ، « نحن يا مولانا من كنا جالسين امام دارى ، وقد مررت بنا ، واننى لاود ان أسألك يا مولانا من الذى حييته واقرأته السلام ، ولمن وجهت يا مولانا تحيتك السلام عليكم ؟»، فاندهش الملك وعرف انه احمق فابتسم ساخرا وقال له ،« ولماذا تسأل هذا السؤال ؟»، فأجاب ،« لان هذا هو سبب العراك » فاندفع الاخر قائلا ، « الم تعننى أنا بتحيتك وسلامك يا مولاى ؟»، وهتف الثالث « هذا هو مولانا الملك ، اسألوه ، لقد كان يوجه تحيته وسلامه الى انا ، لا اليكمـا » .

فأدرك الملك ، وعرف انهم جميعا حمقى ، فقال لهم ،« لن أجيبكم عنى سؤالكم قبل أن يحكى لى كل منكم احسن حكاية وقعت له فى حياته »، فتقدم واحد منهم ليحكي حكايته ، فسأله الملك ،« قبل أن تحكى لى حكايتك اريد أن أعرف مهنتك ؟»، فأجاب ،« اننى أعمل نساجا للصوف يامولاى »، فأمره الملك بالكلام ، وقال النساج ،« اننى يامولاى أحب الضيوف وزوجتى تكرههم ، فكل يوم أحضر معى ضيفـا أو ضيفيـن للغذاء أو العشاء ، فتتشاجر معي زوجتى وتقول ،« اننا فى أشد الحاجة الي ما نعطيه للضيوف لاننا لسنا اغنياء »، وحدث مرة ، وكان يـوم جمعة وهو يوم عطلتي ، أن احضرت فى الصباح دجاجة لامراتي ، وطلبت منها ان تذبحها وتقليها لنأكلها فى الغذاء مع الكسكس واللفت ، فاشترطت على أن لا أحضر ضيفا فى هذا اليوم حتى نأكل الدجاجة سويا ، انا وهى ، فوافقت ، وتركتها فى المنزل تطبخ الدجاجة ، واخذت الخبز وذهبت به الى الفران ، وانتظرت حتى نضج ورجعت الي دارى .

وجهزت زوجتي مائدة الطعام وجلسنا لنأكل ، لكنها نظرت ناحية الباب وقالت ،« لقد نسيت الباب مفتوحا ، فقم وأقفله »، فقلت لها ، « لا أنت التى نسيت البـاب مفتوحـا ، ذلك اننى عندمـا جئت من الفران ومعى الخبز ، طرقت الباب ففتحت لى ، ونسيت أن تقفليه ، فأنت

التى نسيت الباب مفتوحا ولست أنا ، فقومى واقفلى الباب » ، فاحتدت زوجتى وغضبت وقالت ،« والله لن اقرب الطعام الا اذا قمت وأقفلت الباب »، فتضايقت من عنادها واقسمت بالله أن لا اقرب الطعام الا اذا قامت واقفلت الباب ، ولم يعد هناك حل ، فقد اقسم كل منـــا على أن لا يأكل الا اذا قام الآخر واقفل الباب ، فاتفقنا أن لا نتكلم ومن نطق بكلمة واحدة عليه أن يقوم ويقفل الباب .

ومضت ساعة ولم يتكلم احدنا ، ومضت ساعة اخرى ، وثالثة ، وجاء العصر ومر الوقت ولم يتكلم واحد منا ، وغربت الشمس وبدأت الدار تظلم ، وقامت زوجتى واشعلت القنديل ، وجاءت الى جانبى أمام المائدة ، كل ذلك ونحن لم نقرب الطعام ولم نتكلم .

ومر متسول بالباب فرآه مفتوحا والضوء ظاهرا داخل الدار ، فطرق الباب فلم يرد عليه أحد منا ، وكنا نراه امامنا ويرانا ، واندهش المتسول لسكوتنا لاننى خفت أن أقول له يعطيك الله ـــ كلمـــة تقـــال للمتسولين لصرفهم حين لا ينوى المسؤول أن يعطى المتسول صدقة ـــ فاضطر ان أقوم وأقفل الباب ، وكذلك خافت زوجتى أن تتكلم وتقول له الله يعطيك فتقوم وتقفل الباب ، ونظر المتسول فوجد المائدة عامرة بالكسكس واللفت والدجاجة المقلية ، فأخذ يشير بيده ويردد ما اعتاد المتسولون أن يقولوه من كلمات ، لكننا لم ننهره ، فتقدم خطوة اخرى وهو يردد بأنه جوعان ، ويطلب ولو كسرة من الخبز ، فلم نرد عليه بالطبع، فخطا خطوة واحدة الى داخل الدار لكننا لم ننهره ، فتقدم خطوة اخرى وهو يردد بأنه جوعان ، ويطلب ولو كسرة من الخبز ، فلم نرد عليه بالطبع ، فتقدم خطوة ، فخطوة ، واخذ يلح فى السؤال ولم يجبه احدنا، فتقدم خطوة حتى أصبح أمامنا ، ونحن صامتان لا نقدر أن ننهره ، وكان منظر الطعام مغريا ، الخبز والمشهيات والكسكس باللفت والدجاجة المقليـــة .

فاخذ المتسول يشير الى الطعام ويطلب شيئا منه وليس كســـرة خبز فى هذه المرة فقد شجعه سكوتنا وعدم نهرنا له ، وجلس المتسول أمام المائدة وسألنا هل نسمح له بتناول قليل من الطعام لانه جوعان ولم يأكل منذ ثلاثة أيام ، مبالغا فى القول كعادة المتسولين ، فلم نرد عليه وظللنا صامتين ، فمد يده فى حذر وتناول رغيفا وقطع منه قطعة ،

فلم نكلمه ، فأكل لقمة من الخبز ثم لقمة أخرى ولم ينطق أحدنا بكلمة . فتشجع وأخذ شيئا من الكسكس ونظر الينا خائفا متوقعا أن ننهره ، لكننا ظللنا صامتين، فمد يداً مرتعشة الى جناح الدجاجة وقطعه ، فلم نتكلم معه ، فأكل الجناح ، ثم مد يده وأخذ رقبة ورأس الدجاجة وأكلهما ، وكانت الدجاجة ولا شك لذيذة الطعم ، فأخذ المتسول قطعة من صدرها وأكله ، ولما وجدنا لا نكلمه ولا ننهره ، أكل الدجاجة كلها وأكل الكسكس واللفت ، وشكرنا فلم نرد عليه ، فقام وانصرف .

وجاء كلب من الشارع ودخل الدار ، وتقدم الى ما تبقى فوق المائدة وما تركه المتسول من عظام وفتات ، وأخذ الكلب يأكل عظام الدجاجة ويلعق وعاء الكسكس ونحن لا نتكلم ، وقلب الكلب المائدة فلم أقدر على السكوت وتناولت عصا لاضربه ، فجرى الكلب ، فقمت وجريت وراءه ، فخرج الكلب من الباب ، واصبحت بجانب الباب ، فقالت زوجتي :« اقفل الباب فأنت بجانبه »، ففرحت فرحا شديدا لانها تكلمت ونعجبت من حمقها وقلت لها :« وكيف أقفل الباب ياحمقاء ، انك أنت انتي تكلمت ، فعليك أن تقومي وتقفلي الباب » .

فضحك الملك وقال « حقا هذا دليل الحمق »، ثم أعطى الملك الاذن للاحمق الثاني ليتكلم ويحكي حكايته ، فتكلم وقال :« انني يامولاي أعمل جزارا وزوجتي طماعة شرهة ، تأكل كثيرا ، فالطعام الذي أعطيه لها تأكل نصفه قبل أن تقدمه الي ، والله لو أعطيتها فولتين لاكلت واحدة منهما ، وذات يوم دعيت أحد أصدقائي لتناول الغذاء معي ، وطلبت من جاري وهو جزار مثلي ، زوجين من « الكوارع »(1) فأعطاهما لي ، فأحضرت زوجي « الكوارع » لزوجتي وقلت لها ، « انني أرجو منك أن لاتأكلي شيئا من « الكوارع » هذه المرة ، وزوجان من «الكوارع» ليسا بالشيء الكثير ولن نقدم من الطعام الى الضيف غيرهما ، أياك أن تمسي «الكوارع» قبل أن تقدميها لنا »، فغضبت زوجتي وصاحت وبكت وقالت :« أنت دائما تتهمني بما ليس في ، انني امرأة قنوعة وأنت لا تحضر من الطعام ما يكفينا وتتهمني بسرقته » فطيبت خاطرها وقلت لها، « سامحيني ، لكنني أريد أن تقدمي لي ولصديقي زوجي « الكوارع » »

(1) — كوارع جمع كارع ، والكارع باللهجة العامية ، نهاية رجل الخروف أو البقرة .

وفى ميعاد الغذاء جاء صديقى فرحبت به ودعوته للطعام ، وكم كانت دهشتى عظيمة حين وجدت زوجتى تقدم لنـــا ثلاثة « كوارع » وليس زوجين ، فصبرت على بلواى حتى انتهت الوليمة ، وانصرف الضيف ، فذهبت لزوجتى وقلت لها ، « أيها المراة الجشعة الطماعة ، لقد احضرت لك زوجين من « الكوارع » وأوصيتك أن لا تمسيها ، ومع ذلك اكلت « كارعا » وقدمت لى وللضيف ثلاثة « كوارع » فشهقــت زوجتى وولولت وصرخت وأقسمت باننى لم احضر الا ثلاثة «كوارع»، فتضايقت من كذبها وغضبت ، وأردت ان أؤدبهـــا ، فادعيت اننى مت ووقعت على الارض ، ولم أتحرك ، فصرخت زوجتى وتقدمت منى ، فلم اتنفس واسبلت جفونى كالميت تماما ، فأخذت زوجتى تصيح وتصرخ وتولول ، فجاء الجيران يستفسرون ما الخبر فأجابتهم امرأتى اننى قد مت،فحملوني ووضعونى فوق الحاشية وغطونى كالموتى .

وفى الصباح جاء اهلى واحضروا العمال،فغسلوا جثتى ولفوني فى الكفن ، فسأل الملك مندهشا ،« كل هذا وانت صابر لا تتحرك »، فأجاب ،« نعم يامولاى حتى أؤدب المراة »، واستأنف الجزار حديثه وقال ،«ووضعونى فى النعش وخرجت الجنازة يشيعها الاهل والاصدقاء ومعهم امرأتى تصرخ وتولول حزينة على فقدى ، ومرت الجنازة امام دكان جارى الجزار الذى اخذت منه « الكوارع »، فسأل « جنازة من هذه ؟»، فأجابوه ، فلان الجزار ، وذكروا اسمى ، ودهش الرجل وذهل وقال ،« لاحول ولاقوة ألا بالله لقد أعطيته امس زوجين من «الكوارع» ليطبخها لضيف دعاه »، فقمت من النعش ورفعت غطاءه فجرى الناس مذعورين وقلت لجارى ،« قل لزوجتي ، فانها تدعى اننى أعطيتها ثلاثة « كوارع »، ورجعت الى دارى وانا فرحان،وضحكت وقلت لزوجتى ، « اقسمى على بالتوبة وعدم أكل الطعام قبل أن أذوقه معك ، وأن تكفى عن الشراهة وتصبحي قنوعة »، فقالت لى ،« تبت ، ولن اسرق الطعام بعد اليوم » .

فضحك الملك وقال « هذا دليل الحمق » ، واعطي الملك الاذن للاحمق الثالث ، فقال ،« انني يامولاى أعمل بناء وقد وقعت لى حادثة مع نسيبتي ، « حماتى » فمرة كنت أبني دارآ لتاجر من التجار ، وكان التاجر بخيلا ، لكنه كان يدفع فى النهاية ما عليه من واجبات ، وكان

يعطيني المال فأشترى المواد اللازمة واعطى العمال اجورهم ، وفى يوم كان هناك ما يزيد على عشرين عاملا يشتغلون فى البناء ، وانتهى اليوم وجلست مع العمال انتظر حضور التاجر ليعطينى النقود ، فأعطى للعمال أجرهم ، لكنه تأخر وأذن المؤذن لصلاة العشاء ، فقمنا وصلينا وانتظرنا بعدها ساعة ، لكن التاجر لم يجىء ، ولم تكن معنا جميعـا اية نقود ، والعمال لا يعرفون التاجر ولا يتعاملون معه فأنا المسؤول امامهم ، واخذ العمال يبدون تذمرهم وضيقهم ويشرحون كيف أن أسرهم وأولادهم ينتظرونهم وينتظرون ما يحضرونه من طعام ، وأن الوقت قد تأخر وأنا الاخر يا مولاى كانت حالتى مثلهم .

وأخيراً بعد صلاة العشاء بساعتين ، جاء التاجر وأعتذر بحادثة وقعت لابنه ، وأعطاني النقود ، فأعطيت العمال اجورهم وبقى معـى شيء من المال ، وسرت الى دارى ، وفى الطريق لم أجد حانوتا مفتوحا فقد أقفل التجار كلهم ، ولم استطع ان اشترى شيئا من الطعام لاهلى ، وحين وصلت الى دارى أخذت زوجتى تؤنبنى ، وشكت من اهمالى ، لان أولادى السبعة جائعون ولم يستطيعوا النوم ، وينتظرون العشاء ، فحكيت لها ما حدث وقلت لها ،« هاهي النقود ، فخذى مـا تشائين واحضرى الطعام »، فغضبت ، لان الوقت متأخر ولم يكن هناك حانوت مفتوح ، وتجمع الاولاد حولنا يطلبون الطعام ، فقلت لزوجتى ،« ماذا لو ذهبت وسألت الجيران أن يبيعوك شيئا من الطعام »، فأخذت بعض النقود وقالت انها ستذهب لجارة عندها دجاج ، وتحاول أن تشترى منها بيضا .

وخرجت زوجتى وغابت قليلا ثم عادت وقالت ،« لم أجد عندها الا تسع بيضات ورغيفا من الخبز »، فسلقت زوجتى البيض واعطت كلا من اولادها بيضة وكسرة خبز واخذت هى بيضة واعطتنى بيضة وكسرة خبز ، والتهم كل من الاولاد بيضته بسرعة ، وكذلك زوجتى ، أما أنا فقد أخذت أضحك ، لانني بعد يوم ملىء بالعمل الشاق تعبت فيـه كثيراً ، وقد انتظرت التاجر ساعات طويلة ، وبحثت كثيرا فى السوق عن أى حانوت لاشترى منه طعاما ، ثم فى منتصف الليل لا اجد الا بيضة مسلوقة وقطعة صغيرة من الخبز لا تكفى طفلا ، فوضعت البيضة امامى انظر اليها وافكر فى ما حدث لى فى هذا اليوم ، وإذا بالباب يطرق ،

نسالنا :« من بالباب ؟» ، فرد صوت نسائي عرفنا أنه صوت نسيبتى أم زوجتى ، وهي تعيش فى بلدة اخرى ، واسرعت بتقشير البيضة ، وما إن وضعتها فى فمي حتى دخلت نسيبتي فلم يعد هناك متسع من الوقت لهضمها وبلعها ، فأبقيت البيضة صحيحة فى فمى ناحية شدقي الايمن، وسلمت على نسيبتى ، وتعجبت وسألتنى عن سر هذا الورم فى خدى، فقلت لها أنه ورم أصابني ولا ادرى كيف أعالجه ، فردت ، انها تعرف العلاج الوحيد وهو الكي بالنار ، وأحضرت قضيبا من الحديد واشعلت النار ووضعت فيها القضيب حتى صار لونه احمر ، واقتربت منى ممسكة بالقضيب الساخن لتكوى خدى ولم اقدر أن أقول لها ان فى فمى بيضة فتعرف أننى كذبت عليها حتى لا اقدم لها البيضة لتأكلها ، فصبرت ورضيت ان اتحمل الآلام واقتربت المراة وكوت خدى المتورم كذبا بالنار، وكان الالم لا يطاق ، فشهقت وصرخت « آه » فوقعت البيضة من فمي فخطفتها نسيبتى وأكلتها فى الحال » .

فضحك الملك كثيرا وقال « هذا دليل الحمق » ، لكن الحمقى الثلاثة عادوا يسألون الملك عن الذى قصده بتحيته وسلامه ، ذلك لانهم حكوا له ما طلب ، فأجاب الملك :« ان التحية والسلام لله ، ولم اقصد اى واحد منكم » . وانصرفوا ، وحين عادوا الى دورهم اخذوا يتجادلون مرة أخرى ويدعي كل منهم انه كان المقصود ، وأن الملك وجه التحية والسلام اليه .

يا أبا خذ معلمتي

كان الرجل يعيش سعيدا مع زوجته وابنته الوحيدة ، وذات يوم احضر لابنته جارية لتهتم بها وتعلمها التطريز والخياطة ، لان زوجته لم تكن تتقن هذه الاعمال .

ومضت آلايام ولم تتعلم البنت شيئا يذكر ، ويرجع ذلك لعدم مهارة الجارية ، فرءى الاب أن يبعث بابنته الى معلمة ماهرة فى الخباطة والتطريز لتلقن ابنته الصنعة ، وأظهرت البنت نبوغا ، فلم تكد تمضى عدة شهور ، حتى كانت قد أتقنت الكثير من فنون التطريز ، وتعلمت كيف تصنع القفاطين والملابس النسائية ، البدعيات (1) والدفينات (2) وكانت المعلمة امرأة مطلقة لديها ابنة تماثل الفتاة فى العمر وتساعدها فى العمل، وقد اقتضت الظروف أن تمكث الفتاة فى دار معلمتها أوقاتا كثيرة ، وبالطبع تتكلم النساء ، وخاصة اذا كان العمل الذى تقمن به الخياطة والتطريز ، ومن ثم عرفت المعلمة كل شىء عن حياة الفتاة وأسرتها ، وعن الاب وحياته المرفهة ، وعرفت كذلك أن زوجة الرجل لا تتقن شيئا من أعمال الخياطة والتطريز ، وكانت المعلمة مغرورة ، وتظن أن اتقانها للتطريز ومعرفتها للخياطة أشياء هامة لدرجة كبيرة ، لذلك حسدت أم تلميذتها وتمنت لو كانت مكانها ، لذلك دبرت خطة .

احضرت المعلمة افعى ووضعتها فى منديل وربطت المنديل رباطا محكما وقالت للفتاة :« اذهبى الى داركم ، وأياك أن تفكى هذه الربطة ، وحين تصلين داركم ، ادخلى غرفة الخزين وافتحى قدر

(1) — البدعية لباس مغربى يشابه القفطان ، لكنه بدون أكمام .

(2) — لباس يلبس فوق القفطان وهو مفتوح من الامام والجانبين ويضع من نسيج رقيق.



فحين همت الأم باحضار العسل صرخت صرخة مفزعة

انعسل وفكى الربطة من هنا واتركيها على فوهة القدر »، وبينت للفتاة كيف تفك الربطة وكيف تضعها فوق فوهة القدر ، واستطردت « ثم اطلبى من أبيك أن يحضر لك عسلا شان قال لك ، دعى الجارية تحضره لك، قولى له، لا، ان يدها سوداء ، وان قام ليحضر لك العسل ، قولى لـــه ، لا يا أبـــي ان يدك بها شعـــر ، وتوسلى اليه أن يطلب من امك أن تحضر لك العسل بنفسها »، فوعدتها الفتاة أن تفعل كما بينت لها.

وذهبت الفتاة الى دارها ونفذت ما قيل لها ، وحدث تماما كل ما توقعته المعلمة ، فحين همت الام باحضار العسل صرخت صرخة مفزعة، فجرى الاب والجارية والفتاة ، ليعرفوا ما حدث، فوجدوا الام ميتة، فقد لذغتها الافعى ونفثت فيهـــا سمهـــا .

ورأت البنت الافعي ، لكنها لم تقدر أن تعترف لابيها خوفا منه ، فسيقول لها أنت السبب فى موت أمك ، فسكتت .

ومرت أيام الاحزان ، وزادت عناية الاب بابنته ، وأصر علـــى ان تتعلم مزيدا من فنـــون التطريز وأعمال الخياطة ، ورفضت البنت فى أول الامـــر ، لكن اصرار الاب ورغبته الشديدة جعلا البنت ترضخ لمشيئته ، فقد كانت لا تتجاوز العاشرة من عمرها .

وبدأت المعلمة تحيط البنت بألوان العطف والرعاية ، وتعلمهـــا اسرار الصنعة ومعجزاتها ، وتتفانى فى تلقينهاأصول التطريز ، لانهـــا عرفت اهتمام الاب وتتبعه المستمر لتقدم ابنته ، ثم بدأت تزورها فـــى الدار وتقابل الاب وتظهر الحنان والمحبة للبنت الصغيرة أمامه ، حتى أصبحت زيارة المعلمة للدار من الاشياء المألوفة ، ثم أخذت المعلمة تؤثر على البنت وتطلب منها أن تسأل أباها وترجوه أن يتزوجها ، كانت تقول لها ، « توسلى اليه وقولى له ، يا أبي تزوج معلمتي » ، وأول مـــرة قالت البنت لابيها ذلك ، أجاب الاب ، « لكن يا ابنتى ، لم يمض عام على موت أمك » ، وعرفت المعلمة أن هناك أملا ، فداومت على الاهتمام بالبنت والعطف عليها ، وموالاة زيارتها ، وكانت تكلمها وتطلب منها أن تعاود سؤال أبيها وترجوه وتتوسل اليه دائما كى يتزوجهـــا .

فكان لا يمضى أسبوع الا وتقول البنت لابيها ، « يا أبـــا خذ معلمتى » ، وحين سمع الاب مرة ابنته تردد هذا الكلام ، ضحك وقال

لها ، « سأتزوجها لو أنك اتقنت طهو الطعام » ، فأسرعت المعلمة الى الدار ، واخذت تعلم الفتاة الطهو ، ولم تمض أسابيع حتى كانت الفتاة بالرغم من صغر سنها تتقن طهو الطعام .

وفى يوم طلبت البنت من أبيها كعادتها أن يتزوج معلمتها، فقال لها « اتزوجها لو انك عرفت كيف تغسلين الملابس ، وسمعت المعلمة بالذى حدث ، فعلمتها كيف تغسل الملابس .

ومرة سألت البنت اباها ، فأجابها ، « اتزوجها لو انك كبرت واستطعت ان تقفلى الابواب ، فكانت المعلمة تجىء كل يوم وتقفل الابواب ، وتطلب من البنت أن تخبر اباها أنها هي — اى البنت — التى اقفلت الابواب .

وبعد ثلاث سنوات وافق الاب وتزوج المعلمة ، ورزق منها بطفلة كذلك ، وبدت المعلمة منذ دخلت الدار فى صورة مخالفة ، فلم تعد تهتم او تعطف علي البنت ، ووجهت عطفها واهتمامها الى ابنتها ، ومع الايام اخذت تسىء معاملة البنت و تنهرها و تسبها و تضربها و لا تعطيها الطعام ، و تشكوها دائما الى أبيها ، حتى أن ابنتها الصغيرة ان بالت أو تبرزت على نفسها تدعى أن البنت هى التى فعلت هذا وتضربها .

واخيرا بعد ثلاث سنوات ، وكانت البنت قد أصبحت شابة جميلا غضبت المرأة فى يوم غضبا شديدا ، وصرخت وولولت ، وطلبت من الاب أن يخلصها من ابنته ، فهى لا تستطيع الحياة معها أبدا ، ولم تجد اعتراضات الاب أو توسلاته ، فقد بيتت زوجته واوضحت أنها لا تود رؤية الفتاة أبدا ، وقالت له ،« انك لغنى ، اجر لها دارا ودعها تقيم فيها»، فقال الرجل،«الامر لله»، واستأجر دارا لابنته واشترى لها سريرا واحضر لها زيتا وفحما وسمكا ومكنسة وسطلا ، وأخذها الى البيت وودعها وتركها هناك ، ووعدها أن يزورها ، فنظفت البنت الدار ورتبتها واشعلت الفحم وجلست تقلى السمك ، وكان الوقت ليلا ، فجاء اليها طفل صغير وناداها بصوت جميل ، « ماما حويتة اعطينى حويتة (1)، ماما حويتة اعطينى حويتة »، فأعطته سمكة وقطعة من

(1) — امى السمكة الصغيرة ، أعطنى سمكة صغيرة .

الخبز فأكلها، وطلب سمكة أخرى ، فأكلها ، وثالثة فأعطته ، وأكل حتى شبع ، ثم قال لها فى طفولة ، « ماما حويته ، أريد أن أنام »، فحملته على ظهرها الى الغرفة العليا وانامته معها فى سريرها ، وعندما افاقت فى الصباح لم تجد الطفل الصغير ، ووجدت أثاثا كثيرا فى الدار، ستائر وبسطا وفراشا وأرائك ، لا تدرى من أين جاءت ، ووجدت ذهبا متناثرا فى أنحاء الدار ، فأخذت تجمعه غير مصدقة ما ترى .

وفى اليوم الثانى جاء اليها فى الليل ثلاثة أولاد سود ، وطلبوا منها أن تضيفهم لانهم غرباء ويودون النوم لانهم يحسون بالتعب ، وتهالكوا على الارض أمامها ، وقالوا لها ، « نرجوك أن تحملينا الى المكان الذى ستنامين فيه »، فحملتهم على ظهرها واحدا بعد الاخر وتركت لهم الفراش ينامون فيه ، ونامت هى على الارض ، وفى الصباح لم تجدهم ، ووجدت أشهى وأحسن أنواع الطعام فى الدار، وكانت الدار تنظف وترتب والطعام يوجد بدون سبب ، وهى لا تكاد تصدق ما ترى .

وفى اليوم الثالث ، جاءت اليها ثلاث بنات صغيرات ، وطلبن منها أن يغتسلن ، فاعتذرت لهن لانه لا يوجد فى الدار حمام ، فضحكت البنات الصغيرات ، وفتحن بابا فى الجدار فوجدت الفتاة أمامها حماما مجهزا ، فدخلت البنات واغتسلن جميعا ، وفى الصباح قالت لها البنات الصغيرات « سنبقى معك نعزف الموسيقى ونغنى ونرقص لك ، ونسليك ونؤنس وحدتك » ، وجاء الاب فى الليل فذهل لما راى، فالدار مليئة بالاثاث الفخم ، والذهب متناثر فى كل مكان والطعام الشهى كثير وموجود والبنات الثلاث الصغيرات يضحكن ويغنين ويرقصن ، ولم تحك البنت لابيها عن مجيء الطفل الصغير ، أو الاولاد السود ، والبنات الثلاث ؛ لانهم كانوا قد طلبوا منها أن لا تتكلم وتبقى ما حدث سرا ، فقالت لابيها ، « انى لا ادرى شيئا يا أبى ، كل ما أعرفه أن الدار أصبحت مليئة بالاثاث ، وتنظف وترتب ، والطعام والذهب يتناثر فى كل مكان ، ولا أعلم السبب » .

وعندما عاد الرجل الى زوجته وحكى لها عما رآه ، ذهلت المرأة وانتابتها الغيرة وكادت أن تجن ، واتهمت الرجل بأنه هو الذى أعطى لابنته الذهب وأحضر لها الطعام والبنات لتسليها وتؤنس وحدتها ،

فنفى الرجل وأنكر ، وأكد لها أنه ليس له دخل فيما حدث ، فطلبت منه فى الحال أن يؤجر دارا لابنتها ويحضر لها نفس الاشياء التى احضرها لابنته .

فنفذ الرجل طلب زوجته ، وذهبت ابنتها لتعيش فى الدار التى استأجرها لها، تماما كما فعلت البنت الاخرى من قبل ، وجلست تقلى السمك فى الليل ، فأقبل عليها الطفل الصغير وقال لها ، « ماما حويتة ، أعطينى حويتة ، ماما حويتة أعطينى حويتة » ، فضربت البنت الطفل الصغير على يده بالمقلاة فاحرقتها ، وفجأة امتلات الدار بأهله وأخذوا يعذبونها ويضربونها .

وفى اليوم الثانى جاء اليها الاولاد الثلاثة السود ، وقالوا لها انهم يشعرون بالتعب والانهاك ، ورجوها أن تحملهم الى الفراش ليناموا ، وتهالكوا ووقعوا على الارض أمامها ، فأخذت تركلهم وتدحرجهم وتطردهم من الدار ، فامتلات الدار بأهلهم السود ، وانهالوا عليها بالضرب ، حتى كادت أن تموت .

وفى اليوم الثالث جاءت اليها الثلاث بنات الصغيرات وطلبن منها أن يغتسلن ، فصاحت بهن ، « ليس لدى حمام » ، وطردتهن ، فضحكت البنات ، وفتحن بابا فى الجدار ، واندهشت الفتاة اذ رأت امامها حماما ، ممتلئا بأهل البنت ، فأمسكوا بها وانهالوا عليها ضربا، وعذبوها حتى ماتت .

وجاءت امها وابوها ايزوراها بعد ثلاثة أيام ، فطرقا الباب ، فلم يرد أحد ، فاضطر الاب أن يكسر الباب ، ودخلا ، فوجدت الام ابنتها ميتة ، فارتاعت وصرخت وانتابها الجنون ، فهاهى ابنتها التى توقعت أن تراها ترفل فى النعيم ، وحولها الذهب وأطاييب الطعام والجوارى الصغيرات ، ها هى ابنتها امامها ميتة ، فاتهمت الرجل بأنه لم يحضر من الاشياء لابنتها كما أحضر لابنته ، وانه تسبب فى موتها ، وطلبت منه أن يذهب معها فى الحال الى دار ابنته ، لانها لا تصدقه . فاتجها الى الدار .

أما البنت فقد اخبرها الطفل الصغير بما حدث له مع البنت الاخرى واخبرها كذلك الاولاد السود والبنات الثلاث بكل الذى جرى.

وطرقت الام المتاعة الباب ، ماسرعت البنت وفتحته ، فصاحت المرأة بها ، « أنت تعيشين وابنتى قد ماتت ، قولى لي ، لماذا ماتـت ابنتــى » ، فأجابت ، « ان ابنتك جاء اليها فى اليوم الاول طفل صغير، كما جاء الى وطلب منها سمكة ، فلم تعطيه وأحرقت يده بالمقلاة ، اما أنا فقد اعطيته وعطفت عليه ، وفى اليوم الثانى جاء اليها أولاد سود متعبون ، فطردتهم وركلتهم ، اما أنا فقد حملتهم فوق ظهرى واعطيتهم فراشى، وفى اليوم الثالث جاءت اليها ثلاث بنات وطلبن الاغتسال فلـم تقبل رجاءهن ، أما أنا فأجبت طلبهن ، فأوجدن لى حماما فى الـدار. وقد ضرب أهل الطفل المحروق ابنتك ، وعذبها أهل الاولاد السـود ، أما أهل البنات فقد قتلوها ».

فصرخت المرأة ، « ولماذا لم تقولى هــذا من قبل لابيك ؟ » ، فأجابت البنت ، « وهل قلت انت لى أنه كانت فى المنديل افعــــى يـــا معلمتـــى حين طلبت مني أن أضعها فى العســـل ؟ » .

أين القطة؟

اشترى جحا مرة ثلاثة أرطال من اللحم ولم يكن قد أحضر لزوجته لحمـــا منذ مدة طويلة ، فانتهزت المرأة فرصة غياب جحا وأكلت اللحم كله ، وخافت أن يؤنبها حين يرجع ولا يجد اللحـــــم .

وفكرت فى حيلة ، فأحضرت القطة ، وحين طرق جحا الباب أخذت تضربها ، فدخل جحا الدار ، وسأل زوجته عن سبب ضربها للقطة ، فادعت المرأة أن القطة أكلت اللحم كله .

فأسرع جحا وأمسك بالقطة ووضعها فى الميزان ، فاذا بوزنهـــا يبلغ ثلاثة أرطال ، فصرخ جحا « يا امرأة ، هذه هى اللحمة فأين القطة ؟»



فاسرع جحا وأمسك بالقطة ووضعها في الميزان فاذا بوزنها يبلغ ثلاثة أرطال، فصرخ جحا « يا أمرة هذه هي اللحمة فأين القطة »

حكاية مولاى أحمد القنديل

كان للرجل سبع بنات ، تركهن فى الدار وذهب ليحج ، وكانت البنات ماهرات كلهن يعملن ، واحدة تخيط ، والاخرى تغزل الصوف، وثالثة تطرز ، وكان لكل بنت غرفة فى الدار تعمل فيها وتكسب رزقها ، ولكى يتغلبن على الوحدة والملل ، ويسلين انفسهن ، اتفقن على أن تجهز العشاء كل ليلة واحدة منهن ، تشتريه وتدفع ثمنه وتطبخه ، وتقضى اخواتها معها الليلة ، ساهرات يغنين ويمرحن ويرقصن ، حتى تمر أيام غياب أبيهن ويعود من الحج سالما .

ومضت الايام ، وكانت كل بنت تتكفل بالعشاء يوما ويسهرن معها ، حتى جاء دور البنت الصغيرة ، وكان عليها أن تجهز العشاء ، لكنها كانت قد صنعت منديلا مطرزا وذهبت الى السوق ولم تبعه ، فلم تستطع أن تشترى طعاما وباتت ومعها أخواتها الست بدون عشاء ، وغضبت البنات ، فقد ضايقهن أن اختهن الصغيرة لم تف بوعدها ، ونمن جائعات ، ودون أن تقضى السهرة فى اللهو والغناء ، ودخلت البنت الصغيرة غرفتها مهمومة حزينة ، فقد كانت الوحيدة بين اخواتها التى عجزت عن تقديم العشاء، والسبب سوء حظها .

وأخذت الاخت الصغيرة تطرز منديلا آخر ، علها تبيع المنديلين فى الصباح وتعوض سوء حظها ، فتدعو أخواتها للعشاء من جديد، وبدأت تطرز فى نشاط وتتقن عملها غاية الاتقان ، لكن فجأة بدأ نور القنديل الذى يضىء الغرفة فى الخفوت ، فقد انقضى زيت القنديل ، وانطفأ ، وملأ الغرفة الظلام فجأة ، فتألمت البنت وبكت وهى تردد ، « حتى القنديل قد فرغ من الزيت ولا يمكننى العمل » ، وبلغ ضيقها



ذروته ، فقد سارت الامور من سيء الى أسوأ ، فهتفت البنت فى غمرة احزانها ، « ناشدتك الله ياقنديل امتلىء بالزيت ، وليضىء نـورك الغرفــة ، فان فعلت تزوجتك » .

ولم تمض لحظات حتى أضاء نور القنديل غرفتها مرة أخرى ، ونظرت فأبصرت القنديل مملوءا بالزيت ، فابتسمت وأسرعت الـى منسجهـا تطــرز المنديل ، لكن فجـأة ويـا لغـرابة مـا حـدث ! انفتحت كـوة فى الجــدار وخرج منهــا رجـل صبـوح الـوجه ، مشرق النظرات له شعر طويل يسدله فى ضفيرة خلف راسه ، يلبس ملابس خضراء ، ويشع وجوده مهابة وجلالا ، وقال لها بصوت عميق مؤثر ، « لقد ملات لك القنديل بالزيت ، وأضاء نوره غرفتك كمـا تمنيت ، وقد جئت أطالبك بتنفيذ وعدك ، فتزوجينى » ، فرددت فى دهشة ،« أنفذ وعدى !»، فقال لها ،« انت لا تعرفين مقامى وقدرى »، فسألته ، « ومن أنت ؟ » ، فأجابها ، « أنا مولاى أحمد القنديل » ، فهتفت ، « ومن أين جئت ؟ » فأجابها ، « لا تسألى اكثر من ذلـك أريد أن اعرف هل ستنفذين وعدك أم لا ؟ » فاطرقت وأومأت براسها موافقــة .

فأحضر العدول وتزوج بها على سنة الله ورسوله ، وبين لها انه سيمضى الليل دائما معها ، أما فى النهار فعليــه أن يفارقهــا ، وسيحضر لها من الطعام ما لــذ وطاب ، وكل ما عليها حين يجــىء الليل أن تقفل باب غرفتها وتسدل الستائــر وتشعل القنديل ، وما أن يضيء نور القنديل الغرفة ، حتى يحضر اليها ، فهذه هى الاشارة ، ان اشعلت القنديل جاء اليها ، ونــام معها هذه الليلة ودخل بها .

وفى الصباح لم تجده بجانبها ولقيت تحت الوسادة عملتين من الذهب . ومضت الايام ، يجيء اليها مولاى احمد القنديل فى الليــل ، ويفارقها فى الصباح ، وكانت تجد دائما تحت الوسادة عملتين مــن الذهب ، وطلب منها أن لا تخبر أحدا من اخوتها بالامر ، فوعدتــه بالكتمان .

وكانت تشترى بعض الاشياء وتنفق عن سعة ، مما جعــل اخواتها تتساءلن ، « مــن أيـن تأتــى أختنا الصغيرة بهــذه النقود الكثيرة ؟ » ، وذات يوم سألتها أختها الكبيرة فى غلظــة ، « هــل

تخرجين فى الليل وتعاشرين الرجال ، من أين لك هذه النقود ؟ » ، وكان الاتهام فظيعا ، فنسيت وعدها لمولاى أحمد القنديل وحكت لاختها ، « أتذكرين يا أختاه تلك الليلة التى لم نتناول فيها طعام العشاء ، لقد دخلت غرفتى وأنا حزينة ، وبدأت أطرز ، فانطفأ القنديل لفراغه من الزيت ، فازددت حزنا وتوقفت عن العمل ، فقلت ، « ناشدتك الله ياقنديل ، امتلىء بالزيت وليضيء نورك الغرفة وأنا أتزوجك » ، فتحقق ما تمنيت ، وخرج من كوة الجدار رجل مهيب جليل ، جميل الصورة له ضفيرة يعقد بها شعره الطويل خلف راسه، عريض الكتفين مستقيم العود ، يلبس ملابس خضراء ، وقال ان اسمه مولاى أحمد القنديل ، وطلب منى تنفيذ وعدى وأن اتزوجه ، وقد أحضر العدول وتزوجته على سنة الله ورسوله »» وأوضحت بأنه يحضر لها ما لذ وطاب من الاطعمة ، ويترك كل يوم عملتين ذهبيتين تحت الوسادة ، ويبيت معها ويفارقها فى النهار .

وقصت الاخت الكبرى الحكاية على اخواتها محرفة ، فقد غارت منها ، فقالت لهن ، « ان الاخت الصغرى تعاشر رجلا يأتى اليها فى الليل عن طريق كوة فى الجدار ، ويترك لها كل يوم عملتين ذهبيتين تحت الوسادة » .

ولما كانت الاخت الصغيرة قد اشترت ملابس جميلة ، والكثير من الحلى ، وأدوات الزينة ، فقد امتلات قلوب الاخوات غيرة وحسدا وحقدن عليها ، لقد أصبحت أحسن منهن ، وأغنى منهن ، ولديها افخر الملابس ولها رجل يعطيها الذهب ، فكانت الاخوات او بعضهن ، يسرعن فى الصباح ويسرقن الذهب من تحت الوسادة ، ودفعهن الحقد والمرارة أن يفكرن فى قتلها ، لكن بأية وسيلة ؟ .

ودبرت الاخت الكبرى خطة ، وهى أن يصحبنها معهن الى الحمام ، وفى الحمام يمكنهن أن يهجمن عليها ، ويغرقنها ، ويدعين أنها ماتت قضاء وقدرا وهى تغتسل .

واتفقن معها على الذهاب الى الحمام ، وفى هذه الليلة اقفلت الاخت الصغيرة باب غرفتها وأسدلت الستائر ثم أضاءت القنديل ، وجاء مولاى أحمد ، وأخبرته بعزمها على الذهاب الى الحمام مع أخواتها فى الغد ، فطلب منها أن لا تذهب معهن ، لكنها

امرت ، فسألها ، « هل تثقين فى أختك الكبرى ؟ » ، فأجابته بأنها تثق فى الاخت الكبرى وفى أخواتها كلهن ، فانصرف فى الصباح وترك لها العملتين الذهبيتين تحت الوسادة كعادتـــه .

وذهبت الى الحمام مع أخواتها ، ودخلن الى قـــاعة الاغتسال ، وهممن بتنفيذ الجريمة ، لكن الاخت الكبرى تراجعت وخافـــت مـــن هول ما سيفعلن ، وقالت ، « انني أخاف أن يلعننا أبونا ويغضـــب علينــا » ، وفكرت فى خطة أخرى ، فادعين نسيان المشط ، وذهبت الاخت الكبرى مع اثنتين من أخواتها ليحضرن المشط ، وفى الـــدار كسرت الاخت كمية كبيرة من الزجاج ، وغرزن الزجاج فى جدار الكوة ورمين به على أرضها ، وحاولن سد فتحة الكوة بالاحجار .

وفى الليل أغلقت الاخت الصغرى الباب ، وأسدلت الستائـــر، واشعلت القنديل ، فجاء مولاى أحمد ، لكن ما أن وصل الى الكوة ، حتى انغرز الزجاج المكسور فى جسده وأصيب بالجراح ، فكان كلما تحرك انغرز الزجاج المكسر من جديد فى جسده ، ووجد فتحة الكوة فى الغرفة مسدودة بالاحجار ، فرجع مثخنا بالجراح الى أمه ، التـــى ارتاعت لهول ما حدث له ، وانبته لانها كانت قد توسلت اليه أن لا يتزوج من بنات الدنيا الفانية، وارادت أن تنتقم له من الفتاة ، لكن مولاى احمـــد القنديل أجابها ، « لا يا أماه ، عندما تشفى جراحى سأنتقم انـــا بنفسى منهـــا » .

أما الاخت الصغرى فقد اندهشت ، فهذه أول مرة تضىء فيها القنديل ولا يحضر مولاى أحمد القنديل ، فجلست وقد انتابها الضيق والم بها الحزن ، وبكت ، فقال لها المشط ، « حين كنت فى الحمام ، جاءت بعض أخواتك وكسرن الزجاج ونثرنه على أرض الكوة وجدرانها وسددن فتحة الكوة بالاحجار » ، فعرفت سر ما حدث ، لكن مـــــا العمل وكيف تجد مولاى أحمد القنديل ؟ ، انها لا تعرف مكانـــــه، بل كل ما تعرفه انها تشعل القنديل فيخرج اليها من الجدار ، لكنها لم تستطع السكوت ، ولبست ملابسها وخرجت الى الدنيا الواسعة ، هائمـــة على وجهها لتبحث عنه فى كل مكان.

وظلت تسير وتسير ، وتسأل كل من يقابلها لكن لا احد يجيبها،

ومضت تزور وتسأل « الشوافات » الساحرات هنا وهناك ، دون فـــائــدة .

وذات يوم ، وقد تعبت من المشى ، جلست تحت كرمة وارفة الظلال لتستريح وتسترد أنفاسها ، فسمعت حمامتين تتكلمان وقالت الحمامة لصاحبتها ، « واه يا أختاه ، يعز على ما يقاسيه مـــولاى أحمـــد القنديل ، لقد تزوج بنتا من بنات الدنيا الفانية ، وقد حسدتها أخواتها وكدن لها ، فملان طريق مولاى احمد بالزجاج المكسر وسددن الفتحة التي يدخل منها ، وقد أصيب بالجراح وهو مريض ، ولا احـــد يعرف دواءه » ، فضحكت الحمـــامة الاخـــرى وقـــالت : « ان دواءه سهل ، سبعة اغصان من هذا الكرم، ويضرب بها، ويذبحونى ويذبحونك ويأخذوا دماءنا ويرشوها على جراحه ، ولابد من ذبح كبش كذلك ، ويبللوا فروته بشيء من دمائنا ويلبسها مولاى أحمد فيشفى »، فردت الحمامة ، « اذن علينا أن نموت ليشفى مولاى أحمد ، » فأجابتهـــا الاخرى ، « لا يهم ان لحياة مولاى احمـــد قيمة كبيرة » .

فأمسكت الفتاة بالحمامتين وذبحتهما ، وملأت قصبة بدمائهما ، واخذت معها سبعة أغصان من الكرم ، وبدلت ملابسها بملابس رجل وغيرت هيأتها ، وسارت فى طريقها ، سارت وهى تنـــادى ، « دواء العشاق لكل من أصـــابه العشق بالجـــراح ، دواء العشـــاق ، دواء العشاق » ، حتى سمع ذلك النداء فى يوم مولاى أحمـــد القنديـــل ، وكانت جراحه قد زادت سوءا، ومرضه قد طال ، ولم يشف بعد أن جرب كل دواء ، فأرسل أحد خدمه ليحضر ذلك الطبيب ، ولما رأته يعانى الالام وقد استبد به المرض والضعف ، كادت أن يغمى عليها، لكنها تمالكت نفسها ، وسألها ، « هل دواؤك ناجح أيها الطبيب فقد عز الدواء ؟ »، فأجابه الطبيب ،« نعم وسأشفيك باذن الله ، لكن لى شرطا واحدا »، فسأل مولاى أحمد القنديل ، « وما هو الشرط ؟ »، فأجاب الطبيب ،« أن انا شفيتك فكل ما أطلبه منك ، أنـــه ان قـــال لك احـــد أتوسل اليـــك بالطبيب الذى داواك ، فـــلا تؤذه ، مهمـــا كانت الظروف والاحوال » .

فوعد مولاى أحمد القنديل الطبيب بذلك ، وطلب الطبيـــب أن يذبحوا كبشا ويسخنوا الحمام ، وأدخلته معها ، وصبت المياه الساخنة

على جراحه ، وغسلتها ورشت فوقها دماء الحمامتين ، واخـــذت تضربه بأغصان الكرم ، فيتألم ، فتتألم أكثر منه وتناشده الصبـــر ، وانتثرت قطع الزجاج على الارض وهى تتساقط من جسده ، ودهنت فروة الخروف بشيء من دماء الحمامتين وألبستها لمولاى احمـــد ، فشفيت جراحه وبدأ يحس الراحة والشفـــاء ، وقـــال الطبيـــب ، « ستشفى تماما بعد ثلاثة أيـــام » ، وحاول مولاى أحمد أن يكافيء الطبيب،فلم يقبل الا شيئا بسيطا من المال وكسوة من أم مولاى احمد ، لكنه ذكره مرة اخرى قبل انصرافه بالوعد .

ورجعت الاخت الصغيرة الى دارها واصلحت فتحة الكوة التى فى الجدار ، وأرجعتها الى حالتها السابقة ، ونظفـــت أرض الكـــوة وجدرانها من الزجاج ، وفى الليل أقفلت الباب واسدلت الستائـــــر واشعلت القنديل ، فأحس مولاى أحمد بالاستدعاء ، فامتلا غضبا ، وقال لنفسه ، « انها ما زالت تريد خداعى وتسخر منى وتستدعينى »، وظهر مولاى أحمد فى الغرفة وقد شهر سيفه فى يده ، فهتفت الاخت الصغرى ، « أتوسل اليك بالطبيب الذى داواك » ، فأغمد مـــولاى احمـــد القنديل سيفه فى جرابه ، وصاح ، « كيف عرفت هذا ؟ »، فناشدته أن يهدأ ويستمع اليها ، فجلس واخذت تحكى له ما حدث ، وحين انتهت كان قد سامحها وعرف أنها تحبه وتخلص له ، فبنـــى جدارا بينها وبين اخواتها ، وعندما رجع أبوها من الحج اندهش حين راى هذا الجدار فى داره ، وأسرعت الاخوات تخبرنه أن أختهـــــن الصغيرة تزوجت دون مشورتهن ، ورفضت أن تعلمهن بالخبـــر .

لكن مولاى أحمد القنديل ما أن سمع بقدوم الاب ، حتى فتـــح باب غرفـــة زوجته وخرج اليه ، وقال للاب انه تزوج ابنته على سنة الله ورسوله .

فأبدى الاب موافقته ومباركته لهذا الزواج فقد عرف قدر مولاى احمد القنديل ومقامه ، وجاءت البنت الصغرى واحتضنـــت أبـــاهـــا وبكت كثيرا ، وقصت عليه كل ما فعلته أخواتها معها ، فهدأ خاطرها ووعدها بعقابهن عقابا شديدا ونفذ وعـــده .

للا فوفويا
أو
للاغنــــو (1)

أراد محمد العروسى أن يتزوج ، فطلب من أمه أن تبحث له عن عروسة،وبين لها أنه يريد فتاة لا تعرف شيئا من أمور الدنيا ، وظلت طول حياتها لا تغادر دارها ، ولم تطل من نــــافذة أو تزور أصدقاء أو جيرانا ، ولم يرها أحد ، ويجب أن تكون جاهلة لا تقرأ ولا تكتب ، وتكون مطيعة تسمع كلامه وتنفذ أوامره دون نقاش أو جدال ، فاندهشت الام دهشة شديدة لكلام ابنها العجيب وقالت له ، « لكن يا بنى ، امرأة هذه صفاتها ، تكون حمقاء لا تصلح للحياة ، فالجهل وانعدام الخبــرة والتجارب لا يتصف بها الا الحماق والبلهاء ، الحياة يابنى تتطلب خبرة وتجربة ، ويستحسن أن تعرف زوجتك المقبلة القراءة والكتابة ، امــا المرأة التى تطلبها فلا تصلح للحياة أبدا وتسبب لك المتاعب والشقاء »، لكنها لم تقدر أن تغير أفكاره وآراءه ، فقد أصر وغضب وناشدها أن تساعده ليجد العروسة التي تعجبه .

ولما كانت الام قد كبرت فى السن ومات زوجها منذ زمان طويل ، وتأخر ولدها محمد العروسى عن الزواج ، بالاضافة الى ما تعرفه عنه من طيبة وسلامة طوية وشيئا من السذاجة كذلك ، لهذا كله رات الام أن تجيب طلب ابنها وتحقق له رغبته .

وبحثت الام العجوز حتى وجدت فتاة فيها كل الصفات التى طلبها

(1) — كتبت سيناريو وحوار لهذه الحكاية وأخرجتها وقدمتها فى التلفزة المغربية باسم للاغنو

ابنها ، وكان اسمها فوفويا (1)، الا أن هذه الفتاة كانت حمقاء ، وحين اخبرت محمدا بذلك فرح فرحا شديدا وهتف ،« لا يهم أن تكون حمقاء ما دامت قد ظلت قابعة فى دارها طول حياتها ولم تقابل الناس ولـــم يرهـــا انســـان ».

وتزوج محمد العروس للافوفويا(2) وعاشت مع امه فى الدار، لكن الام تعبت كثيرا وقاست من زوجة ابنها ، فكثيرا ما كانت للافوفويا تتصرف تصرفات حمقاء نتيجة جهلها وعدم معرفتها لكثير من الامور وقلة خبرتها فى الحياة . وكانت الام تكتم عن ابنها كل هذا وتحاول ارشاد للافوفويا وتعليمها وافهامها ما يجب عليها ان تفعله ، ولولا وجود الام واصلاحها لكل خطأ ترتكبه للافوفويا ، لقـــاسى محمد العروس كثيرا واحس بالشقاء بدلا من السعادة التي وفرتها له امه دون ان يدرى .

ومضت الايام وشعرت الام بملاك الموت يقترب منها ، فنادت ابنها وقالت له ، « يا بنى انني احس بدنو اجلى واريد ان اوصيك ، لقـــد زوجتك يا محمد بامرأة بلهاء (غشيمة) لا تعرف من أمور الدنيا شيئا كما أردت ، وهى لا تصلح للحياة ، لكن لا فائدة من الندم الآن ، فان كنت تحبنى ارعها واحرسها واهتم بها ، فانها حمقاء ، ولابد ان تكون حمقاء »، ولفظت الام آخر انفاسها .

ومضت الايام ، ولم يقتنع محمد ويقدر كلام امه ، بل لم يصدقه فى الحقيقة ، لانه كان سعيداً مع زوجته ، لكن فى يوم جاء اليه بعض الضيوف ، نساء قريباته ، وازواجهن ، وقبل أن يصـــل الضيـــوف ، ناداها وقال لها ، « سيحضر فى العصر بعض الضيوف ، بنت خالتـــى وبنت عمتى وزوجاهما ، وقد احرجت لانني لا احب أن يراك مخلوق ، فعليك أن تقدمي لهم الشاى وشيئا من الحلوى ، لكنني انبهك الى شىء هام وهو ان تغطى وجهك وراسك ولا احب ان تظهر منـــك شعرة ، غطى راسك جيداً »، فردت عليه وابدت استعدادهـــا لتلبية رغبتـــه واطاعة أمره .

وجاء الضيوف ، وجلسوا يستريحون ، وفجأة دخلت للافوفويا

(1) — من الواضح أن هذا الاسم أطلق على المرأة الحمقاء بعد حادثة التاء الصوف فى النار ، لكن هذا الاسم التصق بالمرأة فى الحكاية بل أصبح الاسم عنوان الحكاية ايضا .

(2) — لـــلافـــوفـــويـــا : السيـــدة فـــوفـــويـــا .

وقد رفعت كل ملابسها ووضعتها فوق راسها ، وعرت باقى جسمها، ذهل الضيوف وصاحوا مندهشين وصرخ محمد ، ودفعها الى داخل الدار يؤنبها ويعنفها ، لكنها اجابته فى سذاجة ، بأنها قد سمعت كلامه ونفذته ووضعت كل ملابسها فوق راسها تماما كما قال ، وكانت فضيحة خجل منها ، واصبح اضحوكة فى اعين قريباته وازواجهن .

وصمم محمد العروس أن لا يجعل زوجته تقابل أى انسان حتى ولو كانت أمرأة من قريباته ، وبعد أسابيع أحضر ثلاث دجاجات وقــال لزوجته ،« لقد دعوت بعض أصدقائى يوم الجمعة للغذاء ، فخذى هذه الدجاجات الثلاث واعتنى بها لاقدمها لضيوفى ، أعطيها الحب والماء ، واعتنى بها جيــدا ».

وكان من عادة النساء أن يذهبن الي الحمام ، وتؤجر المــراة الحمام بمفردها حتي لا يراها مخلوق ، فاستأجر محمد العروس الحمام لئلا فوفويا ، فوضعت الدجاج فى كيس وحملته معها الى الحمام وهناك غسلت الدجاج بالماء الساخن ودعكته بالصابون فمات بين يديها ، ولم تفطن للامر ، بل ظنت الدجاج نائما ، وعندما رجعت الي الدار صحبت الدجاج معها الي غرفة النوم ، وانامته على سريرها وغطته .

وحين جاء محمد العروس حكت له فى براءة وسذاجة كيف غسلت الدجاج بالصابون وحكت له جسمه وبينت له انها تعبت كثيرا و كذلــك الدجاج حتى أنه نام بسرعة ، وأشارت الى السرير ، فصرخ محمــد حين رأى الدجاج ميتا وممددا علي فراشه ، ولم تكن هناك فائدة من التأنيب ، ففى براءة وسذاجة بينت له انها قد سمعت كلامـــه ونفـــذت اوامره ، لانه قد طلب منها ان تعتني بالدجاج جيدا وقد وضعت لـــه الحب والماء وزادت بأن اصطحبته معها وغسلته فى الحمام ، واخــذ يشرح لها أنه لم يقصد ذلك ، وانها اخطات ولم تفهم كلامه ، فاعتذرت له ضاحكة وكأن ما فعلته ليس الا شيئا عاديا .

وأحضر محمد ثلاث دجاجات أخرى صباح يوم الجمعة ، وطلب منها أن تعتني بطهيها وتكثر من الزعفران حتى انه قال ،« أريد زعفرانا، لن أكرر اريد زعفرانا ».

وعندما جاء الضيوف وحان وقت تقديم الطعام ، لم يكن الدجاج قد نضج بعد ، فأنب « العروس » زوجته وسألها عن سر تأخيرها ،

فاجابته انها ظلت ساعات طويلة تجرى وراء القط زعفـــران ، حتى امسكته وذبحته ، ثم طهته مع الدجاج فى وعاء الطبخ ، فرمى محمد الوعاء من فوق النار ، وذهل وصاح بها ،« وهل طلبت منك ان تذبحى القط وتطهيه مع الدجاج »، فأجابته فى سذاجة ، « نعـــم لقد فعلت ، وقلت لى اريد زعفرانا ، وهل يوجد عندنا قط آخر »، فهتف فى يأس ، «آه يا حمقاء لقد قصدت زعفرانا ، وهو من مواد العطارة »، وصاح ، « رحمك الله يا امى ، الآن فهمت ووعيت معنى كلامك » .

ومضت الايام ، وأصبح محمد العروس أكثر حذرا ، وزاد اهتماما بها حتى لا تاتى فعلا قبيحا ، واشترى بقرة لتمدهم باللبـــن والجبـــن والزبد ، وكانت زوجته فرحة بها ، الا انها فى يوم ،وكانت تحب الكبد ، وتذكرت ان للبقـرة كبدا ، فماذا لو شقت جنبها واخذت قطعة صغيرة منها ، وحين يرجع زوجها ستطلب منه ان يشترى لها قطعـــة كبيـــرة وتردها للبقرة ، انها ستقترض من البقرة قطعة ، وتردها لها عندما يجىء سي محمد ، واحضرت السكين وشقت جنب البقرة وتعبت حتى وجدت الكبد ، واخذت قطعة منه وقلتها وأكلتها ، ووقعت البقرة ميتة .

ورجع محمد واخبرته بما حدث ، فأخذ يندب حظه ، ويؤنبها على جهلها وحمقها فاعتذرت اليه فى سذاجة وبراءة كعادتها واخذ يصيح ، « رحمك الله يا أماه ليتنى سمعت كلامك ، لقد اخطأت ، لقد اخطأت ».

وخرج سى محمد مهموما حزينا ، وسهر فى هذه الليلة مع بعض اصدقائه ، وعاد بعد منتصف الليل ، واخذ يطرق الباب ، لكن زوجته لم تسمعه ، فتضايق ، وظل يطرق ، ولا احد يجيب ، وبعد مدة طويلة فتحت له الباب ، فدخل الدار ونهرها قائلا ، « ما هذا ، ايجب على أن اطرق الباب ساعة من الزمان حتى تفتحى لى ، يجب أن تكون اذنك علي الباب »، (يقصد أن تستجيب لاول طرقة ، وتفتح الباب بسرعة)، ومضى يؤنبها ، واعتذرت له بأنها لم تسمع ، وكانت غارقة فى النوم ، فاعاد عليها القول ،« يجب ان تكون اذنك على الباب » .

وفى اليوم التالى حين دخل محمد العروس الى داره ، صرخ لما رآه ، فقد قطعت نونويا اذنها والصقتها على الباب ، ولولا أن أغاثها الجيران لمـــاتت .



ظلت ساعات طويلة تجري وراء القط زعفران، حتى امسكته وذبحته ...

لم يؤنبها هذه المرة ، ومضى يشرح لها برفق أنه لم يقصد ذلك ، وسامحها وغفر لها كل ما أتته من قبائح ، فهل هناك سذاجة وغفلة اكثر من هذا، لقد قطعت اذنها واخذ يكلم نفسه « ما اصدقك يا امي، المراة التى لا تعرف شيئا من امور الدنيا ولم يرها مخلوق ، لا تصلح للحياة ، نعم لا تصلح للحياة » .

ومضت الايام وفى صبيحة يوم عيد الضحية ، ذهب العروس الى المسجد ليصلى صلاة العيد ، وبقيت فوفويا تنتظره فى الدار حتى يرجع ويذبح الكبش ، وجلست بالقرب من الكبش وسمعته يثغو «باء، باء»(1) ، فهيىء اليها أنه يكلمها ويطلب منها الاذن للخروج ليزور اصحابه واحبابه، فسألته ، « أحقا تريد أن تزور أصدقاءك وأهلك بمناسبة العيد ؟ »، فرد الكبش باء ، باء ، فقالت له ، « والله لقد تأثرت وسأساعدك واعطف عليك »، وقامت واحضرت ملابس زوجها الجديدة والبستها للكبش وفتحت له الباب وقالت له ،« اذهب لكن ارجع بسرعة » ، فثغا الكبش « باء ، باء »، فظنت أنه يعدها بالرجوع بسرعة .

وعندما عاد محمد العروس ، وسأل ، « أين الكبش لاذبحه » ، اجابته فى بساطة « لقد خرج ليزور اهله واصدقاءه بمناسبة العيد سيرجع بسرعة »، فصاح مذهولا « وكيف تتركين الكبش يخرج من الدار ، اى اصدقاء ، واى اهل يا حمقاء !» ، ولم تعتذر فوفويا هذه المرة بل انبته قائلة ،« الا توجد فى الدنيا رحمة وشفقة ، والله لقد اثر فى نفسى كلامه، مسكين ، اشتاق الى اهله واصدقائه » ، فصرخ العروس،« ماذا اقول لك،لا فائدة ، أنت حمقاء تماما ، لقد صدقت أمى ، ان المراة التى لم تغادر دارها طول حياتها ولم تطل من نافذة وليس لها أصدقاء ولا جيران ولم يرها أحد لا تصلح الحياة ، لا تصلح للحياة »، ولم يكن هناك داع الجدال أو النقاش ، ولا فائدة من التأنيب والعتاب ، لذلك أمسك محمد العروس بيد زوجته وأجلسها بجانبه وقال لها فى هدوء ، « أرجو أن تنتبهى لما سأقول لك ، انني احبك ولا اريد لك الا الخير ، لذلك اطلب منك أن ترتاحى ولا تؤدي اى عمل ، سأحضر لك الطعام ناضجا ، كل ما عليك أن توقدى النار وتضعى وعاء الشاى فوقه ، وسأحضر لك صوفا فاغزليه ، وليكن هذا عملك فقط »، وأعاد عليها مرة ومرات ،

(1) وفى مصر يعتبرون ثغاء الكبش (ماء ... ماء)

وجاء اليها بالصوف وأصبحت فوفويا لا تفعل شيئا الا تجهيز الشـــاى وغزل الصـــوف .

وفى يوم وقعت منها قطعة من الصوف فى المجمر (1) ، فاحترقت محدثة صوتا،طق، طق، فأعجبها هذا الصوت فظنت ان النار تكلمها، فرمت قطعة اخرى من الصوف فسمعت ، طق ، طق ، طق طق ، فهتفت تكلم النار . « اتبغين الصوف ؟ » ورمت قطعة كبيرة من الصوف فسمعت طق طق طق طق ، ففرحت وقالت ، « انت فرحانة مثلى أيتها النار ، فرحانة بالصوف ، اتحبين الصوف كثيرا » ورمت قطعة اكبر وسمعت الصوت طق طق طق طق ، فزاد فرحها وقالت للنار ، تدللهـــا ، « انت العافية (2) فو ، فو فوفو لابد أن ادللك ، أنت فوفو ، فوفو فو فوفويا فوفويا (3)»، وبعد أن انطفأت النار ، لاحظـــت أن الصـــوف المحروق قد تحول الى قشور رمان ، فوضعته فى طبق وانتظرت حتى جاء زوجها وسألته مندهشة ، « لماذا تحول الصوف فى المجمر الـــى قشور رمان ؟»، فلم يفهم شيئا ورد، مندهشا « الصوف فى المجمر !»، فقالت له « نعم ، اليوم رميت الصوف فى المجمر ، وكانت النار جميلة وتقول طق طق طق ، ولقد احببت النار ودللتها وسميتها للافوفويا ، ولكن يا سيدي محمد ، بعد ان انطفأت النار تحول الصوف المحروق الى قشور رمان »، فوجم محمد ، ومن شدة ذهوله فتح فمه ، ولم يقل شيئا ، وظن أنها قد جنت تماما ، وأسرعت وأحضرت الطبق وفيه قشور الرمان كما هيىء لها ، فأبصر قطعا من الذهب فى الطبق ، فهتف « أهذه قشور الرمان ، التى تتكلمين عنها ؟ » ، فأجابته ، « نعم » .

عندئذ قام محمد العروس واحتضن زوجته وربت بيده فى حنان على ظهرها وقال لها ، « مباركة مباركة أنت يا مسكينة ، الخير فيك ويجيء عنك ، مباركة ، مباركة أنت يا فوفويا » ، وأوصاهـــا أن لا تقترب من الطبق المليء بقشور الرمان ، ووضعه فى صندوق الملابس ، واصبح محمد العروس يحيط زوجته للافوفويا بالرعاية والعطف ويحسن معاملتها ويتسامح معها دائما ، ونسى كل ما فعلته .

(1) ــ وعاء من الفخار يشعل فيه الفحم

(2) ــ العافية هو اسم النار باللهجة العامية المغربية

(3) ــ هو الاسم الذى أعطى للمرأة الحمقاء وهو اسم الحكاية كذلك « للافوفويا » .

وفى يوم سمعت فوفويا أصوات الطبول وغناء الاطفال بمناسبة عيد عاشوراء ، ففتحت باب الدار ورأت بائع الطبول مع حماره يحيط به الصغار ، فأرادت هي الاخرى أن تشترى طبلة ، وسألت البائع ان يعطيها واحدة ، فناولها طبلة ، واراد ان يأخذ الثمن لكن فوفويا لم يكن معها نقود ، فطلب منها البائع أن تعطيه اى شىء بدلا من النقود ، وتذكرت قشور الرمان ، فأحضرتها ، وأعطتها للرجل ، فلم يصدق عينيه حين رأى الذهب ، وقال لها ، « خذى حمارى وكل الطبول » ، وانصرف بسرعة من أمامها ، ففرحت فوفويا فرحا شديدا ، وادخلت الحمار محملا بالطبول الى الدار ، وزادت بأن جرته وصعدت به الدرج حتى وصلت الي السطح، وجلست فوق الحمار وظلت تدق على مختلف انواع الطبول وهى فى غاية السعادة والسرور .

وعندما عاد محمد العروسى اخبره الجيران ان زوجته تركب حمارا فوق السطح وتدق طبولا ، وانهم تعبوا من الضوضاء التى تحدثها ، فظل يطرق الباب مدة طويلة وينادى حتى فتحت له ، وصعد الى السطح وشاهد الحمار محملا بالطبول ، فصاح بها ، « من أتى بالحمار الى السطح ؟ » عرف منها انها هي التى صعدت بالحمار ، وحكت له ما حدث فصاح ، « قشور الرمان ، الذهب ، يا حمقاء ، يا حمقاء » ، فلم تفهم شيئا ولم يرغب أن يؤنبها فلن تكون هناك نتيجة ، فأخذ يكلم نفسه ، « قالت أمى ، قالت أمي ، المراة التى لا تعرف من أمور الدنيا شيئا لا تصلح للحياة ، ولابد أن تكون حمقاء لابد أن تكون حمقاء ، رحمك الله يا أمى رحمك الله »، لكنه تذكر الذهب الضائع فقال لها ، « لقد اخبرتك ان لا تقربي هذا الطبق » فأجابته فى براءة وسذاجة ، « لم تكن معى نقود فأعطيته قشور رمان لا قيمة لها »، وكانت واقفة تعبث أصابعها بالملابس الموضوعة فى الصندوق ، فلمست صندوقا صغيرا مختبئا بين الملابس ، فسألت زوجها ، « ماهذا الصندوق يا سيدى محمد ؟ » ، فصاح ، « هذا الصندوق ،هذا الصندوق ليس صندوقى ، أتفهمين ، اياك أن تقتربى منه ، هذا صندوق دواير الزمان (1) » ، فهتفت مندهشة ، « ليس صندوقك »، فأجاب « نعم ليس صندوقى ، أفهمت ليس صندوقى »، وتذكر مرة ثانية الذهب

(1) — دواير الزمان معناها اذا دار الزمان ، والقصد اذا ساءت الظروف وقل المال .

الضائع ، فقال لها ، انا خبأت الطبق فى الصندوق ، ففتحت الصندوق وأخذت الطبق منه ، يابك من حمقاء » ، فتضايقت وقالت له ،« ومـا قيمة قشور الرمان ؟! انها نفاية ، ومن المستحسن التخلص منها ، حتى نصبح الدار نظيفة »، فسخر منها قائلا ، « وتتكلمين عن نظافة الدار انظرى كم هناك من اوساخ ، وكم هناك من نفايات . وانا ساكت ولا اريد ان اضايقك ، تتكلمين عن نظافة الدار وهل هذه دار . لقد رضيت بكل مساوئك لكن الامور زادت عن الحد زادت عن الحد . احـذرك مرة أخرى ، اياك أن تأخذى هذا الصندوق الصغير ، انه ليـس صندوقي ». وانصرف محمد العروس غاضبا ، وقد أثر فيهـا كلامـه فأخذت تكنس الدار وترتبها وتنظفها وتجمع الاشياء البالية ، وتذكـرت الصندوق الصغير ، ففتحت الصندوق وأخرجته من تحت الملابس وقالت لنفسها ،« ولماذا ابقي هذا الصندوق ما دام ليس ملكا لزوجي »، وخطر لها خاطر ، ففتحت الباب ، وظلت تنظر هنا وهناك ورات رجلا يقترب فسألته ،« هل أنت دواير الزمان » ، فظنها الرجل امراة سيئة الخلق تنادي عليه ، فبصق عليها ، فلم تفهم شيئا ، ثم نادت رجلا آخر وسألته فظنها تسخر منه ، فتركها وانصرف ، ونادت رجلا ثالثا وسألته « هل انت دواير الزمان »، فلم يرد عليها بسرعة ، وادرك أنها بلهاء فأجاب « نعم أنا دواير الزمان ، ماذا تريدين منى ؟ »، فقالت له ، « خـذ صندوقك انا لا اريده فى دارى » وناولته الصندوق فى بساطة ، فتمهل الرجل برهة وأخذ الصندوق وانصرف .

وحين جاء محمد العروس ، أخبرته انها قد لبت رغبته ونظفـت الدار ، ورتبتها وتخلصت من الاشياء الزائدة البالية ، حتى الصندوق الصغير قد أعطته لصاحبه دواير الزمان وحكت له ما حدث بالتفصيل .

عندئذ شهق محمد العروس شهقة كادت روحه أن تخرج معها ، وصرخ فيها « لا ، لا ، لا ، لقد انتهى كل شيء بيننا ، لقد اضعت كل ما جمعت ، ولقد تحملت قبائحك ومصائبك ، أما الآن فقد تأكدت انني انا الاحمق ، انا أحمق منك لانني أردت ان اتزوج امراة جاهلة لا تقرا ولا تكتب ولم تخرج من الدار او رآها مخلوق ، نعم ، نعم ، صدقت أمى ، امراة بهذه الصفات لا تصلح للحياة ولابد أن تكون حمقاء وأنا الاخر احمق ، لا، لا، لا، لن اعيش معـك ، سأتركك ، سأتركك ،

سأترك لك الدار والبلاد وسأمشى فى بلاد الله الواسعة » فصاحت ،
ولكن فى سذاجة « والى أين انت ذاهب ياسيدى محمد » فأجاب ساخرا
وهو على عتبة الباب « للحبس المنسى اللى ما فيه لا دفة ولا كرسى »
الى مكان لا يعرفنى فيه أحد ولا يوجد فيه باب او مقعد ، الى الجبل ».

وانصرف غاضبا ، فأسرعت فوفويا وخلعت الباب وأحضرت كرسيا
وحملتهما وتبعته .

وبعد أن سار محمد مسافة طويلة ووصل الي الجبل ، مضى يصعد
فى شعابه حتى تعب وجلس ليستريح ولمح فجأة فوفويا مقبلة تحمل الباب
والكرسى ، فلم يصدق عينيه ، وصرخ مدهولا ، « فوفويا » فأجابتـــه
« نعم ياسيدى محمد »، ضحك وقال لها ،« مسكينة حمقاء ولا ذنب
لك »، فأجابته فى بساطة ، « حين سمعتك تقول « ماشى للحبس المنسى
اللى ما فيه لا دفة ولا كرسي »، ذاهب الى مكان لا يعرفنى فيه أحد ولا
يوجد فيه باب أو مقعد الى الجبل ، احضرت معى الباب والمقعد » ،
فضحك محمد من سذاجتها وكانت الشمس قد غابت وأقبل الليل فقال
لها ،« يجب علينا أن نبحث عن مكان لننام فيه ونعود فى الصباح الى
دارنـــا » .

ووجد محمد حجرين كبيرين قريبين من بعضهما فوضع الباب فوقهما
وناما فوق الباب . ولم تمض ساعة حتى جاءت الى المكان عصابة من
اللصوص كانت قد سرقت أحد الاغنياء ، وهرعت الى الجبل لتهرب من
مطاردة أهل البلدة ، وحين راى اللصوص الحجرين ،لم ينتبهوا الى الباب
لانه كان مرتفعا وظنوا المكان كهفا فدخلوا وناموا فيه ، واحس بهـــم
محمد ، لكنه لم يتحرك ولم يوقظ فوفويا ، ونام اللصوص وعلا شخيرهم ،
وفجأة استيقظت فوفويا وأرادت النهوض ، فمنعها زوجها وطلب منها أن
تنام ، لكنها أخبرته انها تريد أن تتبول ، فأمرها أن تلزم مكانها وأعطاها
طاقيته لتتبول فيها ، ففعلت ، ونامت قليلا ثم استيقظت وارادت النهوض
فمنعها واحتجت بأنها تريد أن تتبرز فأعطاها « شكارته » كيسه الجلدى
الذى يحمل فيه نقوده وحوائجه الصغيرة ، فتبرزت فيه ، ونامت قليلا،
ثم استيقظت لكنها فى هذه المرة هبت واقفة ترقص فوق الباب وتـــدب

بقدميها وهى تقول « جات لى الشطحة »(1) وقصدت أنها أحست بالرغبة الشديدة لكى ترقص . فسمع اللصوص وقع أقدامها فظنوه حوافر الخيل وقد جاء أهل البلدة يطاردونهم ، فهبوا من نومهم خـــائفين هلعيـــن ، وأسرعوا بالفرار ، ونسوا أن يأخذوا معهم مسروقاتهم .

وحين رآهم محمد العروس قد ابتعدوا كثيرا واختفوا وراء الجبل تنفس الصعداء، وعثر علي اللآلىء والجواهر والكثير من الذهب، فحمل ما وجده ورجع مع فوفويا الى داره ، وصار محمد العروس ثريـــا ، واشترى دارا لتعيش فيها للافوفويا وأحضر لها الخدم ، واشترى دارا لنفسه وتزوج امرأة أخرى تعرف الحياة وتخالط الناس وتزور وتزار ، وشمل فوفويا برعايته .

(1) ــ الشطحـــة هى الرقصـــة

الرمان السفاري

يـــروى أنه كانت امراة حامـــلا تتوحـــم ، فاشتهت الرمـــان السفارى (1) ، وطلبت من زوجها أن يحضر لها رمانتين ، فذهـــب الرجل الى السوق واشترى لها رمانتين ، وأثناء عودته شعر وهـــو يمشى فى الطريق بالحـــر ، فقد كان الجو شديد الحرارة وأحـــس بالعطش كذلك ، فأكل رمانـــة من الرمانتين ، وحين وصل الى داره اعطى زوجته رمانـــة واحدة ، فسألته ، « وأين آلثانية ؟ » فأجابها ، « اكلتها وأنا عائد فقد اضر بي الحـــر فى الطريق » ، فهتفت المرأة ، « لماذا اكلتها ؟ ليعطك الله جزاءك » .

ولم تمض اشهر قليلة حتى بدأت بطن الرجل تنتفخ ، تماما مثل المرأة حين تحمل ، ولم يعرف الرجل ماذا دهاه ، لكن مع مرور الايام بدأ الجنين يلعب داخل بطنـــه .

وذات يوم كان فى الغابة مع زوجته ، وجاءهما ألـــم المخاض، فرجعت المرأة الى الدار وولدت ولدا ، أما الرجل فلم يطق الالـــم ، فاخرج سكينه وفتح بطنه ، فخرجت منها بنت صغيرة جميلة ، ومات الـــرجـــل .

واقبلت غزالة حبلى ، وولدت بجانب الطفلة هى الاخـــــرى غزلانا صغارا ، فأخذت الطفلة ترضع من الغزالة ، وتربت مـــــع صغارها حتى كبرت ، ووهبها الله شعرا طويلاً فكانت تفرش نصفه تحتها وتتغطى بنصفه الاخر .

وفى يوم جاء صيادون يرافقـــون ابن السلطان ورأوها فلـــم

(1) ـــ نوع ممتاز من الرمان وخال من البذور تقريبـــا



أما الرجل فلم يطق الألم فأخرج سكينه وفتح بطنه

يصدقوا اعينهم ، ذلك لانهم تبعوها بالخيل فلم يلحقوها ولم يقدروا ان يمسكوا بها بالرغم من أنهم طاردوهـــا ساعات ، ورجعـــوآ الى ابـــن السلطان خائبين من غير صيد ، وحين سألهم ، « لماذا لم تحضروا صيدا ؟ » طلبوا منه الامان ان أراد الصدق ، فأجابهم ، « قولوا مـــا شئتم » ، فقـــالوآ ، « رأينا فتاة جميلة لها شعر طويل ، وتجـــرى اسرع من الغزال ، ولسنا متأكدين ان كانت انسانة أو جنيـــة » ، فأمرهم ابن السلطان أن يجهزوآ طبقين من الكسكس ، ويضعوا فى واحد منهما ملحا ، ويجعلوآ الاخر من غير ملح ، وعليهم ان يحيطـــوا بالمكان ، فلا تقدر أن تفلت من بين ايديهم ، ويحضرونها اليه ، فنفـــذ الصيادون ما أمرهم به ابن السلطان ، وجاءت الفتاة واقتربت مـــن الطبقين الممتلئين بالكسكس ، وذاقت من أولهما وكان من غـــير ملـــح فلم تأكل ، وذاقت من الثانى وهو آلمالح ، فأكلت منه ، فعرفوا أنها انسانة ، وأحاطوا بها وامسكوها واخذوها الى ابن السلطان ، فمـــا أن رآها ورأى حسن جمالها حتى أعجبته ووقع فى حبها ، فقال لها ، « اريد أن أتزوجك » ، فأجابته ،« أنا بين يديك افعل بى ما تشاء » ، فأخذها الى الجناح آلذى يسكنه فى القصر ، وهو مكون مـــن ثـــلاث غرف ، وأدخلها الى احدى الغرف واقفل عليها البـــاب بالمفتاح ، وخبأ المفتاح ووضعه فى معلف التبن آلذى يأكل منه حصانه ، ورأته الخادمة ، وقال لامه ، « سأتزوج وأقيم الفرح بعـــد أيام» ، وذهب ليشترى من السوق ما يلزم الفرح وخاصة ثيابا جديدة للفتـــاة ، فقد كـــانت عارية تتغطى بشعرها ، وسأل أمه أن تعـــد الطعام كل يوم وتضعه فى نافذة الغرفة لانه بداخلها صديق له مريض ، ولانه سيغيب عـــدة أيام ، ولم يقل لامه شيئا عن الفتاة ، وكتم الســـر .

فأخذت أمه تعـــد الطعام وتضعه فى نافذة الغرفة ، وتعـــود بعـــد مـــدة لتجده قد اكل ، فأرادت أن تعرف من بداخل الغرفـــة ويأكل الطعام ، فسألت آلخادمة فأجابتها أنها رأت ابنها يضع آلمفتاح فى معلف التبن ، فأمرتها أن تاتى به ، فأحضرته لها ، وحين حاولت الام فتح الباب ، صرخت الفتاة ووقفت وراءه تدفعه ، وتمنعهم مـــن الدخول ، ولم يستطع أحد أن يفتح الباب ويدخل الغرفة ، فقد كانت الفتاة حذرة وتحرس الباب دائما وتنام خلفه ، وكانت تبكى كثيرا حتى أن دموعها حفرت قناة فى أرض الغرفـــة .

وذات يوم وقد أمضها فراق الأمير ومحاولات الام المستمرة لدخول الغرفة ورؤيتها ، فتحت النافذة ، وطارت كالحمامة ، وبإذن مولانا ربي ذهبت الى قصر فيه كل ما تحتاج اليه ، وفيه خادمة ترعاها كذلك .

وحين عاد ابن السلطان وأحضر ما يلزم العرس ، والثياب لها ، دخل الغرفة فلم يجدها ، فجرى الى أمه واخرج سيفه ووضع طرفه فوق قلبه وهددها قائلا ، « قولى لى من دخل الغرفة أو أقتل نفسى »، فأجابته ، « لقد كنت واقفة يا بنى بجانب الغرفة أمام معلف التبن ، وجاءت دجاجة واخذت تنبش وتأكل من التبن فظهر المفتاح ، فأخذته وفتحت الغرفة ودخلتها فلم اجد فيها سوى قناة من الدموع تجرى فى أرض الغرفة .

فحزن ابن السلطان وخرج ، وهام على وجهه ، وبكى كثيرا ، وفى أول الزمان كانت الطيور تتكلم ، فقابله طائر كبير وسأله ، « لماذا تبكى ؟ » فأجابه ، « لو عرفت لما سألتنى » ، فقال الطائر، « احك لى وأنا أساعدك وأحل مشكلتك » ، فحكي له ابن السلطان ما جرى له فقال الطائر ، « ماذا تعطيني لو أخذتك الى الفتاة ؟ » ، فأجابه ، « أعطيك كل ما هو موجود فوق الارض ان شئته » ، فطلب الطائر ثورا أزرق ، يذبح ويأكل من لحمه حتى يشبع ، فأحضر ابن السلطان الثور وذبحه وسلخه وأكل الطائر منه حتى شبع ، وأمر الطائر ابن السلطان أن يقطع قطعا كبيرة من اللحم ويحملها بين يديه ، وأمسك الطائر ابن السلطان من تحت ابطيه ، وطار به الى بلاد بعيدة ، وقال له الطائر ، « انى ذاهب الى مكان بعيد لو سرت على رجليك لاستغرقت مائة عام حتى تصل اليه ، وأثناء الطيران كان الطائر يطلب قطعة من اللحم فيعطيها له ابن السلطان ، وأنزله الطائر أمام القصر ، وكان بجانب القصر بئر ، وخرجت خادمة لتملأ منه الدلو ، فاقترب ابن السلطان منها ورمى الخاتم فى الدلو وقال لها ، « اعط هذا (للاك) لسيدتك » .

فدخلت الخادمة تحمل الدلو ، وطمعت ، فمدت يدها لتأخذ الخاتم ، لكن الخاتم كان ملتصقا بقاع الدلو ولم تستطع الخادمة أن تنزعه منه .

أما الفتاة فقد أمكنها بسهولة أن تأخذ الخاتم ، وعرفته ، وطلبت من الخادمة أن تحضر صاحبه ، فأدخلته الخادمة الى القصر ، وقابل فتاته وأخذها بين أحضانه ، وقالت له الفتاة ، « لى شرط واحد لابد من تنفيذه ان أردت أن أعيش معك »، وأشارت الى حجر كبير وسط القصر وقالت ، « أطلب منك أن لا تنزع هذا الحجر من مكانه وإلا تنظر الى ما يوجد تحته » ، فوعدها أن ينفذ طلبها .

وعاش معها فى القصر عشر سنوات ، وذات يوم وكان يوم عيد الاضحى (عيد الضحية) حيث يذبح المسلمون الاكباش ، تذكر أمه واشتاق لها ، وقال لنفسه ، « ترى ماذا يوجد تحت هذا الحجر ؟ لابد أن أرى » ، واقترب من الحجر وأزاحه فرأى تحته فراغا ، ورأى سماء أخرى تحت الحجر ، ورأى أمه ، بعيدة هناك فى قصرها وقد وقفت ومعها كبش الفداء تمسك به ، وتبكى لانها لا تجد من يذبح لها الكبش ويسلخه ، وسمعها تقول ، « هل مات ولدى أم لازال يعيش ؟» ، فرمى لها خنجره، لكن الخنجر تاه فى الفضاء ولم يصل اليها، فخلع جلبابه ورماه لها ، لكن لم يصل اليها الجلباب ، واختفى فى الفضاء كذلك ، فأخذ يصيح ويلوح بذراعيه لتراه أمه ، لكنها لم تكن تراه ، فرمى بنفسه فذاب وتبدد فى الفضاء ، لكن نقطة دم من دمائه بقدرة الله العلى القدير وصلت حيث توجد أمه ، ولامست الكبش فذبحته لها (1) .

(1) — انظر ما كتب عن العقيدة النتشية ص 20 وما بعدها

بعيدا عن الانثى

لم يرزق الرجل وزوجته الا بنتا واحدة ، وذات يوم احضر الرجل طائر الحجل لابنته لتلعب به وتلهو ، ولما كانت الام تدلل ابنتها دائما فقد اتت بحليها الذهبية والبستها لطائر الحجل حتى تزداد البنت فرحا ومتعة وهى تلعب بالطائر ، وظل الحجل يقفز ويجرى هنا وهناك ،ثم طار فجأة وهو يحمل الحلى الذهبية . فجرت البنــت وراءه وتبعتــه ، وخــافت الام أن تفقــد ابنتهــا ، فجــرت وراءهــا هــى الاخرى ، وكانت الام حاملا ومع ذلك ظلت تجرى وراء ابنتها ، واستمر الحجل فى طيرانه وحاولت البنت أن تلحقه لتأخذ الحلى ، والام تتبعها .

ودخل الحجل الغابة وطار بين الاشجار ، واستمرت البنت تجرى وراءه ، والام تتبعها ، حتى أنهكها التعب،ومع ذلك فانها لم تترك ابنتها تغيب عن ناظريها ، وافتقدت البنت الحجل ، فقد طار بعيدا .

وغابت الشمس وبدأ الليل يقبل واصبحت الدنيا ظلاما ، ووقفت الام تلهث بجانب ابنتها وقد نسيتا الحلى ، ذلك لانهما ضلتا الطريق ، ولم تعرفا الى اين تذهبان لكنهما ظلتا سائرتين،واحستا بأن هنــاك من يتبعهما ، وكان غولا رهيبــا . وحيــن نظــرت الام وراءهــا راتــه فى هيأة أسد ، وبعد ان التفتت مرة ثانية رأته فى هيأة عفريت ثم فــى هيأة ثعبان ، فقد كان الغول يغير من هيــأته مرة ومــرات ، والتفتت البنت هذه المرة فراته فى هيأة ثور ، فهتفت ، « أماه ثور ! » ، ثم رأته فى هيأة حصان ، فزاد رعبها وخوفها ، وأسرعتا بالجرى ، واخيــرا وقفت الام وابنتها تحت شجرة كبيرة وقد أصابهما التعب ولم تعد واحدة منهما تقدر على الجرى والهروب .

فالتفتت المرأة الى ابنتها وقالت ، « يا ابنتي ، انه غول رهيب »»،
واقترب الغول منهما ، وضرب بمخالبه بطن المرأة الحامل ، ففتح بطنها
ووقع طفلها علي الارض ، فهتفت المرأة ، « يا ابنتى ، ان وقعت على
يدى اليسرى فاعرفى أن طفلى بنت ، فأعطيها للغول ، وأن وقعت
على يدى اليمنى فاعرفى أنه ولد ، وخذيه وربيه » ، ووقعت الام علي
يدها اليمني ، وتسلقت البنت الشجرة لتهرب من الغول لكنها تركت
اخاها المولود مرميا فوق الارض تحت الشجرة ، وخافت أن يأكل الغول
اخاها بعد أمها . فصرخت ، « يا شجرة ياطيبة ، ياشجرة ياطيبة ،
انزلى أوراقك وغطى أخى » ، فأخذت الشجرة ترمى أوراقها وتخفض
من غصونها حتي غطت الطفل تماما ، لكن الغول أخذ يهز الشجرة
ويدأ يكسر أعوادها لانه يريد البنت ؛ فصرخت البنت وبكت وظلت تصرخ
وتبكى، وكانت تعشعش فى هذه الشجرة انثى الغراب فسألت البنت عن
سبب صراخهاوبكائها، فأجابتها البنت بأن الغول أكل أمهاوهو يحاول كسر
الشجرة ليأكلها هى ايضا، فوعدتها بالمساعدة، وطارت انثى الغراب ،
واحضرت سكرا، وقالت للغول ،«افتح فمك»، ورمت السكر فى فمه، فأكله
ثم عاد يكسر الشجرة ، فطارت الغرابة واحضرت عسلا وقالت للغول ،
« افتح فمك »، ففتح فمه ورمت فيه العسل ، فابتلعه الغول ، ثم عاد
يكسر الشجرة ، فطارت الغرابة وذهبت الى حداد وطلبت منه ان يعطيها
نصل المحراث (1) بعد أن يسخنه فى النار ، فأعطاها الحداد نصل
المحراث ، فأحضرته وقالت للغول ، « افتح فمك »، ففتح فمه ورمت
فيه نصل المحراث الحاد الساخن ، فوقع فى فمه وقطع حنجرته ، ودخل
فى بطنه ومصارينه ، ومات الغول .

ونزلت البنت من أعلى الشجرة واخذت اخاها ومشت به فى الغابة،
وبينما هى سائرة لقيت خنزيرة تلد ، فقالت لها ،« اعطينى خنزيرا
صغيرا من اولادك »،فأجابت الخنزيرة ،« ساعديني فى الولادة وأنا
اعطيك خنزيرا »، وساعدتها البنت ، وولدت الخنزيرة أول خنزير ،
فأخذته البنت وخبأته وراء ظهرها مع أخيها ، ثم ولدت الخنزيرة صغارا
آخرين ، ولم تكن الخنزيرة قد رات البنت وهى تخبىء اول وليد ،
فادعت البنت أنها لم تأخذ خنزيرا صغيرا ، وطلبت واحدا من الام ،

---

(1) — سكين المحراث الحاد .



وطارت أنثى الغراب، وأحضرت سكرا وقالت
للغول افتح فمك ، ورمت السكر في فمه

لكن الخنزيرة رفضت أن تعطيها ، فقالت البنت لنفسها ،« حسنا فعلت، فلو لم اخبىء أول وليد لها نلت شيئا ».

وسارت البنت فى طريقها فوجدت لبؤة تلد ، فاقتربت منهـا ، وطلبت أن تأخذ من أولادها شبلا صغيرا ، فوعدتها اللبـؤة بعـد أن تساعدها فى الولادة فساعدتها ، وخبأت شبلا وراء ظهرها مع أخيها والخنزير الصغير ، لكن اللبؤة بعد الولادة ، ودون أن تعرف أن البنت اخذت شبلا ، رفضت ان تعطيها .

وسارت البنت فى الغابة ، ولقيت كلبة تلد ، وتكرر معها ما حـدث بينها وبين الخنزيرة واللبؤة ، واصبح مع البنت كلب صغير وخنزير وشبل ، وسارت فى الغابة وقابلت ذئبة وتكررت الحكاية ، ثم قابلت ضبعة تلد ومن بعدها ثعلبة ، فأصبحت البنت تحمل وراء ظهرها اخاها ومعه خنزير وكلب وشبل وذئب وثعلب وضبع ، كانوا سبعة ، أخوها الرضيع وست من الحيوانات الرضيعة .

وبنت البنت دارا وربت أخاها مع الحيوانات حتى كبر ، وكانت كلها بمثابة أصدقاء لها ، فالحيوانات تطيعها وتحب اخاها ، وعاشوا جميعا سعداء .

ومضت اعوام كثيرة ، وفى يوم جاء رجل يريد ان يتزوجها ، فلم يوافق أخوها وغضب ، فقال لها الرجل ، « انا وأنت نحب بعضنا ، ولابد ان نقتل أخاك حتى أستطيع أن أتزوجك » ، فوافقت ، وذهب الرجل ليقتل اخاها لكنه لم يقدر لوجود الحيوانات معه ، فرجع الى البنـت وقال لها ،« يجب أن تبقي الحيوانات فى الدار ، حتى يمكـن أن اقتـل اخاك » .

فطلبت البنت من أخيها أن يترك الحيوانات فى الدار معها حين يذهب للصيد لانها تخاف أن تبقى وحدها، فوافق ، وخرج للصيد بمفرده.

وأحضرت البنت رحى الطحن ، ووضعتها فوق الغرفة التى بها الحيوانات ، وأخذت تطحن لتحدث صوتا مرتفعا حتى لا تسمع الحيوانات أخاها اذا صرخ فتهرع لانقاذه ، وصحب الرجل معه عددا من أصحابه وذهبوا ليقتلوا أخاها ، وعندما احاطوا به وهموا بقتله ، طلب منهم أن

يسمحوا له ان ينادى وينطق باسم آخوته الحيوانات ثلاث مرات قبل أن يموت ، فسمحوا له ، نصاح « سبع ، ضبع ، كلب ، خنزير ثعلب، ذئب ، ثلاث مرات ، وفى المرة الثالثة سمع السبع اسمه ، فقفز من الغرفة تتبعه الحيوانات ، وكانت عصا رحى الطاحون أمام صدر البنت ، وحين قفز السبع اطار الطاحون بعصاها ندخلت عصا الطاحون فى صدرها ، فماتت فى الحال ؛ وجرت الحيوانات مسرعة لتنقذ اخاها ، هجموا على الرجل وأصحابه ، وفتكوا بهم جميعا ، ورجعوا مع اخيهم سالما الى الدار .

وحين رأى اخته ميتة ، قام بدفنها ، ولم تمض ايام حتى جاءت اليه امراة وقالت له ، « اننى أرغب فى أن أعيش معك ، لكننى اطلب منك ان تبعد حيواناتك عنى »، فوعدها بتنفيذ رغبتها ، وتزوجها وعاشت معه .

لكنها كانت غولة ، وكانت تأكل كل يوم بقرة أو كبشا ، أو دجاجا أو بطا ، فما أن ينام الرجل حتى تقوم وتأكل ، فلاحظ أن ماشية الدار وطيورها تتناقص ، وسأل من يعملون معه عن السبب ، فأجابوه ، « لا ندرى ولا نعلم »، وظلت الغولة معه سنة ، وولدت بنتا ، ومضت الايام والشهور ، وظلت ماشية الدار وطيورها تتناقص .

وذات يوم ذهب الى الفلاح الذى يرعى الماشية ويهتم بالطيور ، وسأله أن يبحث عن السر ، وبعد ايام جاء اليه الفلاح وقال له ، « اننى أعد كل شيء ، وقد تأكدت أن هناك من يسرق ، انها زوجتك وانها لغولة ، فقد راقبتها ، ورأيتها تقوم فى الليل وتأكل ، وما عليك الا أن تسهر ليلة وتراها بعينيك ؛ انها تعطيك شيئا تأكله قبل النوم فتنام نوما عميقا ، فان اعطتك شيئا فلا تأكله ».

فنفذ ما قاله له الفلاح ، وجاءت زوجته وأعطته طعاما ليأكله قبل أن ينام ، فادعى انه أكله ؛ وغسل يديه ونام ، وبعد ساعة رآها فى الليل تتسلل من جانبه وتذهب الى حظيرة الاغنام ، فتبعها ، فاذا بها تهجم على كبش وتفترسه وتأكله ورأى الدماء فى فمها ويديها .

وفى الصباح حمل ابنته على ظهره ، ومشى ، بعيدا ، وذهب لبلاد أخرى ، يريد أن ينقذ ابنته ، وقابل صديقا ، وقال له صديقه ، اليوم

قد مضى أسبوع علي ميلاد ابنى ، واننى أريد أن اقيم احتفـالا بهـذه المناسبة ، فتعال لتتناول العشاء معى وتلعب ابنتك مع الاطفال » ، فذهب معه ، وفى دار الصديق تناولوا العشاء ، ودخل احدى الغرف ليرى ماذا تفعل ابنته ، وذهل حين رأى ابنته تأكل ابن صديقه الرضيع وهى فرحانة تضحك ، فأخذها وحملها فوق اكتافه ، وخرج من الدار قبل أن يراه أحد .

وجرى الرجل، وظل يجرى، وكانت الشمس محرقة وتعب من الجرى واحمرت أذناه ، فقالت له ابنته ، « يا أبى أن اذنيك محمرتان ، وأن طعمهما لذيذا ، فصرخ ، وقذف ابنته بقوة على الارض ، فماتت الطفلة الغـولـة .

اما الغولة فقد خرجت تبحث عن ابنتهـا ، وهامت على وجهها ، اما هو فقد رجع الى داره وعاش مع أخوته الحيوانات بعيدا عن الانثى.

أحمق تماما

اخذ جحا قمحه وذهب الي الطاحون ليطحنه دقيقا ، وكان يظن أن لديه كمية كبيرة من القمح ، لكنه وجد كثيرا من الناس معهم قمح اكثر من قمحه ، فتضايق جحا ، وبخفة بدأ يسرق ويأخذ من قمح الناس ويضيفه الي قمحه ، فرآه أحدهم ، وأمسكوا به وضربوه وسألوه ، لماذا تسرق ياجحا ؟ فأجاب ، « أحيانا اكون أحمقا فآتى من الانفعال شيئا قبيحا مثل ما حدث الان ».

فردوا عليه « لا ياجحا لو كنت أحمقا لاخذت من قمحك وأضفته الى قمح الناس » ، فضحك جحا وقال ، انني لو فعلت ذلك لكنت أحمقا تماما » .



تضايق جحا، وبخفة بدأ يسرق ويأخذ من قمح الناس ويضيفه الى قمحه

القزم حديدان الحرامي

كان للرجل سبعة اولاد ، اصغرهم قزما آسمه حديدان ، وكان غاية فى الذكاء والدهاء ولذلك لقبوه حديدان الحرامى (1) .

وذات يوم اراد الاب ان يحج مع زوجته ، ورغب الاولاد كذلك فى الحج،وحاول الوالدان ان يثنيا الاولاد عن عزمهم لما فى الحج من مشاق وصعوبات ، لكن الاولاد اصروا ، فوافق الاب على مضض .

وساروا جميعا نحو الحجاز راكبين الجمال ، يقطعون البوادى والفيافى والقفار ، ومرض اكبر الاولاد ، واشتد عليه المرض مع مرور الايام، وفى يوم قال الابن المريض لابيه ،« يا ابى اننى غير قادر على اتمام الرحلة ، فاتركونى هنا وابنوا لى كوخا صغيراً من الخشب واتركوا معى شيئا من الخبز والبصل ، وسأقيم فى الكوخ حتى ترجعوا من الحج ، فأرجع معكم الى دارنا » ، فبنوا له كوخا من الخشب واعطوه شيئاً من الخبز والبصل والطعام ، وتركوه ومضوا فى طريقهم ليكملوا رحلتهم ويؤدوا فريضة الله .

وبعد أيام مرض ابن آخر واستفحل مرضه ، فنادى أباه وقال له : « اننى عاجز عن السير معكم فابنوا لى كوخا من الخشب واتركوا لى شيئا من الخبز والبصل وسأنتظر رجوعكم فأصحبكم الى دارنا » ، فبنوا له الكوخ واعطوه ما طلب من الطعام وساروا فى طريقهم .

ولم تمض أيام حتى مرض ابن آخر ، وقال كما قال أخوه ، فبنوا له كوخا من الخشب ، واعطوه الطعام .

(1) — الحرامى : صفة فى اللهجة العامية المغربية يقصد بها شدة الذكاء والفطنة والشيطنة وليس معناها لص كما فى بلاد المشرق .

ومضوا فى طريقهم ، لكن سوء الحظ توالت ضرباته ، فقد مرض ستة من الاولاد ، وبنوا لهم أكواخا من الخشب ، وتركوا معهم الطعام متمنين لهم الشفاء ، آملين أن يصطحبوهم عند عودتهم ، ولم يبق الا القزم حديدان الحرامى ، لكن بعد أيام مرض هو الاخر ، فحزن عليه والداه حزنا شديدا ، فقد كان أثيرا لديهما ولغرابة شكله ازداد حبهما له ، ونادى والديه وقال لهما ، « اننى مريض ومنهوك القوى » ، فسألته أمه ،« ماذا تريد ؟ »، فطلب أن يبنيا له بيتا من الحديد ، وله باب من الحديد ، وسقف من الحديد ، وكل شيء فيه من الحديد ، وليتركا له شيئا من الخبز والبصل ، فلبيا رغبته ، وبنيا له بيتا من الحديد ، وتركاه ليتمما حجهما .

وكانت هناك غولة مهولة تسير فى الطريق وراء قافلة الحجاج ، فقابلت الابن الاكبر فى كوخه الخشبى ، وكسرت ذلك الكوخ بسهولة وأكلته ، وسارت فى طريقها ، فقابلت الابن الثانى مريضا فى كوخه الخشبى ، فحطمت الكوخ واكلته ، ومشت فى الطريق فوجدت الابن الثالث يعانى من المرض فى الكوخ الخشبى ، فكسرت الكوخ بسرعة واكلته ، ومضت حتى اكلت الستة أولاد الذين يعيشون فى الاكواخ الخشبية ، فقد كانت تحطم تلك الاكواخ وبسهولة لانها مصنوعة من الخشب .

ومضت الغولة سائرة فى طريقها حتى لقيت القزم الحرامى يعيش فى بيته الحديدى ، فحاولت تحطيمه كما حطمت الاكواخ الخشبية ، لكنها عجزت ، فنادت حديدان الحرامى وسألته عن اسمه ، فاستفسر منها الحرامى عن غرضها ، فقالت انها تريد أن تراه وتستمتع برؤيته ، والجلوس معه والحديث اليه ، لكنه رفض وأبى ، وكانت تناديه بقولها « تعالى يا حديدان الحرامى » ، وتستعطفه ، لكنه رفض الخروج من بيته الحديدى ، فغضبت الغولة واهتاجت ، وذهبت وأحضرت كومة من الحطب ، ووضعتها فوق الكوخ واشعلت فيها النيران ، لكن الحديد لا يحترق ، وفى الليل مشت الغولة وعادت الى بيتها ، فخرج حديدان الحرامى وملأ قربته ماء ورجع الى بيته ، واقفل الباب .

وفى الصباح جاءت الغولة وادعت انها تريد فقط أن ترى حديدان الحرامى وتستمتع برؤياه ، فقال لها حديدان ، « ان كنت تريدين رؤيتى فتعالى واسكنى بجانبى »، فذهبت الغولة وأحضرت معها أولادها الثلاثة



ومضت الغولة سائرة في طريقها حتى لقيت القزم الحرامي يعيش في بيته الحديدي

وبنت بيتا لها بجانب حديدان الحرامى ، وجاءت اليه تود أن تخدعه ليخرج اليها فتأكله ، فقالت له ، « تعـــال يـــا حديدان الحرامى ، اخرج لكي تملأ قربتك ماء »، فرد حديدان ، « أن قربتى مثقوبة وساصلحها ثم اخرج »، فأسرعت الغولة الى بيتها وثقبت قربتها وأخذت تصلحها حتى تنتهى فى الوقت الذى ينتهى فيه حديدان الحرامي من اصلاح قربته ، فتخرج فى الوقت الذى يخرج فيه من بيته . لكن حديدان كان قد خرج قبلها بقــربتـــه سليمـــة ، ومـــلأهـــا مـــاء و عـــاد الى بيتـــه ، و حيـــن انتهـــت الغـــولـــة مـــن اصـــلاح قـــربتهـــا ذهبـــت الـــى حـــديـــدان و نـــادتـــه ، « حديـــدان هيا يا حديدان الـــم تنته من اصلاح قربتك ؟ »، فرد عليها ،« لقد ملأت قربتـــى وانتهيـــت »، فتضايقت وثارت وذهبت لتملأ قربتها بمفردها .

ثم جاءت اليه مرة أخرى ونادته وقالت ، « تعال معى نذهب الى البستان لنحضر برتقالا » ، فأجابها حديدان ،« لكـــن قفتى مقطعـــة وسأصلحها واخيطها ثم اذهب معك الى البستان »، فأسرعت الغولة الى بيتها وقطعت قفتها وأخذت تصلحها وتخيطها لتخرج فى موعد خروج حديدان ، لكن هذا لم يحدث ، لان قفة حديدان كانت سليمة ، وقـــد خرج مسرعا والتقط من البستان انضج واكبر حبات البرتقال ، وملأ قفته وعاد الى بيته ، وأغلق بابه الحديدى ، ولما انتهت الغولة مـــن اصلاح قفتها ، خرجت لتقابل حديدان ، قال لها ، « لقد أحضرت البرتقال وشكراً لك »، فثارت الغولة وكادت أن تجن ، واحتارت ولم تعرف ماذا تفعل مع حديدان .

وكانت الغولة تخرج كل يوم فى الصباح الى الجبل لتصيد ، وتترك حمارها ، فخرج حديدان من بيته الحديدى وأخذ الحمار وركبه وذهب الى اماكن كثيرة ، وعاد وقد انهك الحمار ، وحين راى الغولة قادمة من الجبل ، ترك الحمار وذهب الى بيته الحديدى ، ووجدت الغـــولة الحمار متعبا منهكا ، فازداد غيظها ، واهتاجت وثارت ، لكـــن دون فـــائـــدة .

وذات يوم كانت الغولة تسير فى الغابة فقابلت رجلا عجوزا هرما، فاقتربت منه تريد افتراسه واكله ، فأخذ الرجل يسترحم الغولة ، فقالت له ،« ان قلت لى عن حيلة امسك بها حديدان الحرامـــى اتركـــك »،

وحكت له ما حدث بينها وبين حديدان الحرامى ، فقال الرجل العجوز، « هل تعدينني ان قلت لك عن حيلة تمسكين بها حديدان ، أن تتركيني ولا تأكليني » ، فوعدته الغولة بالامان ، فقال العجوز ،« ابحثي عن رجل مثلي واكسري راسه واخرجي مخه وادهني بمخه ظهر حمارك . فان جاء حديدان وركب الحمار ، فانه يلتصق بظهره ولا يمكن أن يخلص نفسه من الحمار ، فسيظل ملتصقا به ، فتجييء أنت وتمسكيه» عند ذلك هجمت الغولة على الرجل العجوز وكسرت راسه واخرجت مخه ودهنت به ظهر الحمار .

وجاء حديدان وركب الحمار ، لكنه ظل ملتصقا به ، فجاءت الغولة فرحة وامسكت به ، وقالت له ،« اخيرا امسكتك يا حديدان » ، فسألها ،« ماذا ستفعلين بي ؟ »، فضحكت وظهرت انيابها ، واجابته ، « سآكلك طبعا يا احمق كما اكلت اخوتك الستة » ، فقال لها حديدان ، « لكن انظرى الى انا قصير وعظمى رقيق جدا ، فأنت حمقاء ان اكلتني الان ، خذيني الى بيتك واطعميني كثيرا حتى اسمن ، فتذبحيني وتطبخي الكسكس وتستدعى احبابك واصحابك الغيلان فتكون وليمة شهية ».

فأخذته الغولة وادخلته الى دارها ، ووضعته في غرفة ، واقفلت الباب بالمفتاح ، لكن حديدان الحرامى قال لها ، « أنا الآن أسير عندك ويحرسني اولادك فاعطيني المفتاح وسأقفل على نفسي الحجرة فلو فتحت على الباب كل يوم فسأرتعب من قدومك ودخولك الي ، وعندئذ لاينفع معي الطعام ولن أسمن أبدآ »، فوافقت الغولة واعطته المفتاح واحضرت له اكياسا مملوءة بالجوز(1) واللوز وما لذ وطاب من الاطعمة ، وكانت كل يوم تجيء وتنادى ، « حديدان الحرامى ، اخرج لي اصبعك حتى ارى درجة بدانتك »، وكان هناك فأر يعيش مع حديدان في الغرفة ، فأخرج لها حديدان ذيل الفأر ، فقالت ،« اف لك، لم تسمن بعد يا ملعون »، ومشت ، وكان حديدان يعطي الفأر الكثير من الجوز واللوز والطعام .

ومضت ثلاثة اشهر وانتهى كل الطعام الذى أحضرته الغولة ، ولم تبق سوى لوزة واحدة ، فتشاجر حديدان مع الفأر من اجلها ، واكلها حديدان ، لذلك عندما جاءت الغولة هذه المرة وارادت ان ترى اصبع حديدان ، لم يرد الفأر ان يخرج لها ذيله ، فأخرج

(1) — الجوز : الجرجاع بالعامية المغربية

حديدان بنصره ، فصرخت العجوز فرحة ،« لقد سمنت يا حديدان ، وحان ميعاد الوليمة ، إفتح يا حديدان افتح » ، ففتح حديدان البـــاب ودخلت الغولة وقالت ،« تعال أذبحك »، فقال لها ،« ولماذا تشغلين نفسك بذبحي وطبخي ، اذهبي أنت واستدعي أصحابك وأحبابك واتركي ذبحي وطبخي لبناتك »، فذهبت الغولة لتدعو الاصدقاء ، أما حديدان فقد احتال على بنت من بنات الغولة ، وقال لها أنه سيحكي لها حكاية واخذها الي بيته وذبحها ثم قال للبنت الثانية ،« تعالى لاحكى لـــك حكاية مثل اختك »، واخذها الى بيته وذبحها ، وكذلك فعل مع الثالثة ، واحضر حديدان رؤوس بنات الغولة الثلاثة ومشط شعورها ووضعها علي السرير ووضع المخدات كأنها اجسادهن ، وغطاهن بالغطاء ، فكان يهيأ للناظر ان البنات نائمات ، وأخذ لحومهن وطبخها وجهز منها الطعام ووضعه في الاطباق ، ثم أحضر حديدان مخطافا حديديا له ثلاثة أطراف مدببة مسنونة ، وكيسا من الملح وحزاما من الجلد ، وربط نفسه رباطا متينا في السقـــف . .

وحين جاءت الغولة واصحابها ، اسرعوا الى البيت تجذبهم رائحة اللحوم المشوية والطعام ، ونظرت الغولة فوجدت بناتها نائمات فقالت ، « مسكينات تعبات ، ذبحن حديدان وطبخنه وهيأن لنا الكسكس ، لكن يظهر انهن اكلن كثيرا ونمن »، وجلست الغولة وأصدقاؤها يأكلون الطعام الاذيذ ولحوم بناتها المطبوخة ، وما كادوا ينتهون من التهام الطعـــام اللذيذ حتي صرخت الغولة ،« ثدى ، ثدى »، ذلك أنها وجدت ثديـــا مطبوخا ، ولم يكن لحديدان الحرامي أثداء ، وجرت لتوقظ بناتها ، ووجدتهن رؤوسا ولا شيىء اكثر من ذلك ، فتحققت انهـــا اكلت مـــع صدقائها بناتها .

وانصرفت الغيلان حتى لا تزيد الغولة هياجا وثورة ، وبقيـــت الدولة كالمجنونة تصرخ وتولول ، وأخذت تبحث عن حديدان ، فناداها حديدان من السقف ،« انا هنا ايتها الغولة »، فصرخت ، « لقد تغديت بي قبل ان اتعشى بك »، فرد حديدان ،« واللـــه لقد تعديت أنت مـــن قبل ، واكلت اخوتي الستة وانا فعلت ذلك انتقاما » ، فسألته ، « لكن كيف وصلت الى السقف يا حديدان ؟ »، فاجابها ،« لقد أحضرت عددا كبيرا من الاكواب الزجاجية التى يشرب منها الناس الماء ، ووضعت كوبا فوق كوب حتى وصلت الى السقف »

فأسرعت الغولة واحضرت الاكواب ورصتها فوق بعضها ، وحاولت أن تقف فوقها ، فتكسرت الاكواب الزجاجية ، وانتشر زجاجها شظايا حادة ، ووقعت الغولة وانغرزت شظايا الزجاج الحادة في أرجلها وفي جسدها ، ورمى حديدان الملح في جروحها ، فصرخت الما ، وحاولت الغولة مهاجمة حديدان ، فقفزت لتصل اليه فقذفها حديدان بالملح في عينيها ، فازداد صراخها .

ثم سألت الغولة حديدان ، « كيف اصل الى السقف ياحديدان ؟»، فرد عليها قائلا ،« أحضرى زجاجات كبيرة فارغة وضعيها فوق بعضها البعض، واصعدى عليها » ، فأحضرت الغولة زجاجات كبيرة فارغة ووضعتها فوق بعضها البعض ، وصعدت عليها ، فوقعت وتكسرت الزجاجات ، ودخل الزجاج المكسور في قدميها وفي جسمها ، ورماها حديدان بالملح ، « فملأ الملح جروحها وانتشر فيها ، فصرخت من شدة الآلام .

واخذت الغولة وقد زاد المها تقفز الى السقف حتى كادت أن تمسك حديدان،لكنه أسرع وطعنها بالخطاف الحديدى المسنون في وجهها وعينيها وقذفها بالملح حتى عميت وسالت دماؤها ، وارتمت على الارض جريحة ، وناشدت حديدان الرحمة وسألته أن يأخذها الى الطبيب ، ففك حديدان رباطه ، ونزل من السقف وأحضر حمار الغولة وغطاء ، ووضع الغطاء على ظهر الحمار وملأه بالإبر ، وأركب الغولة فوق الحمار وربطها فوق ظهره برباط متين ، واتفق مع الحمار ان قال له امش ، يقف ، وان قال له ، قف ، يمشى .

وظل حديدان يعذب الغولة فوق ظهر الحمار ويغرز في جسدها الابر حتى ماتت ، فرماها في البحر، ورجع بالحمار الى بيت الغولة ، وأخذ كل ما عندها من أشياء ، وذهب الى بيته الحديدى ، وظل يعيش فيه حتى عاد والداه من الحج ورجع معهما الى الدار .

الاخوان

كان الرجل متزوجا من امرأتين ، ووضعت كل منهما ولدا فى ليلة واحدة . وشب الطفلان ولاحظ الاب أنهما يتشابهان تماما حتى كان يصعب عليه أن يفرق بينهما أن اجتمعا سويا أمامه .

وبعد سنوات ماتت زوجة من زوجتيه ، فأخذ الرجل طفله وعاش مع زوجته الثانية وابنها ، وكانت الزوجة لايمكنها أن تفرق بيين الولدين لتماثلهما المطلق حتي فى الصوت والحركة والعادات ، فان نام احدهما وأيقظته ، استيقظ الولد الاخر وان نادت ولدا منهما كان يدير رأسه ناحية اليمين والثانى يفعل مثله ، وما يغضب أحدهما يغضب الاخر وما يفرح هذا يفرح أخاه ، ومن الغريب ان الولدين كانا يتبادلان اسميهما فان نادى الاب وأحدا منهما يرد الاخر وهو يقصد المزاح فلا يكتشف الاب ذلك ، والاخ يفعل نفس الشىء ، وكانا يضحكان خفية ويعجبان من قدرتهما على خداع والديهما دون أن يكتشف اللعبة أحد .

وبعد مضى سنوات قليلة مات الاب ، فعاش الولدان مع المرأة وهى أم لاحدهما وامرأة اب بالنسبة للاخر .

وتغيرت المرأة وأصبحت تريد أن تتخلص من الولد الاخر ، لكن حب ابنها لاخيه وتعلقه الشديد به منعها من التخلص منه ، والحق ان الولد كان يبادل أخاه نفس المشاعر تماما ، وضايق المرأة عدم مقدرتها على معرفة ابنها ، فالاثنان لافرق بينهما ، ودائما يمزحان ويدعي كل منهما أنه الاخر، ولم تجد أى محاولة لتجعلهما يكفان عن هذه اللعبة ، حتى وصل الامر أن المرأة احتارت تماما ولم تعد تقدر أن تفرق بينهما وتعرف أى من الولدين هو ابنها ، لذلك ذهبت الى فقيه

وسألته عن وسيلة تستطيع أن تميز بها ابنها عن الاخر ، فضحك الفقيه وقال لها ، « ما دمت تنادين ابنك باسمه فيـــرد الاخر فلـــن يمكنك أن تعرفي أيهما ابنك ، فعليك أن تحضري كسوة جديدة ويكون الولدان موجودين وتنادي ، ابني ، ابني ، فلابد أن يرد عليك ابنك ، وخذي هذا الخاتم وضعيه في أصبعه وستعرفين ابنك من الخاتم» .

فنفذت المرأة ما قاله لها الفقيه ، وحدث ما توقعه ، ووضعـــت الخاتم في أصبع ابنها ، وفرحت المرأة واخذت تعطي ابنها الزبد واللبن واللحم وتعطي الاخر الزيت وخبز الشعير ، وأعطت ابنها منديلا ليمسح به يديه وأعطت أخاه قطعة من الخشب .

ومضى عام ، وكانت المرأة مسرورة ، لانها رأت ابنها في صحة جيدة ، والاخر هزيلا وضعيفا ، وأصبحت حالته سيئة ، لكن في يوم نادت ابنها دون أن تذكر اسمه ،«ابني ، ابني» ، فأذهلها أن رد عليها الولد الاخر المعتل الصحة ، فهتفت به المرأة ، غير مصدقة عينيها ، «هل انت ابني ؟» ، فأجابها الولد ، «نعم يا أماه أنا ابنك» ، فصاحت ، «لكنك لاتضع الخاتم في اصبعك»، فرد عليها ،« خلعته واعطيته لاخي . حتى يأكل الطعام الجيد بدلا مني فانني احبه» .

وابقت ابنها في الدار وارسلت أخاه ليرعـــي الغنم ، وكـــانت لا تعطيه الا قليلا من خبز الشعير ، لكن الابن كان يعطي أخاه في غفلة من أمه اللحم والزبد ، ويبقي له دائما ما تعطيه أمه من الطعام ، ولم تجد مراقبة الام ومحاولتها الاهتمام بابنها ومضايقة الاخر واضطهـــاده ، بل العكس ، فالولد ظل في صحة جيدة والابن بقي عليلا ، فذهبت الى الفقيه وحكت له ماحدث ، فقال لها الفقيه ،« لافائدة ، عليك أن تعطيهما طعاما جيدا ويأكلان مع بعضهما» .

واضطرت المرأة لتقوى ولدها وتحسن صحته ، اضطرت ان تعطي الولدين الطعام الجيد ، اللحم والدجاج والزبد واللبن ، وتجعلهما يأكلانه مع بعضهما .كما قال الفقيه ، فاسترد ابنهـــا قوتـــه واصبح الولدان في أتم صحة وعافية .

وكبر الولدان واستطاعت الام اخيرا بالرغم من تشابههما ان تميز ابنها ، وفي يوم نادته وقالت له ، «يابني ، لقد مات ابوك وترك

ميراثا لابأس به ، وأنا أريده أن يكون لك بمفردك ، وقد جهزت سما ووضعته فى الطعام واعطيته لاخيك ليأكله ويموت ويصبح الميراث لك وحدك ، فأياك ان تأكل من الطعام» .

فأسرع الى أخيه الذى كان يرعى الغنم ، وبكى وحكى له ما قالته أمه ، وأخذ شيئا من الطعام وأعطاه للكلب ، فاكل منه ومات فى الحال ، فاحتضن الاخ أخاه الذى انقذه وبكى هو الاخر وقال له ،: «الان لا يمكننى ان ابقى واعيش مع امك ، وقد بلغت مبلغ الرجال فعلى أن أرحل فى الحال » ، واعطاه خاتمه وأوصاه أن لا يخلعه من اصبعه وقال له ، «ان شعرت فى يوم من الايام واحسست أن الخاتم صار ساخنا ، فاعرف أننى أموت » (1)، وودع كل منهما الاخر .

وسار الشاب هائما على وجهه لا يعرف الى أين يتجه ، سار حتى وصل الى بلدة بعيدة ، ووجد اهلها يعيشون فى ضيق وهم و فى خوف وقلق ، فلما أستفسرهم السبب ، عرف منهم أن هناك خارج البلدة عين ماء يجيء اليها غول ويبقى فيها ويمنع الماء عن الزرع وعن الناس ، وقد طلب الغول أن يعطوه كل يوم عشرة خراف من الغنم ، فوعدهم الشاب أن يخلصهم من الغول .

وذهب وبقى هناك بجانب عين الماء ينتظر وصول الغول ، وغربت الشمس ومضت ساعة وجاء الغول ، وكان الشاب قويا شجاعا لا يعرف الخوف ولا يخشى الغيلان ، فاستطاع أن يقتل الغول ويخلص الناس من شره وجشعه .

وفرح الناس فرحا شديدا وقالوا له ، « لقد كانت كل دار تعطى الغول خرافا كثيرة » وأرادوا أن يعطوه قطيعا من الغنم كمكافأة له فرفض ، لكنهم أصروا ، فاكتفى أن تهديه كل دار خروفا واحدا ، ولم يرض أن يأخذ الخراف وسألهم أن يحفظوها له عندهم ، فأقاموا له وليمة كبيرة وودعوه .

و رحل فى حال سبيله ، و سار حتى وصل الى بلدة وجد اهلها أكثر هما وحزنا من البلدة السابقة ، لان عين الماء التى يعيش بفضلها الناس وتسقى لهم زرعهم يسيطر عليها غول

(1) — آثار العقيدة الفتشية فى الحكايات أرجع لصفحة 20

كبير ، يطلب ان يعطوه كل يوم سبعة ثيران ، فوعدهم الشاب أن يخلصهم من الغول الكبير .

وذهب الى عين الماء وحين جاء الغول هجم عليه الشاب فى شجاعة وجرأة واخذ يقاتله فى عنف واصرار وبعزيمة قوية ، وبقلب لا يعرف الخوف أو التراجع حتى قتله ، وارادوا ان يكافئوه ويعطوه قطيعا من الثيران ، فرفض واكتفي ان تهديه كل دار ثوراً ، وطلب منهم أن يحفظوها له عندهم ، ولما اراد الرحيل احتفلوا به واقاموا له وليمة وشكروه وبينوا له تقديرهم لشجاعته التى انقذتهم ، وودعوه ، ورحل فى حال سبيله .

وسار ، سار حتى وصل الى بلاد يختلف شكل أهلها عن الناس تماما ، وفى هذه البلاد الفقراء مثل الاغنياء ، فرحبوا به بالرغم من غرابة شكله بالنسبة اليهم ، لكنه لاحظ انهم أشد حزنا وهما ، واكثر حوما ورعبا من أهل البلدين السابقين ، وعرف السبب ، فقد كان هناك غول جبار ، له عشرة رؤوس ، يهاجم البلدة ويهددهم بتدميرها ان لم يعطوه فتاة كل مرة يأتي اليهم ، وكانت كل أسرة تعطيه بنتا ، حتى جاء دور بنت الملك ، ولهذا كان الناس حزانى والملك يكاد يموت ألما لانه لايود أن يعطي ابنته للغول ، فوعدهم الشاب أن يخلصهم من الغول ذى العشرة رؤوس ، وطلب منهم أن يحضروا له فتاة ، وخروفا ناضجا وقصعة مليئة بالكسكس وعشرة طرابيش .

وذهب الى العين وجلس هناك مع البنت وأكل الكسكس والخروف وتأهب للنوم ، وسأل البنت أن توقظه حين يقبل الغول ، ونام .

ومضت ساعة وجاء الغول ، ولكن البنت ارتعبت وهلعت عندما رأته ، ومن شدة خوفها ورعبها لم تقدر أن تأتى بأية حركة أو توقظ الشاب ، لكن دموعها التى سالت فى غزارة ووقعت فوق وجه الشاب النائم ، أيقظته ، فهب وامتشق سيفه وهاجم الغول ، فصرخ الغول ، «من أنت أيها الطائر الغريب الشكل، أنا لم ار مخلوقا يشبهك من قبل؟»، وامتشق هو الاخر حسامه ، وهاجم كل منهما الاخر وتقاتلا فى ضراوة ، الشاب يهاجم ، والغول ينفجر غضبا من شجاعته ، وقطع الشاب رأسا من رؤوس الغول العشرة وغطاها بطربوش حتى لا تنبت له رأس

جديدة مكانها ، وظل يقاتله ويقطع رؤوسه الواحدة بعد الاخرى ويغطي مكان كل راس مقطوعة بطربوش ، حتي قطع الرؤوس العشرة ، ومات الغول .

ففرح اهل البلدة فرحا شديدا ، واراد الملك آن يكافيء الشاب ووزجه ابنته اعجابا بقوته وشجاعته وتقديرا لصنيعه الذى أنقذ الناس، ورغبت كل أسرة آن تهديه بنتا من بناتها لكنه رفض ، ولما أصر الناس قبل ان يهدوه عشر بنات ، وطلب منهن ان يبقين مع اهلهن ، وقبل من الملك مكافأة سخية ، وأهداه الملك حصانا أصيلا وكلبا من كلاب الصيد القوية ، واحتفلوا به احتفالا كبيرا وأقاموا له ولائم كثيرة وطلبوا منه أن يبقى ويعيش معهم ، لكنه شكرهم ، وودعوه وهم يبكون لرحيله .

وركب الشاب حصانه وسار يتبعه كلبه ، وواصل رحيله ، وأراد أن يأكل ، فتوقف عن المسير ، ونزل من فوق حصانه وربطه فى شجرة وأوقد نارا ، نجاءت اليه غولة وطلبت منه قبسا من النار ، فقال لها ، « تعالى وخذى النار »، لكنها أجابته ،« حتى تربط كلبك فانني أخاف من الكلاب »، فانحنى وتظاهر بأنه ربط الكلب ، فقفزت الغولة عليه لتأكله، لكنه لم يكن قد ربط الكلب، فاندفع الكلب وهجم على الغولة، وامتشق الشاب حسامه وأطاح برأسهـــا .

وركب الشاب حصانه ومضى فى طريقه يتبعه كلبه ، حتى أحس بالجوع، فتوقف وربط الحصان واشعل نارا، وجلس أمامها ينضج شيئا من لحم حيوان اصطاده ، فجاءت أليه غولة أكبر من الاولى وسألته أن يعطيها قبسا من النار ، فقال لها ، «تعالى وخذى ما شئت من النار» ، فأبدت الغولة خوفها من الكلب ، وطلبت منه أن يربطه ، فتظاهر بأنه قد ربطه ، فقفزت الغولة تبغي افتراسه واكله ، لكن الكلب الطليـــق اندفع وهاجمها فى شراسة وقوة ، وأطاح سيف الشاب برأسها ، وركب حصناه ، وسار وراءه كلبه المخلص ، حتى قابل غولة أكبر من الغولتين السابقتين ، وطلبت منه نارا ، فسألها أن تجيء وتأخذها ، ولم تطلب منه ان يربط الكلب، بل اقتربت من الشاب ولم تهاجمه فلم يهاجمها الكلب ، وربطت الكلب بنفسها ، ثم قفزت على الشاب وابتلعته ، فشعر اخاه واحس بسخونة الخاتم فى اصبعه وعرف ان اخاه يموت .

فترك الدار ورحل ، وسار ليبحث عن اخيه ، ومر بالبلدة الاولى



وكان الشاب قويا شجاعا لايعرف الخوف، ولايخشى الغيلان، فاستطاع أن يقتل الغول، ويخلص الناس من شره وجشعه

التى مر بها أخوه ، فناداه الناس فرحين برؤيته وقد ظنوه الاخ الاخر لانه يشبهه تماما ، وأعطوه الخراف التى حفظوها له ، فشكرهم وتركها عندهم ، وعرف أن أخاه قد مر من هنا ، فاستأنف رحيله وسار فى طريقه حتى وصل للبلدة الثانية ، ففرح الناس بقدومه ورحبوا به وقد ظنوه الشاب الذى انقذهم وقدموا له الثيران التى حفظوها له ، فشكرهم ورحل وقد عرف أن أخاه قد مر من هنا .

وعندما وصل الى البلدة التى يختلف شكل أهلها عن الناس ، والفقراء فيها مثل الاغنياء ، قابلوه بترحاب وهللوا لمقدمه واحضروا البنات وقدموهن له ، ودعاه الملك لوليمة كبيرة ، واعطاه حصانا جميلا وكلبا من كلاب الصيد القوية ، فشكر اهل البلدة ، ورحل وعرف ان اخاه قد مر من هنا .

وركب الحصان وسار يتبعه كلبه حتى وجد حصان اخيه وكلبه ومشى معهما حتى قابل الغولة الكبيرة ، وعرف ان أخاه فى بطنها ، لأمسك بسيفه فى يده ووقف ثائرا غاضبا ، وشرارات النار تتطاير من عينيه ، ووقف الكلبان ، احدهما على يمينه والاخر على يساره ، وصرخ فى الغولة ، وأمرها أن تخرج أخاه من بطنها وترجعه ، فقالت الغولة ، «اذا أرجعته من بطني سيكون أعمى»، فصاح ،« أن رجع أعمى سأقلع لك عينيك وأجعلك عمياء» ، فقالت له الغولة ، «اذا أرجعته من بطنى سيكون أعور ، يرى بعين واحدة» ، فرد عليها ، «ان رجع بعين واحدة أقلع لك عينا »، فقالت ،« آذا أرجعته من بطنى سيخرج ميتا »، فصرخ الشاب ، « اذا خرج من بطنك ميتا سأقتلك » .

فأخرجت الغولة الشاب من بطنها حيا سليما ، ففرح الاخوان باللقاء وعانقا بعضهما ، وركب كل منهما حصانه وسارا يتبعهما الكلبان فى طريق عودتهما الي بلدهما .

ومرا بالبلدة التى يختلف أهلها عن الناس واصطحبا معهما الفتيات العشر والاميرة ؛ وعندما وصلا الى البلدة الاخرى ، أخذا الثيران ، واعطاهما أهل البلدة الاولى الخراف ورجعا الى بلدهما وعاشا سعيدين .

الأمير الصغير

كانت فى حديقة قصر الملك شجرة تفاح تثمر تفاحا ذهبيا ، ولاحظ الملك أن الشجرة تنقص كل يوم تفاحة ، فقرر أمراً ، وحين جاء الظلام اختبأ الملك وراء خميلة وظل ينتظر طول الليل ليمسك اللص بنفسه ، وقبل بزوغ الفجر سمع جلبة ، واقبل طائر كبير يشع نورا ، وله ريش ذهبى ، والتقط الطائر تفاحة ومضى مبتعداً فى الاعالى قبل أن يفيق الملك من دهشته .

وفى الصباح نادى الملك أولاده الثلاثة وحكى لهم ما حدث ، واستطرد قائلا ، « اننى لم أر فى حياتى مثيلا لهذا الطائر الجميل بريشه الذهبى وتلك الاضواء الباهرة المنيرة التى تشع منه ، اننى أريد هذا الطائر ، ومن يحضره الى منكم سأعطيه نصف ملكى ويصبح ملكا من بعدى ».

فأجاب الابن الاكبر ، « سأقضى طول الليل يا أبى تحت شجرة التفاح الذهبية وفى الصباح سأقدم لك الطائر » ، وذهب الامير حين حل الظلام الى الحديقة ، وانتظر قدوم الطائر ، ومضت ساعات وساعات وحل به التعب من السهر فنام ، وجاء الطائر والتقط تفاحة ذهبية وطار بعيدا .

وفى الصباح قال الامير للملك ، « لم يجىء الطائر هذه الليلة يا أبى »، فسأله ان كان قد نام ، فكذب عليه قائلا ،« لم يغمض لى جفن » .

وتعهد الامير الاوسط ان يقضى الليل يحرس شجرة التفاح وأن يقدم للملك الطائر فى الصباح ، فأعطاه الملك الاذن ، وذهب الامير

الي الحديقة ، وحين غربت الشمس وتقدم الليل الم به النعاس ، وظل يقاومه ، لكنه فى النهاية تغلب عليه النعاس ونام ، وجاء الطـــائر الذهبى والتقط تفاحة وطار فى السماء بعيدا ، بعيدا .

وفى الصباح ذهب الامير الى الملك وقال له ، « لم يجىء الطائر هذه الليلة ، ولم انم لحظة واحده » ، وكذب مثل اخيه ، عندئذ تقدم الامير الصغير الي ابيه واستأذنه ان يقوم بالحراسة فى الليلة القادمه، فأذن له الملك . وعند الغروب كان الامير الصغير يقبع تحت شجرة التفاح الذهبية ، ينتظر فى لهفة ، ومرت ساعة وساعات وهو يقـظ ومنتبه ، وقبيل الفجر سمع جلبة خفيفه ورأى فى السماء نوراً وضاء يلمع ويخطف سناه الابصار ، فأسرع وتسلق شجرة التفاح ، وما هى الا لحظات حتى أقبل الطائر الكبير بريشه الذهبى وجماله الاخاذ ، وهبط ليلتقط تفاحة ، لكن الامير الصغير المختبىء بين الاغصان مد يده فجأة ليمسك بجناحه حين اقترب من الاغصان لكن حركة الطائر كانت اسرع من حركة الامير ، وفزع الطائر وطار بعيدا دون أن يلتقط تفاحة ، وبقيت فى يد الامير الصغير ريشة واحدة ذهبية من جناح الطائـــر ، جميلة وبديعة ورائعـــة الحســـن .

وفى الصباح قدمها الامير الصغير لابيه الملك وقص عليه ما حدث ، فأخذ الملك يقلب الريشة الذهبية متعجبا ومعجبا ، ووضعها فى الصندوق الذى يحفظ فيه انفس جواهره ، ولم يستطع احد ان يمسك بالطائـــر الذهبـــى .

ومضت الشهور وكاد الملك أن ينسي حكاية الطائر الذهبى ، لكن فى يوم من الايام أراد الملك أن يهدى احد الملوك شيئا من الجواهر ، ففتح صندوقه ورأى الريشة الذهبية تشع نورا بين الماس والياقـــوت والمرجان، وتبدو أروع وأبدع، وكأنها ملكة بين المجوهرات، فأمسك الملك بالريشة الذهبية بين يديه يتأمل حسنها وروعة جمالها ، ونسى ما جاء من أجله ونادى أولاده الثلاثة ، وهتف بهم ، « اننى اتمنى أن يكون الطائر صاحب هذه الريشة عندى ، واكرر لكم ، ان من يحضر هذا الطائـــر الى سأعطيه نصف ممتلكاتى ويكون هو الملك من بعدى ، فاذهبوا أيها الامراء وابحثوا فى كل مكان ، وآتونى بهذا الطائر » .

ودخلت الغيرة الى قلب الاخوين الاكبر والاوسط من اخيهما الامير



لكن الأمير الصغير المختبئ بين الأغصان مد يده فجأة ليمسك بجناحيه حين اقترب من الاغصان

الصغير ، ذلك انهما حاولا الامساك بالطائر فغلبهما النعاس ، ونجح الامير الصغير ولو قليلا ، حقا انه لم يمسك الطائر لكنه اتى بريشته وأصبح محبوبا مميزا ، فاتفقا أن يسيرا هما معا ويسير الامير الصغير وحده ، أثناء بحثهم عن الطائر الذهبى الذى كان ابوهم الملك يتحرق شوقا للحصول عليه ، ولم يعترض الامير الصغير ، ووافق اخويه على رايهما دون غضب أو ضيق .

وجهز نفسه للسفر وركب حصانه ومشى فى الطريق المجهول محاولا أن يحقق أمل والده فيأتيه بالطائر الذهبى .

ظل الامير الصغير يبحث ويسأل فى كل مكان ، يعبر الانهار ويصعد الجبال ، ويخترق الغابات ويمر بالمدن والقرى ، يسأل ، ويسأل ، ولم يجد احدا يعرف الطائئر او يرشده الى مكانه .

وفى يوم من الايام وصل الامير الصغير الى طريق تتفرع منه ثلاثة طرق ، فاحتار الامير ، اى الطرق يختار ، ففكر قليلا ومشى فى احداها، ولم تكد تمضى ساعات قليلة حتى احس الاميسر بالحصان يتعثر وتضعف قواه ، فنزل من فوقه ليطمئن عليه ، لكنه وجد الحصان غاية فى الانهاك، والزبد يخرج من فمه ، ووقع الحصان وأخذت انفاسه تتلاحق واهتزت ارجله وصهل مرة واحدة وفارق الحياة .

وكان الحصان أثيرا وعزيزا لدى الامير فوقف ينظر اليه حزينا وربت بيده على عنقه المبلل بالعرق ، وشعر فجأة بوقع خطوات خفيفة مقبلة ، فنظر خلفه فأبصر ذئبا لم ير مثله فى حياته ، فقد كان لونه عجيبا ، وتشع من عينيه شرارات النار وقال الذئب ، « سيدى الامير لاتحزن على حصانك الوفى ، وافرح بنجاتك ، فأنا أعرف عنك كل شىء، اتذكر الطريق الذى يتفرع الى ثلاثة ، لقد سبقك اخواك اليه وكان هناك عند بداية كل طريق من الطرق الثلاثة حجر ، ومكتوب على الحجر الاول ، « تقاسى الجوع والعطش » ، ومكتوب على الحجر الثانى، « تعيش ويموت حصانك » ، والثالث كتب عليه « تموت ويعيش حصانك » ، وجاء أخواك وازالوا الاحجار لانهما خافا أن تسبقهما وتحصل على الطائر الذهبى وارادا لك الهلاك ، لكننى مرصود على خدمتك فكان لابد أن القاك وانقذك » .

ففرح الامير الصغير فرحا شديدا وقال للذئب ، « اذن خذنى بسرعة الى حيث يوجدالطائر الذهبى ، » فهز الذئب رأسه وقال ، أريد ان أبين لك امرا ، وهو أن ذلك الطائر الذهبى يوجد فى حديقة ملك من الملوك وهو داخل قفص لم تر العين له مثيلا ، قفص مصنوع من انفس واجمل المجوهرات ، وهو غريب الشكل رائع التكوين ، ولنقفص علاقة مرصعة ومزخرفة بالاحجار الكريمة ، والقفص معلق فى احدى الاشجار ، ويحيط به حراس شداد ، سآخذك الى الحديقة وأرشدك الى الشجرة وما عليك الا أن تفتح باب القفص وتأخذ الطائر، لكنك ان حاولت أن تأخذ القفص وانزلته من الشجرة فسيستيقظ الحراس ويقبضون عليك » ، فردد الامير ، « لن افعل ، لن افعل ، خذنى بسرعة الى الطائر الذهبى ».

ومشى الامير مع الذئب حتى وصلا الى مشارف قصر كبير تحيط به حديقة جميلة حولها سور له عدد كبير من الابواب ويقف على كل باب سبعة حراس .

ووصف الذئب للامير الحديقة واشار الى الناحية التى توجد فيها الشجرة ، وأعاد عليه ما اوصاه به ، فقفز الامير من فوق السور ووصل الى شجرة كبيرة ، ونظر فراى فجأة الطائر الذهبى والانوار تشع منه وتتلالا فتخطف الابصار ، وكان الطائر بالفعل داخل قفص مصنوع من الذهب وقد رصع بكل حجر كريم ونفيس ، وتشع الوان الاحجار الكريمة صفراء ، وخضراء ، وحمراء وزرقاء ، وفضية ، أما علاقة القفص فآية من آيات الفن والابداع ، ففتح الامير باب القفص وامسك بالطائر واخرجه ، فأسند الطائر راسه على صدر الامير كأنه يريد أن يذهب معه ، وخطا الامير خطوة والتفت ليلقى نظرة أخيرة على القفص الجميل ، فسحرته روعته ولم يتمالك نفسه ، فمد يده ونزعه من الشجرة ، وفجأة استيقظ الحراس واحاطوا به وامسكوه واخذوا الطائر الذهبى منه ، وادخلوه فى قفصه ، وصحبوه معهم الى الملك .

وقصوا عليه ما حدث ، فقال له الملك ، « كيف تجرؤ أيها اللص أن تدخل حديقتى وتحاول سرقة أعز ما أملك وهو الطائر الذهبى ؟» ، فرد الامير مبينا للملك أنه ليس بلص وحكى له كل شىء ، فهز الملك

راسه وقال ، « لــو أنك جئت الى وطلبت منى الطائــر لاعطيته لك ، خاصة وأننى لاخظت انه احضر تفاحتين ذهبيتين دليلا على صدق مــا تقــول » ، وبعد ذلك انتاب الملك الحزن والاسف ، وزاد قائلا ، «والان وبعــد أن حكيت لى ، عرفت ان الطائــر يشتهى تلك التفاحــات الذهبية ، وحين حرست انت شجرة التفاح ولم تسمح له باخذ تفاحة ذهبيه ، حزن حزنا شديدا ، لكن كل هذا لا يهم ، انت الان مــص مقبوض عليك لكننى ساسامحك واعطيك الطائــر ، شرط ان تحضر لى الحصان ذا الاسنان الذهبية ، فهو أسرع حصان فى الدنيا ويجرى فى سرعــة البرق » ، وأمر الحراس ان يطلقوا سراحه ، حين تعهد له الامير بتحقيق رغبته وتنفيذ شرطــه .

وخرج الامير الصغير مكتئبا ، ورآه الذئب فسألــه ساخــرا ، « أين الطائر الذهبي ؟ » ، فحكى الامير للذئب ما حدث ، فأنبه الذئب قائــلا ، « انك لم تسمع كلامى ولم تعمل بنصيحتى ، على اية حال سأساعــدك مرة ثانية » ، فهتف الامير ، « اذن هيا بنا الى حيــث يوجد الحصان ذو الاسنان الذهبية ، اسرع حصان فى الدنيا » .

فأخــذه الذئب الى مكان الحصان ، وكان داخل حظيرة كبيرة ذات جدران سميكة أشبه بقلعة صغيرة ، وتقع على مقربة من قصر أحــد الملوك وهو صاحب الحصان .

ووقف الذئب مع الامير قريبا من الحظيرة ، وقال له ، « فلتدخل يا سيدى الامير هنا حيث يوجد الحصان ، فاقترب منه ولا تخف من الحراس المحيطين به، فكلهم نائمون ، وستجد بجانب الحصــــان حذوات ذهبيــة معلقة على الجدار ، اياك أن تحاول أخذها ، فــان فعلت فان الحراس سيستيقظون ويمسكون بك ويأخذونك الى الملــك صاحب الحصان » ، فوعــد الامير أن لا يفعل .

واسرع واتجه الى الغرفة الكبيرة الشبيهة بقلعة ودخلها ، وذهل حين راى الحصان واقفا يلمع جلده وكأنه مدهون بالزيت ، وتنتصب رقبته عالية ، وهو يضرب بحوافره فى الارض فتتطاير شرارات النار من تحتها ، كان واقفا فى خيلاء كأنه ملك الخيل ، وصهل الحصان ، فظهــرت أسنانه الذهبية العجيبة تلمع وتبرق .

واقترب الامير منه فى شجاعة وربت على رقبته وأمسك بلجامه

وقاده فانقاد له ، والتفت الامير فرأى أربعا من الحذوات الذهبية المزينة بالنقوش معلقة على الحائط وقال فى نفسه ، « ان هذا الحصان العجيب يستحق هذه الحذوات »، ومد الامير يده واخذ الحذوات الذهبية ، فسمع فى الحال جلبة ، فقد استيقظ الحراس وهجموا على الامير واحاطوا به وامسكوه ، واخذوه الى الملك صاحب الحصان .

ولما مثل بين يدى الملك ، وحكى الحراس ما جرى ، وأنهم امسكوا به وهو يقود الحصان ليسرقه ، قال له الملك ، «سأعاقبك أيها اللص عقابا شديداً »، فقاطعه الامير فى شجاعة ،« كفى ، اننى لست بلص بل أنا أمير ابن ملك مثلك » ، فاندهش الملك واستفسره فحكى الامير حكايته ، وحين انتهى قال له الملك ، « لو انك طلبت منى الحصان لاعطيته لك أما الان فانت لص ، لكن يمكننى ان اعفو عنك واعطيك الحصان كذلك ، شرط أن تحضر لى الاميرة الغالية ، التي يفوق جمالها جمال القمر ، وأمر الحراس ان يخلوا سبيله ، فقد وعد الامير أن يحضر للملك الاميرة الغالية .

ورجع الامير الى الذئب حزينا ، فسأله الذئب عن سبب حزنه ، فحكى له ما جرى فقال له الذئب ، « للمرة الثانية لم تسمع كلامى وتعمل بنصيحتى »، واستطرد ،«الاميرة الغالية فى مكان بعيد ولابد ان نقطع سبعة بحور وسبعة جبال وسبع صحارى ، لكن ليس عليك من بأس فسأساعدك » .

وحول الذئب نفسه الى بجعة كبيرة وسأل الامير ان يركب فوقه وطار به ، طار فوق بحر كبير ، وظل يطير ، حتى وصل الى بحر آخر واسع ورحيب ، وظل يطير ويطير ثم عبر بحراً ثالثا ، وبحرا رابعا ، وواصل الطيران ، وعبر البحر الخامس والسادس حتى وصل الى البحر السابع ، وقال للامير ، « يا سيدى الامير اننى أحس بالجوع والعطش ، ولااقوى على الطيران ، فأجابه الامير ،« لاعليك »، واستل خنجره وقطع من لحم فخذه واعطاه للطائر ، ثم اعطاه دماءه ليشربها ، وظل يقطع من لحمه ويناوله حتى عبر البحر السابع .

ونزل الطائر والامير على الارض ، ووقفا عند سفوح الجبال ، ورجع الذئب الى شكله الحقيقى ، ونظر الى الامير وجروحه وقال له ، « سيدى الامير لقد انقذت حياتى وكنت سأموت من

الجوع والعطش ، لكنك قطعت من لحمــك واعطيته لــى طعامــا ، وسقيتنى من دمك ، والان سأداويك » ، وأعطاه الذئب بعضا مــن شعيراته وسأله أن يمسح بها على جروحه ففعل الامير ، وعاد سليما معـــافى .

وحول الذئب نفسه الى حصان وقال للامير ، « اركب »، فقفز الامير فوق ظهــر الحصان ومضى يصعد فى الجبال ويعبر الوهاد ، وظل الحصان يجرى دون تعب أو ملل،حتى عبر السبعة جبال،واطل على كثبان رمال الصحراء الاولى ، فحول الذئب نفسه مرة ثالثة الى جمل وركب فوقه الامير ، ومضى الجمل يسير ويسير عبر الصحارى السبع وفى الطريق وجدا واحة فشربا من مائها ، وأكلا من ثمرها الحلــو ، واستأنفا المسير حتى اجتازا الصحارى السبع ، وعند أطراف الصحراء السابعــة وجدا قصرا بديعا تحيط به الحدائق الغناء ، وكانت الاميرة الحسناء التى يفوق جمالها جمال القمــر تتنزه فى الحديقة ، فاختطف الامير الصغير الاميرة الجميلة ، وركب معها فوق الجمل ، وبدأوا رحلة العــودة .

فاجتازوا الصحارى السبع ، وعندئذ حول الذئب نفسه من شكل جمل الى شكل حصان ، ثم عبروا الجبال السبعة حتى وصلوا الــى البحــار ، فحول الذئب نفسه الى شكل بجعة كبيرة ، وتزود الامــير هذه المرة بالماء واللحم ، وركب مع الاميرة فوق البجعة ، وطــارت البجعة وعبرت السبعة بحور ، واستعاد الذئب هيأتــه الحقيقيــه ، واستأنفوا مسيرهم حتى وصلوا قريبا من قصر الملك صاحب الحصان.

وسار الامير ممسكا بيد الاميرة وبجانبه الذئب ، نحو باب القصر، وتباطأ الامير فى خطواته ، ذلك لانه كان قد وقع فى حب الاميرة الجميلة، فقال للذئب ، « يا عمى الذئب ، الا ترى جمال الاميرة الساحر وحسنها الفتان ، حرام أن نعطيها للملك ، اننى أحبها ، احبها واود الاحتفــاظ بها ، الا يمكنك أن تساعدنى ؟»، فهز الذئب رأسه واجاب الامير ، « لا عليك » ، ودخل الذئب الى دغل قريب وخبأ فيه الاميرة ثم حول الذئب نفسه الى شكل الاميرة ، ورجع الى القصر مع الامير الصغير، واستقبل الملك فرحا الامير والاميرة الحسناء ، واخذها الى داخــل القصر ، ورجع الى الامير وشكره ، وصحبه الى الغرفة الشبيهــة

بالقلعة واعطاه الحصان ، فركبه الامير وودع الملك ، وأسرع الى الدغل حيث خبأ الاميرة ، فركبت معه فوق أسرع حصان فى الدنيا والذى يجرى فى سرعة البرق .

لكن الامير قبل ان يسير التفت حائرا وقال ، « أين عمى الذئب ؟ » ، فوجده بجانبه ، وجرى الحصان يحمل الامير ومحبوبته والذئب يجرى بجانبه فى سرعة تماثل سرعته .

ولم يقفوا الا عند قصر الملك صاحب الطائر الذهبى ، ونزل الامير من فوق الحصان وبقيت الاميرة مع الذئب حتى يسلم الامير الصغير الحصان للملك ويحضر الطائر .

ولم يرد الامير أن يتقدم ، لانه اعجب بالحصان وسرعة جريانه اعجابا شديدا فقال للذئب ، « لقد رأيت كيف يجرى الحصان ، حرام أن نعطيه للملك ، انني أريد هذا الحصان » ، فهز الذئب رأسه وأجاب «سأساعدك ياسيدى الامير »» وأخذ الحصان والاميرة وخبأهما وراء شجرة ، وعاد الذئب الى الامير ، وحول نفسه الى شكل الحصان ، فقاده الامير ، ومثل بين يدى الملك وقدم له الحصان .

ففرح الملك وأمر حراسه أن يعتنوا بالحصان ويحيطوه بالرعاية واعطى الامير الطائر الذهبى .

وخرج الامير من القصر حاملا الطائر الذهبى ، وذهب وراء الشجرة حيث وجد الحصان الحقيقي والاميرة ، فركب الحصان ووراءه الاميرة وأمامه الطائر الذهبى ، وقبل أن يسير التفت وقال ، « أين عمي الذئب ؟ » فوجد الذئب واقفا قريبا منه يبتسم ويقول ، « وداعا أيها الامير ، ان معك الان الطائر الذهبى ، والحصان العجيب ، والاميرة الغالية ، وقد حققت لك أمنيتك وزيادة » ، واختفى الذئب من أمامه فى لمح البصر .

وقاد الامير الحصان وجرى به فى سرعة البرق ، ليعود الى بلاده ، وما أن وصل الى الطريق الذى يتفرع الي ثلاثة طرق حتى لمح أخويه فوقف فرحا بلقائهما ، لكنهما ما أن أبصرا الطائر الذهبى بين يديه حتى انتابتهما الحسرة وامتلا قلباهما حسدا وغيرة ، فسيأخذ الامير الصغير نصف ممتلكات ابيهم ويتولى من بعده الملك ، وحكى لهما

الامير عن ماجرى له من أحداث ، وزادت غيرتهما اشتعالا عندما رأيا اخاهما الصغير يملك كذلك أسرع حصان فى الدنيا وبجانبه أميرة حسناء يفوق جمالها جمال القمر ، فأعماهما الحسد فأسرعا وقفزا وهاجما آلامير الصغير ، وأوثقا يديه واخذاه الى غابة بعيدة ، وربطاه الى شجرة ربطا متينا بالحبال وتركاه وانصرفا .

وأخذ آلامير الاكبر الطائر الذهبى والحصان ، والاوسط آلاميرة الجميلة ، وضربها وأخافها ، وطلب منها أن تقول حين تمثل بين يدى أبيه الملك، أنه هو الذى خطفها وأحضرها معه .

وسارا الي قصر أبيهما الملك ، وقدم الامير الاكبر الطائر الذهبى اليه ، ففرح الملك فرحا شديدا ، ووعده أن يقتسم معه ممتلكاته وان يكون ملكا من بعده .

وحكى الاميران — كذبا — للملك عن المغامرات التى قاما بها ، هما الاثنان ، فكل ما حكاه لهما الامير الصغير نسبه كل أمير الى نفسه ، الامير الاكبر ، قال انه أحضر الطائر والحصان ، مبينا ما لاقاه فى سبيل ذلك من مشاق ومتاعب ، والامير الاوسط شرح كيف أحضر الاميرة الجميلة .

لكن الملك استفسرهما عن آلامير الصغير ، « ماذا جرى له ؟ »، فأجاباه وهما يدعيان الحزن ،« انه قد مات وقد دفناه فى بلاد بعيدة »، فحزن الملك حزنا شديدا ، أما الامير الصغير فقد ظل مربوطا فى الشجرة ثلاثة أيام ، دون طعام أو ماء ، حتى اشرف على الهلاك ، واقترب من الموت ، وحامت الغربان والنسور تنتظر أن يلفظ آخر أنفاسه لتنقض على الجثة .

وحين كان الامير الصغير يعانى سكرات الموت ، جاء الذئب وقال للغراب رئيس الغربان ، « قل لغربانك أن تحل رباط الامير » ، لكن الغربان احتجت وقالت للذئب ، « اننا ننتظر موته ، فلا تحرمنا من وجبة شهية »، فأمر الذئب آلغربان أن تسكت وتقوم بحل ربط الامير ، فأطاعت الامر ، وزادت فأحضرت له ماء وطعاما .

وبدأ الامير يستعيد قواه ، فاقترب منه الذئب وقال له ، «سيدى

الامير ، لقد انقذتك من الموت ولن تراني بعد اليوم » . واختفى من أمامه .

واتخذ آلامير طريقه الى قصر أبيه الملك . وراعه انه وجد القصر مضاء بالانوار وتصدح فى انحائه الموسيقى . ودخل القصر . وما أن لمحه الملك حتى صرخ من الفرح ، وقام اليه يعانقه . اما الاميران فقد صعقتهما المفاجأة ، ودهلا وكادا أن يقعا مغشيا عليهما ، وسألهما الملك ، « ألم تقولا لى انكما دفنتما الامير . فلم يستطيعا أن يتكلما ، وجرت الاميرة الجميلة الى أحضان الامير الصغير وعانقته وبكت فرحا ، ذلك لان اليوم كان يوم عرسها ، لتتزوج الامير الاوسط، وحكى الامير الصغير لابيه الملك ما جرى له من أحداث .

عندئذ أمر الملك بذبح الاميرأن فى الحال ، لكن الامير الصغير تشفع لهما واكتفى الملك بالقائهما فى السجن عقابا لهما .

ورد الملك الحصان الى آلامير الصغير ، واكتفى بأن اخذ الطائر الذهبى وأعطاه نصف ممتلكاته ، ووعده أن يكون ملكا من بعده ، وزوجه من الاميرة الجميلة التى عاش معها فى هناء ، ورزقا البنين والبنات ، وتولى الملك بعد موت أبيه .

مولاى محمد الكاس

روى أنه عاش فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ، أحد السلاطين وكان متزوجا من بنت الوزير ، وقال المنجمون للسلطان أن ابنه سيقتله وسيستولى على العرش،لذلك كان السلطان يذبح كل ولد تلده زوجته ، حتى بلغ عدد من ذبحهم السلطان من أبنائه سبعة اولاد .

وحزنت الام على فقدان أولادها ، واحتارت ماذا تفعل ، فذهبت الي عجوز وسألتها المشورة والنصيحة ، فقالت لها العجوز ،« عندما تحملين اخبريني ودعيني أدبر لك الامر » ، وحين حملت الملكة أخبرت العجوز ، فاتفقت العجوز مع قابلة (1)، وعرفت ميعاد الوضع المحتمل، واحضرت كلبا صغيرا واعطته للقابلة .

وولدت الملكة طفلا جميلا ، فاسرعت القابلة بارساله الى منزل جده الوزير ، واظهرت الكلب ، وقالوا ان الملكة ولدت كلبا ، وحين جاء السلطان ليطمئن كعادته ، ويذبح الطفل الصغير ، قدمت القابلة له الكلب، فذبحه فى الحال ، أما الطفل الوليد فقد ظل يعيش فى بيت الوزير، واحضروا له احسن المربيات ، لكن الام لم تستطع ان تتحمل البعد عن طفلها ، لذلك حفر الوزير نفقا تحت الارض من بيته حتى غرفة الملكة فى قصر الملك .

وفى كل يوم جمعة عندما يغادر السلطان القصر ليؤم المصلين فى صلاة الجمعة ، كانت الملكة تذهب عن طريق النفق الى بيت أبيها ، وتزور ابنها ، واسمت الملكة ابنها احمد ، ومضت الايام ، وحملت الملكة مرة اخرى ، وخافت أن تلد ذكرا فيذبحه الملك كعادته ، فهرعت الى العجوز وسألتها النجدة والمعونة والنصيحة ، فاتفقت العجوز مع القابلة

(1) ــ قابلة : مولدة .

نفسها ، وعرفن ميعاد الولادة ، وجهزن كلبا وليداً ، وتكرر ما حدث فى المرة الاولى ، وهربت الطفل الى منزل الوزير ، واظهرت الكلب الوليد للسلطـــان ، فذبحـــه فى الحال .

واسمت الملكة ولدها عليا ، وعاش مع اخيه فى بيت جده الوزير ، وكانت الملكة تزور وليديها احمد وعليا ، عن طريق النفق ، فى كل يوم جمعة حين تتأكد من غياب السلطان عن القصر .

ومضت الايام والشهور وحملت الملكة مرة اخرى ، وتكرر ما حدث فى السابق ، وولدت الملكة ولدا ثالثا أسمته محمد ، فأخذوه عن طريق النفق الى بيت جده الوزير ، وعاش مع أخويه ، وكانت الملكة تزورهم كل يوم جمعـــة .

ونشأ الاولاد وكبروا وهم يعتقدون أن الوزير أبـــوهم وزوجته ـــ جدتهم ـــ أمهم ، لكن انخدم وكثيرا من الناس عرفوا أن هؤلاء الصبيان ليسوا أبناء الوزير الشرعيين وانما احضرهم الوزير ، ورباهم كأبنائه .

ومضت السنون وكبر الاولاد وأصبحوا شبابا ، وفى يوم من الايام بينما كان أحمد الابن الاكبر يلعب الكرة ، قذفها بشدة فأطاحت بخيمة امراة فلاحة ، فتضايقت المراة وانزعجت ، وثارت واخذت تسب احمد قائلة ،« يلعنك الله يا من لا يعرف لك احد أبا »، وكان المعنى قبيحا ، فرجع احمد الى بيته ، وقال للوزير وهو يظن انه ابوه ،« ياأبى لقد قذفت الكرة اليوم فهدمت خيمة امرأة فلاحة فسبتنى قائلة لعنك اللـــه يا من لا يعرف أحد لك أبا ، فلماذا قالت الفلاحة هذا الكلام ، ألست أبى ؟ » ، فصمت الوزير ، وذهل احمد ، وأعاد السؤال ، لكن الوزير لم يرد ، فازداد احمد حزنا وذهولا وبكى ، عندئذ قال له الوزير «يـــا احمد انا ابوك » ، وجاءت جدته وعرفت ما حدث فقالت له ، « انا أمك يا بنـــى » ، فتذكر احمد شيئا فسألهما ، « لكن من هى هذه المراة التي تجيء كل يوم جمعة وتقبلنى وتدللنى وتبكي، من هى هذه المراة؟»، ولاحظ احمد سكوت الوزير وزوجته فشك فى صدق ما يقولان ، وتذكر ما قالته الفلاحة ، لعنك الله يا من لا يعرف احد لك أبا ، عندئذ قال له الوزير ، « الآن وقد كبرت يا احمد ، سأحكى لك سرا اردت ان أبقيه فى طي الكتمان طويلا ، لكن يظهر انه قد آن الاوان لاطلعك عليه ،

الا فاعلم يا بنى أننى جداك أب امك ، ، وهذه زوجتي جدتك ، اما امك الحقيقية فهى ابنتى الملكة ، انها تلك المراة التي تجيء كل يوم جمعة فتقبلك وتحتضنك وتدللك ، وان أباك لهو السلطان نفسه »، وحكى له القصة بأكملها .

فحزن أحمد حزنا شديدا ، وقال ، « الحقيقة يا جدى وجدتى ، لقد لقيت منكما الرعاية والعطف ونشأت معكما ، وانا اعتقد انكما ابى وامى فانتما خير الاباء والامهات ، ولكن ما هذه البلد الذى لا يعرف فيها الاب ابنه ، ولا يرضى لقاءه أو يعترف به »، واقسم احمد أن يهاجر من هـــذه البـــلاد .

وحين عرفت الملكة أمه ، انه بنوى السفر ، اخذت تحاول ارجاعه عن عزمه وقالت له ،« يا بنى لقد عشت دائما بعيدة عنك ، والان انت تنوى أن تسافر وتتركنى ، الا فلترحم امك ، ولتبق يا بنى ، فاننى لا استطيع فراقك » ، لكن احمد كان قد نوى أن يرحل من هذه البلاد التى يعيش فيها أبوه ، عندئذ أعطته أمه الكثير من المال والعبيد وفرســـا اصيلة .

فغرس أحمد شجرة ورد ، وقال لامه ،« ستزدهر الورود فى هـــذه الشجرة ان سقيتها كل يوم ، فعليك يا أماه أن توليها بالرعاية ، فـــان وجدت الورود قد ذبلت فى يوم من الايام فاعلمى اننى قد فارقت الحياة».
وركب أحمد حصانة ورحل من بلاده يتبعه عبيده وخدمه وسار، سار حتى وصل الى بلاد بعيدة ، واستأجر دارا وسكن فيها مع عبيده وخدمه .

وبعد ايام بينما كان احمد يسير فى السوق سمع مناديا ينـــادى ويقول ، أن السلطان لديه ابنة جميلة ، ومن يريد الزواج بها عليه أن يمكث معها ثلاثة ايام ، وان يجعلها تتكلم ثلاث مرات ، فان فشل فان السلطان يقطع راسه ، وقد قطع السلطان رقاب الكثيرين من الناس ، اما أن تكلمت الاميرة ثلاث مرات خلال هذه الايام فان السلطان يزوجها بمن تكلمت معه ، فأراد أحمد أن يتزوج ابنـة السلطان ، فحاول الناس ارجاعه عن عزمه لان الاميرة لم تكلم الكثيرين ممن تقدموا اليها ، فقطع السلطان رؤوسهـــم .

لكن احمد ذهب الى السلطان ، وابدى رغبته فى الزواج من الاميرة

فادخلوه الى غرفتها ، ووجدها فى اكمل زينتها وابهى واحلى ملابسها ، تجلس فوق كرسى ذهبى مزين بالماس والياقوت ، ووجد اباها وشاهدا معه على يمينها ، وعمها وشاهدا معه على يسارها ، واخذوا عليه المواثيق واشترطوا الشروط ، سيمكث احمد ثلاثة ايام فان لم تكلمه قطعوا راسه ، فوافق احمد .

واخذ احمد يتكلم اليها ، يحييها ويطرى جمالها ، ويحاول أن تبادله الحديث ، لكن دون فائدة ، وبذل كل جهده لحملها على التفوه ولو بكلمة واحدة فلم ينجح ، فأخذ يستعطفها و ركع تحت اقدامها ، و رجوها و توسل اليها أن تنطق ، فلم تتكلم .

فجاء السلطان والشهود ، وقطعوا راسه ، فذبلت الورود المزدهرة فى الشجرة التى غرسها احمد ، وعرفت امه انه قد فارق الحياة ، وبكت وحزنت حزنا شديدا ، ولم يخفف منه الا بقاء اخويه على ومحمد .

ومضت سنة كاملة ، وراى على أن يرحل ويسافر ليعرف ما جرى لاخيه ، وحاولت الام أن تبقيه بجانبها وتثنيه عن عزمه، لكنه صمم على على الرحيل ، عندئذ اعطته الكثير من المال وجهزت له ما يلزم من عبيد وخدم ، فغرس على شجرة وقال لامه ،« ستزدهر الورود فى هذه الشجرة ، ان سقيتها كل يوم ، فعليك يا اماه أن تشمليها بالرعاية ، فان وجدت الورود قد ذبلت فى يوم من الايام ، فاعلمى أننى قد فارقت الحيـاة » .

وسار على فى طريقه وقادته الاقدار الى البلاد التى ذهب اليها احمد، واخذ يسأل ويستفسر ويفتش عن اخيه ، فقابل عبيد أحمد وخدمه فأخبروه بما حدث وجرى له ، وكان من عادة الناس فى هذه الايام حين يرون غريبا جاء الي البلاد أن يخبروا السلطان .

فأرسل السلطان المنادى يطلب عريسا لابنته ويشترط عليه أن ينجح فى دفعها الي الكلام ، ولم يكن على فى حاجة الى أن يسمع المنادى لانه اراد ان يتزوج ابنة السلطان الذى قتل اخاه ، وظن انه سينجح ، وحاول العبيد والخدم أن يمنعوه ، ونصحه كثير من الناس ، لان الاميرة الجميلة لم تكلم احداً ، والسلطان لا يبغى أن يزوجها ، وانه قطع رؤوسا كثيرة من قبل .

لكن عليا اسرع الى القصر وقدم نفسه للسلطان وخطب منـــه ابنته ، فأخذه السلطان وادخله آلى غرفة الاميرة ، وكانت فوق الكرسي الذهبي آلمزين بالماس والياقوت والاحجار الكريمة ، ووقف السلطان وشاهد على يمينها ، وعمها وشاهد على يسارها واخذوا عليه العهود والمواثيق ، فقبل الشروط ووافق عليها .

واخذ على ينظر الى الاميرة يلاطفها ويسمعها اعذب الاحاديث وأرق الكلمات ، لكنها لم ترد عليه ، فأخذ يحكي لها النوادر والمسليات والفكاهات ويحاول اضحاكها ، لكن دون فائدة ، وأطرى جمالها واشاد بحسنها وبدلالها ، وشكا لها حبه وهيامه بها،لكن دون فائدة ، ومضت الايام الثلاثة وقطعوا راسه .

وذبلت الورود فى الشجرة التى غرسها على ، وعرفت أمه انه قد مات ، فبكت وحزنت حزنا شديدا ، ولم يخف منه الا بقاء محمد ، ورأى محمد أن يرحل ويسافر ، ليعرف ما جرى لاخويه ، فهلعت الام وارتجفت ، فمحمد هو ابنها الوحيد الذى بقى لها ، فأخذت تتوسل آليه وترجوه أن يبقى ليعيش بجانبها مع جده وجدته ، لكنه لم يرغب بعد أن فقد اخويه فى البقاء فى تلك البلدة التى يرفض فيها ابوه الملك ان يعترف به آبنا ويقبله ، وصمم وقرر الرحيل ، عندئذ اعطته أمه الملكة اموالا اكثر مما أعطت لاخويه وجهزت له قافلة يصحبها آلعبيد والخدم ، وكل مايحتاجون اليه ، فغرس محمد شجرة ورد وقال لامه ،« ستزدهر الورود فى هذه الشجرة ان سقيتها كل يوم فعليك يا اماه أن توليها بالرعاية ، فان وجدت الورود قد ذبلت فى يوم من الايام فاعلمى أننى قد فـــارقت الحيـــاة . »

وسار محمد فى طريقه ليبحث عن اخويه ، وقادته الاقـــدار الـــى مشارف البلدة التى مات فيها اخواه ، واحس بالتعب ، فلم يقدر على مواصلة المسير ، فأراد الراحة وتوقفت القافلة ، وذهب محمد ليجلس تحت شجرة وارفة الظلال، واتكأ على جذع الشجرة وكاد أن ينام من شدة الارهاق، لكنه سمع عصفورا يقول لعصفور ،«هل تعرف من ينام تحت هذه الشجرة ؟ »، فأجاب العصفور ،« هذا مولاى محمد شقيق سيدى أحمد وسيدى على ، ولقد حفظتهم أمهم وانقذتهم من ابيهم السلطان» ، فهتف العصفور ، « يا له من سلطان قاس ، لا يرحم حتى طفله الرضيع ،



لكنه سمع عصفورا يقول لعصفور « هل تعرف من ينام تحت هذه الشجرة »
فأجاب العصفور : هذا مولاي محمد شقيق سيدي أحمد وسيدي علي.

اتعرف ما أريد وأتمنى يا اخي العصفور ، أن ينجح مولاى محمد » ، فرد العصفور ، « لو عرف السر ، لامكنه ان ينجو من السلطان ويتزوج ابنته، ان كل ماعايه ان يفعله هو ان يذبحنا معا، ويضع دمنا في قصبة، فان دخل غرفة الاميرة عليه أن يرش الدم على كل شيء يقابله ، وان يرفض أن يتناول عندهم طعاما او شرابا مهما قاسى من الجوع والعطش، بل عليه أن يرفض حتى أن يشم البخور الذى يحرقوه في قصرهم » .

فهم محمد كلام العصفورين ، فامسكهما وذبحهما ووضع دماءهما في قصبة غاب ، وفي الصباح دخل البلدة ، وارشده الناس الى الدار التي أقام فيها اخواه ، ووجد هناك خدمهم وعبيدهم ، وحكوا له ما جرى وحدث لاخويه احمد وعلى ، وصمم محمد أن يذهب الى قصر الملك ليخطب ابنته ، فبكوا وحذروه وتوسلوا اليه أن لايسير الى القصر لكنه أجابهم ،« لقد عرفت لماذا مات اخواى فلا تخافوا على »، وجاء المنادى ينادى ، لكن محمدا لم يكن في حاجة الى سماعه ، فقد أسرع الى القصر ، فبين له السلطان الشروط ، وادخلوه الى غرفة الاميرة الجميلة حيث تجلس فوق كرسيها الذهبى المرصع بأنفس الجواهر،ووقف السلطان وشاهد على يمينها ، وعمها وشاهد على يسارها ، واخذوا عليه العهود والمواثيق ، وبينوا له أنهم سيتركونه مع الاميرة ثلاثة أيام ، وعليه أن يجعلها تتكلم ثلاث مرات ، وعندئذ يقبلون أن يزوجوها له ، اما اذا ظلت الاميرة ساكتة فسيقطعون راسه ، فوافق ، وتركوه مع الاميرة الجميلة ، قال لها محمد ،« السلام عليكم »، فلم ترد ، فرش الدم على الباب والجدران والارض والكراسى واحضر سجادة صلاة وجلس عليها ولم يكلم الاميرة ، واحضروا الاكل ، فلم يأكل ، واحضروا الماء فلم يشرب ، واحرقوا البخور فقام واطفاه ، وقال محمد للاميرة « أمرك غريب والله ، فانت لا تتكلمين ، وما دمت سأمكث معك ثلاثة ايام ، فلن أستطيع أن أظل صامتا ، ولابد أن أتكلم مع اى أحد ، وخاطب الكرسى ،« يا كرسى الا يوجد أحد يكلمنى، كلمنى انت لعلى أستأنس بك ، احك لى حكاية أيها الكرسى » .

فتكلم الكرسى وقال ،« سأحكى لك حكاية يا مولاى محمد ، كان يوجد ثلاثة من الاصدقاء خياط ، وفقيه ، وتاجر ، وكانوا يجتمعون كل يوم بعد الانتهاء من عملهم ، وفي يوم اتفقوا أن يدعو كل منهم صديقيه

للغداء ، وأول يوم دعاهم الخياط وجهز طعاما فاخرا ، بسطيلــة (1) رائعة ، حشاها باللوز وما لذ وطاب، وطبخ كسكسا بالدجاج وطاجينا(2) من اللحم ، وشوى بعض الحمام ، واحضر الكثير من الحلوى والفواكه، لانه كان ميسور الحال ، وفى اليوم الثانى دعاهم التاجر للغذاء ، فجهز طعاما فاخرا ، بسطيلة اكبر حجما واجود نوعا ، وطبقا فيه سبع دجاجات واكثر من عشر حمامات والكثير من الكسكس والخضروات الشهية ، اما الحلوى فكانت زائدة عن الحد ، والفواكه لا مثيل لجودتها وكثرتها .

وفى اليوم الثالث دعاهم الفقيه الى الغذاء ، وكان فقيراً ، فأحضر الحريرة (3) وشيئا من الكفتة ، وطبقا من الكسكس أما الحلوى فكانت « الشاى المغربى » واستأنف الكرسى كلامه ، « لقد عرفت يــا مولاى محمد ما قدم كل منهم لصاحبيه ، لكن ثار سؤال وعلى الاجابة عليه تتوقف حياة أحدهم ، فقل لى الصدق ، اننى اسألك ، طعام اى من الثلاثة تكلف الاكثر من المال ؟»، فأجاب محمد ،« طعام الفقيه »، فهتفت الاميرة ،« كيف يكون ذلك وقد اعد التاجر البسطيلة والدجاج والحمام، واحضر الخياط » وقبل ان تكمل كلامها صاح محمد ،« أيها الشهود ، يا مولاى السلطان تعالوا ، ها هى قد تكلمت » ، فجاؤوا ، وشهدوا بمــا حــدث .

فضرب السلطان ابنته ضربا مبرحا ، ولم يقبل حجتها ولا تبريرها لاندفاعها فى الكلام، وفى الليلة الثانية دخل محمد ورش الدماء على الارض والجدران والكرسى وفى كل مكان ، وحين أحضروا له الطعام والشراب رفض ان يقربهما ، وعندما أشعلوا البخور قام واطفاه ، وقال للاميرة، « السلام عليكم »، فلم ترد ، فخاطب الباب ،« ياصديقى الباب ،« لاأحد يكلمنى ، والاميرة ساكتة فلتؤنس وحدتى يا باب ، احك لى حكاية »، فقال الباب ، « سأحكى لك حكاية عجيبة عن المقامرة ، فقد كان ثلاثة من المقامرين ، جلسوا يلعبون القمار فى دار أحدهم ، بدأوا لعبهم فى العصر وظلوا يلعبون ، وتناولوا العشاء وشربوا الشاى ، واستأنفوا المقامرة ، وكان صاحب الدار يعمل نجاراً واحدهم يعمل فقيها وثالثهم

---

(1) ـــ نوع ممتاز من الطعام المغربى ، ورق من الرغيف (مثل البقلاوة فى المشرق)، محشو بالدجاج واللوز والبيض والتوابل الخاصة .

(2) ـــ طبق من الفخار بغطاء وينضج فيه الطعام ببطء

(3) ـــ حساء شعبية بها شىء من العدس والحمص والتوابل

نقاشا زواقا) وخسر النجار كثيرا ، فاستأذن صاحبيه وخرج الى صحن الدار ليريح أعصابه ، وصنع عروسة من الخشب ، ودخل الى صاحبيه واستأنف لعب القمار معهما ، وبعد مدة خسر النقاش ، فقام وخرج الى صحن الدار هو الاخر فوجد العروسة الخشبية أمامه ، فلونها وزخرفها ورسم لها عيونا وحواجب وأنفا وفما واذنين ، ثم دخل الدار واستأنف لعب القمار مع صاحبيه ، وبعد مدة خسر الفقيه ، فقام وخرج الى صحن الدار حيث وجد العروسة الخشبية المزخرفة ، فأعجبه شكلها فابتهل الى الله تعالت وجلت قدرته : ان يهب ويمنح العروسة الخشبية الروح ، فاستجاب الله دعاءه وأصبحت العروسة المصنوعة من الخشب شابة جميلة حسناء وفاتنة ، ودخلت مع الفقيه الى الدار .

فتشاجروا جميعا ، ذلك أن كلا منهم اراد ان يأخذها »، وساله الباب ،« سيدي محمد من تراه يستحق أن يأخذها ؟»، فأجاب محمد « النقاش »، فهتفت الاميرة ،« كيف يأخذها وهو لونها فقط اما النجار فقد صنعها والفقيه توسل لربه فأحياها »، فصاح محمد « أيها الشهود اشهدوا ، تعال أيها السلطان ، فقد تكلمت ابنتك » .

فجاء السلطان والشهود ، متضايقين حانقين وأخذ السلطان يضرب ابنته ضربا كاد ان يؤدى بها الى الموت ، ولم يقبل أن يسمع لتوسلاتها وتبريرها لما حدث ، ضربها كثيرا واوصاها أن لا تتكلم ابدا مهما حدث .

وفى الليلة الثالثة ، دخل محمد الى غرفتها ، ورش الدماء فى كل مكان ، واحضروا له الطعام والشراب فلم يمسسهما ، واطفأ البخور حين اشعلوه ، وقال لها « السلام عليكم » ، فلم ترد ، فنظر الى كأس الماء وكلمه ،« أيها الكأس ، ما دامت الاميرة لا تخاطبنى وانا احتاج لمن يؤنس وحدتى فاتكلمنى انت يا كأس ، ولتحك لى حكاية » ، فقامت الاميرة وأمسكت بالكأس ورمته بقوة على الارض ، فتناثر قطعا صغيرة وشظايا ، وتكلمت قطع الزجاج المتناثرة ، وقالت ، « ساحكى لك حكاية يا مولاى محمد ، وهى حكاية غريبة عجيبة ، كان يعيش فى قديم الزمان سلطان له ابنة جميلة ، وكان يحبها حبا شديدا ، ولا يريد أن يزوجها لاحد » ، فابتسم محمد ، واستأنفت قطع الزجاج الكلام ، « وقال السلطان، لن ازوج ابنتي الا لمن يحضر لى ياقوتة تحمل على حمل ، فاندهش الناس وتعجبوا وتساءلوا هل توجد ياقوتة فى الدنيا

كبيرة الى هذا الحد ، لكن الذى حدث انه جاء رجل الى السلطان ومعه جمل فوقه ياقوتة فى حجم ثلاثة رجال ، لم ير احد لها مثيلا من قبل ، فاضطر الملك أن يزوجه ابنته ويعطيها له ، وجهز لها ما يلزم من الملابس والجواهر والعبيد والجوارى ، وصنع لها محفة فخمة : عمارية) يحملها العبيد وتسترها وتلتف حولها الستائر الحريرية ، وودعها السلطان ، ورحلت مع زوجها الذى احضر الياقوتة ، وما أن ابتعدت القافلة عن البلاد حتى ظهر الرجل على حقيقته وغير هيأته الانسانية واصبح غولا له أنياب طويلة وله أثداء كبيرة مدلاة ، وقد كان غولا مهولا معروفا ، اسمه الغول السياف ، وسمى كذلك لانه كان من قدرته أن يقطع سبع رؤوس بضربة واحدة من سيفه .

واكل الغول السياف العبيد والجوارى ، والخدم ، والخيول ، والجمال ولم تبق الا الاميرة فحملها وسار بها الى بلاده ، وهى قفر موحشة لا تعيش فيها الا أمراة عجوز وحيدة ، وادخل الغول السياف الاميرة داره الموحشة الكئيبة ، فوجدت بقايا عظام لكثير من الناس والحيوانات التي اكلها .

وكانت الاميرة قد اخذت معها من دار ابيها حمامتين تحبهما ولا تقوى على فراقهما ، واحضر لها الغول السياف شيئا من الطعام ، فلم تقدر أن تأكله ، فتركها وانصرف بعد أن اغلق عليها الدار ، وصعدت الاميرة الى سطح الدار وجلست تبكي حظها ، ونظرت فرأت كل ما امامها مقفراً موحشا ، ورأت امراة عجوزاً شمطاء تجلس فى الشمس ، وما أن لمحتها العجوز حتى جاءت اليها واقتربت من الفتاة واندهشت حين وجدتها شابة حسناء ، فقالت لها ، « وما الذى أتى بك يا ابنتى الى بلاد ودار الغول السياف ، انه سيأكلك دون شك » ، فارتجفت الاميرة وبكت وعلا نحيبها ، فواستها العجوز واظهرت نحوها العطف ، فسألت الاميرة العجوز ، « الا تستطيعين مساعدتي لاهرب من الغول »، فأجابتها ، « انك لو خرجت من الدار فلن تقدرى أن ترجعى الى بلادك ، فكل ما حولنا قفر ولا يمكنك ان تجتازيه ، لكن عند حضور الغول اقتربى منه ولا تخافى وارضعى من ثديه » .

وحين رجع الغول فى الليل ، اقتربت الاميرة منه ورضعت فى الحال من ثديه ، فقال لها ، « من اخبرك أن تفعلى هذا ، فلو لم

ترضعي من ثديي لاكلتك » ، ونام معها وكان شعرها كثيفا فافترش نصفه ونام فوقه وتغطى بنصفه الاخر ، وفى الصباح خرج الغول وصعدت الاميرة الي سطح الدار ومعها الحمامتان ، وفكرت فى خطة ، فأحضرت قطعة صغيرة من القماش وكتبت عليها ما حدث لها ، وربطتها فى أرجل الحمامتين واطلقت الحمامتين ، وطلبت منهما أن تذهبا الى أبيهما ، فطارت الحمامتان .

أما ما حدث لابيها ، فقد أحزنه فراقها ولم تصله أية أخبار عنها وافتقدها تماما ، فقاسى وتالم وأصبحت أيامه كلها شقاء ، والتزم قصره لا يخرج منه ولا يقابل احدا ، وافتقده الناس ولذلك طلب منه الوزير أن يخرج ليقابل رعيته ، وفى ذلك اليوم حين خرج السلطان لاول مرة جلس أمام قصره ، فاذا بحمامتين تقدمان وتقفان على كتفيه ، فحاول احد الحراس أن يطردهما ، فنهاه السلطان ، فجاءت الحمامتان وجلستا فى حجره ، فمسح السلطان بيده ريش الحمامتين ، ولاحظ وجود قطعة القماش ، وعرف السلطان فجأة الحمامتين التى تحبهما ابنته ، فانتزع قطعة القماش وقرأ المكتوب عليها ، وعرف أحوال ابنته ، فقد كتبت له الاميرة «لقد اعطيتنى ياأبى الغول السياف »، فازداد حزنه وشقاؤه ، وحاول الوزير أن يرسل كثيراً من الفرسان والابطال ، لكن أحداً لم يقدر أن يصل الى بلاد الغول، ومن استطاع الوصول اليها أكله الغول.

وكانت تعيش فى بلاد السلطان امراة عجوز لديها سبعة أبناء أقوياء اشداء ، يسافرون كثيرا ، وقلما يجتمعون سويا عند أمهم ، وفى يوم اتفق أن اجتمعوا كلهم فقالت لهم العجوز ، « آن الغول السياف قد أخذ الاميرة ابنة السلطان ، والسلطان حزين ، ويريد استرجاع ابنته فهل يمكنكم أن تحضروا له ابنته »، فقالوا لها ، « عليه أن يعطى كلا منا مائة مثقال ذهب وكسوة كاملة ، ويزوجها لاحدنا » ، فأسرعت العجوز الي السلطان، ففرح فرحا شديداً ، وأعطاها اكثر من ثلاثمائة مثقال من ذهب وثلاث كساوى كاملة لكل ابن من أبنائها ، فرجعت العجوز الى دارها ، ونادت أصغر ابنائها و سألته ، « ماذا ستفعل لتنقذ الاميرة ؟ »، فأجاب « اننى أستطيع أن أشم من مسافة بعيدة ، وسأعرف وأخبر اخوتى أين الغول ، سأبين لهم مكانه ، وحين يدخل الدار اعلمهم بذلك » ، فأعطته ثلاث كساوى كاملة وثلاثمائة

مثقال ذهب ؛ ونادت الثانى وسألته ، « ماذا ستفعل لتنقذ الاميرة »، فأجاب ،« انني استطيع أن احمل اخوتى الستة على ظهرى واقطع بهم مسافات شاسعة ، واستطيع أن أحملهم والاميرة معهم واعود بهم »، فأعطته الكساوى الثلاث والذهب ، واجاب الثالث حين سألته ، أنـــه يمكنه أن يضرب الارض بعصاه فتنشق فينزل فيها هو واخوته ، ولا يخرجون منها الا عند بلاد الغول وأمام داره ، ويأخذون الاميرة ، فيضرب الارض مرة أخرى فتنشق وينزلون فيها ويعودون الى بلادهم »، فأعطته الكساوى والذهب ، واجابها الرابع ان للغول كلبا ، لو نبح وكان الغول نـــائمـــا لاستيقظ وعندئذ لا يمكن ان نتغلب عليه ابدا ، وانا سأخلع اسنان الكلب حتى لا ينبح »؛ فأعطته الكساوى والذهب ، واجابهـــا الخامس حين سألته ، « اننى أستطيع ان اعرف أن كان الغول نائما أم مستيقظا ، فان كان مستيقظا فلا نهاجمه »، فأعطته الكساوى والذهب، واجابها السادس ،« انني استطيع أن أخرج شعر الاميرة من تحـــت الغول حتى يمكننا قتله ؟ فأعطته الكساوى والذهب ، وسألت ابنهـــا السابع اكبر أولادها ، فأجابها ،« اننى سآخذ سيف الغـــول نفســـه واقتله به لان للغول ثلاثة رؤوس ، وعلى أن اقطع راسين وابقى واحدة حتى يموت »، فأعطته الذهب والكساوى .

وأستعد الاخوة السبعة لانقاذ الاميرة وقتل الغول ، فأخذ أصغرهم يشم الهواء وقال ،« الغول فى طريقه الى داره » وانتظر برهة وقال ، « ها هو الغول يدخل الدار ويقفل الباب ، اننى أشم رائحته داخـــل الدار »، وحمل الاخ الثانى اخوته الستة فوق ظهره ، فأسرع الثالث وضرب الارض بعصاه فانشقت الارض ونزل فيها الاخوة ، وساروا ، ثم خرجوا أمام دار الغول ، ولحسن الحظ كان كلب الغـــول نائمـــا ، واقترب الاخ الخامس من الدار ونظر وقال ،« ان الغول نـــائم فهيـــا ولنسرع »، فدخل السادس الدار واخرج شعر الاميرة من تحت الغول ، واسرع الاخ الاكبر السابع واخذ سيف الغول وضرب بسرعة وقوة وقطع راسين من رؤوسه الثلاثة فمات الغول فى الحال .

وحمل الاخ الثانى اخوته الستة والاميرة فوق ظهره ، وضـــرب الثالث الارض بعصاه فانشقت ونزلوا فيها،ثم خرجوا فى بلادهم وذهبوا الى قصر السلطان، ففرح السلطان برجوع ابنته، وطلب كل منهم أن يتزوجها،

وسألته قطع الزجاج المتناثرة ، من يستحق أن يتزوجها ؟ »، فأجاب محمد ،« الاخ الرابع الذى بمكنه أن ينزع أسنان الكلب فلا يقدر أن ينبح وينبه الغول »، فهتفت الاميرة ،« لكنه الوحيد الذى لم يفعل شيئا ، لان الكلب كان نائما »، فصاح محمد ، « أيها الشهود ، أيها السلطان نعال ، لقد تكلمت الاميرة للمرة الثالثة وطلب ان يأخذهـا ويرحـل ، ولكنهم قالوا له ،« لا، ان اباها السلطان لن يزوجها فى الحال لابد أن يقيم لها فرحا (1)، وفى يوم الفرح قد تأخذها وقد لاتأخذها ، فاحتج بأنه حقق شروط السلطان ، فأجابوه « الكلام والراى اولا واخيرا للسلطان »، واخبروه أن الفرح سيكون بعد ثلاثة أيـام . . .

فرجع الي داره ونام نوما عميقا ، وفى الصباح قام وركب حصانه وذهب الى الشجرة الوارفة الظلال التى وجد فوقها العصفورين ، وجلس تحتها يفكر فيما جرى له ، فسمع عصفورين آخرين يتكلمان ، وقال عصفور ،« لقد ارشد عصفوران منا مولاى محمد ومكناه من أن يجبر الاميرة على الكلام ، وسيقيم ابوها السلطان الفرح ، ويحضر ثلاث محفات (عماريات) يحملها العبيد ويزين آثنين منها بالستائر الحريرية الثمينة ، والجواهر ، وواحدة بقماش عادى وتكون قديمة ومتسخة ، وداخل القديمة تجلس الاميرة ، على اية حال ، فسنتحول الى نحلتين ونطير أمام المحفة (العمارية) التى بداخلها الاميرة لنرشد مولاى محمد وعليه أن يرحل فى نفس الليلة لانه لو انتظر للصباح فسيحفرون حفرة ويملأونها بالنار ليقع فيها مولاى محمد وعروسه ، لان أباها يحبها ولا يستطيع أن يفارقها »، فعرف مولاى محمد السر .

واقيمت الافراح وعزفت المزامير ودقوا الطبول واقبل المدعوون ، وجاء السلطان الي محمد وأحضر له ثلاث محفات (عماريات)، اثنان منهما غطيتا بأنفس أنواع الحرير ، تزينهما الاحجار الكريمة ، من ماس وياقوت وافخر المجوهرات ، والثالثة قديمة متسخة تطير أمامها نحلتان، وسأله السلطان « فى اى محفة (عمارية) توجد الاميرة ؟ »، فقال محمد « اننى فقير ومسكين والاميرة هنا »، وأشار الى المحفة المتسخة .

وسألوه أن يبقى حتى الصباح ، لكنه أسرع وطلب الى الحمالين

---

(1) ــ عرسا .

ان يحملوها ومشى يقصد الرحيل الى بلاده ، حتى انه لم يأخذ خدمه وعبيده معه ، وقال لهم ان عليهم ان يتبعوه فى الصباح لانه فى عجلة من أمره ، وحين وصل الى بلاده اسرع الى دار جده الوزير مع زوجته فجاءت اليه امه فرحة وسعيدة برجوعه ، واخبرته ان اباه السلطان قد مرض وضعف بصره ، وهو يندم على ما فعل ويقول ، « ليتنى أبقيت ولدا من أولادى الذين ذبحتهم ليجلس على العرش » . واسرعت امه الى السلطان وحكت له القصة كلها ، نفرح فرحا شديدا واجلس محمدا على العرش واصبح ملكا ، وعاش مع عروسته الاميرة الجميلة ورزقوا بالاولاد والبنات .

الفهرس

قريبا سيصدر الجزء الثاني

من هنا كان تقديرنا لهذا العمل الذي أنجزه صديقنا المصري الأستاذ يسري شاكر في إطار جمع الحكايات الشعبية المغربية

وهو عمل جليل وضخم تطلب منه سنوات طويلة من التتبع والجمع في غير قليل من المعاناة المضنية المرهقة، وكان سبق له أن أطلعنا على مشروعه منذ أزيد من ثلاثة أعوام فاشفقنا عليه مما قد يصيبه من المشقة والعناء ولكننا لم نلبث أن شجعناه حين ألفيناه مصمماً وبروح قوية عالية على المضي في البحث الميداني عن الحكاية هنا وهناك وعلى مواجهة الصعوبات التي تعترضه مادية ومعنوية، وكنا قد تعرفنا عليه من خلال مسلسل "الأغنو" الذي قدمت التلفزة المغربية حلقاته الناجحة فاعجبنا بالعمل وقدرنا صاحبه

دكتور عباس الجراري

طبع ونشر دار النشر المغربية

الثمن : 17 درهما